المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام بالرياض
قسم الدعوة والاحتساب

خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

﴿ دراسة دعوية ﴾

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدعوة والاحتساب

أعدها الطالب

سيد محمد بن محمد

بإشراف الدكتور

حسين محمد محمود عبدالمطلب

الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب

العام الجامعي
١٤١٩ - ١٤٢٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله خافض القسط ورافعة القاضي بالعدل وواضعه، معطي كل خير ومانحه، كاشف كل ضر ودافعه. والصلاة والسلام على من بُعِث بالحجج الدامغة، والبراهين الساطعة، فاستنارت القلوب بالإيمان، واتضحت معالم الإسلام والإحسان، وخضدت شوكة أهل الكفر والعصيان، وانتشرت في بلاد العرب السعادة والأمان، رغم ما كانوا عليه من فرقة وتقاتل وعصيان. خطبهم فجلّى بخطابه كل غامض ومكنون، فعرفوا في عبادتهم إلى من يتوجهون، وفي المصائب والشدائد بمن يستغيثون، أقام لهم نهج العبادات، وسددهم في جميع المعاملات، فحسنت الأخلاق، وقل الخصام والشقاق، ذهبت العُبيّة والتفاخر بالأنساب، وعمت الهداية الرجال والنساء والشباب. خاطب كلا بحسبه، وعلى قدر فهمه واستيعابه، ولم يأل جهدا في استخدام وسائل الإبلاغ والإعلام، وطرق الإيضاح والإفهام، وسبل الإقناع والإفحام؛ فازدانت أساليبه بالحكم والمواعظ الحسان، وجادل أهل الشرك فخصمهم وأبان، وحاور من اشتبهت عليهم الأمور من أهل الإيمان، وبالمقارنة زالت الشبهات وانشرحت الصدور، واكتملت له بإذن الله تعالى جميع الأمور.

وبعد. فإن الخطابة وسيلة مهمة لكل داعية ومصلح ، إذ من خلالها يستطيع إيضاح ما يدعو إليه من عقائد وأحكام وأخلاق تهم المجتمع الذي يخاطبه . والرسول ﷺ هو إمام الدعاة وقدوتهم ، وقد جاء إلى مجتمع جاهلي يحتاج إلى التغيير في عقائده . وعلاقاته وأخلاقه ، ومعاملاته ، ومن بين الوسائل التي قام بها رسولنا ﷺ لتغيير هذا المجتمع الخطابة ، فكان يتعاهدهم بالموعظة ، وكان يغشى الناس في المواسم والأندية ليبلغهم ما أمره الله بتبليغه . فنقل عنه الكثير من هذه الخطب في مجالات مختلفة ومناسبات شتى . وقد اطلعت على بعض هذه الخطب فلاحظت أهمية دراستها دعويا كبحث لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة والاحتساب بعنوان :

خطب الرسول ﷺ – دراسة دعوية –

وإليك مقدمة تشتمل على :

١ - التعريف بمفردات البحث :

خطب : جمع خطبة ، مثل غرفة وغرف ، والخطبة في اللغة : كلام يلقيه خطيب بهيئة خاصة ، قال في اللسان : " خطب الخاطب على المنبر يخطب خطابا ، واسم الكلام الخطبة ، وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب هو الكلام المنثور المسجع ، والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر " [١] .

واصطلاحا عرفها الجرجاني فقال : " الخطبة الكلام المنثور يخاطب به متكلم فصيح جمعا من الناس لإقناعهم " [٢] . وقال بعض المالكية : " نوع من الكلام يخالف النظم والنثر ، يشتمل على نوع من التذكرة " [٣] . وجعل الحنفية ركنها الأساسي في الجمعة مطلق الذكر ، والمالكية الاشتمال على تحذير أو تبشير ، والحنابلة والشافعية أن تشمل على حمد ، وصلاة على النبي ﷺ وقراءة آية من القرآن ، والوصية بالتقوى ، وزاد الشافعية الدعاء للمؤمنين [٤] .

والمقصود عندي بالخطبة في هذا البحث الأحاديث القولية التي صرح الراوي فيها بأنها خطبة مثل قوله : " خطبنا رسول الله ﷺ فقال كذا " أو قال: في خطبة كذا .. أو قام على المنبر فقال كذا .. " مع مراعاة الأركان الأساسية للخطبة عند الفقهاء حسب الإمكان .

٢ - أهمية الموضوع :

تعتبر الخطابة من أهم الوسائل القولية تأثيرا - بإذن الله تعالى - إذ لا هداية إلا بتوفيقه ، وذلك لأنها اتصال جماهيري مباشر يوضح من خلاله الخطيب الأفكار التي يدعو إليها ، والحقائق التي يؤمن بها ويلحظ الأثر في

---

(١) لسان العرب ، لابن منظور ، ١١/٣٦٠ - ٣٦١ ، القاموس المحيط ١/٦٣ ، تاج العروس شرح القاموس للزبيدي ١/٢٣٨ .

(٢) التعريفات للجرجاني ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ص ١١٨ .

(٣) الخرشي على مختصر خليل في الفقه المالكي ٢٠/٧٨ .

(٤) المغني لابن قدامة ، ١/٤٧٥ ، الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري ١/٣٩٠ ، الخرشي على مختصر خليل ، ص ١١٨ ، والفقه الإسلامي وأدلته ، د . وهبة الزحيلي ٢/٢٨٣ ، وما بعدها .

حينه ، ورسولنا ﷺ وهو الذي اختاره الله للرسالة الخاتمة كان يرسخ في نفوس أصحابه - رضي الله عنهم - مسؤولية تبليغ دين الله " بلغوا عني ولو آية " [1] .

والخطبة إحدى الوسائل القولية التي كان الرسول ﷺ يهتم بها لتبليغ دعوته ، يدل على ذلك أنه حفظ عنه الكثير من الخطب في مناسبات متعددة ومتنوعة ، ونحن مأمورون بتبليغ دعوته متأسين به عليه الصلاة والسلام .

ولذا فإن التعرف على خطبه ، ودراستها لاستخراج ما تيسر من فوائد ودروس دعوية تشتمل عليها يعتبر أمرا مهما ، والدعاة في كل عصر ومصر يحتاجون إلى الإستضاءة بأنوار الوحي ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [2] .

تتمثل هذه الفوائد أو بعضها في اختيار الأسلوب المناسب ومراعاة أحوال المدعوين وظروفهم ، والتركيز على الأمور التي يحتاجونها ، وإبراز المعاني التي تهمهم .

٣ - أسباب اختيار الموضوع :

لقد كان لاختيار هذا الموضوع أسباب كثيرة أشرت إلى بعضها في الأهمية ومنها :

١/ الإسهام بجهود دعوية مستنبطة ومستفادة من خطب رسول الله ﷺ إذ هو إمام الدعاة وقُدوَتُهم في كل ما يقومون به .

٢/ لأعيش خلال فترة البحث مع خطاب رسول الله ﷺ مستخرجا منه ما يسّره الله لي من فوائد ودروس دعوية ومغترفا من فيض علومه ﷺ .

٣/ تطلع الباحث إلى أن يبرز للدعاة المنهج الدعوي الصحيح والأساليب التي ينبغي استخدامها في تبليغ الدعوة .

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح ، كتاب الأنبياء ، باب ما ذكر من بني إسرائيل ، جـ ٦ ، ص ٥٧٢ ، حـ ٣٤٦١ .

(٢) سورة الأحزاب ، جزء من الآية (٢١)

٤/ عدم وجود دراسات دعوية متخصِّصة حسب علمي في هذا الموضوع الذي أتقدم به مع أهميته في مجال الدعوة إلى الله تعالى.

٤ - الدراسات العلمية السابقة :

أما بالنسبة لدراسة الخطب النبوية دراسة دعوية فلم أطلع على من تناول الخطب بالبحث من هذه الزاوية ، ويلاحظ أن المحدَثين لم يجمعوها باستقلال تحت عنوان ، ولكنهم يتعرضون لها في أبواب مختلفة مما يجعل الباحث في حاجة إلى مزيد من الجهد للبحث عنها واستخراجها من مظانها في كتب الحديث ، وممن وجدته جمع بعضها تحت عنوان واحد الشيخ أحمد البنا في ترتيبه لمسند الإمام أحمد رحمهما الله تعالى .

وهناك دراسات إعلامية وأدبية أشارت إلى بعض خطب النبي الكريم مركّزة على الجوانب الإعلامية فيها ، ومنها :

١/ الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ ، تأليف محمد إبراهيم محمد إبراهيم ، وقد لخص منهجه في النقاط التالية :

أ - التعرف على خطب الرسول ﷺ من كتب الحديث .

ب - تجميع هذه الخطب وتقسيمها حسب ظروف إلقائها .

ج - التعقيب عليها واستنباط الجانب الإعلامي لكل منها .

د - بيان الخصائص العامة للخطب النبوية ، والخصائص الخاصة لكل قسم منها .

هـ - ما يستفاد من البحث [١] .

٢/ دراسة الدكتور سعيد بن ثابت - حفظه الله - بعنوان : الجوانب الإعلامية في خطب النبي ﷺ وتشمل على الفصول التالية :

الفصل الأول : الدلالات الإعلامية في خطب النبي ﷺ .

---

(١) الجانب الإعلامي في خطب النبي ، محمد إبراهيم ، رسالة ماجستير ، في قسم التربية ، جامعة الملك سعود ، عام ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م حسبما ذكره الباحث في نهاية تقديمه للطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، ويبلغ عدد صفحات الرسالة ٤٥٦ .

الفصل الثاني : منهج الخطاب الإعلامي في خطب النبي ﷺ .
الفصل الثالث : أصول الإقناع في خطب النبي ﷺ .
والفصل الثاني والثالث يمثلان النتائج المستفادة من الفصل الأول .
منهج الدراسة : المنهج الاستقرائي .
حيث قام الباحث باستقراء الخطب من مظانها في كتب الحديث ، ثم استقراء الدلالات الإعلامية التي اشتملت عليها الخطب المدروسة .
وتقع الدراسة في حوالي مائتي صفحة ، وهي مفيدة ونافعة لكن التركيز فيها على الجوانب الإعلامية .

٥ – المشكلة البحثية :

من المعلوم أن علم الدعوة في إطار المنهج ، لم يزل علما حديث النشأة ولكن أصوله وقواعده الأساسية مبثوثة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ القولية والفعلية والتقريرية .
ولا شك أن الدعاة في كل عصر يحتاجون إلى إبراز النموذج الأمثل الذي يوضح المنهج الدعوي الصحيح ، ويبين معالمه ، وطرق التعامل مع المدعوين ، وأهم الوسائل والأساليب التي ينبغي استخدامها ، والدلالات الدعوية في أي خطاب دعوي .
ولهذا فإن دراستي هذه تسعى بعون الله تعالى إلى إبراز النموذج الأمثل للدعاة من خلال دراسة خطب النبي الكريم ﷺ ،دراسة تحليلية ، تبرز أهم الدلالات الدعوية ، في ضوء موضوعات هذه الخطب وأهم الوسائل التي ينبغي استخدامها في تبليغ الدعوة ، وأهم الأساليب المناسبة للمدعوين لأن الخطاب الدعوي يجب أن لا يكون على نمط واحد ، دون مراعاة الفوارق الاجتماعية والبيئية ، إذ ليس الأمي كالمتعلم ، وليس المتعنت المصر على الإثم كالذي يقع فيه على سبيل الخطأ .

وفي هذا البحث يجد القارئ -بإذن الله- إجابة على التساؤلات التالية :

٦ - تساؤلات البحث :

١ - ما السمات العامة لهذه الخطب ؟ .

٢ - ما الموضوعات التي اشتملت عليها خطب النبي ﷺ ؟

٣ - من هم أصناف المدعوين في ضوء خطب النبي ﷺ ؟

٤ - ما الأحوال والظروف التي راعاها نبينا ﷺ في خطاب المدعوين ؟

٥ - ماالوسائل التي استخدمها نبينا ﷺ في خطبه لإيصال الحق إلى المدعوين ؟

٦ - ما الأساليب التي كثر استخدامه إياها عليه الصلاة والسلام في تبليغه للدعوة ؟

٧ - منهج الدراسة :

يعتمد المنهج الذي ينبغي استخدامه على نوع الدراسة إذ كل دراسة لها منهجها المناسب ، ولما كانت دراستي تتناول خطب النبي الكريم ﷺ ، وقد ألقيت هذه الخطب في مناسبات عدة وأزمنة مختلفة ودوّنت من طرف علماء المسلمين بعد أن نقلها الرواة عن طريق الحفظ في الصدور قبل عصور التدوين ، فصارت وثائق يستفاد منها في شتى المجالات وسأعتمد لدراستي المنهجين التاليين :

أولاً : المنهج الاسترادي التاريخي :

" وهو الذي يهتم بجمع الحقائق والمعلومات من خلال دراسة الوثائق وغيرها ، ويستخدم هذا الأسلوب في دراسة الظواهر والأحداث التي مضى عليها زمن قصير أو طويل ، فهو مرتبط بدراسة الماضي وأحداثه .. " [١] .

---

(١) المرشد في كتابة البحوث التربوية ، د . عبدالرحمن صالح عبدالله ، ود . حلمي محمد فودة ، ص ٢٨ .

وطريقتي في تطبيق هذا المنهج أني سأتناول خطبا تتفاوت أوقات ورودها ، وهي متعلقة في نشأتها بالزمن الماضي ، وإن كان خطابه ﷺ موجها إلى كل من سمعه من أمته في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة .

ثانياً : المنهج الاستنباطي :

" وهو الذي يقوم فيه الباحث ببذل أقصى جهد عقلي ونفسي ، عند دراسة النصوص بهدف استخراج مبادئ تربوية مدعمة بالأدلة الواضحة " [1] .

وطريقة تطبيقي لهذا المنهج أني سأدرس - إن شاء الله - نصوص الخطب مستنبطا منها المبادئ الدعوية ، مدعما إياها بالأدلة الأخرى من نصوص الكتاب والسنة أقوال أهل العلم .

وقد حرصت في عرضي للخطب النبوية على جمعها من مصادرها الأصلية وتحليل المعاني والفوائد المتعلقة بموضوعاتها ، ، وأصناف المدعوين ومراحاة أحوالهم ، والوسائل والأساليب المستخدمة لإفادتهم .

وتلخص عملي في هذا البحث على النحو التالي :-

١ - حاولت جمع الخطب من مظانها مراعيا صلاحيتها للاحتجاج ، وكانت غالبية الخطب التي درستها في الصحيحين أو في أحدهما ، وما كان من غيرهما فقد نقلت كلام العلماء عليه وبيانهم صلاحيته للاحتجاج ، بأن يكون صحيحا أو حسنا .

٢ - صنفت الخطب حسب موضوعاتها ، وجعلتها في مقدمة البحث ليسهل الرجوع إليها .

٣ - تناولتها بالدراسة حسب الخطة المرسومة مستشهدا لكل ما أتوصل إليه من فوائد بنصوص الخطب أولا ، ثم بما تيسر من نصوص أخرى من القرآن والسنة ، ثم أذكر أقوال العلماء في ذلك المعنى .

٤ - كان تركيزي في الاستفادة من كلام العلماء على علماء السلف المشهود لهم بالاستقامة ولم أهمل غيرهم لما قيل " الحكمة ضالة المؤمن " .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٣ .

٥ - حاولت في الاستفادة من المراجع ، أن أسلك المنهج العلمي ، المعروف لدَى الباحثين بالتمييز بين المنقول بحروفه ، والمنقول بمعناه مع التزام الأمانة العلمية في إضافة كل قول إلى من نقل عنه .

٦ - خرجت الأحاديث من مراجع الحديث الأصيلة ، وما كان في الصحيحين أو في أحدهما - أكتفي بتخريجه منهما أو من أحدهما .

٧ - ما كان في غيرهما أخرجه من كتب السنة الأخرى حسب الإمكان ، ولم ألتزم بالحكم على الأحاديث التي أستدل بها ، ولكني تحاشيت الاستدلال بما وجدت النص على ضعفه غالبا .

٩ - خرجت الآيات وأضفتها إلى سورها .

١٠- ترجمت لأغلب الأعلام غير المشهورين .

١١- شرحت الألفاظ الغريبة في نظري وخاصة في نصوص الخطب .

١٢- بينت أغلب المبهمات في نصوص الخطب ومالم أبينه فذلك لعدم حصولي على تعيينه .

١٣- بالنسبة للقبائل والأماكن لم أتعرض لها في الغالب - إلا إذا تعلقت بذلك فائدة .

١٤- وضعت فهارس للآيات ، والأحاديث والأعلام المترجم لهم ، والغريب ، والمراجع والموضوعات ليسهل الرجوع إلى ذلك في أماكنه .

١٥- حاولت الالتزام الحرفي بالخطة التي رسمتها للموضوع وحصلت عليها الموافقة من المجالس المختصة .

تقسيم الدراسة:

المقدمة:

- التعريف بمفرادت البحث
- أهمية الموضوع
- أسباب اختيار الموضوع
- الدراسات العلمية السابقة
- المشكلة البحثية
- تساؤلات البحث
- منهج الدراسة

التمهيد:

البيئة الفكرية والاجتماعية لخطب الرسول صلى الله عليه وسلم

الفصل الأول

نصوص الخطب وسماتها

المبحث الأول: خطب الرسول صلى الله عليه وسلم.

المبحث الثاني: السمات العامة لخطب الرسول صلى الله عليه وسلم.

الفصل الثاني

موضوعات خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: العقائد والغيبيات.

المبحث الثاني: العبادات والأحكام.

المبحث الثالث: الأخلاق.

الفصل الثالث : المدعوون في خطب الرسول ﷺ ومراعاة أحوالهم

المبحث الأول : الخارجون عن الإسلام ومراعاة أحوالهم

المبحث الثاني : المدعوون من أهل الإسلام ومراعاة أحوالهم

الفصل الرابع

الوسائل والأساليب في خطب الرسول صلى الله عليه وسلم

المبحث الأول: الوسائل.

المبحث الثاني: الأساليب.

الخاتمة: وفيها ذكر أهم النتائج والتوصيات.

الشكر والتقدير

هذا وأشكر الله الذي منّ عليّ بنعم لا تحصى ، ومنن لا تستقصى ، ومن أعظمها نعمة الهداية للإيمان أسأله أن يختم لي بالموت على الشهادة .

وانطلاقاً من قوله ﷺ " لا يشكر الله من لا يشكر الناس" فإني أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور حسين محمد محمود عبد المطلب الأستاذ المشارك بقسم الدعوة والاحتساب ، والمشرف على الرسالة ، فقد ساعدني بالتوجيه والتسديد والنصح الدائم ، وبذل الكثير من وقته في سبيل إنجاز هذا الموضوع ، ورغم أنه فاته من المدة المقررة للبحث ما يقارب الثلثين إلا أنه لم يفته شيء من البحث فجزاه الله عني أحسن الجزاء .

كما أشكر جميع الأساتذة الأفاضل في كليتنا الموقرة ، وخاصة الأستاذ الدكتور حمد بن ناصر العمار عميد الكلية الذي ساعدني على إعداد الخطة وإنجازها علمياً وإدارياً .

كما أشكر الدكتور سليمان بن عبد الله الحبس وكيل الكلية للدراسات العليا والبحث العلمي ، والدكتور محمد بن عبد الله الخرعان وكيل الكلية .

وأشكر الشيخ الدكتور فضل إلهي الذي كان مشرفاً عليّ في إعداد الخطة ، وكان يساعدني بآرائه النيرة كلما اعترضتني مشكلة فجزاه الله خير الجزاء .

كما أشكر جميع القائمين على هذه الجامعة الموقرة من أساتذة وإداريين وأسأل الله أن يتقبل منا ومنهم صالح الأعمال .

وأشكر جميع الإخوة الذين ساعدوا في إنجاز هذا البحث وأسأل الله أن يجزل لهم المثوبة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

التمهيد

البيئة الفكرية والاجتماعية لخطب الرسول ﷺ

من المعلوم أن المجتمع الذي بعث فيه رسول الله كان مجتمعاً أمياً بدليل قوله تعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (١) .

ولذا كان رسول الله ﷺ شديد الحرص على هداية قومه وإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان قال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٢) ، وقال تعالى : ﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد ﴾ (٣) .

وقد قام رسول الله ﷺ أول الأمر بدعوة الناس إلى هذا الدين خفية ، فكان يدعو خاصته ومن يتوسم فيهم الخير ورجاحة العقل أمثال أبي بكر الصديق ، وأم المؤمنين خديجة ، وزيد بن حارثة (٤) ، وعلي ﷺ وهؤلاء هم الرعيل الأول من هذه الأمة واللبنة الأولى في بناء مجتمع الإسلام (٥) .

وقد استمر على الدعوة السرية نحو ثلاث سنوات بعد البعثة كانت الدعوة خلالها مقصورة على المقربين إليه ﷺ كأبي بكر ﷺ (٦) ، ولما نزل عليه ﷺ قول الله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٧) .

صعد ﷺ على الصفا ونادى يا صباحاه ! فاجتمع إليه بطون قريش فخطبهم أول خطبة علنية ، قال فيها : " يا بني كعب بن لوي أنقذوا أنفسكم من النار .... ، ثم نزل إلى الأقربين حتى قال : " يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها " (٨) ، وفي رواية أنهم لما اجتمعوا قال

---

(١) سورة الجمعة ، الآية (٢) .
(٢) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .
(٣) سورة إبراهيم ، الآية (١) .
(٤) هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي أبو أسامة مولى رسول الله ﷺ وحبه صحابي مشهور ، كان من أول الناس إسلاما ، استشهد يوم مؤته سنة ٨ هـ ، انظر : ترجمته في الاستيعاب ، ج ١ ، ص ٥٤٤ ، والاصابة ، ج١ ، ص ٥٦٣ ، وتقريب التهذيب ، ص ٢٢٢ .
(٥) انظر الرحيق المختوم ، ص ٧٢ ، ٧٣ .
(٦) انظر الرحيق المختوم ، ص ٧٢ - ٧٣ .
(٧) سورة الشعراء ، الآية ٢١٤ .
(٨) سيأتي تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٥ .

لهم " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " (١) .

ولما نزل عليه قوله تعالى : ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (٢) بدأ مرحلة جديدة أعلن فيها ذم الأصنام ، وسفه أحلام من يعبدونها وعندها عدت قريش ذلك حربا عليها وثورة تهدد دين الآباء ، وتعصف بكبرياء الملإ ، وتزيل عروشهم ، ولكن ذلك لم يثن عزم رسول الله ﷺ فكان يدعو إلى التوحيد ، وإلى نصرته حتى يبلغ دين الله يدعو القبائل والجماعات ، ويغشاهم في الأسواق والمواسم يعرض عليهم نفسه ، ويبين لهم ركائز الدين الذي يدعو إليه (٣) ، وقد ذهب إلى الطائف وعرض نفسه على ابن عبد ياليل بن عبد كلال (٤) فلم يجبه ، وقد بيّن ﷺ هذه القصة في حديث متفق عليه ، فعن عائشة – رضي الله عنها – أنها سألت النبي ﷺ هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ قال : " لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل ، فناداني ، فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك ، وما ردّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ، ثم قال : يا محمد فقال ، ذلك ، فيما شئت ؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين ، فقال النبي ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا " (٥) .

ولم يأل أعداء الإسلام أي جهد في وأد هذه الدعوة في مهدها ، واجتهدوا في إطفاء هذا النور الذي أراد الله أن يتمه ، قال تعالى : ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (٦) .

---

(١) سيأتي تخريجه في نصوص الخطب (ص ٩٥) .
(٢) سورة الحجر ، الآية (٩٤) .
(٣) الرحيق المختوم ، ص ١٢٩ ، وما بعدها .
(٤) قال ابن حجر في الفتح اسمه كنانة ، وهو رئيس ثقيف في زمانه ، قدم في وفد ثقيف بعد حصار الطائف ، فأسلموا ، وقيل إنه لم يسلم ، وخرج إلى الروم فهلك على الكفر هناك .
انظر : فتح الباري جـ٦ ، ص ٣٦٣ ، والاصابة ، جـ ٣ ، ص ٣٠٥ ، والأعلام ، جـ ٥ ، ص ٢٣٤ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب إذا قال أحدكم (آمين) ، والملائكة في السماء آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ، ج ٤ ، ص ٤٢٠ – ٤٢١ ، ح ٣٢٣١ ، وصحيح مسلم كتاب الجهاد والسير ، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، ج٣ ، ص ١٤٢٠ ، ح ١٧٩٥ .
(٦) سورة التوبة ، الآيتان : ٣١ – ٣٢ .

ورغم قصر المدة التي قضّاها رسول الله ﷺ في الدعوة إلى الله فإن الجزيرة العربية كلها ، قد نعمت بالدخول في دين الله ، فانزاحت الغياهب ، ونُكِست الأصنامُ ، وتوحدت القلوب على الإيمان بالله وحده بعد العداء والفرقة ، وتصديق الخرافات ، وتعطيل العقول والأفكار ، فاكتمل الدين ، ودخل الناس فيه أفواجا .

قال الله تعالى ممتنّا على رسوله والمؤمنين ، ومذكّرا بنعمه عليهم ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ (٣) .

وقال ﷺ في الحديث الصحيح : " إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم " (٤) .

وروى عنه ﷺ أنه قال : " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك " (٥) .

وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أن المجتمع الذي كان رسول ﷺ يخاطبه في بداية الدعوة وفي المرحلة المكية بأسرها يختلف تماما عن المجتمع الذي تكوّن على يديه ﷺ في المدينة ، حيث كانت الآيات القرانية تتنزل لتوجّه هذا المجتمع ، وترسم له الطريق وتحل مشكلاته الفكرية والاجتماعية فور وقوعها ، فآيات الإفك نزلت لتبرّئ أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – من كذب أهل النفاق ، وآيات الظهار نزلت لحل مشكلة المرأة الأنصارية التي ظاهر منها زوجها ، والأمثلة كثيرة في شتى المجالات في الحرب والسلم ، وغير ذلك .

ولعل هذا التمايز بين المجتمعين ، والاختلاف الجذري في العقائد ، والأفكار والقيم والأخلاق ، والعادات ، يلزم الباحث في هذا الموضوع أن يقسمه إلى مرحلتين : مكية ، ومدنية ، ولذا قسمت التمهيد إلى مبحثين على النحو التالي :

---

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية (١٠٣) .
(٢) سورة المائدة ، جزء من الآية (٣) .
(٣) سورة النصر وهي ثلاث آيات .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه ، جـ ٤ ، ص٢١٦٦ ، حـ ٢٨١٢ .
(٥) سنن ابن ماجه ، جـ ١ ، ص ١٦ ، حـ ٤٣ .
ومسند الإمام أحمد ، جـ ٤ ، ص ١٧٤ ، حـ ١٧١١٢ .

المبحث الأول : البيئة الفكرية لخطب النبي ﷺ في مطلبين .

المطلب الأول : البيئة الفكرية في المرحلة المكية .

المطلب الثاني : البيئة الفكرية في المرحلة المدنية .

المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية لخطب الرسول ﷺ في مطلبين أيضا :

المطلب الأول : البيئة الاجتماعية لخطب الرسول ﷺ في المرحلة المكية .

المطلب الثاني : البيئة الاجتماعية لخطب الرسول ﷺ في المرحلة المدنية .

المبحث الأول

البيئة الفكرية لخطب الرسول ﷺ

المطلب الأول

البيئة الفكرية في المرحلة المكية

قد سبقت الإشارة إلى ما كان عليه العرب من أمية ، حيث لم يكن لهم كتاب يقرؤونه ، ولا دين يتمسكون به .

فاشتغلوا بعبادة الأوثان ، حتى صار لكل قبيلة صنم يعبدونه ، ويقربون إليه القرابين [١] .

وكان أول من سن لهم عبادة الأوثان عمرو بن لحيّ [٢] إذ سافر إلى الشام فوجدهم يعبدونها ، فاستحسن ذلك وظنه حقا ؛ لأن الشام كانت محل الرسالات السماوية فقدم معه بهبل وجعله في جوف الكعبة ، ودعا أهل مكة إلى الشرك بالله فأجابوه وتابعهم غيرهم [٣] ، وعمرو هذا هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ " رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه [٤] في النار وكان أول من سيب السوائب " [٥] .

قال ابن كثير – رحمه الله – بعد ذكر روايات لهذا الحديث : " والمقصود أن عمرو بن لحي – لعنه الله – قد كان ابتدع لهم أشياء في الدين غير بها دين الخليل ، فاتبعه العرب في ذلك فضلوا بذلك ضلالا بعيدا بينا فظيعاً شنيعا " [٦] .

وقد بين الله تعالى في كتابه العزيز ، ما كانوا عليه من جهالة وضلال ، وكذبهم على الله عز وجل في التحليل والتحريم ، وتغييرهم شرعه ، يدل على ذلك ما روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : " إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم

---

(١) انظر : البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ص ١٩٤ ، ١٩٥ .

(٢) عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي ، من قحطان ، أول من غير دين إسماعيل ، ودعا العرب إلى عبادة الأوثان ، كان غنيا كثير المال . نقل ابن كثير عن السهيلي أنه ربما نحر أيام الحجيج عشرة آلاف بعير ، وكان قوله وفعله عندهم كالشرع المتبع لمكانته فيهم . انظر : البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ص ١٨٧ ، ١٨٩ ، والأعلام ، جـ ٥ ، ص ٨٤ .

(٣) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٦ ، ص ٦١ .

(٤) القصب بضم القاف وسكون الصاد المَعْىُ ، انظر : القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص ١١٧ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قصة خزاعة ، ج ٤ ، ص ٥١٨ ، ح ٣٥٢٢ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب شدة حر نار جهنم ، ج ٤ ، ص ٢١٩٢ ، ح ٢٨٥٦ .

(٦) البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٩٣ .

وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين [١] ﴾ [٢] .

وهذه الآيات هي قوله تعالى : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ، وكذلك زيّن لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون ، وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم ﴾ [٣] .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآيات : "هذا ذمّ وتوبيخ من الله للمشركين الذين ابتدعوا بدعا وكفرا وشركا ، وجعلوا لله شركاء وجزءا من خلقه ، وهو خالق كل شيء سبحانه وتعالى " [٤] .

وقال السيوطي [٥] – رحمه الله – : " وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر ، وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن قتادة في قوله تعالى : ﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم ﴾ ، قال : هذا صنع أهل الجاهلية كان أحدهم يقتل ابنه مخافة السباء والفاقة ويغذو كلبه .

وفي قوله : ﴿ وحرموا ما رزقهم الله ﴾ قال : جعلوا بحيرة ووصيلة وحاميا تحكما من الشيطان في أموالهم وجزءا من مواشيهم وحروثهم ، فكان ذلك من الشيطان افتراء على الله " [٦] .

وقد بيّن ﷺ في خطبة يرويها عن الله عز وجل . أن الشياطين اجتالوا الناس وأبعدوهم عن الفطرة من ذلك قوله ﷺ " ألا إن ربي أمرني أن أعلّمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا ، كل مال نحلته عبدا حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٤٠) .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قصة زمزم وجهل العرب ، ج ٤ ، ص ٥١٩ ، ح ٣٥٢٤ .
(٣) سورة الأنعام ، من الآية ١٣٦ – ١٣٩ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ .
(٥) عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي ، جلال الدين ، الإمام الحافظ المؤرخ صاحب المؤلفات الكثيرة النافعة في مختلف الفنون ، ولد سنة ٨٤٩ ، توفي والده وهو في السادسة ، وختم القرآن وهو في الثامنة من عمره استفاد من مشيخة زمانه وحفظ الكثير من العلوم قبل بلوغه ، من شيوخه البلقيني ، والمناوي ، عرف بالزهد والانقطاع لتحصيل العلم وتأليف الكتب ، توفى رحمه الله سنة (٩١١هـ) وعمره اثنان وستون سنة إلا شهرين ، انظر : شذرات الذهب ، جـ ٨ ، ص ٥١ – ٥٥ ، والأعلام ، جـ ٣ ص ٣٠١ – ٣٠٢ .
(٦) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، ج٣ ، ص٣٦٦ .

أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا " (١) .

قال النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : " قال الله تعالى : كل مال أعطيته عبدا من عبادي فهو له حلال ، والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامي وغير ذلك " (٢) .

وعن سعيد بن المسيب (٣) – رحمه الله – أنه قال : " إن البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس ، وأما السائبة التي كانوا يسيبونها لآلهتهم فلا يحمل عليها شيء " (٤) .

وفي هذا المعنى يقول الله تعالى ردا عليهم ، وإنكارا لما افتروه من تحريم ما أحله : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه ءاباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون ﴾ (٥) .

وفي هذه الآيات يبين الله تعالى أنهم لا يعقلون ، ولا يعلمون ، ولا يهتدون ، وهذه كلها ألفاظ تدل على ضعف المستوى التفكيري لديهم .

ويدل على ذلك تفننهم في تحريم ما أحل الله بغير دليل من شرع ولا عقل .

ومن أمثلة ذلك ما ذكر في هاتين الآيتين من البحيرة ، والسائبة والوصيلة ، والحام ، وتحريم بعضها على النساء وإباحته للرجال ، فقد ذكر ابن الجوزي (٦) أن البحيرة : هي الناقة تنتج خمسة أبطن ، فإن كان خامسها ذكرا نحروه وأكله الرجال والنساء جميعا ، وإن كانت أنثى اختص الرجال بمنافعها ، وإذا ماتت اشتركوا فيها جميعا (٧) .

---

(١) سيأتي تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .

(٢) شرح النووي ، صحيح مسلم ، ج١٦ ، ص١٩٧ .

(٣) هو سعيد بن المسيب بن حزن المخزوميّ ، أحد الفقهاء السبعة بالمدينة أخذ عن زيد بن ثابت ، وابن عباس كان من أعلم الناس بقضاء رسول الله ﷺ ، ولد في السنة الثانية من خلافة عمر – ﷺ – وتوفي (٩٤) هـ انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٥ ، ص ١١٩ – ١٤٣ – والحلية : جـ ٢ ، ص ١٦١ – ١٧٥ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب النار يدخلها الجبارون ، جـ ٤ ، ص ٢١٩٢ ، حـ ٢٨٥٦ .

(٥) سورة المائدة ، الآيتان : ١٠٣ – ١٠٤ .

(٦) عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ، يرجع نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق – ﷺ – الشيخ الواعظ جمال الدين أبو الفرج ، برز في علوم كثيرة ، وصنف الكثير ، قيل نحو ثلاثمائة ، له يد طولى في كثير من العلوم من تفسير وحديث وتاريخ ولغة وحساب ولد سنة ٥١٠ ، وتوفى ٥٩٧ . انظر : البداية والنهاية ، جـ١٣ ، ص٢٨ ، والأعلام جـ٣ ، ص ٣١٦ – ٣١٧ .

(٧) زاد المسير في علم التفسير ، ج٢ ، ص ٣٢٧ .

وذكر في السائبة أقوالا منها : أنها ما يسيب من الأنعام للآلهة ، فلا ينتفع منها بركوب ، ولا لبن ولا وبر ولا يحمل عليها متاع .

ومنها أنها ما يسيب من المال ويدفع لخزنة آلهتهم ويطعم منه أبناء السبيل غير النساء ، فلا يطعمونهن منه إلا أن يموت فيشتركون فيها [١] .

وأما الوصيلة فقيل إنها الشاة تنتج سبعة أبطن ، فإن كان السابع أنثى منع النساء من الانتفاع منها بشيء إلا أن تموت فيأكلونها جميعا ، وقيل الناقة تلد أنثيين في بطنين على التوالي [٢] .

والحام قيل فيه إنه الفحل ينتج من صلبه عشرة أبطن فيقولون قد حمى ظهره فيسيبونه للأصنام فلا يحمل عليه شيء .

وقيل الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته وبنات بناته [٣] .

ويقول الله تعالى منكرا عليهم التقليد الأعمى للآباء ، ورفضهم اتباع الوحي الذي نزل من عند الله ، ﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ [٤] .

وقد بيّن ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هاتين الآيتين أن هؤلاء المشركين إذا أمروا باتباع ما أنزل الله على رسوله ، وبترك ما هم عليه من ضلال وجهل أجابوا بأنهم يعبدون ما وجدوا عليه آباءهم من عبادة الأصنام والأنداد .

ويقول الله تعالى منكرا عليهم هذا التقليد الأعمى ﴿ أوَلوْ كان آباؤهم ﴾ المقتدى بهم ، ليس لهم فهم ولا هداية ﴿ لا يعقلون شيئا ولا يهتدون ﴾ [٥] .

وهذه النصوص تؤكد أن العرب الذين نزل لخطابهم القرآن الكريم ، كانوا أميين ذوي جهل ، وليسوا أصحاب عقول ، ولا فقه ولا فهم ، وهم كالأنعام بل هم أضل ، وهذه الأوصاف كلها جاءت من علام الغيوب ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ [٦] .

ولعل هذا يكفي في التدليل على تدني المستوى الفكري لديهم ويظهر ذلك جليا

---

(١) زاد المسير ، ج٢ ، ص ٣٢٨ ، وأسند هذا القول إلى ابن عباس .
(٢) زاد المسير ، ج٢ ، ص ٣٢٨ – ٣٢٩ .
(٣) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير ، المجلد ٥ ، ج٧ ، ص ٨٨ – ٨٩ ، وانظر : فتح القدير ، الإمام الشوكاني ، ج٢ ، ص١٢١ – ١٢٢ .
(٤) سورة البقرة ، الآيتان : ١٧٠ – ١٧١ .
(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٢٦٨ .
(٦) سورة النساء ، جزء من الآية ١٢٢ .

في النقاط التفصيلية التي سأعرض لها فيما يتعلق بالدين والخلق .

معلوم أن التفكير والعقل من الأمور التي اختص الله بها بني آدم ، وقد عرّف علماء المنطق الإنسان بأنه " الحيوان الناطق " ويعنون بذلك أنه يفكر [١] ، ويعتبر العقل نعمة عظيمة منّ الله بها على عباده ، قال تعالى مبينا مراحل خلق الانسان ، وممتنا عليه بنعمة السمع والبصر والفؤاد : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ، ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾ [٢] .

ومن فضل الله على الناس أن جعل العقل مناط التكليف ، فالقلم مرفوع عن الصبي حتى يحتلم ، وعن المعتوه حتى يعقل ، وعن النائم حتى يستيقظ كما في الحديث [٣] ، وليس الناس في الفكر والعقل على مستوى واحد ؛ إذ منهم الفطن ذو الذكاء الخارق ومنهم دون ذلك ، والعقل أساس التمييز بين الضار والنافع ، وبه تعرف الطرق السليمة ، والدين الحق ، فإذا لم يستجب الإنسان لدين الفطرة ، ولم يتخلق بأخلاق ذوي العقول دل ذلك على ضعف تفكيره وقلة عقله ، وسأعرض في نقاط تفصيلية للمجالين الديني والأخلاقي فيما يلي – إن شاء الله – .

أولاً : المجال الديني :

وأعني به ما يتعلق بالمعبود ، والعبادة سواء أكانت بدنية أم مالية .

ومعلوم أن الدين الإسلامي هو دين الفطرة بدليل قوله تعالى : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ [٤] ، وقال ﷺ " ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه ، أو ينصرانه أو يمجّسانه " [٥] .

وقد أخذ الله الميثاق على بني آدم بتوحيد الرب واعترفوا جميعا بربوبيته ، قال تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم

---

(١) انظر : المستصفى في أصول الفقه ، ج١ ، ص ١٤ .

(٢) سورة السجدة من الآية ٧ إلى ٩ .

(٣) انظر : سنن الترمذي ، كتاب الحدود ، باب ما جاء فيمن لا يجب عليه الحد ، جـ ٤ ، ص٣٢ ، حـ١٤٢٣ .

(٤) سورة الروم ، الآية ٣٠ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤٧ ، حـ ٢٦٥٨ ، وسنن الترمذي ، كتاب القدر ، باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة ، ج٤ ، ص ٤٤٧ ، ح ٢١٣٨ ، وسنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب في ذراري المشركين ، جـ ٥ ، ص ٨٦ – ٨٨ ، حـ ٤٧١٤ .

ألست بربكم قالوا بلى ﴾ [١] ، وقال ﷺ في الحديث الذي يرويه عن الله عز وجل " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا " [٢] .

وفي ضوء هذه النصوص يتضح لنا أن الفطرة السليمة تقتضي توحيد الرب ، ووحدة الدين قال تعالى : ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾ [٣] .

وقال تعالى : ﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون ﴾ [٤] .

وحول هذه الآية يقول سيد قطب – رحمه الله – " يضرب الله المثل للعبد الموحد والعبد المشرك بعبد يملكه شركاء يخاصم بعضهم بعضا فيه ، وهو بينهم موزّع ، ولكل منهم فيه توجيه ، ولكل منهم عليه تكليف ، وهو بينهم حائر لا يستقر على نهج ولا يستقيم على طريق ، ولا يملك أن يرضي أهواءهم المتنازعة المتشاكسة المتعارضة التي تمزق اتجاهاته وقواه ... وعبد يملكه سيد واحد وهو يعلم ما يطلبه منه ، ويكلفه به فهو مستريح مستقر على نهج واحد صريح ... " [٥] .

وقال تعالى حكاية لحوار يوسف مع صاحبي السجن ﴿ يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾ [٦] .

وقد كان أهل الجاهلية على خلاف هذه الفطرة في اعتقادهم تعدد الآلهة ، واختلاف المعتقدات ، فكما سبقت الإشارة إليه كان لكل قبيلة صنم تتجه إليه في عبادتها ، وتقرب إليه القرابين ، قال ابن كثير – رحمه الله – في هذا المعنى : " واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يعبدونه ، فإذا أراد الرجل منهم سفرا تمسّح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه إلى سفره ، وإذا قدم من سفره تمسّح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله " [٧] .

ولكثرة معبوداتهم ورسوخ هذه الفكرة الضالة في أذهانهم واجهوا رسول الله ﷺ بالإنكار الشديد حين دعاهم إلى عبادة الإله الواحد ، ونسبوا إليه السحر والكذب

---

(١) سورة الأعراف ، جزء من الآية : ١٧٢ .
(٢) صحيح مسلم ، وسيأتي تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٣) سورة الأنبياء ، الآية ٢٢ .
(٤) سورة الزمر ، الآية (٢٩) .
(٥) في ظلال القرآن ، ج٥ ، ص ٣٠٤٩ .
(٦) سورة يوسف ، الآية (٣٩) .
(٧) البداية والنهاية ، ج٢ ، ص ١٩٥ .

قال تعالى حكاية لقولهم ذلك : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء عجاب ﴾ (١) .

وقد سمى الله بعض هذه الأصنام التي كانوا يعبدونها فقال : ﴿ أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ (٢) .

وتتضمن هذه الآيات التقريع من الله للمشركين في اتخاذهم معبودات لم ينزل الله بها من سلطان ، ولا جاءهم بها وحي من الله عز وجل ، بل اختراعات اخترعوها ، بأهوائهم المنحرفة الضالة (٣) ، فمتى كانت الأحجار والأشجار أهلا لأن يتخذها العقلاء آلهة تعبد من دون الله ؟!

وقد ذكر المفسرون أنهم اشتقوا هذه الأسماء من أسماء الله ، فاللات من الله والحقت فيها التاء للتأنيث والعزى من العزيز .

وقيل سميت اللات باسم رجل كان يلت السويق للحاج ، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه .

و (اللات) قيل إنها بيت بنخلة تعبده قريش (٤) .

وقيل إنها صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت ذو أستار ، وله سدنة ، وهي بالطائف على القول الثاني ، وعبادها ثقيف ومن شايعهم ، وكانوا يفخرون بها (٥) .

والعزى : قيل إنها شجيرات ، وقيل إنها حجر أبيض (٦) ، وعبّادها قريش وكنانة ، وسدنتها بنو سليم ، وقد بعث رسول الله ﷺ خالدا (٧) – رضي الله عنه – عام الفتح ليهدمها ففعل (٨) .

ومناة وهي للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل المدينة ، وهي على

---

(١) سورة ص ، الآيتان (٤ – ٥) .
(٢) سورة النجم ، الآيات (١٩ إلى ٢٣) .
(٣) انظر : جامع البيان عن تأيل آي القرآن ، مجلد ١٣ ، ج ٢٧ ، ص ٥٨ ، وتفسير ابن كثير ، ج٤ ، ص٣٢١ – ٣٢٢ .
(٤) جامع البيان ، المجلد ١٣ ، ج٢٧ ، ص ٥٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ، جـ٤ ، ص٣٢١ – ٣٢٢ .
(٦) جامع البيان ، المجلد ١٣، ج ٢٧ ، ص ٥٩ .
(٧) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، أبو سليمان ، أسلم قبل الحديبية ، وكان على خيل رسول الله ﷺ يوم الحديبية ، كان ﷺ يوليه بعد إسلامه ، شهد مؤته وأخذ الراية بعد مقتل الأمراء ، وكان له أثر عظيم في قتال أهل الردة ، والفتوح الاسلامية ، توفى سنة (٢١) بحمص ، انظر : الاستيعاب ، ج١ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٩ ، والاصابة ، ج١ ، ص٤١٢ – ٤١٥ ، وسير أعلام النبلاء ، ج١ ، ص ٣٦٦ – ٣٨٤ .
(٨) تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

ساحل البحر من ناحية المشلل ، وقد بعث رسول الله ﷺ أبا سفيان [١] - رضي الله عنه - فهدمها وقيل علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - [٢] .

ومن أصنامهم ذو الخلصة جاء ذكره في الحديث الصحيح ، فعن جرير [٣] - رضي الله عنه - قال : كان في الجاهلية بيت يقال له ذو الخلصة ، وكان يقال له الكعبة اليمانية ، أو الكعبة الشامية .

فقال لي رسول الله : " هل أنت مريحي من ذي الخلصة ؟ " قال فنفرت عليه في خمسين ومائة فارس من أحمس ، قال فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده فأتيناه فخبرناه ، فدعا لنا ولأحمس " [٤] .

ومما يدل على كثرتها ما ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ وجد الكعبة محاطة بثلاثمائة وستين صنما ، فعن عبدالله (ابن مسعود) - رضي الله عنه - قال : " دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح ، وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾ [٥] ، ﴿ جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ [٦][٧] .

وروى أنهم كانوا يعبدون ما استحسنوه من الحجارة قال ابن هشام [٨] نقلا عن ابن إسحاق [٩] " ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم ، حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل معه حجرا من الحرم تعظيما للحرم ، فحيث ما نزلوا وضعوه ، فطافوا به ،

---

(١) هو صخر بن حرب بن أمية ، رأس قريش وقائدهم في أحد والخندق ، أسلم في الفتح وشهد حنينا ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، شهد اليرموك ، وكان يحرض المسلمين على القتال ، ت (٣٤)هـ ، انظر : ترجمته في الاستيعاب ، ج٢ ، ص ١٨٣ - ١٨٤ ، وأسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ١٢ - ١٣ ، والاصابة ، ج٢ ، ص١٧٢ - ١٧٣ .

(٢) انظر : البداية والنهاية ، ج ٢ ، ص ١٩٥ .

(٣) هو جرير بن عبدالله البجلي ، أبو عمرو ، وفد إلى النبي ﷺ ، وكان له بلاء حسن بالقادسية توفي سنة (٥١) أو (٥٤) هـ ، انظر : الاستيعاب ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ ، والإصابة ، جـ ١ ، ص ٢٣٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ذكر جرير بن عبدالله البجلي - رضي الله عنه - ، ج ٤ ، ص ٦٠٧ ح ٣٨٢٣ .

(٥) سورة الإسراء ، جزء من الآية (٨١) .

(٦) سورة فاطر ، جزء من الآية (٤٩) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب أين ركز النبي الراية يوم الفتح ، ج٥ ، ص ١١١ ، ح ٤٣٨٧ .

(٨) هو عبدالملك بن هشام بن أيوب الذهلي السدوسي ، كان عالما بالعربية والشعر والمغازي ، سمع السيرة النبوية من زياد البكائي صاحب ابن إسحاق وهذبها وخفف من أشعارها ، توفى سنة ٢١٨ هـ .
انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء ، جـ ١٠ ، ص ٤٢٨ .

(٩) محمد بن إسحاق بن يسار أبو عبدالله القرشي المدني ، صاحب السيرة النبوية كان بحرا في العلم واشتهر بالمغازي ن توفي سنة ١٥٢هـ .
انظر : تاريخ البخاري ، ج١ ، ص ٤٠ ، والسير ج ٧ ، ص ٣٣ - ٥٥ وتهذيب التهذيب ، ج٩ ، ص٣٨ - ٤٦ .

كطوافهم بالكعبة ، حتى سلخ ذلك بهم إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم ؛ حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا عليه ، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره ، فعبدوا الأوثان ، وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات " (١) .

وكانوا يعتقدون أن الملائكة بنات الله – تعالى الله عما يقولون – يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون ﴾ (٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره هذه الآية ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ أي اعتقدوا فيهم ذلك فأنكر عليهم تعالى قولهم ذلك فقال ﴿ أشهدوا خلقهم ﴾ أي شاهدوهم وقد خلقهم الله إناثا ﴿ ستكتب شهادتهم ﴾ أي بذلك ﴿ ويسئلون ﴾ عن ذلك يوم القيامة " (٣) .

وفي قوله تعالى : ﴿ وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون ﴾ (٤) ، يقول ابن كثير أيضا : " يقول الله تعالى ردا على من زعم أن له تعالى وتقدس ولدا من الملائكة ، كمن قال ذلك من العرب إن الملائكة بنات الله ، فقال : ﴿ سبحانه بل عباد مكرمون ﴾ أي الملائكة عباد مكرمون عنده في منازل عالية ، ومقامات سامية وهم له في غاية الطاعة قولا وفعلا ﴿ لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ﴾ أي لا يتقدمون بين يديه بأمر ولا يخالفونه فيما أمرهم به ، بل يبادرون إلى فعله " (٥) .

وكانوا يعوذون بالجن يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ﴾ (٦) .

ومع هذا كله كانوا يزعمون أن كل هذه المعبودات ، ليست مستقلة في العبادة إنما تُعبد تقربا إلى الله عز وجل ، قال تعالى : ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ﴾ (٧) .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ، ج ١ ، ص ٧٧ .
(٢) سورة الزخرف ، الآية (١٩) .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ١٥٨ .
(٤) سورة الأنبياء ، الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .
(٥) تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص ٢٣٥ .
(٦) سورة الجن ، الآية (٦) .
(٧) سورة الزمر ، الآية (٣) .

وكانت عبادة الأصنام هي الغالبة في المجتمع العربي قبل الإسلام ، ولذا سماهم الله مشركين ، وكانت لدى بعضهم نحل أخرى ، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن في هذا المعنى : " وكان إلى جانب الوثنية في بلاد العرب نحل وديانات أخرى ، منها الصابئة ويعبد أتباعها النجوم والكواكب ، وقد انتشرت في بلاد اليمن وحران وأعالي العراق ، والزرادشتية ، نسبة إلى زرادشت نبي الفرس القدماء ، وهي ديانة يعتقد أصحابها بأن العالم في قوتين هما الخير والشر ، ويرمز لإله الخير بالنور ، ولإله الشر بالظلمة " (١) .

وهذا الذي ذكرته هو الغالب عليهم ولا يعني أنه لم يوجد من بينهم عقلاء وحكماء ، ولكنهم كانوا قلة ولا تأثير لهم في حياة المجتمع العامة .

فقد كان من بينهم حنفاء يوحّدون الله ، ويعلمون أن دين قومهم باطل ، ومن أشهرهم زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ، وقس بن ساعدة الإيادي ، وورقة بن نوفل الأسدي ، فزيد هو ابن عمرو بن نفيل العدوي والد سعيد بن زيد ، أحد العشرة المبشرين بالجنة .

ذكره ابن حجر في الإصابة ، فقال : " وذكره البغوي ، وابن مندة وغيرهما في الصحابة وفيه نظر ، لأنه قبل البعثة بخمس سنين ، ولكنه يجيء على أحد الاحتمالين في تعريف الصحابي وهو أنه من رأى النبي ﷺ مؤمنا به ، هل يشترط في كونه مؤمنا به أن تقع رؤيته له بعد البعثة ؟ فيؤمن به حين يراه ، أو بعد ذلك ، أو يكفي كونه مؤمنا به أنه سيبعث " (٢) .

وفي البخاري من طريق سالم بن عبدالله (٣) عن أبيه قال : " خرج زيد بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين فاتفق له علماء اليهود والنصارى ، على أن الدين دين إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ، فقال : أرجع بدين إبراهيم اللهم إني أشهدك أني على دين إبراهيم " (٤) .

---

(١) تاريخ الإسلام السياسي ، والديني ، ج١ ، ص ٧٢ .

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ١ ، ص ٥٥٢ .

(٣) هو سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني يكنى أبا عمر وأبا عبدالله وكان أحد فقهاء المدينة السبعة المشهورين ، قال فيه مالك لم يكن أحد في زمان سالم أشبه بمن مضى من الصالحين في الزهد والفضل والعيش منه ، توفى سنة ١٠٦هـ على الأصح كما قال الذهبي وابن حجر .
انظر : التاريخ الكبير للبخاري ، جـ ٤ ، ص ١١٥ ، والسير جـ ٤ ، ص ٤٥٧ - ٤٦٧ ، وتهذيب التهذيب جـ ٣ ، ص ٤٣٦ - ٤٣٨ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حديث زيد بن عمرو بن نفيل ، ج٤ ، ص ٦٠٨ - ٦٠٩ ، ح ٣٨٢٧ .

وفيه أيضا من طريق سالم عن أبيه – رضي الله عنه – " أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبي ﷺ الوحي ، فقدّمت إلى النبي ﷺ سفرة فأبى أن يأكل منها ، ثم قال زيد : إني لست آكل مما تذبحون على أنصابكم ، ولا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه ، وإن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول : الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء ، وأنبت لها من الأرض ، ثم تذبحونها على غير اسم الله إنكارا لذلك وإعظاما له " [١] .

وقس بن ساعدة الإيادي هو الخطيب المشهور ، ذكره بعضهم في الصحابة ، وهو أحد المعمرين ، قيل إنه عاش ثلاثمائة سنة ، وقد سمع النبي ﷺ حكمته ، كان أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية وأول من توكأ على عصاه في خطبته ، وأول من قال أمّا بعد ، ويضرب به المثل في الحلم ، والفصاحة ، وأول من كتب من فلان إلى فلان [٢] .

وأما ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى بن قصي القرشي ، بن عم خديجة أم المؤمنين – رضي الله عنها – وقد نقل ابن حجر عن الطبري ، والبغوي [٣] ، وابن قانع [٤] أنهم ذكروه في الصحابة [٥] .

وقد أدرك نبوة نبينا محمد ﷺ باتفاق لما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة – رضي الله عنها – وفيه أن رسول الله ﷺ جاء إلى أم المؤمنين خديجة – رضي الله عنها – في بدء الوحي – وقال لها : " لقد خشيت على نفسي ، فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق .

فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزى – ابن عم خديجة – وكان امرأ قد تنصّر في الجاهلية ، وكان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب ، وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة يابن عم اسمع من ابن أخيك ، فقال له ورقة يابن أخي ما ذا ترى ؟ فأخبره

---

(١) صحيح البخاري ، المرجع السابق ، ح ٣٨٢٦ .
(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤ .
(٣) هو : الحسين بن مسعود بن محمد الفرّاء ، أبو محمد محيى السنة ، فقيه محدث منسوب إلى (بغا) من قرى خراسان ، له تصانيف مفيدة منها " شرح السنة " و " مصابيح السنة " و " لباب التأويل " = تفسير البغوي ، ولد (٤٣٦) وتوفي (٥١٦) ، انظر : ترجمته في تذكرة الحفاظ ، جـ ٤ ، ص ١٢٥٧ ، ووفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .
(٤) هو أبو الحسين عبدالباقي بن قانع بن مرزوق الأموي – مولاهم – البغدادي كان واسع الرحلة كثير الحديث بصيرا به له كتاب " معجم الصحابة " مات سنة ٣٥١هـ وكان مولده سنة ٢٦٥هـ .
انظر : السير ، جـ ١٥ ، ص ٥٢٦ – ٥٢٧ ، ولسان الميزان ، حـ ٣ ، ص ٣٨٣ – ٣٨٤ .
(٥) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٣ ، ص ٥٩٧ .

رسول الله ﷺ خبر ما رأى ، فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى يا ليتني فيها جذعا ، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ " أو مخرجي هم ؟ " . قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي ، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا ، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي " [١] .

وهذا الحديث نص في الدلالة على إيمانه برسالة موسى عليه السلام لقوله فيه " هذا الناموس الذي نزّل الله على موسى " .

وبرسالة عيسى عليه السلام ؛ لأنه " كان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب " وكان هؤلاء الحنفاء ، أو من أخذوا إحدى الديانات الصحيحة قليلين ، ولم يكن لهم أثر في حياة مجتمعهم – كما مرت الإشارة إليه – .

ورغم تعدّد أصنامهم ، وزعمهم أن الملائكة بنات الله واستعاذتهم بالجن فإنهم كانوا يقرون أن الله هو الخالق قال الله تعالى عنهم ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾ [٢] ، وقال : : ﴿ ولئن سالتهم من خلق السموات والأرض ليقولون خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون ﴾ [٣] .

قال ابن جرير – رحمه الله – في تفسير الآية الثانية : " يقول تعالى ذكره ، ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك ، من خلق السموات والأرضين فأحدثهن وأنشأهن ؟ ليقولن خلقهن العزيز في سلطانه وانتقامه ، من أعدائه ، العليم بهن وما فيهن من الأشياء لا يخفى عليه شيء " [٤] .

وقال ابن عطية [٥] أيضا في تفسيرها : " الآية ابتداء احتجاج على قريش يوجب عليهم التناقض في أمرهم ، وذلك أنهم يقرون أن الخالق الموجد لهم ، وللسماوات والأرض هو الله تعالى وهم مع ذلك يعبدون أصناما ويدعونها آلهتهم ، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا ﴿ خلقهن الله ﴾ فلما ذكر تعالى المعنى جاءت

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ٣ ، ج ١ ، ص ٤ – ٥ ، ح ٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ، ج١ ، ص ١٣٩ – ١٤٢ ، ح ١٦٠ .

(٢) سورة الزخرف ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الزخرف ، الآيتان (٩ – ١٠) .

(٤) جامع البيان ، مرجع سابق ، المجلد ١٣ ، ٢٥ ، ص ٥٢ .

(٥) ابن عطية : هو أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن المحاربي الأندلسي الغرناطي القاضي المالكي شيخ المفسرين كان إماما عالما بالتفسير والحديث والفقه والنحو والأدب من أهم مؤلفاته تفسيره الكبير " المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، مات سنة ٥٤١هـ ، وقيل ٥٤٢هـ ، وقيل ٥٤٦هـ ، وكان مولده سنة ٤٨٠هـ أو ٤٨١هـ ، له ترجمة في السير جـ١٩ ، ص ٥٨٧ – ٥٨٨ .والديباج ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦ ، وبغية الوعاة جـ ٢ ، ص ٧٣ – ٧٤ .

العبارة عن الله بـ ﴿ العزيز العليم ﴾ ليكون ذلك توطئة لما عدد بعد من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها " [١] .

وقال الله تعالى إخبارا عنهم وتبييناً لدعواهم الباطلة ﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون ﴾ [٢] .

قال ابن الجوزي في تفسير هذه الآية ما معناه أن الأولياء بمعنى الآلهة ، ويدخل فيمن قال هذا القول اليهود لقولهم ﴿ عزير ابن الله ﴾ والنصارى لقولهم ﴿ المسيح ابن الله ﴾ وكذلك جميع عباد الأصنام ، وأنهم يقولون ما نعبدهم إلا ليشفعوا لنا إلى الله ، ويقربونا إليه تقريبا " [٣] .

وهذا الذي ذكرته فيما يتعلق بعقائدهم ومعلوم أن العقيدة هي الأساس الذي تنبني عليه سائر الأعمال الأخرى من عبادات وشعائر .

فلا عجب أن تكون العبادة كذلك مضطربة ، لا تقوم على أساس ، تتحكم فيها الأهواء والرغبات المنحرفة .

فالصلاة الشرعية ذات الأركان المعروفة من قيام وتكبير ، وركوع ، وسجود جعلوها مكاء وهو التصفير ، وتصدية وهي التصفيق [٤] ، قال الله تعالى في هذا المعنى : ﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾ [٥] .

وذكر أهل التفسير قولين في تفسير هذه الآية :

القول الأول : أن المكاء والتصدية إنما أحدثوهما بعد الرسالة من أجل التشويش ، وقطع القراءة على النبي ﷺ والمؤمنين .

القول الثاني : أنه كان من فعلهم قبل الإسلام على جهة التقرب والتشرع به .

ونسب الثعالبي[٦] القول الأول إلى الجمهور[٧] ، ولكنه رجح القول الثاني معللا

---

(١) المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ج٥ ، ص٤٦ .
(٢) سورة الزمر ، جزء من الآية (٣) .
(٣) انظر : زاد المسير ، ج٧ ، ص ١٦١ ، ١٦٢ .
(٤) انظر : جامع البيان ، المجلد ٦ ، ج٩ ، ص٢٤٠ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٤٠٥ .
(٥) سورة الأنفال ، الآية (٣٥) .
(٦) هو عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ، أبو زيد مفسر وفقيه مالكي ، من مؤلفاته الجواهر الحسان في التفسير ، والذهب الابريز في غرائب القرآن العزيز ، وجامع المهمات في أحكام العبادات في الفقه المالكي ، ولد سنة ٧٨٦هـ وتوفي ٨٧٥هـ ، انظر الأعلام ، جـ ٣ ، ص ٣٣١ ، ومعجم المؤلفين ، حـ ٢ ، ص ١٢٢ ، ط ١ / ١٤١٤هـ .
(٧) جامع البيان ، المجلد ٦ ، جـ ٩ ، ص ٢٤٠ ، وتفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٠٥ ، وفتح القدير ، ج٢ ، ص ٣٠٥ والجواهر الحسان ، ج٢ ، ص٩٧ .

ذلك بأن تنقصهم وتعييرهم بأن صلاتهم لم تكن لرغبة ولا لرهبة ، إنما هي لعب وعليه فقد كان هذا الأمر معتادا عندهم قبل الإسلام ولكنهم تزيّدوا فيه وقت النبي ﷺ [١] وهذا رأي حسن .

وأما الزكاة فالظاهر أنهم لم يكونوا يعرفونها ، يدل على ذلك أنهم لما توفي رسول الله ﷺ سارع أكثرهم إلى منع الزكاة ، وعدوها شيئا كان يدفع لرسول الله ﷺ وليست عبادة مستمرة فقاتلهم أبو بكر – رضي الله عنه – على ذلك [٢] .

وقد ورد في حديث ذكره ابن جرير وغيره في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصّدقن ولكونن من الصالحين ﴾ [٣] . عن أبي أمامة الباهلي [٤] عن ثعلبة بن حاطب [٥] الأنصاري أنه قال لرسول الله ﷺ : ادع الله يرزقني مالا فقال رسول الله ﷺ " ويحك يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه " ، وفيه أن رسول الله ﷺ بعث إليه من يأخذ صدقته وأنه لما قرأ كتاب رسول الله ﷺ قال : " ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية ، ما أدري ما هذا ؟ " [٦] .

---

(١) انظر : الجواهر الحسان ، جـ ٢ ، ص ٩٧ .

(٢) روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : لما توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر وكفر من كفر من العرب ، فقال عمر : كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه ، وحسابه على الله " فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " الحديث .
صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب وجوب الزكاة ، ج٢ ، ص٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ح١٣٩٩ ، وصحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ج١ ، ص٥١ ، ٥٢ ، ح٢٠ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٧٥) .

(٤) أبو أمامة صدي بن عجلان ، اشتهر بكنيته روى عن النبي ﷺ وعن عمر وعثمان ، وعلي وأبي عبيدة وغيرهم وعنه أبوسلام الأسود ، ومحمد بن زياد الألهاني وغيرهما ، حضر صفين مع علي – رضي الله عنه – وسكن الشام ، وتوفي بها سنة (٨٤هـ) وهو آخر من مات بالشام من الصحابة ، انظر : الاصابة ، جـ ٢ ، ص ١٧٥ ، وصفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٧٣٣ – ٧٣٦ .

(٥) هو ثعلبة بن حاطب ، أوابن أبي حاطب بن عمرو بن عبيد الأنصاري الأوسي ذكره جماعة فيمن شهد بدرا وأحدا ثم منع الصدقة وشارك في بناء مسجد الضرار ، مات في خلافة عثمان – رضي الله عنه – غير أن ابن حجر رجح كونه غير البدري المذكور محتجا بأدلة منها :
١ – أنهم اتفقوا على أن البدري ابن حاطب ، وأما هذا فقد قيل فيه ابن أبي حاطب .
٢ – ما ثبت من قوله ﷺ " لا يدخل النار أحد شهد بدرا والحديبية " وقوله عن ربه : " اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم " يعني أهل بدر .
٣ – أن البدري استشهد بأحد على ما قاله ابن الكلبي بينما مات هذا في خلافة عثمان .
انظر : الاستيعاب ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ – ٢٠١ ، والإصابة ، جـ ١ ص ١٩٨ .

(٦) جامع البيان ، المجلد ٦ ، جـ ١٠ ، ص ١٨٩ .

وقد بين الله في كتابه أنهم كانوا يجعلون لله نصيبا ، من الحرث والأنعام التي هو خالقها ، ولشركائهم نصيبا ، قال تعالى : ﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون ﴾ (١) .

وأما الحج فقد ظلوا متمسكين ببعض شعائره مع تغيير فيها ، فقد كانوا يطوفون ،ولكنهم يخلعون ثيابهم غير الحمس ، أو من وجد من يحتسب عليه منهم .

روى البخاري في صحيحه عن عروة (٢) قال : " كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس – والحمس قريش وما ولدت – وكانت الحمس يحتسبون على الناس يعطي الرجل الرجل الثياب يطوف فيها ، وتعطى المرأة المرأة الثياب تطوف فيها ، فمن لم يعطه الحمس طاف بالبيت عريانا ، وكان يفيض جماعة الناس من عرفات ، وتفيض الحمس من جمع – قال هشام – وأخبرني ابي عن عائشة – رضي الله عنها – أن هذه الآية نزلت في الحمس ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ (٣) . قال كانوا يفيضون من جمع فدفعوا إلى عرفات " (٤) .

ومما زادوه في هذا الشأن أنهم كانوا يمتنعون من إتيان البيوت من أبوابها حال إحرامهم .

وفي البخاري عن البراء (٥) – رضي الله عنه – قال : " كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره فأنزل الله ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها (٦) ﴾ (٧) .

وكان الحمس يعللون ترك الوقوف بعرفة بأنها خارج الحرم فيقولون : " نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم ، وولاة البيت وقاطنو مكة ، وليس لأحد من العرب مثل حقنا ، ومنزلتنا ، فلا ينبغي أن نخرج من الحرم إلى الحل فكانوا لا يقفون بعرفة ،

---

(١) سورة الأنعام ، الآية (١٣٧) .

(٢) هو أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد القرشي الأسدي المدني أحد الفقهاء السبعة ، قال ابن سعد : كان عروة ثقة ثبتا مأمونا كثير الحديث فقيها عالما . مات سنة (٩٣هـ) وقيل بعد ذلك بقليل عن ٦٧ سنة ، انظر : التاريخ الكبير للبخاري ، جـ ٧ ، ص ٣١ – ٣٢ ، والسير جـ ٤ ، ص ٤٢١ – ٤٣٧ ، وتهذيب التهذيب ، حـ ٧ ، ص ١٨٠ – ١٨٥ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٩٩) .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الوقوف بعرفة ، ج٢ ، ص ٥١٥ – ٥١٦ ، ح ١٦٦٥ .

(٥) هو البراء بن عازب بن حارث الأنصاري الخزرجي من أجلاء الصحابة ، توفي سنة ٧١ أو ٧٢هـ بالكوفة انظر : ترجمته في الاستيعاب ، ج ١ ، ص ١٣٩ ، والإصابة ج١ ، ص ١٤٢ .

(٦) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٨٩) .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ... ﴾ ، ج ٥ ، ص ١٨٧ ، ح٤٥١٢ .

ولا يفيضون منها ، وإنما كانوا يفيضون من المزدلفة وفيهم أنزل ﴿ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس ﴾ [١][٢] .

وكانت التلبية عندهم تعبيرا واضحاً عن الشرك حيث كانوا يقولون فيها " لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك " [٣] . وكانوا يعدون الإحرام مانعا من أكل اللحم [٤] .

وأما الصوم فقد ثبت في الصحيح أنهم كانوا يصومون عاشوراء ، ففي البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية ، وكان رسول الله ﷺ يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ، ومن شاء تركه " [٥] .

قال ابن حجر – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : " وأما صيام قريش لعاشوراء فلعلهم تلقوه من الشرع السالف ، ولهذا كانوا يعظمونه بكسوة الكعبة فيه وغير ذلك ، ثم رأيت المجلس الثالث من " مجالس الباغندي الكبير " عن عكرمة أنه سئل عن ذلك فقال : أذنبت قريش ذنبا في الجاهلية فعظم في صدورهم فقيل لهم : صوموا عاشوراء يكفر ذلك " [٦] .

ومهما قاموا به من عبادة فإنها لا اعتبار لها عند الله ، لأن الشرك محبط لجميع الأعمال قال الله تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾ [٧] ، وقال ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ [٨] ، والأدلة في هذا المعنى كثيرة ، ومشهورة .

وقد أوردت هذه النماذج منها للتدليل على أن المجتمع الجاهلي لم يكن لهم دين ، ولا عبادة ، ومن ثم كان مستواهم الفكري منحطا غاية الانحطاط ، ويؤكد ذلك ما سأعرض له في المجال الأخلاقي فيما يلي :

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٩٩) .
(٢) الرحيق المختوم ، ص ٣٤ – ٣٥ .
(٣) مختصر سيرة الرسول ﷺ ، ص ١٩ .
(٤) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ٦٠٣ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصوم ، باب صوم يوم عاشوراء ، ج٢ ، ص ٦١٦ ، ح٢٠٠٢ .
(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٤ ، ص٢٨٩ .
(٧) سورة الأنعام ، جزء من الآية (٨٨) .
(٨) سورة الزمر ، الآية (٦٥) .

ثانياً : المجال الأخلاقي :

والمتتبع لحياة العرب في الجاهلية يتضح له أن المجال الأخلاقي لم يكن أحسن حظا من المجال الديني ؛ حيث كانت الأخلاق السيئة منتشرة في أوساطهم من غير نكير ولا ناه عنها بل الأغرب من ذلك أن العلاقة بالحسان من ذوات الشرف تعتبر مفخرة لدى بعضهم يدل على ذلك قول امرئ القيس :

ويومَ دخلت الخدرَ خدرَ عنيزةٍ ... فقالت لك الويْلاتُ إنك مُرجلي
فقلت لها سِيري وأرخي زمامَه ... ولا تُبعديني من جناك المعلّل
فمثِلك حبلى قد طرقتُ ومرضع ... فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحول[1]

وقال طرفة ابن العبد :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى ... وجدِّك لم أحفل متى قام عُوَّدِ
فمنهن سبقي العاذلات بشربة ... كميت متى ما تعل بالماء تزبد
وكرّي إذا نادى المضاف مجنّبا ... كسيد الغضى نبهته المتورّد
وتقصيري يومَ الدجْن والدجنُ معجبٌ ... ببَهْكَنةٍ تحت الخباء المعمّد[2] .

فامرؤ القيس يخاطب معشوقته ولا يستحي من ذكر اسمها مما يدل على أنه لا يخاف النكير ، ولا يخشى أن تعيّر هي أيضا بهذه العلاقة غير المشروعة .

ويخبرها أنها ليست الوحيدة في هذا الأمر ، فقد طرق نساء كثيرات سواها حبالى ومرضعات ، وشغل أم الرضيع الذي لم يبلغ سوى حول عنه .

وطرفة أيضا يخبر أنه لا يحفل بالموت ، ولا يهمه لولا ثلاث مسائل من عيشة الفتيان ، وهي : التبكير بشرب الخمر ، وإغاثة المظلوم ، وتقصير أيام الغيم بمعاشرة الحسان تحت البيوت المرفوعة على العمد .

وهذا يدل على أن ممارسة الفجور عندهم كانت أمرا عاديا ، بل هي من عيشتهم التي يفتخرون بها .

وكانت البغايا تنصبن الرايات لتعلم أماكنهن ، وأسوأ من ذلك كله أن الرجل كان يطلب من امرأته أن تدعو آخر لمباضعتها ، ويعتزلها الزوج حتى يظهر حملها يفعلون هذا ليكون الولد نجيبا ، يدل على هذا ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة ابن الزبير أن عائشة رضي الله عنها أخبرته :

١ - " أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء ، فنكاح منها نكاح الناس اليوم يخطب الرجل إلى الرجل وليته ، أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

---

(١) المعلقات العشر ، ص ٧٩ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٥ .

٢ – ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ، ويعتزلها زوجها ، ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الذي تستبضع منه ، فإذا تبين حملها أصابها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد ، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع .

٣ – ونكاح آخر يجتمع الرهط ما دون العشرة ، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت ومرّ ليال ، بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع ، حتى يجتمعوا عندها ، تقول لهم : قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه ، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع به الرجل .

٤ – والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثيرون فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهنّ البغايا ، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما ، فمن أرادهن دخل عليهن فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ، ودعوا لهم القافة ، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرونه ، فالتاطته به ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك .

فلما بعث النبي ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية كله إلا نكاح الناس اليوم " (١) .

ورغم ما تقدم فقد كانوا متمسكين ببعض الفضائل التي أقرها الإسلام مثل سدانة البيت وسقاية الحاج ، وأول من قام بالرفادة قصي بن كلاب ، فكان يأخذ خَرْجاً في الموسم يصنع به الطعام للحجاج ، يأكل منه الفقراء والمحتاجون ، وقد قال لهم حين أمرهم به : " يا معشر قريش إنكم جيران الله ، وأهل بيته ، وأهل الحرم ، والحاج ضيف الله وزوّار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاما وشرابا حتى يصدروا عنكم " (٢) .

وقد بين ﷺ في خطبته عام الفتح إبطال جميع مآثر الجاهلية ، سوى سدانة البيت وسقاية الحاج فقال : " ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية من دم أو مال ، تذكر وتدعى تحت قدمي ، إلا ما كان من سقاية الحاج ، وسدانة البيت " (٣) .

ومن أخلاقهم التي جاء الإسلام بإقرارها نصرة المظلوم فقد روي أنهم تحالفوا وتعاقدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدي إليه حقه ، وسمى هذا الحلف حلف الفضول ، وروي أن الرسول ﷺ قال فيه : " لقد شهدت في دار

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب من قال لا نكاح إلا بولي ، لقول الله تعالى : ﴿ فلا تعضلوهن ﴾ ج٦ ، ص ٤٥٦ – ٤٥٧ ، ح٥١٢٧ .

(٢) السيرة النبوية ، لابن هشام ، ج١ ، ص١٣٥ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب الديات ، باب في دية الخطأ شبه العمد ، ج٤ ، ص٧١٢ ، ح٤٥٨٨ .

عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت " [١] .

ومنها الكرم حيث كان العربي سخيا في أوقات السلم يبالغ في الكرم ، ويستهين في ذلك بماله .

ومن مظاهر الكرم عندهم اللعب بالميسر ، حيث كان الأثرياء الميسورون ، ييسرون بالقداح على جزور ، وإذا غلب أحدهم وفاز بها قسم لحمها في ذوي الحاجة والفقر ، يدل على ذلك قول لبيد مفتخرا :

وجَزور أيسار دعوتُ لحتفها ... بمغالقٍ متشابهٍ أجسامُها

أدعو بهن لعاقر أوْ مطفِل ... بُذلت لجيران الجميع لحامُها

فالضيف والجار الجنيب كأنما ... هَبَطا تبالة مخصِباً أهضامُها[٢] .

ومن مظاهر كرمهم احتفاؤهم بالضيوف ؛ حيث كان إكرام الضيوف وذوي الحاجات من المفاخر ، ولا سيما عند اشتداد البرد ، وشح المطر ، تقول الخنساء [٣] في رثائها صخرا [٤] أخاها :

وإن صخرا لكافينا وسيدنا ... وإن صخرا إذا نشتو لنحار

وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا ... وإن صخرا إذا جاعوا لنحار[٥] .

وكانو يوقدون النار في الظلمة على الأماكن المرتفعة ليراها الضيف فينزل بساحتهم ولترشد الحيارى في الصحارى الموحشة [٦] .

وفي ذلك يقول مضرس بن ربعي [٧] :

وإني لأدعو الضيف بالضوء بعدما ... كسا الأرض نضاح الجليد وجامده

لأكرمه إن الكرامة حقه ... ومثلان عندي قربه وتباعده

أبيت أعشيه السديف وإنني ... بما نال حتى يترك الحي حامده[٨]

---

(١) السيرة النبوية ، المرجع نفسه ، ص ٣٣٨ .

(٢) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، ص ١٨٨ .

(٣) هي : تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية الشاعرة المشهورة بالغناء قدمت على النبي ﷺ مع قومها فاسلمت معهم ، وكان ﷺ يستنشدها شعرها ويعجبه ، قتل أبناؤها الأربعة في القادسية فصبرت وحمدت الله وكانت قد حرضتهم على القتال ورغبتهم في الاستشهاد .
انظر : الاستيعاب ، ج٤ ، ص٢٩٥ ، والاصابة ، ج٤ ، ص٢٨٧ .

(٤) هو صخر بن عمرو بن الشريد كان حليما جوادا محبوبا في عشيرته ، طعنه أبو ثور الأسدي في معركة جرت له مع بني أسد فمات بعد حول من ذلك ، وقد أكثرت أخته الخنساء من رثائه ، وصاحبها الحزن عليه طوال حياتها . انظر : الاصابة ، ج٤ ، ص ٢٨٧ في ترجمة الخنساء .

(٥) شاعرات العرب ، جمع وتحقيق عبدالبديع صقر ، ص ١٠٢ .

(٦) انظر : الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي ، ص ٢٨٥ .

(٧) هو أحد بني أسد شاعر جاهلي محسن متمكن – انظر شرح التبريزي لديوان الحماسة ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

(٨) انظر : ديوان الحماسة لأبي تمام الطائي ، ج٢ ، ص ٣٢٢ – ٣٢٣ .

وكانوا يكرهون أن يأكل أحدهم في بيته من غير شريك في ذلك يقول حاتم الطائي [١] :

إذا ما صنعت الزاد فالتمس له ... أكيلا فإني لست آكله وحدي
أخا طارقا أو جار بيت فإنني ... أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا ... وما في إلا تلك من شيمة العبد[٢] .

وقال شريح بن الأحوص :

ومستنبح يبغي المبيت ودونه ... من الليل سجفا ظلمة وستورها
رفعت له ناري فلما اهتدى بها ... زجرت كلابي أن يهر عقورها
فبات وإن أسرى من الليل عقبة ... بليلة صدق غاب عنها شرورُها[٣]

وفي المقابل كان الحذر من الضيوف عارا ومذمة عندهم يدل على ذلك قول الأخطل [٤] في هجاء جرير [٥] ورهطه :

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم ... قالوا لأمهم بولي على النار
فتمسك البول بخلا لا تجود به ... وما تبول لهم إلا بمقدار[٦]

وهذه بعض المزايا التي كانوا يتمسكون بها ، ولعلها من بقايا دين إبراهيم ؛ لأنهم كانوا يزعمون أنهم على دينه ، ولم أجد من نص على ذلك ، فالله أعلم .

---

(١) هو حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي القحطاني ، أبو عدي الفارس الجواد يضرب المثل بجوده كان من أهل نجد وزار الشام وتزوج ماوية بنت حجر الغسانية ، انظر : الشعر والشعراء ، ص (٧٠) ، وخزانة البغدادي ، ج١ ، ص ٤٩٤ ، والاعلام ، ج٢ ، ص ١٥١ .
(٢) انظر : الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي ، ص ٢٨٩ ، وديوان الحماسة ، ج٢ ، ص ٢٤٥ .
(٣) ديوان الحماسة ، مرجع سابق ، ص ٣٢٩ .
(٤) هو غياث بن غوث بن الصلت ، أبو مالك التغلبي ، شاعر أموي مشهور ، وهو أحد الثلاثة المتفق على أنهم أشعر أهل عصرهم جرير والفرزدق والأخطل ، اتصل بالأمويين وأكثر من مدحهم ، وتهاجى مع جرير والفرزدق فتناقل الرواة شعره ، وكان شعره مصقول الألفاظ حسن الديباجة ، توفي سنة سنة ٩٠هـ . انظر : ترجمته في الشعر والشعراء لابن قتيبة ، جـ ١ ، ص ٤٨٣ ، معجم الشعراء للمرزباني ، ص ٢١ ، الأعلام ، جـ ٥ ، ص ١٢٣ .
(٥) هو جرير بن عطية الخطفي التميمي البصري ، كان شاعر زمانه ، وكان عفيفا منيبا توفي سنة ١١٠هـ ، انظر : السير ، جـ ٤ ، ص ٥٩٠ ، والبداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٢٦٠ .
(٦) انظر : فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص ٢٠٧ - ٢٠٨ .

المطلب الثاني

البيئة الفكرية في المرحلة المدنية

لقد كانت هجرة المصطفى ﷺ بداية عهد جديد ، يختلف تمام الاختلاف عن العهد الذي سبقه .

فبلال الذي كان يؤذى في بطحاء مكة من أجل أن يرجع عن دينه ، أصبح في المدينة ينادي معلنا شهادة الحق ، " أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله " ، وبينما كان المسلمون وهم في مكة قلة مستضعفين ، أصبحوا جماعة يحسب لها حسابها وقائدهم رسول الله ﷺ ، والتوجيهات الإلهية تتنزل عليهم حسب الحاجات والتكاليف .

وهم سامعون مطيعون لأمر الله ، وأمر رسول الله ﷺ ، وقد كان القائد ﷺ يسعى دائبا لتزكية نفوس أصحابه ، فقد أجاب الله به دعوة الخليل عليه الصلاة والسلام حين قال : ﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [١] .

ومن ثم غرس في قلوبهم الأخوة والمحبة ، والتواضع ،فقال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٢] .

وقال : " وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد " [٣] .

وبالتالي أزاح عن قلوبهم التباغض ، والكبر والفخر بالآباء ، فتلا عليهم قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [٤] .

وقال ﷺ : " إن الله قد أذهب عنكم عبية [٥] الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي أو فاجر شقي " [٦] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (١٢٩) .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ج١ ، ص١١ ، ح١٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير ، ج١ ، ص٦٧ ، ح٤٥ .

(٣) نص خطبة في صحيح مسلم سيأتي تخريجها في ص ٧٢ .

(٤) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

(٥) العُبّية بضم العين وكسرها الكبر ، النهاية ، جـ ٣ ، ص ١٦٩ .

(٦) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في التفاخر بالأنساب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، ح ٥١١٦ ، وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب فضل الشام واليمن ، ج٥ ، ص٧٣٥ ، ح٣٩٥٦ .

ولذا فقد شعر رسول الله ﷺ منذ الوهلة الأولى للرسالة بثقل المسؤولية الملقاه على عاتقه ، حيث تقتضي منه أن يبعد عن القلوب ما علق بها من أدران الجاهلية وخرافاتها " فعليه أن يقيم مكان كل باطل يمحوه ، حقا يدعمه بالبرهان ، ومكان كل ضلال يقتلع جذوره من العقول والقلوب والأرواح ، هديا يشرق نوره فتضيء به العقول ، وترشد به القلوب ، ومكان كل شر اجتماعي يبيده بدعوته وهديه خيرا يزرعه بعمله " (١) .

ورغم ما كان يتمتع به رسول الله ﷺ من مكانة في قومه ، وما كانوا يعرفون عنه من الصدق والأمانة والأخلاق الحميدة ، فإنه لما جاءهم بما يخالف أهواءهم وما كانوا عليه من ضلال قلبوا له ظهر المجن ووصفوه بالسحر والكذب ، ولكنهم كانوا يعلمون صدقه وأمانته ، وأنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله عز وجل ، يدل على ذلك جواب أبي سفيان لهرقل حين قال له : " كيف نسبه فيكم " فأجابه بقوله : هو فينا ذو نسب " ثم قال : " فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال : قلت : لا ، قال فهل يغدر ؟ قلت : لا ، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال : ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة " (٢) .

وهذا النفور الذي وقع لهم أول الأمر قبل أن يهدي الله من شاء هدايته منهم لم يكن لغرابة هذه الأوامر التي يوجهها إليهم رسول الله ﷺ فأبو سفيان لما سأله هرقل فقال له : " ماذا يأمركم ؟ قلت : يقول اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة " (٣) .

وإذا تأملنا هذه الأوامر لم نجد فيها شيئا غريبا ينبو عن العقول ، أو يناقض الفطر السليمة ، أو تأباه القلوب الحية .

فأولها أمر بعبادة الإله الواحد الخالق ، ونهي عن الإشراك به سبحانه وتعالى.

ثم أمرهم بترك ما يقول آباؤهم من ضلال وافتراء على الله ، (مثل قولهم : الملائكة بنات الله) .

ويأمرهم أيضا بالصلاة ، وهي مظهر من مظاهر الخضوع لله عز وجل وهي الصلة بين الخالق والمخلوق ، يناجي العبد فيها ربَّه متبرّئا من عبادة غيره ﴿ إياك نعبد ﴾ (٤) .

---

(١) محمد رسول الله ، منهج ورسالة ، ج١ ، ص ٥٨٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ٦ ، ج١ ، ص ٦ - ٨، الحديث ٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل ، جـ ٣ ، ص ١٣٩٣ - ١٣٩٦ ، حـ ١٧٧٣ .

(٣) المرجعين السابقين .

(٤) سورة الفاتحة ، جزء من الآية (٥) .

ويأمر بالصدق ، والعفاف ، والصلة ، وهذه أمور حسنة وأخلاق فاضلة ، ترضاها الطباع السليمة ، والعقول التي لم يطمس نورها ظلام التقليد الأعمى للآباء والأجداد ، قال تعالى منكرا عليهم تمسكهم بأمر لم يجدوه في كتاب ولا حجة لهم عليه : ﴿ أم آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون ﴾ (١) .

وقصة أبي سفيان وهرقل هذه تمثل شهادة صادقة لرسول الله ﷺ بالصدق والأمانة ، وأنه يأمر بمكارم الأخلاق : الصدق ، والعفاف ، والصلة ، وقد اضطر أبو سفيان إلى هذا الموقف الصريح ، بدليل قوله : " فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه " (٢) .

وقد شهدت له خديجة – رضي الله عنها – وأقسمت بالله أن الله لن يخزيه أبدا ، فقالت : " كلا والله ما يخزيك الله أبدا ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق " (٣) .

ولعله مما دعاها إلى الحلف ، أن الرسول ﷺ مادام متمسكا بهذه الأخلاق النبيلة ، فإنها ستقيه الخزي والوقوع في المهالك .

ولا غرو أن تبرَّ خديجة – رضي الله عنها – في قسمها الذي اعتمدت فيه على الفراسة ، فقد تفرست في الرسول ﷺ النبوة قبل ذلك فخطبته لنفسها (٤) .

وكان المنهج الذي قامت عليه هذه الدعوة المباركة ، الاهتمام بتصحيح العقيدة ونبذ كل ما يعبد من دون الله يدل على ذلك قول أبي سفيان في الحديث الذي سبق : " يقول : اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم " (٥) .

وذلك لأن التوحيد هو الأساس الذي لا يقبل الله عملا بدونه ، وقد بعث الله به جميع الرسل ، قال تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ (٧) .

---

(١) سورة الزخرف ، الآيتان : (٢١ – ٢٢) .
(٢) سبق تخريجه في ص ٢٦ .
(٣) سبق تخريجه في ص ١٦ .
(٤) انظر : الرحيق المختوم ، ص ٥٧ – ٥٨ .
(٥) تقدم تخريجه في ص ٢٦ .
(٦) سورة النحل ، جزء من الآية (٣٦) .
(٧) سورة الزمر ، الآيتان : (٦٥ – ٦٦) .

وقال ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم " (١) .

وقال رسول الله ﷺ في وصيته لمعاذ لما بعثه إلى اليمن " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم ، وترد على فقرائهم ، فإذا أطاعوا بها فخذ منهم ، وتوق كرائم أموال الناس " (٢) .

وإذا علمنا أن الرسول ﷺ كان معروفا حتى عند خصومه بالأمانة والصدق لا يغدر ولا يخون ، وهو ذو مكانة في قومه يعرفون كرم آبائه كما قال أبو سفيان : " هو فينا ذو نسب " .

وأنه لم يدع إلى ما يخالف الفطرة أو العقل السليم فلماذا كذبوه ؟ وهم يعلمون صدقه ؟ ، ولماذا اجتمعوا على عداوته وهو من أوسط بيوتاتهم ؟ ولماذا اضطرب قولهم فيه ؟ فوصفوه بالشاعر أحيانا ، ووصموه بالسحر مرة ، وبالكهانة طورا .

قال تعالى : ﴿ إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ، إن هذا إلا قول البشر ﴾ (٣) .

قال ابن جرير – رحمه الله – في تفسير هذه الآيات : " ويقول تعالى ذكره : إن هذا الذي خلقته وحيدا ، فكر فيما أنزل على عبده محمد ﷺ من القرآن ، وقدرّ فيما يقول فيه ، ﴿ فقتل كيف قدر ﴾ يقول : ثم لعن كيف قدر النازل فيه ﴿ ثم نظر ﴾ ثم رَوّى في ذلك ﴿ ثم عبس ﴾ يقول : ثم قبض ما بين عينيه ﴿ وبسر ﴾ يقول كلح وجهه " (٤) .

ولعل السبب الأساسي لهذا النفور والجحود الذي بدر منهم والاضطراب في القول تجاهه ، وتجاه دينه ، والكتاب الذي نزل عليه أنهم علموا أن متابعة دينه ﷺ تعني التخلي عن دين الآباء ، وسقوط الزعامات المبنية على غير أساس من الشرع ولا من العقل ، وكانوا يدركون أن القرآن ليس بسحر ولا يشبه السحر وليس بشعر

---

(١) سبق تخريجه في ص ١٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة ، ج٢ ، ص٤٤٩ ، ح١٤٥٨ وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ، ج١ ، ص٥٠ ، ح٢٩ .

(٣) سورة المدثر ، الآيات (١٨ – ٢٥) .

(٤) جامع البيان في تفسير آيات القرآن ، مجلد ١٤ ، جـ ٢٩ ، ص ١٥٦ .

ولا يشبه الشعر ، وليس بكهانة أيضا ولا يشبه الكهانة ، وكانوا يريدون أمرا يصفونه به ليصدوا الناس عنه ، فاختلفوا في الوصف الذي يصفونه به ، لأنهم لم ينطلقوا من أمر واقع ولا معقول ، وإنما هي أكاذيب تلقى من غير تروّ ولا تأمل .

وأيضا فإن رسول الله ﷺ جاء بدين كامل لا يقبل التجزئة ، ولا الخلط في الأمور قال تعالى ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١) .

وروي أنهم قالوا له تعال نعبد إلهك سنة وتعبد آلهتنا سنة فأنزل الله تعالى (٢) ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ (٣) .

وفي هذه السورة إعلان صريح للبراءة من دينهم ودين آبائهم ومثلها قوله تعالى : ﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين ﴾ (٤) .

ولم يشأ الله ولا رسوله أن تختلط هذه الدعوة بهدف غير واضح من أول الأمر . فلم يجعلها رسول الله ﷺ دعوة إصلاح اجتماعي ترعى حقوق الضعفاء ، وذوي الفقر والحاجة ، وتضع حدا للتفاوت الطبقي بين أفراد المجتمع ، ولو دعا بهذه الدعوة لكان كل الضعفاء والمحرومين معه وهم كثر (٥) .

وبعد استجابتهم له يوجههم إلى نصرة دين الله ، ولم يشأ أن يجعلها دعوة عصبية إذ لو دعاهم إلى توحيد الصفوف ضد الأعداء لاستجابوا لتلك الدعوة ولم ينفروا منها .

ولكن الدعوة الخاتمة الخالدة ، لا ينبغي أن تنطلق من مبدأ غامض ، أو تتوسل بوسيلة غير مشروعة ، وإن كان الهدف مشروعا وساميا (٦) .

وقد كان الرسول ﷺ يهتم بالدعوة إلى الإيمان ، وتصحيح العقيدة أولا (٧) .

يقول سيد قطب – رحمه الله – في ذلك : " لقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي : القضية التي تتصدى الدعوة لها منذ اليوم الأول للرسالة ، وأن

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : (٨٥) .

(٢) ذكره ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس ولم يرفعه إلى النبي ﷺ ، جامع البيان المجلد ١٥ ، ج٣٠ ، ص٣٣١ .

(٣) سورة الكافرون ، الآيات من (١ – ٣) .

(٤) سورة الزمر ، الآيتان (١١ – ١٢) .

(٥) انظر : في ظلال القرآن ، ج٢ ، ص ١٠٠٦ .

(٦) في ظلال القرآن ، جـ ٢ ، ص ١٠٠٥ .

(٧) يدل على ذلك أن الفترة المكية كلها كان التركيز فيها على توحيد الله ، وقد سبق بيان ذلك في بيان منهجه ﷺ في الدعوة إلى الله ، ص ٢٧ – ٢٨ من هذا البحث .

يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته في الدعوة ، بدعوة الناس أن يشهدوا أن لا إلـه إلا الله ، وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم الحق ، ويعبدهم له دون سواه "[١] .

وهذا يعني أنهم لابد أن يفردوا الله بالحاكمية ، ويتخلوا عن كـل معبـود سـواه " اعبدو الله ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم " [٢] .

وعدم اعتراف الإسلام بأي دين آخر لا ينطلق مـن هـذه المبـادئ مـن الأمـور التي أدت إلى امتناع قريش من اتباعه – كما سبق أن ذكرته قريبا – .

وهذا المنهج – وإن كان قد سبب للرسول ﷺ ولأصحابه عناء شديدا في بداية الدعوة ، وفـي المرحلـة المكيـة بـالذات فإنـه عصـم الدعـوة مـن دخـول المخلّطيـن ، وأصحـاب الأغـراض الفاسـدة خـلال تلـك الفـترة ؛ حيـث كـان الرعيـل الأول الذيـن اختارهم الله لتحمل أعباء هذا الدين ، أقوى الناس إيمانـا وأزكـاهم خلقـا ، وأصدقهـم لهجـة – ﷺ – ، قـال تعـالى فـي حقهـم : ﴿ والسـابقون الأولـون مـن المهـاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضـوا عنـه وأعـد لهـم جنـات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾ [٣] .

فقد كـانوا يعظمـون رسـول اللـه ﷺ ويستجيبون لأمـره ، ويبذلـون الأنفـس ، والأموال دونه ، يدل على ذلك ما ثبت في البخاري من حديث المسور بن مخرمة[٤] ، ومروان [٥] في صلح الحديبية ، أن عروة بن مسعود [٦] ، وهو أحـد المفـاوضين مـن

---

(١) في ظلال القرآن ، ج ٢ ، ص ١٠٠٥ .

(٢) صحيح البخاري ، وقد تقدم تخريجه ص ٢٦ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (١٠٠) .

(٤) المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن كـلاب ، وأمـه الشـفاء بنـت عـوف أو عاتكـة ، أخـت عبدالرحمـن أسلمت وهاجرت ، ولد سنة (٢) للهجرة ، وقدم مع أبيه بعد الفتح وهو ابـن سـت ، وتوفـي رسـول اللـه ﷺ وهو ابن ثمان سنين ، ولكنه سمع من النبي ﷺ ، وحفظ عنه كان من أهل العلم والفضل ، وقد عاد إلى مكة بعد مقتل عثمان – ﷺ – وبها توفي سنة ٦٤هـ ، وصلـى عليـه ابـن الزبـير – رضـي اللـه عنهـم أجمعين انظر : الإصابة (٢) ، جـ ٣ ، ص ٣٩٩ ، والاستيعاب (١) بهامشها ، جـ ٣ ، ص ٣٩٧ – ٣٩٨ .

(٥) هو : مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ، ابو عبدالملك ، خليفة أموي إليه ينسب " بنـو مروان " ولد بمكة ونشأ بالطائف قرّبه عثمان ، واتخذه كاتبا ، ولما قتل عثمان – ﷺ – خرج إلى البصـرة مع المطالبين بدمه ، وولاه معاوية المدينة ، إلـى أن أخرجـه عبداللـه بـن الزبـير فسكن الشـام ، وبعـد وفـاة معاوية بن يزيد بن معاوية بايعه بعض أهل الشام ، ووقع القتال بينه وبين الضحاك بن قيس من طرف ابـن الزبير فانتصر مروان وقتل الضحاك واستولى على مصر لكنه لم تطل مدتـه ، فعهد إلـى ابنـه عبدالملـك ، قيل كانت ولادته بعد الهجرة بسنتين ، ولم تثبت صحبته ولا روايته عن النبي ﷺ ، ولكن روى عن جمع من الصحابة ﷺ ، توفي سنة ٦٥هـ ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٣٤٨ – ٣٤٩ ، والإصابة ، جـ٣ ، ص٤٥٥ – ٤٥٦ .

(٦) هو : عروة بن مسعود بن معتب الثقفي صحابي مشهور ، كان أحد الأكابر من قومه قيـل إنـه المـراد بقولـه تعالى ﴿ على رجل من القريتين عظيم ﴾ أسلم مرجع النبي ﷺ من حصار الطـائف ، وطلـب الرجـوع إلـى قومه يدعوهم إلى الإسلام فقتلوه – ﷺ – . انظر : أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٤٠٥ – ٤٠٦ ، والإصابـة ، جـ٢ ، ص ٤٧٠ .

طرف قريش ، وهو على الشرك يومئذ قال لهم بعد رجوعه من عند رسول الله ﷺ وأصحابه : " أي قوم والله لقد وفدت على الملوك ، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي ، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ، ما يعظم أصحاب محمد ﷺ ، محمدا ، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده [١] وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه ، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، وما يُحدّون إليه النظر تعظيما له " [٢] .

وفي هذا الحديث بيان جليّ لتعامل الصحابة عليهم رضوان الله مع رسول الله ﷺ .

ويتمثل هذا التعامل في توقيرهم له ، ومحبتهم إياه ، ومبادرتهم إلى تنفيذ ما يأمر به ، وغضّهم الصوت حتى يتكلم ، وأن طاعة أتباع الملوك إياهم ، لا توازي طاعته ومحبته ﷺ من طرف أصحابه ، ومن تأمل القرآن والسنة وسيرة الصحابة – رضي الله عنهم – تبين له أنهم تغيرت حالهم تغيرا جذريا ؛ وذلك حين استناروا بنور الوحي ، وخرجوا من الظلمات إلى النور ، وصاروا خير أمة أخرجت للناس كما وصفهم الله تعالى بقوله : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾ [٣] .

فهذه الآية وإن كان مدلولها شاملا لجميع الأمة فهم أحق الناس بأن يوصفوا بها ؛ لأنهم حققوا شرط الله فيها ، فآمنوا بالله ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، وجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس ، قال تعالى إخبارا عن رسول الله ﷺ وعنهم : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ [٤] .

---

(١) هذا الحديث فيه دلالة على جواز التبرك بفضلات النبي ﷺ ، وفي معناه أحاديث كثيرة تتعلق بشعره ، وبالقربة التي شرب منها فقطعت الصحابية فمها لتتبرك به ، وهذا خاص به ﷺ ولا يقاس عليه غيره من الصالحين ، لأنه لم يرد نص بخصوصهم والرسول ﷺ قد خصه الله بكثير من الأمور بخلاف غيره ، والله أعلم .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشروط في الجهاد ، ج ٣ ، ص ٢٤٦ – ٢٤٧ ، حـ ٢٧٣١ – ٢٧٣٢ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١١٠) .

(٤) سورة الفتح ، الآية (٢٩) .

يقول ابن كثير – رحمه الله " يخبر تعالى عن محمد ﷺ أنه رسوله حقا بلا شك ولا ريب ، فقال : ﴿ محمد رسول الله ﴾ وهذا مبتدأ وخبر ، وهو مشتمل على كل وصف جميل ، ثم ثنى بالثناء على أصحابه – ﷺ – ، فقال : ﴿ والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ كما قال عز وجل ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (١) ، وهذه صفة المؤمنين أن يكون أحدهم شديداً عنيفا على الكفار ، رحيما برا بالأخيار ، غضوبا عبوسا في وجه الكافر ضحوكا بشوشا في وجه أخيه المؤمن .. " (٢) .

وقال تعالى ممتنا عليهم ؛ حيث كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا إخوانا وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها : ﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٣) .

وقال رسول الله ﷺ في خطبة وجهها للأنصار ، مرجعه من حنين ، لما بلغه أنهم وجدوا عليه ؛ حيث قسم الغنائم في المؤلفة قلوبهم ولم يصبهم منها بشيء : " يا معشر الأنصار ما مقالة بلغتني عنكم ؟ وجدة وجدتموها في أنفسكم ، ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل " (٤) .

وفي السنة المطهرة أحاديث كثيرة تشهد لسرعة التغير في حياتهم ، – ﷺ – سأذكر نماذج منها للتمثيل فقط .

١ – من تلك النماذج ما ثبت في الصحيح من بيان لحال عمر – ﷺ – قبل إسلامه وبعده .

فقبل إسلامه كان من أشد أهل الكفر عداء للمسلمين وخاصة ذوي قرابته منهم .

ففي البخاري عن قيس بن أبي حازم (٥) قال : " سمعت سعيد بن زيد يقول

---

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية (٥٤) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج ٤ ، ص ٢٥٨ .
(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية (١٠٣) .
(٤) سيأتي تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .
(٥) هو قيس بن أبي حازم ، أبو عبدالله البجلي الكوفي ، تابعي ثقة ، مخضرم ويقال : له رؤية ، وهو الذي يقال إنه اجتمع له أن يروي عن العشرة ، قال أبوداود : أجود التابعين إسنادا قيس بن أبي حازم ، وقال ابن معين : هو أوثق من الزهري ، توفي بعد سنة تسعين من الهجرة أو قبلها وقد جاوز المائة وتغير ، وقد أخرج له الستة .
انظر : ترجمته في الثقات لابن حبان جـ ٥ ، ص ٣٠٨ ، وتقريب التهذيب ص ٤٥٦ .

للقوم : " لو رأيتني موثقي عمر على الإسلام وما أسلم " (١) .

وفيه أيضا عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال : " ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر " (٢) .

ولا يخفى تباعد ما بين الحالين ، ففي الجاهلية كان أذاه ينال أقرب الناس إليه ، ومن أجل أنهم أسلموا ، وفي الإسلام كان عزا للمستضعفين ، وفرق الله به بين الحق والباطل ، وجمع به شمل أهل الإسلام ، ومواقف أمير المؤمنين كثيرة مشهورة – رضي الله عنه وأرضاه – .

٢ – من ذلك ماروي عن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – أنه لما حضرته الوفاة بكى بكاء طويلا ، فجعل ابنه (٣) – رضي الله عنه – يقول : " يا أبتاه أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا قال : فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

إني كنت على أطباق ثلاث : لقد رأيتني وما أحد أشد بغضا لرسول الله ﷺ مني ، ولا أحب إليّ من أن أكون قد استمكنت منه فقتلته ، فلو مت على تلك الحال لكنت من أهل النار ، فلما جعل الله الإسلام في قلبي قلت : ابسط يمينك فلأبايعك ، قال : فبسط يمينه ، قال : فقبضت يدي ، قال : "مالك يا عمرو"؟ ، قال : قلت أردت أن أشترط قال : تشترط بماذا ؟ قلت : أن يغفر لي ، قال : " أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله " .

وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ولا أجل في عيني منه ، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالا له ، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لأني لم أكن أملأ عيني منه ، ولو مت على تلك الحال لرجوت أن أكون من أهل الجنة ، ثم ولينا أشياء لا أدري ما حالي فيها " (٤) .

فعمرو بن العاص – رضي الله عنه – يخبر عن نفسه أن رسول الله ﷺ تحول في قلبه من أبغض الناس إليه وأشدهم له عداوة إلى أحبهم إليه ، وأجلهم في عينه ، وأعظمهم توقيرا عنده .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ج٤ ، ص٦٢٢ ، ح٣٨٦٧ .

(٢) صحيح البخاري ، المرجع نفسه ، ص٦٢٠ ، ح٣٨٦٣ .

(٣) المراد به عبدالله كما جاء مصرحا به في بعض روايات هذا الحديث وكلاهما معروف .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله ، وكذا الهجرة والحج ، ج١ ، ص١١٢ ، ح١٩٢ .

فسبحان الله مقلب القلوب الذي يهدي من شاء من عباده الصراط المستقيم ، نسأل الله الهداية والتوفيق ، وأن يحشرنا مع الذين أنعم عليهم .

٣ – من شواهد تغير حياتهم مبايعتهم رسول الله ﷺ على البراءة من الشرك والسرقة والزنا ، وقتل الأولاد ، وترك البهتان ، والتزام الطاعة لله ولرسوله ﷺ .

جاء ذلك فيما رواه البخاري عن عبادة بن الصامت [١] – رضي الله عنه – " أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه : " بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا ، فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه فبايعناه على ذلك " [٢] .

٤ – منها أيضا خبر هند بنت عتبة [٣] – رضي الله عنها – ففي البخاري عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " جاءت هند بنت عتبة . فقالت يا رسول الله ، ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إليّ أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إليّ أن يعزّوا من أهل خبائك " [٤] .

وكانت هند قبل إسلامها معادية لرسول الله ﷺ وللمؤمنين ، وشهدت أحدا مع زوجها أبي سفيان ، وهما يومئذ على الكفر – وحرضت على قتل حمزة – رضي الله عنه – عم النبي ﷺ ؛ لأنه قتل عمها شيبة يوم بدر ، وشارك أيضا في قتل أبيها عتبة [٥] .

---

(١) هو : عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن قيس بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف الخزرجي الأنصاري أبو الوليد ، كان أحد النقباء بالعقبة ، شهد بدرا وما بعدها ، وكان من القادة في فتح مصر – روى عن النبي ﷺ وعنه أبو أمامة وأنس ، وجابر وغيرهم ، كان من الحفاظ أرسله عمر – رضي الله عنه – مع معاذ ، وأبي الدرداء لتعليم أهل الشام القرآن فأقام بفلسطين يعلم أهلها ، وتوفي بالرملة سنة ٣٤هـ .
انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص٥٤٦ ، والاصابة ، حـ ٢ ، ص ٢٦٠ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب ١١ ، ج١ ، ص ١٢ ، ح ٢١٨ .

(٣) هي : هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف الصحابية المعروفة زوجة أبي سفيان ، وأم الخليفة معاوية – رضي الله عنه – عرفت بالفصاحة والجراءة والحزم ، شهدت أحدا للتحريض على القتال للمسلمين ، وبعد الفتح أسلمت وبايعت في قصة معروفة ، واستفتت رسول الله ﷺ في الأخذ من مال زوجها بغير إذنه فقال لها " خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٨ ، ص٢٣٥ – ٢٣٧ ، وأسد الغابة ، جـ٥ ، ص٥٦٢ ، والإصابة ، جـ ٤ ، ص ٤٠٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب ذكر هند بنت عتبة – رضي الله عنها – ج٤ ، ص٦٠٨ ، ح٣٨٢٥ .

(٥) هو عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، أبو الوليد ، أحد سادات قريش في الجاهلية ، كان موصوفا بالحلم والرأي ، خطيبا ، وكان سببا في إنهاء حرب الفجار حيث أصلح بينهم ، فرضوا بحكمه ، قتل يوم بدر كافرا على يد حمزة ، وعلي ، وعبيدة بن الحارث – رضي الله عنهم – ، انظر : الروض الأنف ، جـ ١ ، ص ١٢١ ، وبلوغ الأرب جـ ١ ، ص ٢٤١ ، والأعلام ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠ .

وأمثلة هذا النوع كثيرة مشهورة ، ولعل في هذا القدر كفاية ، وسيزداد الأمر وضوحا عند الحديث عن البيئة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ في المرحلتين المكية والمدنية في المبحث التالي إن شاء الله تعالى .

المبحث الثاني

البيئة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ

في هذا المبحث سوف أوضح البيئة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ في مطلبين :

المطلب الأول : البيئة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ في المرحلة المكية ، والمطلب الثاني : البيئة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ في المرحلة المدنية .

المطلب الأول

البيئة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ في المرحلة المكية

معلوم أن المجتمع الجاهلي كان مجتمعا قبليا تسوده الفوضى ؛ حيث لم تكن لهم سلطة عامة تدفع الظلم أو تردّ الحق إلى صاحبه ، وكان العداء والتقاتل يمثلان السمة الغالبة على أحوالهم ، ويدل على ذلك أن الأشهر الحرم كانت تطول عليهم حتى يتحيّلون عليها بالنسيء ، فيؤخرون المحرم إلى صفر ، وأحيانا يؤخرون صفر إلى ربيع الأول ، ولهذا قال رسول الله ﷺ في خطبة يوم النحر " إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى ، وشعبان " [١] .

فقد ذكر العلماء أن معنى استدارة الزمان التي أشار إليها رسول الله ﷺ أنهم لم يزالوا يؤخرونه سنة بعد سنة حتى وافق تلك السنة موقعه الحقيقي [٢] ، وقال الله تعالى : ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زيّن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [٣] .

يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : " هذا مما ذم الله تعالى به المشركين ، من تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة ، وتغييرهم أحكام الله

---

(١) سيأتي تخريجه في نصوص الخطب ، ص٨٥

(٢) انظر : النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ، ص ١٣٩ .

(٣) سورة التوبة ، الآية (٣٧) .

بأهوائهم الباردة ، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرم فأخروه إلى صفر " [١] .

ونتيجة لهذه الفوضى كان القوي يعتدي على الضعيف ، ويسلبه حقوقه ، من غير أن يجد نصيرا عليه في الغالب .

وكان المرء إما ظالما أو مظلوما ، يدل على ذلك قول زهير الشاعر الحكيم المعروف في معلقته :

" ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدَّم ومن لا يظلم الناس يُظلم "[٢] .

وكان الظلم والعداء يسودان فيهم ، حتى بين الأقرباء والأصهار ، فكانت الحروب الطاحنة تقع بين القبائل المنتسبة إلى جد واحد .

من أمثلة ذلك الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، يدل عليها قوله ﷺ في خطبة وجهها إلى الأنصار مرجعه من حنين : " ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فالفكم الله بي " [٣] .

ومن أيامهم المشهورة يوم بعاث كان قبيل الإسلام بقليل [٤] .

وقد ورد ذكره في الحديث الصحيح ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت " كان يوم بعاث يوما قدمه الله لرسوله ﷺ فقدم رسول الله ﷺ وقد افترق مَلؤُهم ، وقتلت سرواتهم [٥] ، وجرحوا فقدمه الله لرسوله ﷺ في دخولهم في الإسلام " [٦] .

وكانت حرب البسوس [٧] التي يضرب بها المثل ، بين بكر وتغلب ابني وائل ويروى أنها استمرت أربعين سنة وقتل فيها عدد كثير من أشراف القبيلتين [٨] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٤٦٨ .
(٢) شعر زهير بن أبي سلمى ، صنعة الأعلم الشنتمري ، ص٢٧ .
(٣) سيأتي تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .
(٤) انظر : أيام العرب في الجاهلية ، ص ٧٣ - ٧٤ .
(٥) سرواتهم ، يعني ذوي المروءة والشرف منهم ، القاموس ، ج٤ ، ص ٣٤٢ .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مناقب الأنصار ، وقول الله عز وجل ﴿ والذين آووا ونصروا ﴾ ، ج٤ ، ص٥٩٤ ، ح٣٧٧٧ .
(٧) هي : البسوس بنت منقذ التميمية ، شاعرة جاهلية ، يضرب المثل بشؤمها ، وهي خالة جساس بن مرة الشيباني ، كانت لها (أو لجارها سعد بن شمس الجرمي) ناقة يقال لها سراب ، رآها " كليب وائل " ترعى في حماه ، فرمى ضرعها بسهم ، فحزنت البسوس ، وقالت شعرا أثار جساس بن مرة ، فقتل كليبا ، فهاجت حرب بكر وتغلب ابني وائل بسببها أربعين سنة فقيل : أشأم من البسوس ، وعرفت حرب البسوس باسمها . انظر : مجمع الأمثال ، ج ١ ، ص٤٧٣ ، خزانة الأدب ج ٢ ، ص١٦٦ ، والأعلام ، جـ ٢ ، ص ٥١ .
(٨) الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص٣١٢ .

ويزعم المؤرخون أن السبب الذي أشعل نار هذه الحرب ، أن كليبا [١] اعتدى على ناقة لأحد جيران جساس [٢] ؛ لأنها رعت مرعى كان يحميه ، ، ورغم ما بين الرجلين من قرابة ومصاهرة ، لأن كليبا زوج أخت جساس بن مرة . فإن جساسا عدّ الاعتداء على جاره مذلة له فقتل كليبا ، وعند ذلك بدأت الحرب بين بكر وتغلب ، حيث استمرت أمدا طويلا واشتملت على أيام كثيرة ، قتل خلالها كثير من أشرافهم [٣] .

ويلاحظ المتتبع لحياتهم السياسية سيطرة عوامل الفوضى والعداوة لديهم ، على عوامل الوحدة والنظام .

فرغم أن الوحدة الجنسية والعصبية القبلية ، ووحدة اللسان والموطن ، والتي تعد أهم عوامل الوحدة بين الشعوب ، كانت حاصلة فيهم [٤] .

لكنها كانت تختفي أو تضعف عندما تعارضها عوامل أخرى مثل حب السيطرة ، وقهر الأنداد وإذلال الخصوم .

ومن أمثلة ذلك واقعة اشتهرت عند المؤرخين بين عمرو بن هند [٥] زعيم العرب في وقته ، وعمرو بن كلثوم الشاعر العربي المعروف ، وملخص هذه الواقعة أن ابن هند قال لجلسائه يوما : هل تعلمون عربيا تأنف أمه أن تخدم أمي ، فقالوا : " لا إلا أن يكون عمرو بن كلثوم " .

وقد حاول ابن هند أن يُريَ العرب أن أمه يمكن أن تستخدم أم ابن كلثوم .

فاستضاف عمرو بن هند عمر بن كلثوم وأمه ، وأوعز إلى أمه أن تستخدم أم ابن كلثوم ، فطلبت منها أو تناولها طبقا بجوارهما ، فامتنعت أم ابن كلثوم ،

---

(١) هو : كليب بن ربيعة بن الحارث التغلبي الوائلي ، سيد الحيَّيْن بكرو تغلب في الجاهلية ، ومن الشجعان الأبطال ، كانت منازله في نجد وأطرافها ، وبلغ من هيبته أنه كان يحمي مواقع السحاب فيقول : ما أظلته هذه السحابة في حماي فلا يرعى أحد ما تظله ، وكان لا يورد أحد مع إبله ولا توقد نار مع ناره ، قتله جساس بن مرة البكري أخو زوجته فثارت حرب البسوس واستمرت أربعين سنة وكان ذلك قبل الهجرة بنحو ١٣٥ سنة ، انظر : معجم الشعراء ، ص ٣٥٤ ، مجمع الأمثال ، جـ ٢ ، ص ٥٠ ، الأعلام ، جـ٥ ، ص ٢٣٢ .

(٢) هو : جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، من بني بكر بن وائل ، شاعر شجاع ، من أمراء العرب في الجاهلية ، شعره قليل وهو الذي قتل كليب وائل ، فكان سببا لنشوب حرب البسوس التي دامت أربعين سنة وقتل جساس في أخرها في نحو سنة ٨٥ قبل الهجرة . انظر : خزانة الأدب ، جـ ٢ ، ص١٦٦ ، شعراء النصرانية ، ص ٢٤٦ ، الأعلام جـ ٢ ، ص ١٩٩ .

(٣) انظر : الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص ٣١٢ .

(٤) انظر : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج١ ، ص٦٤ .

(٥) هو عمرو بن المنذر اللخمي : ملك الحيرة في الجاهلية ، عرف بنسبته إلى أمه هند تمييزا له عن أخيه عمرو الأصغر (ابن أمامة) ، كان شديد البأس كثير الفتك ، هابته العرب وأطاعته القبائل ، وهو صاحب صحيفة المتلمس المشهورة وقاتل طرفه بن العبد ، واستمر ملكه خمسة عشر عاما ، وفي أيامه ولد النبي ﷺ ، قتله عمرو بن كلثوم الشاعر المشهور في خبر طويل ، وكان في نحو ٤٥ قبل الهجرة .
انظر : معجم الشعراء ، ص ٢٠٥ .

وقالت لتقم صاحبه الحاجة إلى حاجتها ، فأمرتها ثانية فلما ألحت عليها ، صاحت " وا ذلاه " يا لتغلب ! فسمعها ابنها فبادر إلى سيف معلق عندهما ، فقتل عمر بن هند في الحال [١] .

فلولا حب السيطرة لاكتفى عمرو بن هند بأن أمه لا تأنف أمهات جميع العرب من خدمتها غير واحدة .

ولولا الإباء والأنفة لناولت أم ابن كلثوم الطبق لمضيفتها إذ لا يكلفها ذلك عناء .

وقد أشار عمرو بن كلثوم إلى هذه الواقعة منوها بامتناعهم من خدمة أم عمرو بن هند وذلك إذ يقول : في معلقته المشهورة :

بأي مشيئة عمرو بن هند تطيع بنا الوشاة وتزدرينا
تهدّدنا وتوعدنا رويدا متى كنا لأمك مقتوينا [٢]
فإن قناتنا [٣] يا عمرُو أعيتْ على الأعداء قبلك أن تلينا [٤]

ويظهر من خلال هذه الأبيات افتخار عمرو بن كلثوم بقبيلته ، وبقوتها وعزتها ؛ حيث تمتنع على من أرادها بسوء من الأعداء ، ويستبعد أن يكونوا خداما لغيرهم " متى كنا لأمك مقتوينا " .

وتعكس هذه الأبيات النظام القبلي عندهم والطبقي كذلك .

وفيما يلي سأعرض لنظام الطبقات عندهم ؛ حيث كانت كل قبيلة تمثل كيانا مستقلا ، يشبه ما يعرف اليوم بالحكم الذاتي ، ومن ثم تحتاج كل قبيلة إلى تكوين قوة دفاعية ، تحمي الحوزة وتدافع عن الحرمة ، وكان المعيار الأساسي للفخر هو القوة ، والمنعة ، وأفراد القبيلة يتفاوتون في المكانة الاجتماعية فمنهم الصرحاء ، والحلفاء ، والعبيد [٥] .

وتتفاوت القبائل أيضا في العزة والمنعة ، وكثرة عدد الأفراد وشجاعتهم .

وفيما يلي بيان طبقات العرب باختصار :

١ – الأحرار والصرحاء ، وهم الذين يرجعون إلى جد واحد ، ويتمتعون بكامل الحقوق الاجتماعية داخل القبيلة ؛ إذ هم أساسها وساداتها .

---

(١) انظر : التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، ص ١٠٢ .
(٢) قوله مقتوينا : يعني خدما . قال في القاموس : " المقتوون والمقاتوة ، والمقاتية الخدام " ج٤ ، ص٣٧٦ .
(٣) القناة : الرمح ومقصود الشاعر أنهم لا يستكينون لأعدائهم ، القاموس ، جـ ٤ ، ص ٣٠٨ .
(٤) انظر : المعلقات العشر ، ص ٢١٤ .
(٥) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج٤ ، ص٣١٣ ، ومحاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ١٢٧ .

ويستوون في الشرف من الناحية الطبقية ، وإن تفاوتوا في صفاتهم الذاتية ، مثل الشجاعة وحماية الجار ، والدفاع عن الحرمات والأعراض [١] .

٢ – الحلفاء وهم الذين لا ينتسبون إلى جد القبيلة ويطلق عليهم الموالي ، فرابطتهم بأفراد القبيلة ليست رابطة دم ، ولكنهم لجأوا إليها لتحميهم وهم في الدرجةالثانية من حيث الترتيب الاجتماعي ، وهم مطالبون بنفس الحقوق الواجبة على الأحرار ، وإن كانوا قاصرين عن بعض الحقوق التي يستحقها من هم في الدرجة الأولى .

والحلف قد يكون فرديا ، وقد يكون جماعيا ، فتحالف جماعة قبيلة ، أو قبيلة قبيلة ، وأحيانا يكون اضطراريا ، وقد يكون اختياريا ، لينال الحليف مكاسب تجارية أو اجتماعية [٢] .

٣ – العبيد أو الأرقاء وهم الطبقة السفلى في التنظيم الاجتماعي .

ويتم استخدامهم غالبا في الأعمال اليدوية ورعي الماشية ، ولا يشاركون في الحروب [٣] ، وأغلبهم أسرى حرب من العجم ، وقد يكونون عربا يتم أسرهم ، وذلك إما لصغر أو استضعاف ، ومن هؤلاء زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ، فقد كان من بني كليب أصابته خيل من بني القين ، وقد خرج مع أمه لزيارة أهلها فباعوه بسوق حباشة وهو يومئذ ابن ثمانية أعوام [٤] .

ويتكون المجتمع العربي من قبائل ، وتنقسم القبائل إلى أسر .

فالأسرة هي اللبنة الأولى في تكوين المجتمع ، وتتكون الأسرة عادة من أبوين وأبناء وسأبين فيما يلي مكانة أفراد الأسرة فردا فردا .

١ – الأب أو الزوج ، هو صاحب السلطة في البيت ، يقوم بإدارة شؤونه ويعول الزوجة والأبناء ، ويحميهم ويرعى مصالحهم ، ويكدح ويتعب من أجلهم [٥] .

٢ – الزوجة أو الأم :

ورغم أن الأب هو صاحب السلطة في الأسرة فإن الزوجة كانت تشاركه في

---

(١) انظر : محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١ ، ص١٣٤ ، وتاريخ العرب قبل الإسلام ، ص ٤٤ .

(٢) انظر : محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جـ ١ ، ص ١٣٤ – ١٣٥ .

(٣) انظر : المرجع نفسه ، ص ١٣٦ .

(٤) انظر : الروض الأنف شرح السيرة النبوية ، ج٣ ، ص ١٦ – ١٧ .

(٥) انظر : محاضرات في تاريخ العرب ، ج١ ، ص١٣٦ ، والمرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٧٤ – ٧٥ .

سبل العيش ، فترعى الماشية ، وتجلب الماء ، وتنسج المسكن والملبس ، وتخيط الثياب [١] .

وعرفت المرأة العربية بحب زوجها والولاء له ، والفرح لدى فرحه ، والحزن لدى حزنه ، وكان الأزواج يشاورون نساءهم ، وخاصة في الأمور المتعلقة بالأسرة كتزويج البنات أو القيام برحلة لغرض معيشي [٢] .

بل قد يأخذ برأيها أحيانا في الأمور السياسية كالحرب والسلم من أمثلة ذلك ما روي أن الحارث بن عوف [٣] ، قالت له زوجته بُهيسة بنت أوس ابن حارثة الطائي – وهي عرس – أتفرغ لنكاح النساء ، والعرب تتقاتل – وكان ذلك في حرب عبس وذبيان – فقال فيكون ماذا ؟ قالت : اذهب إلى هؤلاء القوم فأصلح بينهم فخرج هو وهرم بن سنان [٤] ، فأصلحا بين القوم وحملا الديات [٥] .

ووردت الإشارة إلى ما قاما به من مصالحة بين الحيين في معلقة زهير بن أبي سلمى وذلك في قوله :

سعى ساعيَا غيظِ بن مرةَ بعدمَا ... تبزّل ما بين العشيرةِ بالدَّم
فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله ... رجالُ بَنُوه من قريش وجُرهَم
يمينا لنعم السيدان وجدتُما ... على كل حال من سَحيلٍ ومُبْرم
تداركتما عبساً وذبيانَ بَعْدمَا ... تفانَوا ودّقوا بينهم عطرَ مِنشَم
عظيمين في عَلْيا معدّ هُديتمَا ... ومن يستبحْ كنزاً من المجد يعْظم[٦].

ولكن مشورة النساء والأخذ برأيهن يجب أن تكون في حدود ؛ لأن اعتماد الرجل في جميع أموره على رأيهن يعدّ نقصا في رجولته ، يدل على ذلك قول الشنفرى [٧] في لاميته ينفي عن نفسه أوصافا غير محمودة :

---

(١) انظر : الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي ، ص ١٤١ .
(٢) انظر : المرأة في الشعر الجاهلي ، ص ٢٠٨ .
(٣) هو : الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري ، من فرسان الجاهلية له فيها أخبار ، أدرك الإسلام ، وله خبر بعد إسلامه قال فيه حسان بن ثابت شعرا .
انظر : الاستيعاب ، جـ١ ، ص٣٠٣ ، والأعلام ، جـ٢ ، ص١٥٧ ، وانظر : خزانة الأدب ، جـ٣ ، ص٥ .
(٤) هو : هرم بن سنان بن أبي حارثة المري ، من أجواد العرب في الجاهلية ، يضرب به المثل ، وهو ممدوح زهير بن أبي سلمى وابن عمه الحارث بن عوف لما قاما بالإصلاح بين عبس وذبيان ، مات قبل الهجرة بنحو ١٥ سنة .
انظر : مجمع الأمثال ، جـ١ ، ص٢٤٧ ، وخزانة الأدب ، جـ٢ ، ص٣٣٤ ، والأعلام ، جـ٨ ، ص٨٢ .
(٥) انظر : المرأة في الشعر الجاهلي ، المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .
(٦) انظر : شرح شعر زهير ، ص ٢٣ – ٢٥ .
(٧) هو : عمرو بن مالك الأزدي من قحطان شاعر جاهلي يماني ، كان من فتاك العرب وعدائيهم ، وهو أحد الخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم ، يضرب به المثل يقال : (أعدى من الشنفرى) ، وهو صاحب لامية العرب ، انظر الأعلام ، ج ٥ ، ص (٥٨) .

ولست بمهياف يعشّي سوامَه مجدّعة سقبانُها وهي بُهَّلُ
ولا جُبّأ أكهَى مُربِّ يعرسه يطالعها في شأنه كيف يفعل[١].

فالشنفرى في البيت الثاني يقول : لست بجبان يظل فاغرا فاه ، مقيم مع زوجته يسألها عن كل أمر يريد القيام به .

وقد أخذ رسول الله ﷺ برأي أم سلمة – رضي الله عنها – في أمر مهم ، وذلك في غزوة الحديبية ؛ حين أمر أصحابه بالتحلل بعد كتابة الشروط المتعلقة بالهدنة فامتنعوا فدخل عليها وأخبرها بذلك فقالت له : " اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم ، حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك "[٢].

فبادر الصحابة – ﷺ – إلى النحر والحلق ، اقتداء به ﷺ .

ولكنه أيضا لم يقبل رأي عائشة ، وحفصة – رضي الله عنهما – وذلك لما قال وهو في مرض وفاته : " مروا أبا بكر فليصل بالناس " فقالتا : " إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقم مقامك لم يسمع الناس ، فلو أمرت عمر ، فقال رسول الله ﷺ " إنكن لأنتن صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس " [٣] .

٣ – الأبناء والبنات :

أما الأبناء فهم سند الأسرة ، وعليهم يعوّل في الدفاع عن الحرُمات ، ولذلك اختصوا بالإرث دون البنات [٤] ، ولعل قساوة الطبيعة ، وكثرة الحروب جعلت الأبناء أغلى لدى العربي ؛ لأنه وإن تكلف في تربيتهم صغارا ، فهو يؤمل مساعدتهم إذا صاروا كبارا ، ولذا كانت الزوجة تعز عندما تنجب أبناء ذكورا ، ولا سيما إذا كان هؤلاء الأبناء نجباء ذوي شرف ، فإنهم يلقبون من أنجبت بنين نجباء المنجبة [٥] ومنهن فاطمة بنت الخرشب الأنمارية [٦] ، وهي التي أنجبت الكملة لزياد العبسي [٧] ،

---

(١) في العبور الحضاري للامية العرب للشنفري ، ص ١١ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشروط ، باب الشروط في الجهاد ، ج٣ ، ص ٢٤٩ ، ح١٧٣١ ، ١٧٣٢ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة ، باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ ، ج٨ ، ص٤٩٧ ، ح٧٣٠٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ... ج١ ، ص٣١٣ – ٣١٤ ، ح٤١٨ .
(٤) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص٥٩٣ .
(٥) انظر : المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص٧٨ .
(٦) هي : فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، من غطفان ، منجبة جاهلية ، يضرب بها المثل فيقال : " أنجب من فاطمة " كانت امرأة زياد بن سفيان العبسي ، وولدت له أربعة أبناء يوصفون بالكملة .
انظر : مجمع الأمثال ، جـ٢ ، ص ٤١٢ ، وخزانة الأدب جـ٤ ، ص١٣ ، والأعلام ، جـ٥ ، ص١٣١ .
(٧) هو : زياد بن سفيان بن عبدالله بن ناشب العبسي زوج فاطمة بنت الخرشب الأنمارية التي يضرب بها المثل (أنجب من فاطمة) وهو أبو الأربعة الكملة من بني عبس لم يوجد كان أفضل منهم ، وهم ربيع وقيس وعمارة وأنس .
انظر : مجمع الأمثال ، جـ ٢ ، ص٤١٢ ، المحبر ، ص ٤٥٨ ، خزانة الأدب ، جـ ٤ ، ص١٢ .

وهم ربيع الكامل [١] ، وقيس الحفاظ [٢] ، وعمارة الوهاب [٣] ، وأنس الفوارس [٤] .

واشتهر قولها فيهم : " ثكلتهم إن كنت أدري أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدري أين طرفاها " [٥] .

وأما البنات فإنهن في حاجة إلى الرعاية في الصغر ، والمحافظة على أعراضهن في الكبر ؛ ولذا فالفكرة السائدة أن البنات كن بغيضات إلى الآباء جميعا ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ﴾ [٦] .

فهذه الآية تدل على عدم رغبتهم في الإناث ؛ لأنهن يسببن لهم الحزن والكآبة.

قال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ ظل وجهه مسودا ﴾ " أي كئيبا من الهم ، ﴿ وهو كظيم ﴾ أي ساكت من الحزن " [٧] .

ولعل هذا الإنزعاج والحزن لأجلهن إنما يكون في بداية الأمر ، وعند ولادتهن ، كما يدل عليه ظاهر الآيتين ﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ﴾ ، وأما بعد أن تشب وتترعرع ، فقد كان من بينهم من يحب بناته وينوّه بهن في شعره .

فمن ذلك قول معن بن أوس [٨] الشاعر المخضرم :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم ... وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والأيام يعثرن بالفتى ... عوانـد لا يمللنه ونوائح

---

(١) هو : الربيع بن زياد بن عبدالله بن سفيان بن ناشب العبسي ، أحد دهاة العرب وشجعانهم ورؤسائهم في الجاهلية ، وكان يقال له (الكامل) اتصل بالنعمان بن المنذر ونادمه ثم ارتحل عنه وحضر حرب داحس والغبراء ، وأخباره كثيرة ، مات قبل الهجرة بنحو ثلاثين سنة .
انظر : المحبر ، ص ٢٩٩ ، خزانة الأدب ، جـ ٤ ، ص١٢ ، الأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٤ .

(٢) هو : قيس بن زياد سفيان العبسي ، أحد الكملة الأربعة من بني عبس ، والذين ولدتهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية التي كان يضرب بها المثل فيقال (أنجب من فاطمة) .
انظر : المراجع السابقة ، وخزانة الأدب ، جـ ٧ ، ص ٥١٩ .

(٣) هو عمارة بن زياد بن سفيان العبسي ، من رؤساء القادة في الجاهلية ، كان كثير المال واسع الجود ، ألي على نفسه ألا يسمع صوت أسير ينادي في الليل إلا افتكه ، وكان يلقب بالوهاب ، وهو أحد الكملة الأربعة أولاد فاطمة بنت الخرشب ، قتله شرحاف بن المثلم الضبي .
انظر : الأماني الشجرية ، جـ١ ، ص١٦ ، ورغبة الأمل ، جـ٢ ، ص٤٣ ، والأعلام ، جـ٤ ، ص٣٧ ، خزانة الأدب ، جـ٣ ، ص٥١٨ .

(٤) هو : أنس بن زياد بن سفيان العبسي ، أحد الأربعة الذين يسمون بالكملة من بني عبس ، وأمهم فاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، وهم أنس وربيع وقيس وعمارة . انظر المراجع السابقة ، وخزانة الأدب ، جـ٧ ، ص٥١٩ .

(٥) انظر : مجمع الأمثال ، الميداني ، ج٢ ، ص ٢٠٥ .

(٦) سورة النحل ، الآية (٥٨) .

(٧) تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص٧٤٦ .

(٨) هو : معن بن أوس بن زياد المزني ، شاعر فحل مخضرم ، له مدائح في الصحابة وأخبار معهم ، مات بالمدينة في حدود ٦٤هـ ، وقد عمرّ حتى أدرك عهد ابن الزبير - ﷺ - . انظر : الإصابة ، جـ ٣ ، ص٤٩٩ ، ٥٠٠ ، وخزانة الأدب ، جـ ٧ ، ص٢٥٣ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .

ويقول حسان بن الغدير [١] في المعنى نفسه :

رأيت رجالا يكرهون بناتهم وهن البواكي والجيوب النواصح

ودخلت أم الحكم [٢] على أبيها الزبير بن عبدالمطلب فهش لها وقال :

يا حبّذا أم الحكـم كأنهـا ريم أجـم

يا بعلها ماذا يَشَـم ساهم فيها فسَهَـم [٣] .

وبعد ما تقدم من بيان طبقات المجتمع العربي ، ومكانة كل طبقة من هذه الطبقات ، وأنه ينقسم إلى قبائل ، والقبائل إلى أسر ، وأن الأسر تتكون في الغالب من أبوين وأبناء ، وبينت أيضا مكانة كل عضو في الأسرة .

فمن الجدير أن أتعرض للأسس التي بها تتكون الأسرة وعلى أي أساس يكون الاجتماع بين الأبوين حتى ينجبا ، وإذا تعذرت الصحبة فكيف يكون التفرق ؟ وهل هو بيد الرجل أو المرأة ؟ وفيما يلي سأبين هذه الأمور – إن شاء الله تعالى :

لا شك أن الأساس للعلاقة الأسرية في أي مجتمع يعتمد على العادات والأعراف لهذا المجتمع وخاصة المجتمعات التي لا تنطلق في مبادئها من تشريع سماوي ينظم العلاقة بين أفرادها ، ويحدد الحقوق والواجبات ، والأسس التي بها تتم الصلة بين هؤلاء الأفراد ، وقد سبق بيان أن أهل الجاهلية لم يكن لهم كتاب يتلقون منه التشريعات ، وذلك واضح من تسميتهم جاهلية .

أولاً : الصلة بين الأبوين وهي : النكاح ، وقد كان نكاح أهل الجاهلية ذا أنحاء متعددة سبق بيانها في المجال الأخلاقي ضمن حديث عائشة – رضي الله عنها – عند البخاري ، وهي :

١ – نكاح الرهط ، وذلك أن يجتمع الرهط دون العشرة فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وكلهم يصيبها ، فإذا حملت ووضعت حملها أرسلت إليهم ، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع ، ولها أن تلحق ولدها بمن شاءت فينسب إليه .

---

(١) هو : أحد بني عامر بن ثور بن هذمة بن لاطم . انظر : سمط اللآلىء للبكري ، ص٨٠٤ ، الخزانة ، جـ ٧ ، ص ٢٦٢ .

(٢) هي : أم حكيم بنت الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم ، أمها عاتكة بنت أبي وهب المخزومية ، ويقال إن اسمها صفية ، يقال إنها أخت النبي ﷺ من الرضاعة وقد أطعمها من خيبر أربعين وسقا ، روى عنها ابنها عبدالله بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، وصحح السهيلي أنها أم حكيم بدل أم الحكم ، وعليه يكون ما جاء في الأبيات على سبيل الضرورة .
انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ١ ، ص ٣٩٢ ، وجـ٤ ، ص ٤٧ ، والإصابة ، جـ٤ ، ص٤٢٥ .

(٣) هذه النماذج كلها أوردها الدكتور احمد محمد الحوفي في كتابه المرأة في الشعر الجاهلي ، ص٢٧٩ .

٢ – نكاح البغايا ، وهن اللاتي كن ينصبن الرايات لتعلم أماكنهن فيجتمع ناس كثيرون ، وكل من أرادها دخل عليها ، فإذا حملت إحداهن ، ووضعت دعوا القافة ، فألحقوا ولدها بالذي يرونه .

٣ – نكاح المباضعة ، وهو أن يقول الرجل لزوجته بعد أن تطهر من حيضها : اذهبي إلى فلان ، فاستبضعي منه ، ويعتزلها الزوج حتى يتبين حملها ، فإذا تبين حملها أصابها إذا شاء .

٤ – النكاح المعروف وهو أن يخطب الرجل إلى آخر وليته ، أو ابنته ثم يدفع لها الصداق وينكحها [١] .

ثانياً : الفراق بين الزوجين : وهو أنواع :

١ – الطلاق : وكان معروفا عندهم ، والغالب أن يكون بيد الرجل ، وقد يكون بيد المرأة إذا اشترطت عند العقد ، وقبل الزوج شرطها ، وهذا على سبيل الندرة ، ويختص به ذوات الشرف منهن [٢] .

وقد ذكروا من هؤلاء النسوة اللاتي كن يقمن بتطليق أنفسهن إن أردن عاتكة بنت مرة السلمية [٣] ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمارية ، وسلمى بنت عمرو بن زيد النجارية [٤] ، وهي أم عبدالمطلب بن هاشم [٥] .

٢ – الخلع وكان للمرأة أن تفتدي من زوجها بمال تدفعه هي ، أو وليها ، وقد يكون الصداق نفسه الذي يدفعه لها ، وقد يكون غيره [٦] .

وقد أقر الإسلام الخلع والافتداء عند الشقاق قال تعالى : ﴿ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود

---

(١) وردت هذه الأنحاء الأربعة في صحيح البخاري من حديث عروة بن الزبير عن عائشة – رضي الله عنها – وقد قدمت نصه كاملا في المجال الأخلاقي .

(٢) انظر : المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها ، ج١ ، ص٦٤ – ٦٥ .

(٣) هي : عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج من بني سليم ، وأمها مارية بنت حوذة بن عمرو بن سلول ، أم هاشم بن عبد مناف وإخوته المطلب وعبد شمس ، وضرب بها المثل " أنجب من عاتكة " ، وبعضهم قدم هلالا – في نسبها – على مرة .
انظر : حذف من نسب قريش لمؤرج السدوسي ، ص ٣ ، نسب قريش للزبيري ، ص ١٤ ، المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ، جـ ١ ، ص ٣٨٤ .

(٤) هي : سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خراش الأنصارية الخزرجية النجارية ، وأمها عميرة بنت صخر بن حبيب النجارية ، كانت تحت أحيحة بن الجلاح الأوسي فطلقها وخلف عليها هاشم بن عبد مناف فولدت له عبدالمطلب ، وقد جعلها بعضهم بنت زيد بن عمرو بن خداش .
انظر : حذف من نسب قريش لمؤرج السدوسي ، ص٤ ، نسب قريش للزبيري ، ص١٥ ، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، ص ٣٠٠ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ .

(٥) انظر المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها جـ١ ، ص ٦٥ .

(٦) انظر : فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ج٩ ، ص ٣٠٨ – ٣٠٩ .

الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ [١] .

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : " أن امرأة ثابت بن قيس[٢] أتت النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما أعتب عليه في خلق ولا دين ، ولكني أكره الكفر في الإسلام فقال رسول الله ﷺ : أتردين عليه حديقته " قالت . نعم ، قال رسول الله ﷺ " اقبل الحديقة وطلقها تطليقة " [٣] .

٣ – الظهار : وهو أن يقول الزوج لزوجته أنت علي كظهر أمي ، وقد كانوا يعدونه طلاقا محرما يدل على ذلك ما أخرجه ابن جرير – رحمه الله – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : " كان الرجل إذا قال لامرأته في الجاهلية أنت عليّ كظهر أمي حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر في الإسلام أوس [٤] ، وكان تحته ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة [٥] ، فظاهر منها فاسقط في يديه ، وقال : ما أراك إلا قد حرمت عليّ ، وقالت له مثل ذلك ، قال ، فانطلقي إلى رسول الله ﷺ فأتت رسول الله ﷺ فوجدت عنده ماشطة تمشط رأسه فقال : " يا خويلة ما أمرنا في أمرك بشيء " فأنزل الله على رسوله ﷺ فقال : " يا خويلة أبشري " قالت : خيرا فقرأ عليها ﴿ قد سمع الله ... الآيات ﴾ [٦] .

---

(١) سورة البقرة ، آية (٢٢٩) .

(٢) هو : ثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير ، أبو محمد أو أبو عبدالرحمن ، الأنصاري الخزرجي (من بني الحارث بن الخزرج) ، أمه من طيء خطيب رسول الله ﷺ ، وخطيب الأنصار وممن بشره النبي ﷺ بالجنة ، شهد أحدا وما بعدها ، واستشهد يوم اليمامة .
انظر : تاريخ الصحابة لابن حبان ، ص٥٣ ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبدالبر (بهامش الإصابة جـ١ ، ص١٩٣ – ١٩٦ ، الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار لابن قدامة ، ص ١١٧ – ١١٩ ، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، جـ ١ ، ص ١٩٧ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب الخلع وكيف الطلاق فيه ، وقول الله تعالى : { ولا يحل لكم أن تأخذوا مما أتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله } ج٥ ، ص٥٠٥ ، ح٥٢٧٣ .

(٤) هو : أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم ، الأنصاري الخزرجي (من بني عمرو بن عوف) ، أخو عبادة – شهد بدرا وما بعدها ، ومات في خلافة عثمان عن ٨٥ سنة وكان به لمم – هو زوج خولة بنت ثعلبة ، وصاحب الظهار .
انظر : تاريخ الصحابة لابن حبان ، ص ٣٣ ، الاستبصار لابن قدامة ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، الإصابة ، جـ ١ ، ص ٩٢ .

(٥) هي : خولة بنت مالك بن ثعلبة بن أصرم ، وقيل : خولة بنت ثعلبة ، ويقال بنت حكيم ، كانت تحت أوس بن الصامت – رضي الله عنه – ، وهي صاحبة الظهار والمجادلة ، ويقال لها خويلة .
انظر : تاريخ الصحابة ، ص ٩٣ ، الاستيعاب ، جـ ٤ ، ص ٢٨٢ – ٢٨٣ ، الإصابة ، جـ ٤ ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٣ .

(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المجلد ١٤ ، ج٢٨ ، ص ٣ .

٤ – الإيلاء : وهو أن يحلف الزوج ، من معاشرة زوجته مدة ، وكانوا يفعلونه إيذاء للمرأة ، فتترك لا هي مطلقة بحيث تحل لغيره من الأزواج ، ولا هي ذات زوج يعاشرها يروى أن الشافعي – رحمه الله – قال : " سمعت من أرضى من أهل العلم بالقرآن ، يقول : " كان أهل الجاهلية يطلقون بثلاث : الظهار ، والإيلاء ، والطلاق ، فأقرّ تعالى الطلاق ، وحكم في الظهار بما بين في القرآن " [١] .

ومن متعلقات الطلاق العدة ، وكانت العدة موجودة عندهم من الطلاق والوفاة فكانت المرأة في الجاهلية إذا مات زوجها ، اعتزلت الناس سنة كاملة لا تلبس جديدا ولا تزيل وسخا .

يدل على ذلك ما ثبت في البخاري من طريق زينب [٢] بنت أبي سلمة عن أم سلمة – رضي الله عنها – قالت جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله إن ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفنكحها ، فقال رسول الله ﷺ : " لا " مرتين أو ثلاثا كل ذلك يقول : " لا " ، ثم قال رسول الله ﷺ : " إنما هي أربعة أشهر وعشر ، وقد كانت إحداكن في الجاهلية ترمي البعرة على رأس الحول " [٣] .

قال حميد [٤] فقلت لزينب : " وما ترمي بالبعرة على رأس الحول ؟ فقالت زينب : كانت المرأة إذا توفي عنها زوجها دخلت حفشا [٥] ، ولبست شر ثيابها ، ولم تمس طيبا حتى تمر بها سنة ، ثم تؤتى بدابة حمار أو شاة أو طائر ، فتفتضّ به فقلما تفتض بشيء إلا مات ، ثم تخرج فتعطى بعرة فترمي بها ، ثم تراجع بعدُ ماشاءت من طيب أو غيره ... وسئل مالك ما تفتضّ به قال : تمسح به جلدها " [٦] .

---

(١) بلوغ الأرب ج٢ ، ص٥٠ .

(٢) هي : زينب بنت أبي سلمة بن عبدالأسد القرشية المخزومية ، أمها أم سلمة بنت أبي أمية (أم المؤمنين) . تزوج رسول الله ﷺ أمها وهي رضيعة ، وقيل انها ولدت بالحبشة وكانت تسمى برة فسماها – ﷺ – زينب ، ماتت بالمدينة سنة ٧٣هـ ، وحضرها ابن عمر – رضي الله عنه – .
انظر : تاريخ الصحابة لابن حبان ، ص ١١١ ، الاستيعاب لابن عبدالبر ، جـ ٤ ، ص٣١٩ – ٣٢٠ ، الإصابة لابن حجر ، جـ ٤ ، ص ٣١٧ ، تهذيب التهذيب لابن حجر ، جـ ١٢ ، ص٤٢١ ، ٤٢٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب تحد المتوفي عنها ، زوجها أربعة أشهر وعشرا ، ج٦ ، ص٥٢٣ – ٥٢٤ ، ح٥٣٣٦ .

(٤) هو حميد بن نافع الأنصاري ، أبو أفلح المدني ، مولى صفوان بن أوس ، روى عن أبي أيوب ، وزينب بنت أبي سلمة وعنه ابنه أفلح ، وأبو بكر بن حزم ، وشعبة ، ومالك .
انظر : التاريخ الكبير للبخاري ، جـ ٢ ، ص ٣٤٧ ، والجرح والتعديل ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ – ٢٢٣٠ .

(٥) الحفش : البيت الصغير الحقير ، وقيل الخُص بضم المعجمة ، انظر : فتح الباري ، ج٩ ، ص٣٩ .

(٦) صحيح البخاري ، المرجع نفسه ، ح٥٣٣٦ .

قال الألوسي [١] بعد إيراده لهذا الحديث : " واختلف في المراد برمي البعرة ، فقيل : هو إشارة إلى أنها رمت العدة رمي البعرة ، وقيل إشارة إلى أن الفعل الذي فعلته من التربص ، والصبر على البلاء الذي كانت فيه لما انقضى كان عندها بمنزلة البعرة التي رمتها استحقارا وتعظيما لحق زوجها .

وقيل بل ترميها على سبيل التفاؤل بعدم عودها إلى مثل ذلك " [٢] .

والعرب جميعهم على اختلاف أماكنهم كانت العادات والتقاليد عندهم متقاربة ولا سيما فيما يتعلق بطبقات المجتمع والعلاقات بينها ،ومكانة كل عنصر في هذا المجتمع ، وعليه فالمجتمع المدني قبل مجيء رسول الله ﷺ لا يعدو أن يكون جزءاً من المجتمع الجاهلي الذي تعرضنا لبيئته الاجتماعية ، وبينّا الأحوال السائدة في تعاملهم وعلاقات بعضهم ببعض ، على مستوى القبائل ، والأسر ، والأفراد .

وقد ذكرت ما كان عليه أهل المدينة من عداوة فيما بينهم ، فيوم بعاث الذي ورد ذكره في الحديث الصحيح من أشهر أيامهم وكان قبيل الإسلام بقليل ، – كما تقدم – في حديث البخاري [٣] عن عائشة – رضي الله عنها – وقد قام الرسول ﷺ فيهم خطيبا فذكّرهم بما كانوا عليه من عداء ، وضلالة ، فقال : " ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي " [٤] .

وليست الفوارق بين المجتمع المكي والمدني قبل الإسلام كبيرة في المجال الاجتماعي ، ولعل من أهمها ما امتازت به قريش من الإشراف على الحرم الذي يعظمه العرب جميعا وقد سبق بيان بعض ذلك [٥] .

وكان للأوس والخزرج تميز من الناحية التجارية والعلمية بحكم مجاورتهم لليهود ولذلك روي أنهم لما دعاهم الرسول ﷺ إلى الإسلام قال بعضهم لبعض : تعلمون والله يا قوم ، إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا تسبقنكم إليه " [٦] .

---

(١) هو : محمود شكري بن عبدالله الألوسي ، أبو المعالي مؤرخ وأديب سلفي من علماء العراق ، ولد ١٢٧٣هـ ، أوذي من طرف السلطان عبدالحميد ، وحاول نفيه إلى الأناضول فاعترضه أهل الموصل ، فرجع عن قراره بنفيه ، من مؤلفاته بلوغ الأرب ، وتوفي ١٣٤٢هـ ، انظر : ترجمته في الأعلام ، جـ ٧ ، ص ١٧٢ – ١٧٣ ، و " مشاهير علماء نجد وغيرهم " ص ٤٦٨ – ٤٨٤ .
ينظر : الأعلام ، لخير الدين الزركلي ١٧٦/٧ ، ١٧٧ .

(٢) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، ج٢ ، ص٥١ .

(٣) تقدم في ص٣٧ من هذا البحث .

(٤) من نص خطبة رواها البخاري ، وسيأتي تخريجها في النصوص ، ص ٩٩ .

(٥) من ذلك أنهم كانوا لا يقفون بعرفة ، ويطوفون في ثيابهم بخلاف غيرهم من العرب .
انظر : ص ١٩ من هذا البحث .

(٦) الرحيق المختوم ، مرجع سابق ، ص ١٣٥ .

وثبت في الصحيحين ما يدل على أن نساء الأنصار كن يغلبن الرجال ، ولكن ذلك لا يرقى إلى درجة المشاركة في الميراث ، حيث كانوا مثل غيرهم من العرب في ذلك ، فعن عمر – رضي الله عنه – قال : "كنا معشر قريش قوما نغلب النساء ، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم " (١) .

ومما يدل على أن الأنصار كانوا يوافقون قريشا في عدم توريث البنات ما رواه الإمام أحمد في مسنده عن جابر – رضي الله عنه – قال : جاءت امرأة سعد بن الربيع(٢) إلى رسول الله ﷺ فقالت يا رسول الله ، هاتان ابنتا سعد بن الربيع ، قتل أبوهما معك في يوم أحد شهيدا ، وإن عمهما أخذ مالهما ، فلم يدع لهما مالا ، ولا ينكحان إلا ولهما مال قال : فقال : " يقضي الله في ذلك " فنزلت آية الميراث " فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمهما فقال : " أعط ابنتي سعد الثلثين وأمهما الثمن وما بقي فهو لك " (٣) .

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها ، ج٦ ، ص٤٧٧ ، ح٥١٩١ . وصحيح مسلم ، كتاب الطلاق ، باب في الإيلاء واعتزال النساء ، ج٢ ، ص١١١١ ، ح١٤٧٩ .

(٢) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير الأنصاري الخزرجي أحد نقباء الأنصار وكان ممن شهد العقبة الأولى والثانية وبدرا وأحدا واستشهد بها – رضي الله عنه – .
انظر : الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص٣٤ – ٣٥ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص ٢٦ – ٢٧ .

(٣) مسند الإمام أحمد ، ج ٣ ، ص ٤٤٧ ، حـ ١٤٧٨٢ .

المطلب الثاني

البيئة الاجتماعية لخطب الرسول ﷺ في المرحلة المدنية

لقد جاء رسول الله ﷺ بالإصلاح الشامل لجميع المناحي الدينية ، والخلقية ، والاجتماعية ، فخلال المدة الوجيزة التي قضاها ﷺ في المدينة النبوية ، استطاع – بتوفيق الله – أن يبني مجتمعا مثاليا لم يشهد التاريخ مثله ، ولن يشهده إلى الأبد ؛ لأنه تكوّن وفق التوجيهات الربانية ، والأوامر النبوية ، وكانوا يتلقون هذه التوجيهات بشوق ولهفة واستعداد ، ويطبقونها تطبيقا كاملا ، ينبع من الإيمان الكامل بصلاحيتها في الدين والدنيا ، ولذا فقد كان هذا المجتمع ، مجتمع تعاون وتواصل وإخاء ، ومحبة ، وعدالة يسود فيه الأمن وينال فيه كل ذي حق حقه ، فلا تفاخر ، ولا طبقية وكل عضو في هذا المجتمع ، مسؤول وله حقوق ، وعليه واجبات حسب مكانته التي لا تنال ، بلون أو عنصر ، وإنما هي بتقوى الله عز وجل وفيما يلي سأتعرض لمميزات المجتمع الإسلامي ، التي ميزته عن المجتمع الجاهلي ، وأهم الوسائل التي عالج بها رسول الله ﷺ الفساد الاجتماعي الذي كان سائدا في المجتمع العربي قبل الهجرة في النقاط التالية :

١ – وحدة السلطة وطاعة ولي الأمر :

لقد صارت المدينة المنورة منذ قدم رسول الله ﷺ إليها مهاجرا عاصمة الأمة المسلمة ، وقائدها وموجّهها رسول الله ﷺ ، فالمؤمنون يجب أن يسلموا قيادتهم لله وللرسول ﷺ ، ويطيعوا الله ورسوله ﷺ ، والتوجيهات القرآنية والنبوية صريحة وحاسمة في هذا الموقف ، وفيما يلي نماذج من هذه النصوص .

قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [١] .

وقال تعالى : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ [٢] .

وقال تعالى : ﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾ [٣] .

---

(١) سورة النساء ، الآية (٥٩) .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٣٦) .
(٣) سورة النساء ، الآية (٨٠) .

وقال تعالى : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾ (٢) .

وقد كان صحابته ﷺ يستأذنونه ، في جميع أمورهم ، وخاصة الأمور الجامعة ، قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم ﴾ (٣) .

وقد بين رسول الله ﷺ أن إيثار حبه على الوالد والولد شرط في الإيمان ، فقال : " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين " (٤) .

قال النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث نقلا عن الخطابي (٥) : " لم يرد به حب الطبع بل أراد به حب الاختيار ؛ لأن حب نفسه طبع ولا سبيل إلى قلبه قال فمعناه لا تصدق في حبي حتى تفنيَ في طاعتي نفسك ، وتؤثر رضاي على هواك ، وإن كان فيه هلاكك " ونقل أيضا عن ابن بطال (٦) أنه قال : " معنى الحديث أن من استكمل الإيمان علم أن حق النبي ﷺ آكد عليه من حق أبيه وابنه والناس أجمعين ، لأن به ﷺ استنقذنا من النار ، وهدينا من الضلال " (٧) .

وهدد الله تعالى بالعقاب من آثر الأب أو الابن أو العشيرة على محبته تعالى ومحبة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٣١) .
(٢) سورة النساء ، الآية (٦٥) .
(٣) سورة النور ، الاية (٦٢) .
(٤) صحيح البخاري ، ، كتاب الإيمان ، باب حب رسول الله ﷺ من الإيمان ، ج١ ، ص١١ ، ح١٥ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ ، ج١ ، ص٦٧ .
(٥) هو : حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي ، أبو سليمان ، الفقيه المحدث ، يرجع نسبه إلى زيد ابن الخطاب أخي عمر ، من مؤلفاته : معالم السنن ، وبيان إعجاز القرآن ، ولد ٣١٩ ، ت ٣٨٨هـ . انظر : وفيات الأعيان ، ج٢ ، ص ٢١٤ – ٢١٦ ، والسير ، ج١٧ ، ص ٢٣ – ٢٨ ، والأعلام ، جـ٢ ، ص ٢٧٣ .
(٦) هو : أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري ، يعرف بابن اللحام أصله من قرطبة ، أخذ عن أبي عمر الطلمنكي ، وألف شرحا على البخاري ، مشهورا كبيرا ، كثير الفائدة ، وله كتاب في الزهد (ت ٤٤٤) ، انظر : الديباج المذهب ، جـ ٢ ، ص ٢١٠ .
(٧) شرح صحيح مسلم ، للإمام النووي ، ج٢ ، ص ١٥ – ١٦ .

من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ (١) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية إن الله أمر رسوله ﷺ بتوعد من آثر حب الأهل والقرابة ، والعشيرة على الله ورسوله وجهاد في سبيله ، وقال ﴿ فتربصوا ﴾ أي انتظروا ما يحل بكم من العقاب والنكال من الله عز وجل(٢) .

وبين رسول الله ﷺ أن إيثار حب الله ورسوله ﷺ على ما سواهما ، توجد به حلاوة الإيمان ، فقال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " (٣) .

وكان المسلمون في عهده ﷺ يحذرون أشد الحذر من مخالفة أمر الله وأمر رسول الله ﷺ فمع ما عندهم من قوة الوازع الديني كانوا على يقين من أن أي مخالفة تصدر عن أحدهم ، قد يطلع الله عليها رسوله ﷺ بالوحي ، أو ينزل فيها القرآن مثل ما وقع من بعضهم في إتيانه زوجته في ليل رمضان ، وبعد نومها .

فأنزل الله تعالى : ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ﴾ (٤) .

فقد روى في سبب نزول هذه الآية أن عمر – ﷺ – سمر ليلة مع النبي ﷺ فوجد امرأته قد نامت فأرادها ،فقالت : إني قد نمت ، فقال : ما نمت ثم وقع بها ، وصنع كعب بن مالك (٥) مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ فأخبره فأنزل الله ﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ... ﴾ (٦) .

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٢٤) .
(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٤٥١ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان ، ج١ ، ص١١ ، ح١٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان ، ج١ ، ص٦٦ ، ح٤٣ .
(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٨٧) .
(٥) كعب بن مالك بن أبي كعب بن القين الأنصاري السلّمي أبو عبدالله وقيل في كنيته غير ذلك صحابي جليل شهد العقبة وأحدا وما بعدها غير تبوك إذ كان أحد الثلاثة الذين خلفوا وتيب عليهم وقصته في ذلك مشهورة اختلف في تاريخ وفاته – – غير أنه كان بعد مقتل عثمان .
انظر : الاستيعاب ، جـ ٣ ، ص ٢٨٦ – ٢٩٠ ، والإصابة جـ ٣ ، ص ٣٠٢ ، والتقريب ، ص ٤٦١ .
(٦) تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٢٨٩ .

وكثيرا ما كان رسول الله ﷺ يخبر عن الأمر يكون في غيبته من أمثلة ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فقال إني مجهود ، فأرسل إلى بعض نسائه ،فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء ، ثم أرسل إلى أخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك : " لا والذي بعثك بالحق ما عندي إلا ماء فقال " من يضيف هذا الليلة رحمه الله " فقام رجل من الأنصار فقال أنا يا رسول الله فانطلق به إلى رحله فقال لامرأته هل عندك شيء ؟ قالت : لا إلا قوت صبياني ، قال : فعلليهم بشيء فإذا دخل ضيفنا فأطفئي السراج وأريه أنَّا نأكل ، فإذا أهوى ليأكل فقومي إلى السراج حتى تطفئيه قال : فقعدوا وأكل الضيف ، فلما أصبح غدا على النبي ﷺ ، فقال : " قد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة " [١] .

ومن ذلك ما جاء في القرآن من أخبار أهل النفاق ، مثل قوله تعالى : ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزءون ﴾ [٢] ، والأمثلة كثيرة تركتها خشية الإطالة .

٢ - موقف الإسلام من الطبقية :

لقد كان الفخر بالأنساب ، والاعتزاز بشرف الآباء والأجداد ، من الأمور المعروفة عند أهل الجاهلية ، ومن ثم فإن الإسلام جاء محاربا لكل التصورات الفاسدة التي لا تعتمد على أصل ، وقد جاءت نصوص كثيرة تؤكد أن الأفضلية ليست بالعنصر ، ولا هي بشرف الأب ، والجد ولكنها بالتقوى ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ [٣] .

وروي عنه ﷺ أنه قال : " إن الله قد أذهب عنكم عُبّية الجاهلية وفخرها بالآباء مؤمن تقي ، وفاجر شقي ، أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب " [٤] .

ولما قيل لرسول الله ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : " أتقاهم " ، قالوا : ليس

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب { ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة } ج٤ ، ص ٦٠٠ ، ح٣٧٩٨ . وصحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب إكرام الضيف وفضل إيثاره ، ج٣ ، ص١٦٢٤ ، ح٢٠٥٤ .

(٢) سورة البقرة ، الآية (١٣) .

(٣) سورة الحجرات ، الآية (١٣) .

(٤) سبق تخريجه في ص ٢٥ .

عن هذا نسألك ، قال : " فيوسف نبيّ الله " (١) .

وبيّن رسول الله ﷺ أن الأفضلية إنما هي بالتقوى والفقه فقال : " تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا " (٢) .

وقد دعا رسول الله ﷺ لبعض القبائل ، لإيمانها وأخبر عن آخرين أنهم عصوا الله ورسوله ، فقال : " غفار غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله ، وعصية عصت الله ورسوله " (٣) .

ونسب بعض القبائل إلى موالاته فقال : " قريش والأنصار وجهينة ، ومزينة ، وأسلم وغفار ، وأشجع مواليّ ، ليس لهم مولى دون الله ورسوله " (٤) .

وقد سوّى الإسلام بين أفراد المسلمين في الدماء قال ﷺ " المسلمون تتكافأ دماؤهم " (٥) .

وعند النسائي " المؤمنون تتكافأ دماؤهم ، وهم يد على من سواهم ، يسعى بذمتهم أدناهم ، لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده " (٦) .

ونقل ابن كثير – رحمه الله – في سبب قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ عن سعيد بن جبير (٧) قال : " قال ' يعني إذا كان عمدا الحرُّ بالحرّ ، وذلك أن حيّين من العرب اقتتلوا في الجاهلية قبل الإسلام بقليل فكان بينهم قتل وجراحات ، حتى قتلوا العبيد والنساء فلم يأخذ بعضهم من بعض حتى أسلموا فكان أحد الحيين يتطاول على الآخر في العُدّة والأموال ، فحلفوا ألا يرضوا حتى يقتل العبد منا الحر منهم ، والمرأة منا الرجل منهم ، فنزل فيهم ﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ (٨) " (٩) .

يقول سيد قطب – رحمه الله – معلقا على هذه الآية : " النداء للذين آمنوا بهذه الصفة التي تقتضي التلقي من الله ، الذين آمنوا به في تشريع القصاص ، وهو

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ ، ج٤ ، ص٥١٠ ، ح٣٤٩٠ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ﴾ ، ج٤ ، ص٥١١ ، ح٣٤٩٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ذكر أسلم وغفار ، ج٤ ، ص٥١٥ ، ح٣٥١٣ .

(٤) صحيح البخاري ، المرجع نفسه ، ح٣١٥١٢ .

(٥) سنن أبي داود ، كتاب الديات ، باب إيقاد المسلم بالكافر ، ج٤ ، ص٦٦٦ – ٦٦٧ ، ح٤٥٣٠ .

(٦) سنن النسائي ، كتاب القسامة ، باب القود بين الأحرار والمماليك ، ج٧ ، ص٣٨٧ ، ح٤٧٤٨ .

(٧) هو : سعيد بن جبير بن هشام أبو عبدالله ، تابعي جليل سمع من ابن عباس وابن عمر ، كان من أوائل مفسري القرآن ومن أوعية العلم ، قتله الحجاج سنة ٩٥هـ . انظر : ترجمته في التاريخ الكبير ، ج٣ ، ص ٤٦١ . والجرح والتعديل ، ج٤ ، ص٩ ، وتقريب التهذيب ، ص ٢٣٤ .

(٨) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٧٨) .

(٩) تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص٢٧٤ .

يناديهم لينبئهم أن الله فرض عليهم شريعة القصاص في القتلى ، بالتفصيل الذي جاء في الآية ... " (١) .

وحين أهمّ قريشا شأن المخزومية التي سرقت ، وطلبوا من أسامة - رضي الله عنه - الشفاعة فيها ، غضب رسول الله ﷺ لما كلمه فيها ، وقال له : " أتشفع في حد من حدود الله ، ثم خطب فقال : " وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٢) .

٣ - اعتناء الإسلام بالأخوة الإيمانية :

قدّم رسول الله ﷺ الأخوة الإيمانية على ما سواها من الروابط ، وسمى الدعوة إلى قبيلة أو عصبية دعوى جاهلية فقال : " ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية " (٣) .

وفي البخاري عن جابر - رضي الله عنه - قال : " غزونا مع رسول الله ﷺ وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا ، وكان من المهاجرين رجل لعّاب ، فكسع أنصاريا ، فغضب الأنصاريّ غضبا شديداً ، حتى تداعوا ، وقال الأنصاري ، يا للأنصار ، وقال المهاجريّ : يا للمهاجرين ، فخرج النبي ﷺ فقال " ما بال دعوى أهل الجاهلية ؟ ، ثم قال : ما شأنهم ؟ ، فأخبر بكسعة المهاجري الأنصاريّ ، قال ، فقال النبي ﷺ : " دعوها فإنها خبيثة " (٤) .

وأمر الله تعالى بالاعتصام بحبله ، ونهى عن التفرق ، قال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ (٥) .

ووردت أحاديث كثيرة تأمر بالاجتماع والائتلاف ، وتنهي عن التفرق ، منها ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله يرضى لكم ثلاثا ، ويسخط لكم ثلاثا ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا ،

---

(١) في ظلال القرآن ، ج١ ، ص١٦٤ .
(٢) سيأتي تخريج هذه الخطبة كاملة في نصوص الخطب إن شاء الله ص ٨٠ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ، ج٢ ، ص٣٩٤ ، حـ ١٢٩٧ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية ، ج٤ ، ص٥١٦ - ٥١٧ ، حـ٣٥١٩ .
(٥) سورة آل عمران ، آية (١٠٣) .

وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم ، ويسخط لكم ثلاثا قيل ، وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال " (١) .

وبين رسول الله ﷺ أن الإيمان لا يكمل حتى يحب المسلم لأخيه ، ما يحب لنفسه فقال : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " (٢) .

ورغب رسول الله ﷺ في المحبة في الله ، فقال : " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله تعالى ، ورجل قلبه معلق في المساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ... " (٣) .

ومن أسباب وجود حلاوة الإيمان : " أن يحب المرء لا يحبه إلا لله " كما سبق قريبا .

وقد قام رسول الله ﷺ بعد هجرته بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، فكانوا يتوارثون بذلك الإخاء دون القرابة .

يدل على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – في قوله تعالى : ﴿ ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم ﴾ (٤) .

قال : " كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الأنصاريّ المهاجريّ دون ذوي رحمه ، للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم فلما نزلت ﴿ ولكل جعلنا موالي – قال نسختها – والذين عقدت أيمانكم ﴾ (٥) .

ولا شك أن هذه المؤاخاة ولو لم تطل مدتها ، كان لها الأثر القويّ في تدعيم الأخوّة بين المسلمين ، فمما يدل على ذلك أن سعد بن الربيع – رضي الله عنه – لما آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالرحمن بن عوف – رضي الله عنه – قال له إني أكثر الأنصار ما لا ، فأقسم مالي نصفين ، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها ، فإذا انقضت عدتها فتزوجها ، فقال : بارك الله لك في أهلك دلوني على السوق " (٦) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة ، ج٣ ، ص١٣٤٠ ، ح١٧١٥.

(٢) سبق تخريجه في ص ٢٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، ج١ ، ص٢٠٠ ، ح٦٦٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل إخفاء الصدقة ، ج٢ ، ص٧١٥ ، ح١٠٣١ .

(٤) سورة النساء ، الآية (٣٣) .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الفرائض ، باب ذوي الأرحام ، ج٨ ، ص٣١٨ ، ح٦٧٤٧ .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، ج٤ ، ص٥٩٥ – ٥٩٦ ، ح ٣٧٨٠ .

وروى الترمذي بسنده عن أنس – رضي الله عنه – قال : : " لما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه المهاجرون قالوا : يا رسول الله ما رأينا قوما أبذل من كثير ، ولا أحسن مواساة من قليل ، من قوم نزلنا بين أظهرهم ، لقد كفونا المؤونة ، وأشركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله ، فقال النبي ﷺ " لا " ما دعوتم الله لهم ، وأثنيتم عليهم " قال أبو عيسى هذا حديث صحيح حسن غريب من هذا الوجه [١] .

وكما قال رسول الله ﷺ بالمؤاخاة بين أفراد المجتمع المدني من المؤمنين خاصة ، قام كذلك بكتابة وثيقة عامة توضح العلاقة بين المسلمين ، وغيرهم ممن تجمعه معهم الدار فقط ، وهم اليهود ، وكانت هذه الوثيقة واضحة البنود ، شاملة في توزيع الواجبات والحقوق ، وفيما يلي سأذكر بنود هذه الوثيقة باختصار :

١ – أنهم أمة واحدة دون الناس .

٢ – أن كل قبيلة تفدي عانيَها بالمعروف .

٣ – أن على جميع المؤمنين إعانة من عجز عن أداء ماعليه من حقوق .

٤ – أن يد المؤمنين واحدة في صد المعتدين الباغين عليهم جميعا .

٥ – ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصره عليه .

٦ – أن ذمة أهل الإسلام واحدة يجير عليهم أدناهم .

٧ – أن من تبع أهل الإسلام من اليهود ، فإن له النصر ، والأسوة [٢] غير مظلومين ولا متناصر عليهم .

٨ – أن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، إلا على سواء وعدل بينهم .

٩ – وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن .

١٠ – وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا ، عن بينة ، فإنه قود به ، إلا أن يرضى ولي المقتول .

١١ – وأن المؤمنين على القاتل كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه .

١٢ – وأنه لا يحل لمؤمن نصر محدث ولا إيواؤه ، ومن فعل ذلك فعليه لعنة الله ، وغضبه إلى يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

١٣ – وأن مرد كل خلاف أو شجار بين أهل هذه الصحيفة إلى الله ، وإلى رسول الله ﷺ .

---

(١) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب (٤٤) ، ج٤ ، ص٦٥٣ ، ح٢٤٨٧ .

(٢) قال في النهاية " الأسوة القدوة والمواساة المشاركة والمساهمة في المعاش والرزق " ، جـ ١ ، ص ٥٠ .

١٤ – وأن بينهم النصر على من دهم يثرب .

١٥ – أنه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة إلا من ظلم أو أثم ، وأن الله جار لمن بر واتقى [١] .

هذه بنود الميثاق الأساسية ، ويتضح من خلالها أنها أعطت أهل الإسلام الحرية في عقد الصلات والأحلاف ، ولو مع غير المسلمين ، وحددت ضوابط العلاقة بين أفراد المجتمع كله ، وجعلت التعاون واجبا دينيا بين أفراد الأمة المسلمة ، وحدّدت المرجعية في كل خلاف بين أهل هذا الميثاق ، وأعطتهم حرية التنقل والإقامة ، مع الأمن على الأنفس والأموال ، ولم تفرض على غير المسلمين ، من أهل هذا الميثاق الدخول في الدين ، بل فرضت لهم النصرة ما داموا تبعا للمسلمين ، فيا له من ميثاق ما أروعه ! ويا له من دستور ما أعدله !

وبعد القيام بالمؤاخاة والأمر بالمحبة في الله ، وكتابة الوثيقة التي تضبط العلاقات ، وتبين الحقوق والواجبات أمر رسول الله ﷺ بتحصيل أسباب المحبة وتقويتها بين المسلمين ، وذلك مثل إفشاء السلام ، وطلاقة الوجه ، والإحسان ، وبذل المعروف ، وهذه أدلة ذلك :

أ – إفشاء السلام :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم " [٢] .

وروى : عنه ﷺ أنه قال : " يا أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام " [٣] .

وعن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن رجلا سال رسول الله ﷺ : " أي الإسلام خير؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " [٤].

ب – طلاقة الوجه للإخوان في الدين :

وطلاقة وجه المسلم في وجه أخيه ، تشرح صدره وتزيد في محبته لأخيه الذي يبش في وجهه ، وهي من الأخلاق الفاضلة ، وقد كان ﷺ دائم البشر .

---

(١) انظر : الروض الأنف ، جـ٤ ، ص٢٤٠ – ٢٤٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون ، وأن محبة المؤمنين من الإيمان ، ج١ ، ص٧٤ ، ح٩٣ .

(٣) سنن الترمذي ، كتاب صفة القيامة ، باب ، ٤٢ ، ج٤ ، ص٦٥٢ ، ح٢٤٨٥ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب السلام للمعرفة وغير المعرفة ، ج٧ ، ص١٦٦ ، ح٦٢٣٦ .

وقد ورد فيها قوله ﷺ : " لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق " [١] . وقوله أيضا : " وتبسمك في وجه أخيك صدقة " [٢] ، وهذا من فضل الله على هذه الأمة في تيسير طرق الخير وكثرتها ، فطلاقة الوجه للإخوان لا تكلف عناء ولا تحتاج إلى بذل مال ، وكذلك التبسم في وجه الأخ ، مع ما يجرّانه من التآلف والمحبة ، وعجبا كيف غاب هذا الخلق عن كثير من المسلمين ، واعتاده جمع من غير المسلمين ، وخاصة الدبلوماسيين والمشرفين على الأعمال الخيرية – كما يسمونها – وهذا الأمر قد أدى إلى إعجاب بعض الضعفاء من المسلمين بأخلاق أهل الكفر ، حتى وصفهم البعض بأنهم أكثر وفاء ، وأصدق حديثا من المسلمين ، ولعل هؤلاء لم يلحظوا أن من لم يف لخالقه بعهده وميثاقه ، لا وفاء له ، ولا خُلق له .

ج – بذل المعروف والإحسان إلى عباد الله تعالى ، وقد ورد في فضله ، والحث عليه نصوص كثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ منها قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد ﴾[٣].

ومنها قوله تعالى : ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ﴾ [٤] .

وأيضا جعل الله الزكاة أحد أركان الإسلام لتطهير أصحابها وتزكيتهم ، ولإغناء الفقراء وذوي الحاجة من المسلمين قال تعالى : ﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم ﴾ [٥] .

وفي حديث معاذ – الذي تقدم – أن رسول الله ﷺ لما بعثه إلى اليمن قال له : " إنك تأتي قوما أهل كتاب ، فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله .. " [٦] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء ، ج٤ ، ص٢٠٢٦ ، ح٢٦٢٦ . والخطاب فيه لأبي ذر – ﷺ – .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في صنائع المعروف ، ج٤ ، ص٣٣٩ ، ح١٩٥٦ ، ورواه ابن حبان أيضا وصححه جـ ٢ ، ص ٢٢١ ، حـ ٤٧٤ .

(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٦٧) .

(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٧٧) .

(٥) سورة التوبة ، الآية (١٠٢) .

(٦) تقدم تخريجه في ص ٢٨ .

والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا ، وكذلك الأحاديث منها قوله ﷺ في خطبة : " تصدق رجل من دينار ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، حتى قال : ولو بشق تمرة " (١) .

وبيّن رسول الله ﷺ أن الغبطة لا ينبغي أن تكون إلا في أمرين ، فقال : " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله ما لا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها " (٢) .

وقال رسول الله ﷺ : " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربّي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل " (٣) .

وهذه النصوص تدل على الحث على الصدقة ، وفضلها لأن بها تقوية الصلة بين أفراد المجتمع ، وتكافله فيما بينه ، فالإحسان يؤدي إلى المحبة ، ويذهب وَحَرَ الصدور ، كما جاء في حديث آخر عند الترمذي ونصه : " تهادوا فإن الهدية تذهب وحَر الصدر ، ولا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة " قال أبو عيسى : غريب من هذا الوجه (٤) .

د – حذّر رسول الله ﷺ من كل ما يعكّر صفو المودة والإخاء بين أهل الإسلام ، مثل الغش والحسد ، والنميمية ، والتقاطع ، والتدابر ، والتناجش ، والسوم على سوم الأخ ، والخطبة على خطبته ... ، من ذلك قوله ﷺ : " المسلم أخو المسلم لا يخونه ، ولا يكذبه ، ولا يخذله ، كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه التقوى ها هنا ، بحسب امريء من الشر أن يحقر أخاه المسلم " (٥) .

وقال رسول الله ﷺ " لا تحاسدوا ولا تناجشوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يحقره ولا يخذله ، التقوى ها هنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات ،

---

(١) سيأتي تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة ، ج١ ، ص٣٢ ، ح٧٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافر وقصرها ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، ج١ ، ص٥٥٨ ، ح٨١٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة من كسب طيب ، ج٢ ، ص٤٣٣ ، ح١٤١٠ ، وكتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى (تعرج الملائكة) جـ٨ ، ص٥٣٦ ، حـ ٧٤٣٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب ، ج٢ ، ص ٧٠٢ ، ح١٠١٤ .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب الولاء والهبة ، باب حث النبي ﷺ على التهادي ، ج٤ ، ص٤٤١ ، ح٢١٣٠ .

(٥) الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم ، ج٤ ، ص٣٢٥ ، حـ ١٩٢٧ .

بحسب امريئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " (١) .

هـ - الترغيب في الإصلاح بين أهل الإسلام ، ومنع الهجران :

ومع ما تقدم من الوسائل التي تنمي المحبة ، وتبعد عنها الشوائب والإحن ، فقد رغب الشرع في الإصلاح بين الناس ونهى عن الهجران فوق الثلاث ، وحذر منه .

من هذه النصوص قوله تعالى : ﴿ لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما ﴾ (٢) .

وقوله ﷺ : " كل سلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته ، فتحمله عليها ، أو ترفع عليها متاعه صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة " (٣) .

وفي منع الهجران فوق الثلاث يقول رسول الله ﷺ " لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال ، يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا ، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام " (٤) .

٤ - اهتمام الإسلام بتكوين البيت المسلم :

لقد اهتم الإسلام بتكوين الأسرة المسلمة ، فحث رسول الله ﷺ الشباب المستطيعين بذل الصداق والنفقة علىالزواج ، فقال : " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر ، وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " (٥) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله ، ج٤ ، ص١٩٨٦ ، ح٢٥٦٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية (١١٤) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب فضل حمل متاع صاحبه في السفر ، ج٣ ، ص٣٠٤ ، ح٢٨٩١ . وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف ، ج٢ ، ص٦٩٩ ، ح١٠٠٩ ، واللفظ لمسلم .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الهجرة ، وقول رسول الله ﷺ : " لا يحل لرجل أن يهجر أخاه فوق ثلاث " ، ج٧ ، ص ١١٩ ، ح٦٠٧٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي ، ج٤ ، ص ١٩٨ ، ح٢٥٦٠ ، واللفظ لمسلم .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب قول النبي ﷺ من استطاع منكم الباءة ... ، ج٦ ، ص٤٣٨ ، ح٥٠٦٥ - ٥٠٦٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب النكاح ، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه ووجد مؤنة ، ج٢ ، ص١٠١٨ - ١٠١٩ ، ح١٤٠٠ .

ولما بلغ رسول الله ﷺ أن بعض أصحابه قال : " لا أتزوج النساء ، حمد الله وأثنى عليه فقال : " ما بال أقوام قالوا كذا وكذا ؟ لكني أصلي وأنام وأصوم ، وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (١) .

وقال : " تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم " (٢) .

ونظّم الإسلام العلاقة الأسرية وحدد المسؤوليات والواجبات ، فأوجب على النساء طاعة أزواجهن ، وأوصى الرجال بنسائهم خيرا ، وأوجب العدل بين الأولاد في العطية ، وأوجب عليهم برور آبائهم ، وأمر بصلة القرابة عامة والإحسان إليهم .

ففي تحديد المسؤولية يقول رسول الله ﷺ : " كلكم راع ومسؤول عن رعيته والإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل في أهله راع ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ، ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم في مال سيده راع ومسؤول عن رعيته " (٣) .

وأوصى ﷺ بالنساء خيرا ، فقال : " استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج " (٤) .

" قيل معناه اقبلوا وصيتي فيهن واعملوا بها ، وارفقوا بهن وأحسنوا عشرتهنّ " (٥) ، وقال ﷺ : " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم " (٦) .

وأمر رسول الله ﷺ بالعدل بين الزوجات وبين الأولاد فعن النعمان (٧) بن بشير – رضي الله عنهما – قال تصدق عليَّ أبي ببعض ماله ، فقالت أمي عمرة بنت رواحة (٨) :

---

(١) صحيح مسلم ، نفس المرجع ، ح١٤٠١ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب تزويج الأبكار ، ج٢ ، ص٥٤٢ ، ح٢٠٥٠ ، وسنن النسائي ، كتاب النكاح ، باب كراهية تزويج العقيم ، ج٦ ، ص٣٧٣ – ٣٧٤ ، ح٣٢٢٦ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب تأويل قوله تعالى : { من بعد وصية توصون بها } ، ج٣ ، ص٢٥٨ ، ح٢٧٥١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، ج٣ ، ص١٤٥٨ ، ح٢٨٢٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب خلق آدم وذريته ، ج٤ ، ص٤٤٧ ، ح٣٣٣١ . وصحيح مسلم كتاب الرضاع ، باب الوصية بالنساء ، جـ ٢ ، ص ١٠٩١ ، حـ ١٤٦٨ .

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٦ ، ص ٤٢٤ .

(٦) سنن الترمذي ، كتاب الرضاع ، باب ما جاء في حق المرأة على زوجها ، ج٣ ، ص ٤٥٧ ، ح١١٦٢ .

(٧) هو : النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي ، من صغار الصحابة ، ولد قبل وفاة النبي بثمان سنين وسبعة أشهر ، وهو أول مولود للأنصار بعد الهجرة ، روى عن النبي ، وعنه سالم ، وعروة توفي سنة (٦٥) ، انظر أسد الغابة جـ ٥ ، ص ٢٢ ، والإصابة ، جـ ٣ ، ص ٥٢٩ – ٥٣٠ .

(٨) هي : عمرة بنت رواحة ، أخت عبدالله بن رواحة ، وهي من فضليات الصحابيات ، انظر لترجمتها : الاستيعاب جـ ٤ ، ص٣٥٢ ، وأسد الغابة ، جـ ٥ ، ص٥٠٩ – ٥١٠ ، والإصابة ، جـ ٤ ، ص٣٥٥ .

لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده على صدقتي ، فقال رسول الله ﷺ " أفعلت هذا بولدك كلهم ؟ قال : لا ، قال : اتقوا الله واعدلوا في أولادكم ، فرجع أبي فرد تلك الصدقة " (١) .

وفي العدل بين الزوجات يقول ﷺ : " من كان له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه ساقط " (٢) .

وحث رسول الله ﷺ على رعاية الضعفاء ؛ كالأرامل واليتامى والبنات ، وأخبر أن كافل اليتيم في الجنة بمكان قريب منه ﷺ ، فقال : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ، واشار بالسبابة والوسطى ، وفرّج بينهما " (٣) .

وقال : " كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة ، وأشار الراوي وهو مالك بن أنس بالسبابة والوسطى (٤) .

ورغب رسول الله ﷺ في إعالة البنات ، والقيام عليهن ، فقال : " من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين وضم أصابعه " (٥) ، وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت دخلت عليّ امرأة ومعها ابنتان لها تسأل ، فلم تجد عندي شيئا غير تمرة واحدة فأعطيتها اياها ، فأخذتها فقسمتها بين ابنتيها ، ولم تأكل منها شيئا ، ثم قامت فخرجت وابنتاها ، فدخل عليّ النبي ﷺ فحدثته حديثها فقال : " من ابتلي من البنات بشيء فأحسن إليهن كن له سترا من النار " (٦) .

ورفعا للحرج الذي قد ينشأ من تنافر الطباع بين الزوجين ، فقد أباح الإسلام الطلاق ، والخلع ، والفداء الذي تقدم أنه كان معروفا في الجاهلية .

وقضى في الإيلاء أن لا يتجاوز أربعة أشهر خشية الإضرار بالمرأة قال تعالى : ﴿ للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم وإن عزموا الطلاق فإن الله سميع عليم ﴾ (٧) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب الإشهاد في الهبة ، ج٣ ، ص١٨٧ ، ح٢٥٨٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، ج٣ ، ص ١٢٤٠ – ١٢٤١ ، ح١٦٢٣ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في القسم بين النساء ، جـ ٢ ، ص ٦٠١ ، حـ ٢١٣٣ ، وسنن الترمذي كتاب النكاح ، باب ما جاء في التسوية بين الضرائر ، جـ ٣ ، ص ٤٣٨ ، حـ ١١٤١ ، سنن النسائي ، كتاب عشرة النساء ، باب ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض ، ج٧ ، ص ٧٤ – ٧٥ ، ح٣٩٥٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب اللعان ، ج ٦ ، ص ٥١٥ ، ح٥٣٠٥ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب الإحسان إلى الأرملة ، والمسكين ، واليتيم ، ج٤ ، ص٢٢٨٦ ، ح٢٩٨٣ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب الإحسان إلى البنات ، ج٤ ، ص٢٠٢٨ ، ح٢٦٣١ .

(٦) صحيح مسلم ، المرجع نفسه ، ص٢٠٢٧ ، ح٢٦٢٩ .

(٧) سورة البقرة ، الآيتان (٢٢٥ – ٢٢٦) .

وبين الله حكم الظهار في سورة المجادلة فقال : ﴿ والذين يظاهرون منكم من نسائهم ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللآئي ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسّا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسّا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ﴾ (١) .

وهذه الآيات توضح أن الظهار ليس محرما للزوجة تحريما نهائيا ، ولكن قبل العود إلى الجماع ، أو العزم على مراجعة الزوجة يجب أن يؤدي الكفارة ، بأحد هذه الأمور المذكورة ، وظاهر الآية يدل على أنه لا ينزل إلى الثاني حتى لا يجد الأول ولا إلى الثالث حتى لا يستطيع الثاني .

وقد أعطى الإسلام المرأة جميع حقوقها ، وخاصة في الارث الذي كان الظلم فيه بالغ البشاعة ، وأعاد إليها مكانتها الاعتبارية التي تتوافق مع تكوينها الخلقي ؛ فهي راعية في بيت زوجها لها حقوق ، وعليها واجبات ، وقد حظيت باهتمام بالغ من الرسول ﷺ ، فقد قال في خطبة جامعة : " استوصوا بالنساء خيرا " وكان في تعامله معهن نبراسا يستضاء به ، وهذا يؤكد زيف الدعوى التي يروج لها دعاة العري والتفسخ والتبرج ، باعتبار ذلك مظهرا من مظاهر الحرية والمساواة المزعومة .

وإذا تأملنا هذه الأسس التي قام عليها مجتمع الإسلام ، وما تتضمنه التوجيهات الربانية من جلب لأسباب المحبة والإخاء ، وحث على تنمية المودة والتقارب ، وإبعاد وتحذير من أسباب الفرقة والتنافر ، وحسم مادة ما قد يقع من ذلك ، ومنع التمادي فيه ، علمنا أن نموذجية ذلك المجتمع ، وانتصاره ، ليست ناشئة من فراغ ، بل بتوفيق من الله عز وجل ، وبفضل جهود القائد المؤيد من الله بالوحي ، والعصمة ، وقد يعجب المتأمل الذي يريد المقارنة بين هذين المجتمعين ، من سرعة هذا التغير الجذري في حياتهم ، فتراث أجيال وقرون ينتزع من قلوب الناس خلال سنوات معدودة ، وبدون عودة ؛ إذ كان الإقناع من طرف الداعي سببا في اقتناع المدعوين حتى رضوا بالعودة إلى ما تقتضيه الفطرة ويوجبه الميثاق

(١) سورة المجادلة من الآية (١ إلى ٤) .

المأخوذ على كل بني آدم ، في قوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ، قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾ [١] .

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٧٢) .

الفصل الأول

نصوص خطب النبي ﷺ وسماتها

وفيه مبحثان

المبحث الأول : نصوص خطب النبي ﷺ.

المبحث الثاني : السمات العامة لخطب النبي ﷺ.

الفصل الأول

نصوص خطب النبي ﷺ وسماتها

لقد جاء رسول الله ﷺ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويبعد عن المجتمع الذي بعث فيه كل الأخلاق والعادات التي لا يرضاها خالقهم ، وقد اتخذ لهذا الهدف وسائل متعددة من بينها الخطب ، فكان يخطب في المناسبات المختلفة ، ويتناول موضوعات متنوعة ، في العقائد ، والأحكام ، والترغيب والترهيب ، وغير ذلك .

وهذه نصوص الخطب التي أتناولها في هذا البحث – إن شاء الله – مرتبة حسب موضوعاتها .

المبحث الأول

نصوص خطب النبي ﷺ

أولاً : الخطب المشتملة على إخبار بغيب :

الخطبة الأولى : في بيان أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ...

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فقام يصلي فأطال القيام جدّاً ثم انصرف ، وقد تجلت الشمس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن الشمس والقمر من آيات الله ، وإنهما لاينخسفان[١] لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما ، فكبروا وادعوا الله وصلوا وتصدقوا ، يا أمة محمد إن مِن أحدٍ أغيرُ من الله أن يزني عبده أو تزني أمته ، يا أمة محمد والله لو تعلمون ماأعلم لبكيتم كثيرا ، ولضحكتم قليلا ألا هل بلغت " [٢] .

وفي رواية لمالك في الموطأ : " إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا

---

(١) خسوف الشمس والقمر ذهاب نورهما ، وإظلامهما ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين المبارك بن محمد المعروف بابن الأثير ، ج٢ ص٣١ ، المكتبة العلمية بيروت .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الكسوف ، باب صلاة الكسوف ، ج٢ ، ص ٦٢٤ ، ح٩٠١ ، وصحيح البخاري ، كتاب الكسوف ، باب الصدقة في الكسوف ، ج١ ، ص٣١٧ ، ح١٠٤٤ ، واللفظ لمسلم . وموطأ الإمام مالك ، ج١ ، ص ٣٧٦ ، ح ٤٤٦ .

ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا ، ورأيت النار فلم أرّ كاليوم منظرا قطُّ ، ورأيت أكثر أهلها النساء ، قالوا لمَ يا رسول الله ؟ قال : لكفرهن ، قيل أيكفرن بالله ؟ ، قال : ويكفرن العشير ويكفرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شينا قالت ما رأيت منك خيرا قط " (١) .

وفي بعض روايات هذا الحديث زيادة : " ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه ، لقد جيىء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها (٢) ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن (٣) يجر قصبه (٤) في النار كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال إنما تعلق بمحجني ، وإن غفل عنه ذهب به .

وحتى رأيت صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ، ولم تدعها تأكل من خشاش (٥) الأرض حتى ماتت جوعا .

ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ، ولقد مددت يدي أريد أن أتناول من ثمرها (٦) لتنظروا إليه ، ثم بدا لي أن لا أفعل ، فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه " (٧) .

وفي رواية أخرى عن أسماء – رضي الله عنها – زيادة : " وإنه قد أوحيّ إليَّ أنكم تفتنون (٨) في القبور قريبا ، أو مثلَ فتنة المسيح الدجال – لا أدري أي ذلك قالت أسماء – فيؤتى أحدكم فيقال ما علمك بهذا الرجل ؟ (٩) فأما المؤمن أو الموقن " لا أدري أي ذلك قالت أسماء " . فيقول : هو محمد رسول

---

(١) شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك ، جـ ١ ، ص ٣٧٧ – ٣٧٨ .
(٢) لفح النار حرها ووهجها ، النهاية ، ج٤ ، ص ٢٦٠ .
(٣) المحجن : عصا معقفة الرأس ، يجمع على محاجن . انظر : النهاية ، ج١ ، ص ٣٤٧ .
(٤) القصب بضم فسكون واحد الأقصاب ، وهي الأمعاء . انظر : الفائق في غريب الحديث ، ج٢ ، ص ١٩٩ ، محمود بن عمر الزمخشري . والنهاية في غريب الحديث والأثر ، جـ ٤ ، ص ٦٧ .
(٥) هوامها وحشراتها ، الواحدة خشاشة . النهاية ج٢ ، ص ٣٣ .
(٦) الثمر الرطب ما دام في رأس النخلة . النهاية ، ج١ ، ص ٢٢١ .
(٧) صحيح مسلم كتاب الكسوف ، باب ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، ج٢ ، ص ٦٢٣ ، ح ٩٠٤ .
(٨) يعني تمتحنون وتبتلون . انظر الفائق في غريب الحديث ، ج٣ ، ص ٨٧ .
(٩) قال النووي – رحمه الله – : " ولا يقول رسول الله ﷺ امتحانا وإغرابا عليه لئلا يتلقن منهما إكرام النبي ﷺ ورفع مرتبته فيعظمه هو تقليدا لهما لا اعتقادا " شرح مسلم ، ج٦ ، ص٢١٠ .

الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا – ثلاث مرار – فيقال له : نم ، قدكنا نعلم إنك لتؤمن به فنم صالحا [١] ، وأما المنافق أو المرتاب : لا أدري أي ذلك قالت أسماء : فيقول " لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلت " [٢] .

الخطبة الثانية : في بيان فتن آخر الزمان :

عن عبدالله بن عمرو – ﷺ – قال كنا مع رسول الله ﷺ في سفر ، فنزلنا منزلا فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل [٣] ، ومنا من هو في جشره [٤] إذ نادى منادى رسول الله ﷺ الصلاة جامعة فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم .

وإن أمتكم هذه جعل عافيتها [٥] في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق [٦] بعضها بعضا .

وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه مُهلكتي ، ثم تنكشف [٧] ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن : هذه هذه .

فمن أحب أن يزحزح [٨] عن النار ويدخل الجنة ، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه .

ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه [٩] فليطعه إن استطاع ، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر " [١٠] .

---

(١) قال الزرقاني في شرح الحديث : " فيقال له نم " حال كونك (صالحا) منتفعا بأعمالك إذ الصلاح كون الشيء في حد الانتفاع " شرح الزرقاني ج١ ، ص ٣٨٢ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري كتاب الكسوف ، باب صلاة النساء مع الرجال في الكسوف ، ج٢ ، ص٣٢١ ، ح١٠٥٣ .
وصحيح مسلم ، كتاب الكسوف ، باب ماعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار ، ج٢ ، ص٦٢٤ ، ح٩٠٥ ، وموطأ الإمام مالك ج١ ، ص٣٨١ ، ٣٨٢ .

(٣) ينتضل : يرتمي بالسهام . النهاية ج٥ ، ص ٧٢ .

(٤) الجشر قوم يخرجون بدوابهم إلى المرعى . النهاية في غريب الحديث والأثر ج١ ، ص٢٧٣ .

(٥) العافية : السلامة من الأسقام والبلايا ، وهي الصحة وضد المرض . النهاية ، ج٣ ، ص٢٦٥ .

(٦) ترقق : أي تشوق بتحسينها وتسويلها . النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ، ص ٢٥٣ .

(٧) أي ترتفع ، قال في اللسان : " الكشف رفعك الشيء عما يواريه ، ويغطيه ، كشفه ، يكشفه ، كشفا ، وكشفه فانكشف " لسان العرب لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور ، ج٩ ، ص٣٣٠ .

(٨) زحزحه عن مكانه نحاه وباعده ، ويزحزح عن النار يباعد عنها . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ، ص٢٩٧ .

(٩) أي خالص عهده . النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج١ ، ص٢٢١ .

(١٠) صحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء ، الأول فالأول ، ج٣ ، ص١٤٧٣ ، ح١٨٤٤ .

الخطبة الثالثة : في بيان أحوال أهل المحشر :

عن ابن عباس – ﷺ – قال : قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا بموعظة فقال : " يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة [١] عراة غرلا [٢] ﴿ كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ [٣] ، ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام ، ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يارب أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح : ﴿ وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ، إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم ﴾ [٤] ، قال فيقال : إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم " [٥] .

الخطبة الرابعة : في بيان بعض أوصاف أهل الجنة وأهل النار :

عن عياض بن حمار [٦] المجاشعي – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبة : " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ماجهلتم مما علمني يومي هذا ، كل مال نحلته [٧] عبدا حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاءَ [٨] كلّهم ، وإنهم

---

(١) حفاة بضم الحاء ، وتخفيف الفاء : جمع حاف أي بلا خف ولا نعل . انظر : فتح الباري ، ج١١ ، ص٣٩٠ .

(٢) غرلا يعني غير مختونين والأغرل هو الأقلف . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ج٣ ، ص٣٦٢ ، وشرح النووي لصحيح مسلم ، ج١٧ ، ص ١٩٣ ، وفتح الباري ، ج١١ ، ص٣٩١ .

(٣) سورة الأنبياء جزء من الآية : ١٠٤ .

(٤) سورة المائدة ، جزء من الآية ١٧ ، والآية ١١٨ كاملة .

(٥) صحيح البخاري في مواضع منها كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى ، ج٤ ، ص٤٥٦ ، ح٣٣٤٩ ، وأيضا ٣٤٤٧ . وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، ج٤ ، ص ٢١٩٤ ، ٢١٩٥ ، ح٢٨٦٠ .

(٦) هو : عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال ، المجاشعي التميمي ، روى عن النبي ﷺ وروى عنه مطرف بن عبدالله بن الشخير ، وأخوه يزيد ، والعلاء بن يزيد ، وعقبة بن صهبان ، والحسن ، قال ابن حجر في الإصابة أبوه باسم الحيوان المعروف ، وصحفه البعض ظنا منهم أن أحدا لا يسمى بذلك (قلت) وجاء في أسد الغابة عياض بن حماد بن أبي حماد بن ناجية .. الخ . والظاهر أنه يعنيه لاتفاق النسب بعد حَمّاد والرواة عنه ، توفي في حدود (٥٠) ، انظر : أسد الغابة جـ ٤ ، ص١٦٢ ، والإصابة ، جـ٣ ، ص٤٨ ، وتهذيب التهذيب ، جـ٨ ، ص٢٠٠ .

(٧) النّحل العطية ، والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق ، يقال نحله ينحله نُحلا بالضم والنحلة : العطية ، شرح النووي ج١٧ ، ص ١٩٧ ، والنهاية في غريب الحديث ، ج٥ ، ص ٢٩ .

(٨) حنفاء : أي طاهري الأعضاء من المعاصي ، أو مسلمين ، شرح النووي ، ج١٧ ، ص١٩٧ ، النهاية ج١ ، ص٤٥١ .

أتتهم الشياطين فاجتالتهم [١] عن دينهم ، وحرمتْ عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم [٢] ، عربهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهل الكتاب ، وقال إنما بعثتك لأبتليك [٣] وأبتلي بك ، وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء [٤] تقرؤه نائما ويقظانا [٥] .

وإن الله أمرني أن أحرّق قريشا ، فقلت رب إذاً يثلغوا [٦] رأسي فيدَعوه خبزة قال : استخرجهم كما استخرجوك واغزهم نُغْزك [٧] ، وأنفق فسننفق عليك ، وابعث جيشا نبعث خمسة مثله ، وقاتل بمن أطاعك من عصاك .

قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط [٨] متصدق موفق .

ورجل رحيم رقيق [٩] القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيفٌ [١٠] متعففٌ [١١] ذوعيال .

قال وأهل النار خمسة : الضعيف الذي لا زبر [١٢] له الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا .

والخائن الذي لا يخفى [١٣] له طمع وإن دق إلا خانه .

ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك .

---

(١) اجتالتهم : استخفتهم ، يقال اجتاله إذا ذهب به ، شرح النووي ، جـ ١٧ ، ص ١٩٧ ، والنهاية ج١ ، ص٣١٧ .

(٢) المقت أشد البغض . النهاية ج٤ ، ص٣٤٦ .

(٣) لأبتليك : معناه لأمتحنك بما يظهر من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة . شرح النووي ، ج١٧ ، ص ١٩٨ .

(٤) لأبتليك . قال النووي : " أما قوله تعالى لا يغسله الماء فمعناه محفوظ في الصدور لا يتطرّقُ إليه الذهاب بل يبقى على مر الأزمان " شرح النووي ، ج١٧ ، ص ١٩٨ .

(٥) قال النووي : " قال العلماء : معناه يكون محفوظا لك في حالة النوم واليقظة ، وقيل تقرؤه في يسر وسهولة " نووي المرجع نفسه .

(٦) أن يشدخوه ويشجّوه ، وقيل ضرب الرطب بيابس حتى يشدخ . شرح النووي ج١٧ ، ص ١٩٨ ، والنهاية ج١ ، ص ٢٢٠ .

(٧) قال النووي : نُغزك بضم النون أي نعينك " شرح النووي جـ ١٧ ، ص١٩٨ . .

(٨) المقسط العادل يقال : " أقسط يقسط ، فهو مقسط إذا عدل " نووي ج١٧ ، ص١٩٩ ، والنهاية ج٤ ، ص٦٠.

(٩) رقيق القلب لينه ، ومنه الحديث " أهل اليمن أرق قلوبا " انظر : النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ، ص٢٥٢ .

(١٠) العفيف هو الذي يكف عن الحرام ، وسؤال الناس ، انظر : النهاية ج٣ ، ص ٢٦٤ .

(١١) والاستعفاف والتعفف طلب العفاف ، النهاية نفس المرجع .

(١٢) زبر أي لا عقل له يزبره وينهاه عن الإقدام على ما لا ينبغي ، النهاية ، ج٢ ، ص ٢٩٣ .

(١٣) يخفى أي يظهر قال أهل اللغة يقال خفيتُ الشيء إذا أظهرته ، وأخفيته إذا سترته وكتمته . ومنه قوله تعالى { إن الساعة آتية أكاد أخفيها } في قراءة من قرأ بفتح الهمزة . شرح النووي ج١٧ ، ص١٩٩ ، والنهاية ، ج٢ ، ص ٥٠٤ .

وذكر البخل والكذب ، والشنظير [١] الفحّاش " .

وفي بعض الروايات زيادة " وإن الله أوحى إلى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغيَ أحد على أحد " [٢] .

الخطبة الخامسة : في بيان بعض صفات الله عز وجل :

عن أبي موسى الأشعري – ﷺ – قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال : " إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه [٣] ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل [٤] ، حجابه النور [٥] لو كشفه لأحرقت سبُحات [٦] وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه [٧] " [٨] .

الخطبة السادسة : بيانه ﷺ أن الله أعطاه خزائن الأرض وخوفه على الأمة من فتنة الدنيا :

عن عقبة بن عامر [٩] – ﷺ – أن رسول الله ﷺ خرج يوما فصلى

---

(١) الشنظير بمعجمتين مكسورتين بينهما نون ساكنة ، هو الفحاش السيىء الخلق . شرح النووي ، المرجع نفسه ، والنهاية ، ج٢ ، ص ٥٠٤ .

(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ، ج٤ ، ص٢١٩٧ ، ح٢٨٦٥ .

(٣) قال النووي رحمه الله نقلا عن ابن قتيبة : " القسط الميزان ، ويسمى قسطا ؛ لأن القسط العدل ، وبالميزان يقع العدل ، قال : والمراد أن الله تعالى " يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة ، ويوزن من أرزاقهم النازلة " شرح النووي ، ج٣ ، ص١٣ .

(٤) قال النووي معناه والله أعلم ، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده ، وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده " شرح النووي ج٣ ، ص ١٣ .

(٥) قوله : حجابه النور " وفي لفظ : النار ، قال النووي : " الحجاب في اللغة المنع والستر ، وحقيقة الحجاب إنما يكون للأجسام المحدودة ، والله تعالى منزه عن الجسم والحد ، والمراد هنا المانع من رؤيته ، وسمى ذلك المانع نورا أو نارا لأنهما يمنعان من الإدراك عادة " نووي ، ج٣ ، ص١٤ .

(٦) " سبحات وجهه أي نوره وجلاله وبهاؤه ، وعظمته ، أو محاسنه " شرح النووي ج٣ ، ص١٣ ، والنهاية ، ج٢ ، ص٣٣٢ .

(٧) قوله : " ما انتهى إليه بصره من خلقه " أي لو تجلى لخلقه لأحرق جميع مخلوقاته ولفظة " من " لبيان الجنس ، شرح النووي ، نفس المرجع أعلاه ، والنهاية ج٢ ، ص ٣٣٢ .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام ، وفي قوله حجابه النور ، ج١ ، ص١٦١ ، ١٦٢ ، ح١٧٩ .

(٩) هو : عقبة بن عامر بن عبس بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة ، صحابي معروف روى عن النبي ﷺ كثيرا ، وروى عنه جماعة من الصحابة والتابعين ، منهم ابن عباس وأبو أمامة ، وجبير ابن نفير ، وأبو إدريس الخولاني وخلق من أهل مصر ، وهو من أمراء الفتوح ، شهد صفين مع معاوية ، وفتح مصر مع عمرو بن العاص ، وولي مصر سنة ٤٤ وعزل ٤٧ ، وتوفي في خلافة معاوية سنة ٥٨ ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٤١٧ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص٤٨٢ .

على أهل أحد صلاته على الميت ثم انصرف إلى المنبر فقال : " إني فرطكم [١] وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيت خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا [٢] فيها " .

ولمسلم زيادة " وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة " وفي آخره : وتقتتلوا ، فتهلكوا ، كما هلك من كان قبلكم " [٣] .

الخطبة السابعة : قصة الجساسة :

عن فاطمة بنت قيس [٤] – رضي الله عنها – قالت : سمعت منادي رسول الله ينادي الصلاة جامعة فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال " ليلزم كل إنسان مصلاه " ثم قال : " أتدرون لم جمعتكم ؟ " قالوا الله ورسوله أعلم ، قال : " إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميما الداريَّ [٥] كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال .

حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام فلعب

---

(١) فرطكم : أي متقدمكم إليه ، يقال : فرط يفرط فهو فارط ، وفرط إذا تقدم ، وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ، ويهيء لهم الدلاء ، والأرشية " النهاية ج٣ ، ص٤٣٤ .

(٢) التنافس من المنافسة ، وهي الرغبة في الشيء والانفراد به ، وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه ، ونافست في الشيء منافسة ونفاسا ، إذا رغبت فيه ، النهاية في غريب الحديث والأثر ج٥ ، ص٩٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب الصلاة على الشهيد ، ج٢ ، ص ٤٠٨ ، ح١٣٤٤ ، وفي مواضع أخر بألفاظ متقاربة .

وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض النبي ﷺ ، ج٤ ، ص١٧٩٦ ، ح٢٢٩٦ .

(٤) هي : فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس ، أسلمت وبايعت ، طلقها زوجها عمرو بن حفص المخزومي ، فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد في بيت عبدالله بن أم مكتوم ، فلما اكتملت عدتها خطبها معاوية وأبو جهم في قصة مشهورة ، فأمرها رسول الله ﷺ أن تنكح أسامة بن زيد قالت " لقد اغتبطت بنكاحي إياه – توفيت نحو ٥٠هـ ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٨ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٥ ، والاستيعاب ، جـ ٤ ، ص ٣٧١ ، والإصابة ، جـ ٤ ، ص ٣٧٣ .

(٥) هو تميم بن أوس بن خارجة الداري ، أبو رقية الصحابي المشهور ، سكن بيت المقدس بعد مقتل عثمان ، قيل كانت وفاته سنة أربعين ، انظر : الاستيعاب ، جـ١ ، ص ١٨٦ – ١٨٧ ، والإصابة ، جـ ١ ، ص ١٨٦ ، وتقريب التهذيب ، ج١ ، ص١٣٠ .

بهم الموج شهرا [١] في البحر ثم أرفؤوا [٢] إلى جزيرة في البحر ، حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقربَ السفينة [٣] ، فدخلوا في الجزيرة فلقيهم دابة أهلب [٤] كثير الشعر لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقالوا ويلك ما أنت ؟! فقالت أنا الجساسة [٥] ، قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدَّير [٦] فإنه إلى خبركم بالأشواق .

قال : لما سَّمت لنا رجلا فرقنا [٧] منها أن تكون شيطانة ، قال : فانطلقنا سراعا حتى دخلنا الدَّيرْ فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خَلقاً ، وأشده وثاقا ، مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا ويلك أخبرنا ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية ، فصادفنا البحر حين اغتلم [٨] فلعب بنا الموج شهرا ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر ، لا يُدْرَى ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة .

قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق فأقبلنا إليك سراعا ، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة .

فقال : أخبروني عن نخل بيسان [٩] ، قلنا عن أي شأنها تستخبر ، قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له نعم ، قال : أما إنه يوشك ألا تثمر .

---

(١) قال ابن الأثير – رحمه الله – وفي حديث تميم والجساسة " صادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا " سمى اضطراب أمواج البحر لعبا ، لمّا لم يسر بهم إلى الوجه الذي أرادوه يقال : لكل من عمل عملا لا يجدي عليه نفعا إنما أنت لاعب " النهاية ، ج٤ ، ص٢٥٣ .

(٢) أرفؤوا بالهمز أي التجؤوا إليها ، شرح النووي ، ج١٨ ، ص ٨١ ، والقاموس المحيط ، ج١ ، ص١٦ ، مادة (رفأ) .

(٣) هو بضم الراء ، وهي سفينة صغيرة ، تكون مع الكبيرة ، كالجنيبة يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم ، الجمع قوارب ، والواحد قارب بكسر الراء وفتحها " شرح النووي ، ج١٨ ، ص٨١ .

(٤) " أهلب كثير الشعر " الأهلب غليظ الشعر ، شرح النووي ، نفس المرجع ، والنهاية ، ج٥ ، ص ٢٦٩ .

(٥) الجساسة بفتح الجيم وتشديد السين ، سميت بذلك لتجسسها الأخبار للدجال . انظر : شرح النووي ج١٨ ، ص ٧٨ ، والنهاية ، ج١ ، ص٢٧٢ .

(٦) الدير خان النصارى ، والخان الحانوت ، القاموس ، ج٢ ، ص ٣٣ .

(٧) الفرَق ، الخوف والفزع ، شرح النووي ، جـ١٨ ، ص٧٨ ، والقاموس ، ج٣ ، ص٢٧٤ .

(٨) اغتلم : أي هاج واضطرب موجه ، والاغتلام مجاوزة الحد ، انظر : شرح النووي ، ج١٨ ، ص٨٢ ، والنهاية ، ج٣ ، ص٣٨٢ .

(٩) بيسان بفتح ثم سكون ، وسين مهملة ونون بعدها ، مدينة بالأردن بالغور الشامي ، تقع بين حوران وفلسطين . انظر : معجم البلدان لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، ج١ ، ص٥٢٧ .

قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية [١] ؟ قلنا : عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا هي كثيرة الماء ، قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب .

قال : أخبروني عن عين زغر [٢] ، قالوا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا : نعم هي كثيرة الماء ، وأهلها يزرعون من مائها .

قال أخبروني عن نبيّ الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ، ونزل يثرب ، قال : أقاتله العرب ؟ قلنا : نعم ، قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر [٣] على من يليه من العرب وأطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم ، قال : أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه .

وإني مخبركم عني إني أنا المسيح ، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج ، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة ، غير مكة وطيبة ، فهما محرمتان عليّ كلتاهما ، كلما أردت واحدة أو واحدا منهما ، استقبلني ملك بيده السيف صلتا [٤] فيصدني عنها .

وإن على كل نقب [٥] منها ملائكة يحرسونها ، قالت : قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته [٦] في المنبر " هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة " يعني المدينة .

" ألا هل كنت حدثتكم ذلك ، فقال الناس : نعم ، فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه ، وعن المدينة ومكة .

---

(١) بحيرة الطبرية في طرف جبل الطور مطل عليها ، وهي من أعمال الأردن ، وبينها وبين دمشق ثلاثة أيام ، وكذلك بينها وبين القدس ، وبينها وبين عكا يومان ، معجم البلدان ، ج٤ ، ص ١٧ .

(٢) زغر قرية بمشارف الشام ، قال ياقوت الحموي : " وحدثني الثقة أن زغر هذه في طرف البحيرة المنتنة ، في واد هناك بينها وبين بيت المقدس ثلاثة أيام ، وهي من ناحية الحجاز ولهم هناك زروع " المعجم ، ج٣ ، ص ٤٣ .

(٣) ظهر عليهم غلبهم ، القاموس المحيط ، ج٢ ، ص ٨٢ .

(٤) " صلتا بفتح الصاد وضمها أي مسلولا " ومجرّدا يقال : " أصلت السيف إذا جرده من غمده " النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٣ ، ص ٤٥ . وشرح النووي جـ ١٨ ، ص ٨٣ .

(٥) النقب : الطريق بين الجبلين ، انظر : القاموس المحيط ، ج١ ، ص ١٣٣ ، والنهاية ، ج٥ ، ص١٠٢ .

(٦) المِخْصَرة : ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه من عصا ، أو عكازة ، أو مقرعة ، أو قضيب " النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ، ص ٣٦ .

ألا إنه في بحر الشام ، أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ، ما هو من قبل المشرق [١] ، ما هو من قبل المشرق ما هو " وأومأ [٢] بيده إلى المشرق .

قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ [٣] .

الخطبة الثامنة : إخباره صلى الله عليه وسلم بقرب أجله :

عن أبي سعيد الخدري [٤] – رضي الله عنه – قال : خطب النبي ﷺ فقال : " إن الله خيَّر عبدا بين الدنيا ، وبين ما عنده فاختار ما عند الله " فبكى أبوبكر الصديق – رضي الله عنه – فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ إن يكن الله خيَّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله ، فكان رسول الله ﷺ هو العبد وكان أبوبكر أعلمنا ، قال : " يا أبا بكر لا تبك ، إنَّ أمنَّ [٥] الناس علي في صحبته ، وماله أبوبكر ولو كنت متخذا خليلا [٦] من أمتي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخُوَّة الإسلام ومودته لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلا سُدّ إلا باب أبي بكر " [٧] .

---

(١) قال النووي – رحمه الله – : " قال القاضي : لفظة ما هو زائدة صلة للكلام ، ليست بنافية ، والمراد إثبات أنه في جهات المشرق " شرح النووي لصحيح مسلم ، ج١٨ ، ص ٨٣ .

(٢) أومأ بيده أشار ، انظر القاموس المحيط ، ج١ ، ص ٣٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب قصة الجساسة ، ج٤ ، ص ٢٢٦١ – ٢٢٦٤ . ح ٢٩٤٢ .

(٤) هو : سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر وهو عذرة بن عوف ، الأنصاري الخزرجي أبوسعيد الخدري ، استصغر يوم أحد ، واستشهد أبوه بها ، وشهد ما بعدها ، روى عن النبي ﷺ الكثير ، وعن أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي – ﷺ – وعنه ابن عباس وابن عمر وجابر ومن التابعين ابن المسيب ، وأبو عثمان النهدي ، ت (٧٤هـ) ، أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص٢٨٩ – ٢٩٠ ، وصفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٧١٤ – ٧١٥ ، والاصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٢ .

(٥) قال النووي – رحمه الله – : " قال العلماء معناه أكثرهم جودا وسماحة لنا بنفسه وماله ، وليس هو من المن الذي هو الاعتداد بالصنيعة ، لأنه أذى مبطل للثواب ، ولأن المن لله ولرسوله في قبول ذلك وفي غيره " شرح النووي لصحيح مسلم ، ج١٥ ، ص ١٥٠ . قال القرطبي : " وزن أمن : أفعل ، من المنّة بمعنى الامتنان ، أي : أكثر منة ، ومعناه : أن أبا بكر – ﷺ – له من الحقوق ما لو كانت لغيره لامتن بها " ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٦ ، ص ٢٤١ .

(٦) الخليل : الصديق ، فعيل بمعنى مفاعل ، أو مفعول ، النهاية ، ج٢ ، ص ٧٢ .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الخوخة والممر في المسجد ، ج١ ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، ح٤٦٦ ، وأيضا ٣٦٥٤ ، ٣٩٠٤ .
وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة _ رضي الله تعالى عنهم – باب فضائل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ج٤ ، ص ١٨٥٤ ، ح٢٣٨٢ ، واللفظ للبخاري .

الخطبة التاسعة : إخباره صلى الله عليه وسلم أنه يرجو أن تكون أمته شطر أهل الجنة .

عن عبدالله ابن مسعود – ﷺ – قال : خطبنا رسول الله ﷺ فأسند ظهره إلى قبة آدم فقال : " ألا لا يدخلُ الجنة إلا نفس مسلمة اللهم هل بلغت اللهم اشهد [١] ، أتحبون أنكم ربع أهل الجنة فقلنا نعم يا رسول الله ، فقال أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا : نعم يارسول الله ، قال إنى لأرجو أن تكونوا شطر [٢] أهل الجنة ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " [٣] .

---

(١) قوله : " اللهم هل بلغت اللهم اشهد " قال النووي – رحمه الله – " معناه أن التبليغ واجب علي وقد بلغت فاشهد لي به " شرح النووي ، ج٣ ، ص ٩٦ ، ٩٧ .

(٢) الشطر : النصف ، وقد جاء في بعض روايات الحديث بلفظ النصف ، انظر : فتح الباري ، ج١١ ، ص٣٩٥ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة ، ج١ ، ص٢٠١ ، ح٣٧٨ . صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الحشر ، ج٧ ، ص ٢٥٠ ، ح٦٥٢٨ ، وأيضا ٦٦٤٢ ، واللفظ لمسلم .

ثانياً : الخطب المشتملة على أحكام ومبادىء عامة :

الخطبة الأولى : حرمة دماء المسلمين ، ووضع أمور الجاهلية :

عن جابر - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع : " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع [١] ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضعه من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث [٢] - كان مسترضعا في بني سعد فقتلته هذيل - وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب ، فإنه موضوع كله [٣] ، فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله [٤] ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح [٥] ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به ، كتاب الله ، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه يرفعها إلى السماء ، وينكتها [٦] إلى الناس اللهم اشهد " [٧] .

---

(١) الوضع معناه الإبطال ، وعدم الأخذ به . شرح النووي ، ج٨ ، ص ١٨٣ .

(٢) هو : ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب الهاشمي أبو أروى ، قال أبو عمر " هو الذي قال فيه رسول الله ﷺ يوم فتح مكة " ألا إن كل دم ومأثرة كانت في الجاهلية فهو تحت قدمي ، وإن أول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث " (قال) وذلك أنه قتل لربيعة ابن في الجاهلية يسمى ادم ، وقيل تمام فأبطل رسول الله ﷺ الطلب به في الإسلام ولم يجعل لربيعة في ذلك تبعة " ، وهو أكبر من العباس بسنتين - له أحاديث عن النبي ﷺ ، توفي سنة (٢٣) الاستيعاب جـ ١ ، ص ٤٩٣ ، ٤٩٤، الإصابة جـ ١ ، ص ٤٩٣ ، ٤٩٤ .

(٣) قال النووي - رحمه الله - : " معناه الزائد على رأس المال كما قال الله تعالى : ﴿ وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ﴾ وهذا واضح من الحديث ؛ لأن الربا هو الزيادة ، فإذا وضع الربا ، فمعناه : وضع الزيادة .. " شرح النووي ، ج٨ ، ص ١٨٣ .

(٤) كلمة الله ، قيل المراد بها قوله تعالى : ﴿ فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ﴾ وقيل المراد كلمة التوحيد ، وهي لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ، وقيل المراد بإباحة الله والكلمة قوله تعالى : ﴿ فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾ وصحح النووي هذا القول . انظر : شرح النووي ج٨ ، ص١٨٣ .

(٥) يعني غير شاق ، انظر : النهاية ، ج١ ، ص ١١٣ .

(٦) قال النووي - رحمه الله - ينكتها بعد الكاف تاء مثناه فوق ، قال القاضي : كذا الرواية بالتاء المثناة فوق ، قال : وهو بعيد المعنى ، قال : قيل صوابه ينكبها بباء موحدة .. ومعناه يقلبها ويرددها إلى الناس مشيرا إليهم .. " شرح النووي ، ج٨ ، ص ١٨٥ .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ج٢ ، ص ٨٨٩ - ٨٩٠ ، ح١٢١٨ .

الخطبة الثانية : حرمة مكة على الدوام :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : لما فتح اللّه على رسوله صلى الله عليه وسلم مكة قام في الناس فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : " إنّ الله حبس عن مكة الفيل ، وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدي ، فلا يُنفَّر (١) صيدها ، ولا يختلي شوكها (٢) ، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد (٣) ، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين ، إما أن يفدى وإما أن يقتل " فقال العباس: " إلا الإذخر (٤) يارسول الله ؟ فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا ، فقال رسول الله ﷺ " إلا الإذخر " فقام أبو شاه رجل من أهل اليمن ، فقال : اكتبوا لي يارسول الله فقال رسول الله ﷺ " اكتبوا لأبي شاه " (٥) .

الخطبة الثالثة : حرمة الشفاعة في الحدود :

عن عائشة – رضي الله عنها – أن قريشا أهمهم (٦) شأنُ المخزومية (٧) التي سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله ﷺ ، فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد (٨) حب (٩)

---

(١) نفر الصيدُ نفراً ونفرانا : شرد نفَره زجره ، والتنفير الإزعاج وتنحيته من موضعه . انظر : القاموس ، ج٢ ، ص٤٧ ، وشرح النووي ، ج٩ ، ص١٢٦ .

(٢) يختلي معناه يؤخذ ويقطع . شرح النووي ، ج٩ ، ص ١٢٥ .

(٣) ساقطتها : المقصود بها اللقطة كما في بعض روايات هذا الحديث ، والمنشد هو المعرّف ، وأما الطالب فهو الناشد ، انظر : فتح الباري . ج٥ ، ص ١٠٦ .

(٤) الإذخر . قال النووي : " هو نبت معروف طيب الرائحة وهو بكسر الهمزة والخاء " شرح النووي ، ج٩ ، ص١٢٧ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حرمة مكة وصيدها وخلاها ، ج٢ ، ص٩٨٨ ، ح١٣٥٥ . صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، ج١ ، ص٤٤ – ٤٥ ، ح١١٢ ، و ٢٤٣٤ ، ٦٨٨٠ ، واللفظ لمسلم .

(٦) أي جلب إليهم هما أو صيرهم ذوي هم ، بسبب ما وقع منها . انظر : فتح الباري ، ج١٢ ، ص٩٠ .

(٧) قال ابن حجر – رحمه الله – : واسم المرأة على الصحيح فاطمة بنت الأسود بن عبد الأسد ، ابن عبدالله بن عمرو بن مخزوم ، وهي بنت أخي أبي سلمة بن عبدالأسد الصحابي الجليل ، الذي كان زوج أم سلمة قبل النبي ﷺ ، قتل أبوها كافرا يوم بدر قتله حمزة بن عبدالمطلب – رضي الله عنه – " فتح الباري ، ج١٢ ، ص ٩١ .

(٨) هو أسامة بن زيد بن حارثة حبّ رسول الله ﷺ وابن حبه ، ولد في الإسلام وأمره رسول الله ﷺ على الجيش الذي توفي رسول الله ﷺ قبل نفاذه فأنفذه أبو بكر – رضي الله عنه – بعد توليه توفي بالجرف قرب المدينة سنة ٥٤ ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ٤ ، ص٦١-٧٢ ، وأسد الغابة ، جـ١ ، ص٦٤-٦٥.

(٩) حب رسول الله ﷺ بكسر المهملة بمعنى محبوب ، مثل قسم بمعنى مقسوم . فتح الباري ، ج١٢ ، ص٩٦ .

رسول الله ﷺ ، فأُتيَ بها رسولُ الله ﷺ فقال : " أتشفع في حد من حدود الله " فقال له أسامة : استغفر لي يارسول الله ، فلما كان من العشي قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : " أمّا بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها " [١] .

الخطبة الرابعة : بيان وجوب الحج مرة واحدة :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : خطبنا رسول الله ﷺ فقال : " إن الله قد فرض عليكم الحج [٢] فحجوا " فقال رجل [٣] : أكل عام يارسول الله ، فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ : " لو قلت نعم لوجبت ، ولما استطعتم ، ثم قال : " ذروني ماتركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " [٤] .

الخطبة الخامسة : حرمة دخول الرجل الواحد على من غاب زوجها :

عن عبدالرحمن بن جبير[٥] أن عبدالله بن عمرو حدثه أن نفرا من بني هاشم دخلوا على أسماء بنت عميس ، فدخل أبو بكر الصديق – رضي الله عنه – وهي تحته يومئذ ، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ وقال لم أر إلا خيرا ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الله قد برأها من ذلك " ثم قام رسول الله ﷺ على المنبر

---

(١) صحيح مسلم كتاب الحدود ، باب قطع السارق الشريف وغيره ، ج٣ ، ص١٣١٥ ، ح١٦٨٨ . صحيح البخاري ، كتاب الحدود ، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان ، ج٨ ، ص٣٢٩ ، ح٦٧٨٨ ، وفي مواضع أخر .

(٢) الحج في اللغة : القصد ، وخص شرعا بقصد معين ذي شروط معلومة ، فيه لغتان : الفتح والكسر ، وقيل بالفتح المصدر وبالكسر الاسم ، انظر : النهاية ، مرجع سابق ، ج١ ، ص٣٤٠ .

(٣) هذا الرجل السائل هو الأقرع بن حابس ، كذا جاء مبينا في غير هذه الرواية " شرح النووي ، ج٩ ، ص١٠١ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فرض الحج مرة في العمر ، ج٢ ، ص ٩٧٥ ، ح١٣٣٧ .

(٥) هو : عبدالرحمن بن جبير المصري الفقيه الفرضي ، المؤذن العامريّ ، رَوى عن عبدالله بن عمرو ، وعقبة بن عامر ، وأبي الدرداء ، وعنه كعب بن علقمة وبكر بن سوادة ، وعبدالله بن هبيرة وثقه النسائي ، وابن حبان ، قيل وكان عبدالله بن عمرو معجبا به ، توفي سنة (٩٧) . انظر : تهذيب التهذيب ، جـ ٦ ، ص١٥٤ – ١٥٥ .

فقال : " لا يدخلنّ رجل بعد يومي هذا على مغيبة [١] إلا ومعه رجل أو اثنان " [٢] .

الخطبة السادسة : السنة في الأضحية أن تذبح بعد الصلاة :

عن البراء بن عازب – رضي الله عنهما – قال : خطبنا النبي ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة ، فقال : " من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك [٣] ، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له " فقال أبو بردة بن نيار [٤] خال البراء : يارسول الله فإني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب ، وأحببت أن تكون شاتي أول شاة تذبح في بيتي ، فذبحت شاتي وتغديت [٥] قبل أن آتي الصلاة . قال : " شاتك شاة لحم " قال : يا رسول الله فإن عندنا عَناقا [٦] لنا جذعة هي أحب إلى من شاتين أفتجزئ عني ؟ قال : نعم ، ولن تجزئ عن أحد بعدك " [٧] .

الخطبة السابعة : فسخ الإحرام بالحج ، والتحلُّل بعمرة :

عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : قدم النبي ﷺ وأصحابه صبحَ رابعة من ذي الحجة مهلين [٨] بالحج لا يخلطهم شيء فلما قدمنا أمرنا رسول الله فجعلناها عمرة ، وأن نحل إلى نسائنا ، ففشت [٩] في ذلك القالة ،

---

(١) قال النووي – رحمه الله – المغيبة بضم الميم وكسر الغين المعجمة ، وإسكان الياء ، وهي التي غاب عنها زوجها ، والمراد غاب زوجها عن منزلها ، سواء غاب عن البلد بأن سافر ، أو غاب عن المنزل ، وإن كان في البلد " شرح النووي لصحيح مسلم ، ج١٤ ، ص١٥٥ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها ، ج٤ ، ص ١٧١١ ، ح٢١٧٣ .

(٣) النسك ، والنسُك الطاعة والعبادة ، ونسك ينسك نسكا ، ذبح . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ج٥ ، ص ٤٨ .

(٤) ابو بردة بن نيار اسمه هانئ بن نيار ، وقيل عمرو بن نيار ، وقيل الحارث بن عمرو ، وقيل مالك بن هبيرة ، شهد العقبة الثانية في قول ، وشهد بدرا وأحدا وسائر المشاهد ، توفي في أول خلافة معاوية ، انظر : الاستيعاب ، جـ ٤ ، ص ١٨ – ١٩ . والاصابة ، جـ ٤ ، ص ١٩ .

(٥) الغداء الطعام الذي يؤكل أول النهار ، ويطلق على السحور . انظر : النهاية ، ج٣ ، ص ٣٤٦ .

(٦) العناق : بفتح العين الأنثى من المعز إذا قويت ما لم تستكمل سنة . انظر : شرح النووي لصحيح مسلم ، ج١٣ ، ص ١١٣ .

(٧) صحيح البخاري ، كتاب العيدين ، باب الأكل يوم النحر ، ج١ ، ص ٢٨٩ ، ح٩٥٥ . صحيح مسلم ، كتاب الأضاحي ، باب وقتها ، ج٣ ، ص ١٥٥٣ ، ح١٩٦١ ، بروايات عدة واللفظ للبخاري .

(٨) قال ابن الأثير : " قد تكرر في أحاديث الحج ذكر (الإهلال) وهو رفع الصوت بالتلبية ، يقال : أهلّ المحرم بالحج يهل إهلالا ، إذا لبى ، ورفع صوته " النهاية ، ج٥ ، ص٢٧١ .

(٩) فشت : يعني انتشرت . انظر : القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٣٧٤ .

قال عطاء : فقال جابر : فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منيا ، فقال جابر بكفه – فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقام خطيبا فقال : " بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبر وأتقى لله منهم ، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معي الهديَ [١] لأحللت ، فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال : يارسول الله هي لنا أو للأبد ، فقال : " لا ، بل للأبد " [٢] .

الخطبة الثامنة : إنكاره ﷺ ضرب النساء والضحك من الضرطة :

عن عبدالله بن زمعة [٣] – رضي الله عنه – أنه سمع النبي ﷺ خطب وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله ﷺ " إذ انبعث أشقاها " انبعث لها رجل عزيز عارم [٤] منيع [٥] في رهطه ، مثل : أبي زمعة [٦] ، وذكر النساء فقال : يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ، فلعله يضاجعها من آخر يومه ، ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة ، وقال : لم يضحك أحدكم مما يفعل " [٧] .

الخطبة التاسعة : تعليم كيفية الصلاة :

عن أبي موسى – رضي الله عنه – قال : خطبنا رسول الله ﷺ فبيّن لنا سنتنا وعلمنا صلاتنا فقال : " إذا صليتم فأقيموا صفوفكم ، ثم ليؤمّكم أحدكم فإذا كبر

---

(١) فيه لغتان ، إسكان الدال مع تخفيف الياء ، وكسر الدال مع التشديد في الياء ، قال النووي : " الأولى أفصح وأشهر ، وهو اسم لما يهدي إلى الحرم من الأنعام " شرح النووي ، ج٨ ، ص ١٣٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الشركة ، باب الاشتراك في الهدي والبدن ، ج٣ ، ص١٥٩ ، ح٢٥٠٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام ، وأنه يجوز إفراد الحج ، والتمتع والقران ، ج٢ ، ص٨٨٣ ، ح١٢١٦ ، واللفظ للبخاري .

(٣) هو : عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى القرشي الأسدي ، أمه قريبة بنت أبي أمية أخت أم سلمة أم المؤمنين – رضي الله عنها – من أشراف قريش كان يأذن على النبي ﷺ ، روى عنه أبو بكر بن عبدالرحمن وعروة بن الزبير ، قتل مع عثمان يوم الدار . انظر : أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ١٦٤ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣٠٣ – ٣٠٤ .

(٤) العارم : الخبيث الشرير ، وفعله مثلث العين ، والعُرام : بالضم الشدة والقوة والشراسة . انظر : النهاية ، ج٣ ، ص٢٢٣ .

(٥) منيع : أي قويّ ذو منعة ، أي : رهط يمنعونه من الضيم " فتح الباري ، ج٨ ، ص٥٧٦ .

(٦) أبو زمعة . هو : الأسود بن المطلب بن أسد ، وهو أحد المستهزئين ، مات على كفره بمكة ، هذا ما رجحه ابن حجر – رحمه الله – وقال القرطبي يحتمل أنه أبو زمعة البلوي الصحابي ، فيكون التشبيه في عزته ومنعته في قومه ، انظر المفهم ، جـ ٧ ، ص ٤٢٩ ، وفتح الباري ، جـ ٨ ، ص٥٧٦ .

(٧) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة والشمس وضحاها ، ج٦ ، ص ٣٩٥ ، ٣٩٦ حـ ٤٩٤٢ .
صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون ، والجنة يدخلها الضعفاء ، ج٤ ، ص ٢١٨٧ ، ح٢٨٥٥ ، وألفاظهما متقاربة .

فكبروا ، وإذا قال : ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾[١] فقولوا آمين [٢] يجبكم الله ، فإذا كبر وركع فكبّروا واركَعوا ، فإن الإمام يركع قبلكم ، ويرفع قبلكم ، فقال رسول الله ﷺ فتلك بتلك [٣] ، وإذا قال : سمع الله لمن حمده ، فقولوا اللهم ربنا لك الحمد يسمع الله لكم ، فإن الله تبارك وتعالى قال على لسان نبيه ﷺ سمع الله لمن حمده ، وإذا كبر وسجد فكبروا واسجدوا فإن الإمام يسجد قبلكم ويرفع قبلكم ، فقال رسول الله ﷺ " فتلك بتلك " ، وإذا كان عند القعدة فليكن من أول قول أحدكم التحيات [٤] الطيبات الصلوات لله السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " [٥] .

الخطبة العاشرة : إبطال كل شرط ليس في كتاب الله :

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : خطب رسول الله ﷺ عشية فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : " أما بعد . فما بال أقوام يشترطون شروطا [٦] ليست في كتاب الله ؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل ، وإن كان مائة شرط [٧] ، كتاب الله أحق ، وشرط الله [٨] أوثق [٩] ،

---

(١) سورة الفاتحة ، الآية (٧) .

(٢) قال النووي – رحمه الله – وفي آمين لغتان المد والقصر ، والمد أفصح ، والميم خفيفة فيهما ومعناه استجب " شرح النووي ، ج٤ ، ص١٢٠ .

(٣) يعني : " أن اللحظة التي سبقكم الإمام بها في تقدمه إلى الركوع ، تتجبر لكم بتأخيركم في الركوع بعد رفعه لحظة ، فتلك اللحظة بتلك اللحظة ، وصار قدر ركوعكم كقدر ركوعه " نفس المرجع .

(٤) جمع تحية ، قيل إنها الملك ، وقيل البقاء ، وقيل العظمة ، وقيل الحياة . انظر : شرح النووي ، ج٤ ، ص١١٦ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب التشهد في الصلاة ، ج١ ، ص٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ح٤٠٤ .

(٦) " الشرط إلزام الشيء والتزامه في البيع ونحوه ، كالشريطة ، جمعه شروط ، وفي المثل الشرط أملكُ عليك أم لكَ " القاموس المحيط ، ج٢ ، ص ٣٦٨ .

(٧) قال النووي – رحمه الله – : " ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم : وإن كان مائة شرط أنه لو شرطه مائة مرة توكيدا فهو باطل ، كما قال ﷺ في الرواية الأولى من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له وإن شرطه مائة مرة " شرح النووي ، ج١٠ ، ص١٤٢ .

(٨) قيل المراد بشرط الله قوله تعالى : ﴿ فإخوانكم في الدين ومواليكم ﴾ الآية : وقوله تعالى : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه ﴾ الآية ، وقيل قوله ﷺ : " إنما الولاء لمن أعتق " شرح النووي ، مرجع سابق ، جـ ٨ ، ص ١٤٤ .

(٩) يعني : أحكم ، والوثيق المحكم فعله ككرم . القاموس ، ج٣ ، ص٢٨٧ .

ما بال رجال منكم يقول أحدهم : أعتق فلانا والولاء لي ، إنما الولاء لمن أعتق " [١] .

الخطبة الحادية عشرة : إبطال النسيء ، وبيان حرمة دماء أهل الإسلام وأموالهم :

عن أبي بكرة [٢] – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " الزمان قد استدار [٣] كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة [٤] ، والمحرم ورجب مضر [٥] الذي بين جمادى وشعبان .

أي شهر هذا ؟ " . قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال أليس ذو الحجة ؟ " قلنا بلى ، قال : " فأي بلد هذا ؟ " قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : " أليس البلدة ؟ " قلنا : بلى . قال : " فأي يوم هذا ؟ " فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال : " اليس يوم النحر ؟ " قلنا بلى .

قال : " فإن دماءكم وأموالكم " قال محمد وأحسبه قال : " وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا [٦] يضرب بعضكم رقاب

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن أعتق ، ج٢ ، ص ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ح١٥٠٤ . وصحيح البخاري ، كتاب المكاتب ، باب استعانة المكاتب وسؤاله الناس ، ج٣ ، ص١٧٧ ، ١٧٨ ، ح٢٥٦٣ ، واللفظ لمسلم .

(٢) هو نفيع بن الحرث أو ابن مسروح ، أصله من الطائف ، وسكن البصرة وهو من فضلاء الصحابة وقد اشتهر (بأبي بكرة) لأنه تدلى إلى النبي ﷺ من حصن الطائف ببكرة ، توفى سنة (٥٢) ، انظر : تاريخ خليفة بن خياط ، ص١٨ ، والإصابة ، جـ ٣ ، ص٥٤٢ ، وتقريب التهذيب ، ص٥٦٥ .

(٣) قوله : " استدار " " معنى الحديث أن العرب كانوا يؤخرون المحرم إلى صفر وهو النسيء ليقاتلوا فيه ، ويفعلون ذلك سنة بعد سنة ، فينتقل المحرم من شهر إلى شهر حتى يجعلوه في جميع شهور السنة ، فلما كانت تلك السنة ، كان قد عاد إلى زمنه المخصوص به قبل النقل ، ودارت السنة كهيئتها الأولى " النهاية ، ج٢ ، ص ١٣٩ .

(٤) ذو الحجة : هو بالكسر شهر الحج . انظر : النهاية ج١ ، ص٣٤٠ ، ٣٤١ .

(٥) قوله : " رجب مضر .... " قال ابن الأثير : أضاف رجب إلى مضر ، لأنهم كانوا يعظمونه خلاف غيرهم ، فكأنهم اختصوا به ، وقوله بين جمادى وشعبان تأكيد للبيان وإيضاح ، لأنهم كانوا ينسؤونه ويؤخرونه من شهر إلى شهر ، فيتحول عن موضعه المختص به ، فبين لهم أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان ، لا ما كانوا يسمونه على حساب النسيء " النهاية ، ج٢ ، ص ١٩٧ .

(٦) الضلال في اللغة الحيرة ، يقال : ضل عن الطريق إذا حار وضد الهدى ، فعله كزلِلتَ وملِلت ، والضلال جمع ضالّ ، القاموس ، ج٤ ، ص٥ .

بعض ، ألا ليبلغ الشاهد [١] الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى [٢] له من بعض من سمعه " .

فكان محمد [٣] إذا ذكره يقول صدق محمد ﷺ ثم قال : " ألا هل بلغت " [٤] وفي بعض روايات هذا الحديث عنه قال : " خطبنا النبي ﷺ يوم النحر ، فقال : " أتدرون أي يوم هذا " قلنا الله ورسوله أعلم [٥] .

الخطبة الثانية عشرة : إبطال بعض أمور الجاهلية :

عن قيس بن مخرمة [٦] - رضي الله عنه - قال : " خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون [٧] من ها هنا عند غروب الشمس ، حين تكون الشمس على رؤوس الجبال ، مثل عمائم الرجال على رؤوسها ، فهدينا [٨] مخالف لهديهم " [٩] .

---

(١) الشاهد : الحاضر . انظر : النهاية في غريب الحديث ، ج٢ ، ص ٥١٣ .

(٢) أوعى أي : أحفظ وأفهم من غيره . انظر النهاية ، ج٥ ، ص ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

(٣) هو : محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء أبو بكر ، تابعي ، مولى أنس بن مالك ، يروى عنه وعن زيد بن ثابت ، والحسن بن علي ، وحذيفة وعائشة ، وعنه الشعبي ، وخالد الحذاء وداود بن أبي هند ، وقتادة ، وسليمان التيمي وغيرهم ، اشتهر بتعبير الرؤيا قال ابن سعد كان ثقة مأمونا عاليا رفيعا فقيها إماما كثير العلم ورعا - توفى سنة ١١٠ ، الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص١٩٣ - ٢٠٦ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ٩ ، ص٢١٤ - ٢١٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حجة الوداع ، ج٥ ، ص١٤٩ ، ١٥٠ ، ح٤٤٠٦ . وصحيح مسلم ، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ، ج٣ ، ص١٣٠٥ ، ١٣٠٦ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، ج٢ ، ص٥٣٦ ، ح١٧٤١ . وصحيح مسلم ، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء ... الخ ، ج٣ ، ص ١٣٠٧ ، ح١٦٧٩ .

(٦) قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف المطلبي المكي صحابي ، ولد هو ورسول الله ﷺ في عام واحد ، ذكره ابن إسحاق في المؤلفة قلوبهم ، وحسن إسلامه ، روى عن النبي ﷺ ، وعنه ابناه عبدالله ومحمد ، انظر : الإصابة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٩ ، والتقريب ، ص ٤٥٧ .

(٧) قال في النهاية : " إنه دفع من عرفات " أي : ابتدأ السير ، ودفع نفسه منها ونحّاها ، أو دفع ناقته وحملها على السير " النهاية ، ج٢ ، ص ١٢٤ .

(٨) الهدي : السيرة والهيئة والطريقة ، النهاية ، ج٥ ، ص ٢٥٣ .

(٩) أخرجه الحاكم ، وقال على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي ، المستدرك ، ج٢ ، ص ٣٠٤ .

ثانياً : الخطب المشتملة على ترغيب أو ترهيب أو عليهما :

أ – الخطب المشتملة على ترغيب وترهيب :

الخطبة الأولى : خطبة الحاجة :

عن عبدالله عن النبي ﷺ قال : علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة " الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، ثم يقرأ ثلاث آيات : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (١) ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (٢) ﴿ يا أيها الذين ءامنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ (٣)(٤) .

وفي رواية أبي داود : " وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئا " (٥) .

الخطبة الثانية : بيان الرسول ﷺ عرض الجنة والنار عليه :

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء فخطب فقال : " عرضت عليّ الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ،

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٢ .
(٢) سورة النساء ، الآية ١ .
(٣) سورة الأحزاب الآيتان ٧٠ ، ٧١ .
(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك ، كتاب النكاح ، ج٢ ، ص١٨٢ ، ١٨٣ ، والترمذي كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ، ج٣ ، ص ٤٠٤ ، ح١١٠٥ ، وابن ماجة ، كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح ، ج١ ، ص ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ح١٨٩٢ ، وأبو داود ، كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، ج٢ ، ص٥٩١ ، ٥٩٢ ، وهذا الحديث صحيح ، فزيادة على رواية الحاكم له في مستدركه صححه الألباني أيضا . انظر : صحيح الترمذي ، ج١ ، ص٣٢٠ ، ٣٢١ ، ح٨٨٢ ، وصحيح سنن ابن ماجه ، ج١ ، ص٣١٩ ، ح٥٣٥ .
(٥) سنن أبي داود ، كتاب النكاح ، باب في خطبة النكاح ، ج٢ ، ص ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ح٢١١٨ . وزيادة أبي داود هذه عزاها الألباني إلى البيهقي ، والطبراني في الكبير وضعفها لأن فيها راويا مجهولا . انظر : خطبة الحاجة ، محمد ناصر الدين الألباني ، ص١٥ ، وهو كتاب صغير بين فيه طرق هذه الخطبة ورواياتها وأسانيدها ، وتخريجها من كتب السنة .

ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه ، قال : غطّوا رؤوسهم ولهم خنين [١] ، قال : فقام عمر فقال : رضينا بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا .

قال : فقام ذاك الرجل فقال : من أبي ، فقال : أبوك فلان فنزلت : ﴿ يا أيها الذين ءامنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم [٢] ﴾ [٣] .

الخطبة الثالثة : إخباره ﷺ أنه رأى النساء أكثر أهل النار وحثهن على الصدقة :

عن ابن عمر – رضي الله عنهما – عن رسول الله ﷺ أنه قال : " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار " فقالت امرأة منهن جزلة ، ومالنا يا رسول الله أكثر أهل النار ؟ قال : " تكثرن اللعن وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن ؟ " قالت يا رسول الله : وما نقصان العقل والدين ؟ قال أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل فهذا نقصان العقل ، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين " [٤] .

في رواية البخاري خرج رسول الله ﷺ في أضحى – أو فطر – إلى المصلى ، فمرّ على النساء فقال : " يا معشر النساء تصدقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار " .

---

(١) الخنين : ضرب من البكاء دون الانتحاب ، وأصل الخنين خروج الصوت من الأنف ، كالحنين من الفم " النهاية ، ج٢ ، ص ٨٥ .

(٢) سورة المائدة ، الآية (١٠١) .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب توقيره ﷺ وترك إكثار سؤاله عما لا ضرورة إليه ، أو لا يتعلق به تكليف ... ج٤ ، ص ١٨٣٢ ، ح٢٣٥٩ .
وصحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى : ﴿ لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾ ج٥ ، ص٢٣٠ ، ح٤٦٢١ ، وفي مواضع أخرى .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان نقص الإيمان بنقص الطاعات ، جـ ١ ، ص ٨٦ – ٨٧ ، حـ ٧٩ ، وصحيح البخاري ، كتاب الحيض ، باب ترك الحائض الصوم ، جـ ١ ، ص ٩٩ ، حـ٣٠٤ ، واللفظ لمسلم .

ب – الخطب المشتملة على ترغيب :

الخطبة الرابعة : الحث على العمل بكتاب الله واتباع هدى محمد ﷺ .

عن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال : كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول صبَّحكم ومسَّاكم ، ويقول : " بعثت أنا والساعة كهاتين " ويقرن بين أصبعيه السبابة [١] والوسطى ، ويقول : " أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى محمد [٢] ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " ثم يقول : " أنا أولى بكل مؤمن من نفسه . من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا [٣] فإليّ وعلي " [٤] .

الخطبة الخامسة : الحث على التقوى والصدقة :

عن أبي عمرو جرير بن عبدالله البجلي – رضي الله عنه – قال : كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم حفاة عراة مجتابى [٥] النمار [٦] ، أو العباء ، متقلدي السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر ، فتمعّر [٧] وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة [٨] ، فدخل ثم خرج ، فأمر بلالا فأذّن وأقام ، ثم صلى ثم خطب ، فقال : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة

---

(١) " السبابة : الإصبع المعروفة ، سميت بذلك لأنهم كانوا يشيرون بها عند السب " . شرح النووي ، ج٦ ، ص ١٥٤ .

(٢) قوله : " وخير الهدى هدى محمد " قال النووي ، – رحمه الله – : هو بضم الهاء وفتح الدال فيهما وبفتح الهاء ، وإسكان الدال أيضا ضبطناه بالوجهين .. وفسره الهروي على رواية الفتح بالطريق ، أي أحسن الطرق طريق محمد ... قال العلماء لفظ الهدى له معنيان : أحدهما بمعنى الدلالة والارشاد ، وهو الذي يضاف إلى الرسل والقرآن والعباد ... " شرح النووي ، ج٦ ، ص١٥٤ .

(٣) قال النووي – رحمه الله – : " قال أهل اللغة : الضياع بفتح الضاد ، العيال ، قال ابن قتيبة : أصله مصدر ضاع يضيع ضياعا ، المراد من ترك أطفال أطفالا وعيالا ذوى ضياع ، فأوقع المصدر موقع الاسم " شرح النووي ، ص١٥٥ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج٢ ، ص٥٩٢ ، ح٨٦٧ .

(٥) قوله : مجتابي النمار " أي لا بسيها ، يقال : اجتبت القميص والظلام ، أي دخلت فيهما ، وكل شيء قطع وسطه فهو مجوب ، ومجوّب ، وبه سمي جيب القميص " النهاية ، ج١ ، ص٣١٠ .

(٦) النمار : جمع نمرة ، وهي الشملة المخططة من منازر الأعراب ، أخذت من لون النمر لما فيها من بياض وسواد . انظر النهاية ، ج٥ ، ص١١٨ .

(٧) تمعّر وجهه أي تغير ، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق الوجه . انظر : النهاية ، ج٤ ، ص٣٤٢ .

(٨) الفاقة : الحاجة والفقر ، النهاية ، ج٣ ، ص ٤٨٠ .

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ (١) .

والآية التي في الحشر : ﴿ اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (٢) .

تصدق رجل من دينار ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع برّه ، من صاع تمره ، حتى قال : " ولو بشق تمرة " .

قال : فجاء رجل من الأنصار بصرة كادَتْ كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين (٣) من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل (٤) كأنه مذهبة (٥) ، فقال رسول الله ﷺ : " من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها ، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها (٦) ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " (٧) .

---

(١) سورة النساء ، آية (١) .

(٢) سورة الحشر ، آية ١٨ .

(٣) كومين بفتح الكاف وضمّها ، قال ابن سراج هو بالضم اسم لما كوّمه ، وبالفتح المرة الواحدة ، قال : والكومة بالضم الصرة ، والكوم العظيم من كل شيء ، والكوم المكان المرتفع كالربية ، قال القاضي : فالفتح هنا أولى لأن مقصوده الكثرة والتشبيه بالربية . شرح النووي ، ج٣ ، ص ١٠٣ ، والنهاية في غريب الحديث ، ج٤ ، ص٢١١ .

(٤) يتهلل أي يستنير من الفرح ، وتظهر عليه أمارات السرور . انظر : شرح النووي ، ج٧ ، ص١٠٣ ، والنهاية ، ج٥ ، ص٢٧٢ .

(٥) قوله : " كأنه مذهبه " قال النووي – رحمه الله – : " ضبطوه بوجهين أحدهما ، وهو المشهور ، وبه جزم القاضي والجمهور ، مذهبة بذال معجمة وفتح الهاء ، بعدها باء موحدة .
والثاني ولم يذكر الحميديّ في الجمع بين الصحيحين غيرَه : مدهنة ، بدال مهملة ، وضم الهاء ، وبعدها نون . وشرحه الحميدي في كتابه غريب الجمع بين الصحيحين فقال : هو وغيرُه ممن فسر هذه الرواية إن صحت المدهن الإناء الذي يدهن فيه ، وهو أيضا اسم للنقرة في الجبل التي يستجمع فيها ماء المطر فشبه صفاء وجهه الكريم بصفاء هذا الماء وبصفاء الدهن والمدهن . وقال القاضي عياض في المشارق وغيره من الأئمة هذا تصحيف ، وهو بالذال المعجمة والباء الموحدة ، وهو المعروف في الروايات ، وعلى هذا ذكر القاضي وجهين في تفسيره : أحدهما معناه فضة مذهبة ، وهو أبلغ في حسن الوجه وإشراقه ، والثاني شبهه في حسنه ونوره بالمذهبة من الجلود ، وجمعها مذاهب ، وهي شيء كانت العرب تصنعه من جلود وتجعل فيه خطوطا مذهبة يرى بعضها إثر بعض " ، شرح النووي ، ج٧ ، ص ١٠٣ .

(٦) " الوزر الحمل والثقل ، وأكثر ما يطلق في الحديث على الذنب والإثم . يقال : وزر يزر فهو وازر ، إذا حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المثقلة ومن الذنوب وجمعه أوزار " ، النهاية ، ج٥ ، ص ١٧٩ .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة ... ج٢ ، ص٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ح١٠١٧ .

الخطبة السادسة : الترغيب في انتظار الصلاة :

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : انتظرنا النبي ﷺ ذات ليلة حتى كان شطر الليل يبلغه ، فجاء فصلى لنا ثم خطبنا فقال : " ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا [١] ، وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة " قال الحسن [٢] وإن القوم لا يزالون بخير ما انتظروا الخير " [٣] .

الخطبة السابعة : الحث على التمسك بالسنة :

عن العرباض بن سارية [٤] – رضي الله عنه – قال : صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت [٥] منها العيون ، ووجلت [٦] منها القلوب ، فقال قائل يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا ، فقال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ، وإن عبدا حبشيا ، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين . تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ [٧] ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة " [٨] .

---

(١) الرقد والرقاد ، والرقود بضمها : النوم ، والرقاد خاص بنوم الليل . انظر : القاموس المحيط ، ج١ ، ص٢٩٥ .

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن واسم أبيه يسار أبو سعيد الإمام الفقيه المشهور ، من الكبار الأجلاء من التابعين ، علما وعملا وإخلاصا ومروءة ، قال عنه قتادة ما جالست رجلا فقيها الا رأيت فضل الحسن عليه ، توفي – رحمه الله سنة ١١٠ وعمره ٨٨ سنة ، انظر : البداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص٢٧٣ ، وتذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ٧١ – ٧٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء ، ج١ ، ص١٨٥ ، ح٦٠٠ .

(٤) هو : العرباض بن سارية السلمي أبو نجيح ، كان من أهل الصفة ، سكن الشام ومات بها سنة خمس وسبعين ، وقيل مات في فتنة ابن الزبير ، روى عنه من الصحابة أبورهم ، وأبو أمامة ، ومن أهل الشام جمع من التابعين ، انظر : الاستيعاب ، جـ٣ ، ص١٦٦ – ١٦٧ ، وأسد الغابة ، جـ٣ ، ص٣٩٩ .

(٥) " ذرفت العين تذرف إذا جرى دمعها " النهاية ، ج٢ ، ص١٥٩ .

(٦) الوجل الفزع ، وقد وجل يَوجَل ويَيْجَل ، فهو وجل ، وقد تكرر في الحديث " النهاية ، ج٥ ، ص١٥٧ .

(٧) " النواجذ من الأسنان الضواحك ، وهي التي تبدو عند الضحك ، والأكثر الأشهر أنها أقصى الأسنان ... " قال : " ومنه حديث العرباض بن سارية : " عضوا عليها بالنواجذ " أي تمسكوا بها كما يتمسك العاض بجميع أضراسه " النهاية ، ج٢ ، ص٢٠ .

(٨) سنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع ، ج٥ ، ص٤٤ ، ٤٥ ، وقال : حسن صحيح ، حـ٢٦٧٦ .
سنن أبي داود ، كتاب السنة ، باب لزوم السنة ، ج٥ ، ص١٣ ، ١٤ ، واللفظ لأبي داود .
وصححه الألباني : انظر إرواء الغليل ، ج٨ ، ص ١٠٧ – ١٠٩ ، ح٢٤٥٦ .

جـ - الخطب المشتملة على ترهيب :

الخطبة الثامنة : التحذير من هدايا العمال :

عن أبي حميد [١] - رضي الله عنه - قال : استعمل رسول الله ﷺ رجلا من بني أسد يقال له : ابن اللتبية على الصدقة ، فلما قدم ، قال : هذا لكم ، وهذا لي أهدي لي ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟!

والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، بعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار [٢] ، أو شاة تيعر [٣] " ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه ثم قال : " اللهم هل بلغت " [٤] .

الخطبة التاسعة : الترهيب من الغلول :

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه ، وعظم أمره ثم قال : " لا ألفين [٥] أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، يقول يا رسول الله أغثني ، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة ، فيقول يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء ، يقول يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة

---

(١) اختلف في اسمه فقيل عبدالرحمن بن عمرو ابن سعد ، وقيل المنذر بن سعد بن مالك الأنصاري الخزرجي عداده في أهل المدينة روى عنه من الصحابة جابر بن عبدالله ، ومن التابعين عروة بن الزبير ، شهد أحدا وما بعدها ، توفي سنة (٦٠) ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ١٧٤ ، وتقريب التهذيب ، ص٦٣٥ .

(٢) خوار : صوت البقر . انظر : النهاية ، ج٢ ، ص ٨٧ .

(٣) قال ابن الأثير : " يقال : يَعَرت العنز تيعر ، بالكسر ، يعارا ، بالضم ، أي صاحت " النهاية . ج٥ ، ص٢٩٧ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، ج٣ ، ص١٤٦٣ ، ح١٨٣٢ .
صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب هدايا العمال ، ج٨ ، ص٤٥٧ ، ح٧١٧٤ ، واللفظ لمسلم .

(٥) قال ابن حجر : " قوله (لا ألفين) بضم أوله وبالفاء أي لا أجد .... بلفظ النفي المؤكد ، والمراد به النهي " فتح الباري ، ج٦ ، ص٢١٥ .

على رقبته نفس لها صياح ، فيقول يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق [١] ، فيقول يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت [٢] فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك شيئا قد أبلغتك " [٣] .

الخطبة العاشرة : التحذير من فتنة الدنيا :

عن أبي سعيد الخدري – ﷺ – قال جلس رسول الله ﷺ على المنبر وجلسنا حوله فقال : " إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا ، وزينتها ، فقال رجل : أو يأتي الخير بالشر ؟ فسكت رسول الله ﷺ فرُئينا أنه ينزل عليه فأفاق يمسح عنه الرحضاء [٤] ، وقال : أين هذا السائل ؟ وكأنه حمده ، فقال : " إنه لا يأتي الخير بالشر ، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا [٥] أو يلم [٦] ، إلا آكلة الخضرة [٧] ، فإنها أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها ، فاستقبلت عين الشمس فثلطت [٨] وبالت ، ثم رتعت ، وإن هذا المال خضر حلو ، ونعم عون المسلم لمن أعطى منه المسكينَ واليتيمَ وابن السبيل ، وإن من يأخذه بغير حقه كمن يأكل ولا يشبع ، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة " [٩] .

الخطبة الحادية عشرة : التحذير من ترك الجمعة :

عن عبدالله بن عمر ، وأبي هريرة – ﷺ – أنهما سمعا رسول الله ﷺ

---

(١) " أي تقعقع وتضطرب إذا حركتها الرياح " فتح الباري ، جـ ٦ ، ص ٢١٥ .
(٢) الصامت : الذهب والفضة ، وقيل كل مالا روح فيه من أصناف المال . المرجع نفسه .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب غلظ تحريم الغلول ، ج٣ ، ص ١٤٦١ ، ح١٨٣١ .
صحيح البخاري ، كتاب الجهاد ، باب الغلول ، ج٤ ، ص٣٦٥ ، ح٣٠٧٣ ، واللفظ لمسلم .
(٤) الرحضاء هو العرق ، أو الكثير أو عرق الحمى . انظر : فتح الباري ، ج١١ ، ص٢٥٠ .
(٥) الحبط بفتحتين : انتفاخ البطن من كثرة الأكل ، فتح الباري ، ج٦ ، ص٥٨ .
(٦) يُلم " بضم أوله ، وكسر اللام ، وتشديد الميم : أي يقرب من القتل " المرجع نفسه .
(٧) الخَضرة ضرب من الكلأ يعجب الماشية ، وقد ورد بلفظ الجمع في بعض الروايات (الخُضر) والخِضرة واحدته . فتح الباري ، المرجع نفسه .
(٨) قوله : " ثلطت وبالت " الثلط الرجيع الرقيق ، وأكثر استعمالاته للابل والبقر والفيلة . انظر : النهاية ج١ ، ص ٢٢٠ .
(٩) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة على اليتامى ، ج٢ ، ص٤٥١ ، ح١٤٦٥ ، وفي مواضع أخرى . وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا ، ج٢ ، ص٧٢٧ ، ح١٠٥٢ .

يقول : على أعواد منبره " لينتهين أقوام عن ودعهم [١] الجمعات أو ليختمن [٢] الله على قلوبهم ثم ليكونُنَّ من الغافلين " [٣] .

الخطبة الثانية عشرة : التحذير من إيذاء المسلمين :

عن عبدالله بن عمر - ﷺ - قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع قال : " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم [٤] ولا تتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم ، تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله [٥] " [٦] .

الخطبة الثالثة عشرة : التحذير من التطويل في القراءة خشية التنفير من صلاة الجماعة :

عن أبي مسعود الأنصاري [٧] - ﷺ - قال : قال رجل : يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان ، فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبا من يومئذ ، فقال : " يا أيها الناس إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليُخفّف ، فإن فيهم المريضَ ، والضعيفَ ، وَذا الحاجة " [٨] .

---

(١) قوله : " ودعهم " أي تركهم ، شرح النووي ، ج٦ ، ص١٥٢ .

(٢) قال القاضي عياض : - رحمه الله - ومعنى الختم : الطبع والتغطية ، قالوا في قوله تعالى : ﴿ ختم الله على قلوبهم ﴾ أي : طبع عليها قالوا وأصل الطبع في اللغة ، الوسخ والدنس ومثله الرين ، وقيل : الرين أيسر من الطبع ، والطبع أيسر من الإقفال ، والإقفال أشدها .
وقد اختلف المتكلمون في هذا اختلافا كثيرا ، فقيل : هو إعدام اللطف وأسباب الخير ، وقيل : هو خلق الكفر في صدورهم وهو قول أكثر متكلمي أهل السنة .
قال غيرهم : هو الشهادة عليهم ، وقيل : هو علامة جعلها الله تعالى في قلوبهم لتعرف بها الملائكة من يجب مدحه ومن يجب ذمّه ، انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٣ ، ص٢٦٥ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب التغليظ في ترك الجمعة ، ج٢ ، ص٥٩١ ، ح٨٦٥ .

(٤) قال في القاموس : " العار كل شيء لزم به عيب ، وعيّره الأمر ولا تقل بالأمر " ج٢ ، ص٩٨ ، والتعيير نسبة العار والعيب إلى الغير .

(٥) الرحل جمعه رحال ، منزل الإنسان ومسكنه . انظر : النهاية ، ج٢ ، ص ٢٠٩ .

(٦) أخرجه الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في تعظيم المؤمن ، ج٤ ، ص٣٧٨ ، ح٢٠٣٢ .
صحيح ابن حبان ، ج١٣ ، ص٧٥ ، ٧٦ ، ح٥٧٦٣ .
وقال عنه الألباني ، حسن صحيح . انظر : صحيح سنن الترمذي للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ، ج٢ ص ٢٠٠ ، ح١٦٥٥ .

(٧) هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيرة بن عطية بن خُدارة بن عوف الانصاري الخزرجي ، أبومسعود ، شهد العقبة ، ورجّح البخاري شهوده بدرا ، وخالفه ابن سعد وشيخه الواقدى ، والبخاري أثبت ، وشهد أحدا وما بعدها بلا خلاف ، نزل الكوفة وهو من أصحاب علي - ﷺ - توفي بعد (٤٠) الأربعين على الراجح ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص٤١٩ ، والإصابة جـ٢ ، ص ٤٨٣ - ٤٨٤ .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب الغضب في الموعظة والتعليم إذا رأى ما يكره ، ج١ ، ص٣٨ ، ح٩٠ .

رابعاً : الخطب الموجّهة لمخصوص :

الخطبة الأولى : إنذار قبائل قريش وقرابة رسول الله ﷺ :

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال لما أنزلت هذه الآية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [١] دعا رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال : " يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مُرّة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا ، غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها " [٢] .

وفي رواية لعائشة – رضي الله عنها – عند مسلم : قالت : لما نزلت ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا ، فقال : يافاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبدالمطلب ، يا بني عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئا : سلوني من مالي ما شئتم " .

وفي لفظ لابن عباس أيضا ، قال : يا بني فلان ... فلما اجتمعوا إليه قال : " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح [٣] هذا الجبل أكنتم مصدقي ، قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " قال أبولهب : تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا " [٤] .

وفي رواية أنه قال : " يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله ، لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) .

(٢) ببلالها ضبطوه بفتح الباء ، وكسرها ، قال النووي ، وهما وجهان مشهوران ، والبلال الماء ، ومعنى الحديث سأصلها ، شرح النووي ، ج٣ ، ص٨٠ .

(٣) سفح الجبل بفتح السين أسفله ، وقيل عرضه ، شرح النووي ، ج٣ ، ص٨٠ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : وأنذر عشيرتك الأقربين . ج١ ، ص١٩٢ – ١٩٤ ، ح٣٤٨/٢٠٤ ، و٣٥٠ ، ٣٥٥ . حديث الباب .
وصحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب ولا تخزني يوم يبعثون ، ج٦ ، ص٣١٤ ، ح٤٧٧٠ .

أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت رسول الله ﷺ سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئا " (١) .

وفي لفظ " انطلق نبي الله ﷺ إلى رَضْمَةِ (٢) من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى يا بني عبد مناف إني نذير إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدوّ فانطلق يربأ أهله (٣) فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه " (٤) .

الخطبة الثانية : الوصية بكتاب الله ، وأهل بيت رسول الله ﷺ :

عن زيد بن أرقم – رضي الله عنه – قال : قام فينا رسول الله ﷺ بماء يدعى خما (٥) بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ثم قال : " ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين (٦) ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكو به ، وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي " (٧) .

الخطبة الثالثة : فضل فاطمة – رضي الله عنها ، ومنعه ﷺ للجمع بينها وبنت أبي جهل عدو الله :

عن المسور بن مخرمة أنه سمع النبي ﷺ على المنبر ، وهو يقول :

---

(١) متفق عليه ، وهذا لفظ مسلم ، وللبخاري نحوه ، وفيه بدل " يا بني عبدالمطلب " "يا بني عبد مناف" وفي أوله قال : " يا معشر قريش أو كلمة نحوها " .
صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب في قوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ج١ ، ص١٩٣ ، ح٣٥٠/٢٠٦ . حديث الباب ، وصحيح البخاري ، كتاب الوصايا ، باب هل يدخل النساء والولد في الأقارب ، جـ ٣ ، ص٢٥٩ ، حـ ٢٧٥٣ .

(٢) " الرضمة واحدة الرضم والرّضام . وهي دون الهضاب وقيل صخور بعضها على بعض " ، النهاية جـ٢ ، ص٢٣١ .

(٣) " يربأ " أهله " يحفظهم من عدوّهم ، والاسم التربينة وهو العين ، نهاية ، جـ ٢ ، ص١٧٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ ج١ ، ص١٩٣ ، ح٣٥٣/٢٠٧ . حديث الباب .

(٥) قال النووي _ رحمه الله – : " هو بضم الخاء المعجمة وتشديد الميم ، وهو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الحسنة ، عندها غدير مشهور ، يضاف إلى الغيضة فيقال غدير خم " شرح النووي ، ج١٥ ، ص١٧٩ ، ١٨٠ .

(٦) قال ابن الأثير : " سماهما ثقلين ، لأن الأخذ بهما والعمل بهما ثقيل . ويقال لكل خطير [نفيس] ثقل ، فسماهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما " النهاية ، ج١ ، ص٢١٦ .

(٧) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، – رضي الله عنهم – باب من فضائل علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ج٤ ، ص١٤٩٢ ، ح٢٤٠٨ .

" إن بني هشام بن المغيرة [١] استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم [٢] علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ، وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتي بضعة [٣] مني يريبني ما رابها [٤] ، ويؤذيني ما آذاها " [٥] .

وفي رواية له : أنه ﷺ خطب فقال : " إن فاطمة مني ، وأنا أتخوف أن تفتن [٦] في دينها ، ثم ذكر صهرا [٧] له من بني عبد شمس فأثنى عليه في مصاهرته إياه ، فقال : حدثني فصدقني ، ووعدني فوفى لي ، وإني لست أحرم حلالا ، ولا أحل حراما ، ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبدا " [٨] .

---

(١) قال ابن حجر – رحمه الله – هم أعمام المخطوبة : الحارث بن هشام ، وسلمة بن هشام فسلمة بن هشام ذكره ابن الأثير في أسد الغابة وقال فيه " أسلم قديما ، وهاجر إلى الحبشة ، ومنع من الهجرة إلى المدينة ، وعذب في الله ، وهو من خيار الصحابة وفضلائهم ، ، قال وشهد مؤتة ، خرج في المجاهدين إلى الشام وقتل بمرْج الصفر سنة ١٤ والحارث بن هشام ذكره الذهبي في العبر فقال : أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ومات في طاعون عمواس سنة ١٨ ، وقيل استشهد باليرموك . انظر : أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص٣٤١ ، والعبر في خبر من غبر ، الحافظ الذهبي ، جـ ١ ، ص١٧ وفتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٩ ، ص٣٣٩ .

(٢) هي : جويرية ، ذكرها ابن سعد في المبايعات من قريش وقال أسلمت وبايعت ، وتزوجها عتاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية ، ثم تزوجها أيان بن سعيد ، وذكر ابن حجر في الفتح أقوالا في اسمها وأرجحها عنده جويرية ، وعليه اقتصر ابن سعد ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٨ ، ص٢٦٢ ، وفتح الباري ، جـ ٧ ، ص ١٠٨ .

(٣) قال النووي : – رحمه الله – : " البضعة بفتح الباء لا يجوز غيره ، وهي قطعة اللحم ، وكذلك المضغة بضم الميم " شرح النووي ، ج١٦ ، ص٢ .

(٤) قوله : " يريبني ما رابها " هو بفتح الياء خوف عاقبة الشيء ، ورابه كذا أي خاف عاقبته ، ومثله أرابه بالهمز ، نقله النووي عن الفراء ، وقيل بترك الهمز لما تيقن منه ، وبها لما يشك أو يتوهم . نقله النووي عن أبي زيد . انظر : شرح النووي ، ح١٦ ، ص٢ .

(٥) هذه الرواية وردت في البخاري ، كتاب النكاح ، باب ذب الرجل عن ابنته في الغيرة والإنصاف ، ج٦ ، ص٤٨٩ ، ح٥٢٣٠ ، ومسلم كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ ج٤ ، ص١٩٠٢ ، ح٢٤٤٩ .

(٦) جاءت الفتنة في اللغة لمعان منها الإثم والكفر والقتال ، والإحراق والإزالة ، والصرف عن الشيء . وجاءت في بعض الأحاديث بمعنى الامتحان والاختبار ، منها فبي تفتنون ، وعنى تسألون " أي تمتحنون بي في قبوركم . النهاية ، ج٣ ، ص ٤١٠ ، ٤١١ .

(٧) هو : أبو العاص بن الربيع زوج زينب – رضي الله عنها – والصهر يطلق على الزوج وأقاربه ، وأقارب المرأة ... والمصاهرة مقاربة بين الأجانب " شرح النووي ، ج١٦ ، ص ٤ ، ٥ .

(٨) صحيح البخاري ، كتاب فرض الخمس ، باب ما ذكر من درع النبي ﷺ وسيفه ، وقدحه خاتمه الخ ، ج٤ ، ص٣٧٨ ، ح٣١١٠ . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل فاطمة بنت النبي ﷺ ، جـ ٤ ، ص١٩٠٢ ، حـ٢٤٤٩ .

الخطبة الرابعة : فضل عائشة – رضي الله عنها – وتزكيته ﷺ لها :

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قام رسول الله ﷺ على المنبر فقال : " يا معشر المسلمين من يعذرني [١] من رجل [٢] قد بلغ أذاه في أهل بيتي ، فو الله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا [٣] ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي " .

فقام سعد بن معاذ [٤] الأنصاري فقال : أنا أعذرك [٥] منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت فقام سعد بن عبادة [٦] وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحا ، ولكن اجتهلته الحمية [٧] ، فقال لسعد بن معاذ : كذبت والله لا تقتله

---

(١) قوله : " من يعذرني " قال النووي في معناه : " من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني ، وقيل معناه من ينصرني ، والعذير الناصر " شرح النووي ، ج١٧ ، ١٠٩ .

(٢) المراد به عبدالله بن أبي بن سلول نصت عليه عائشة – رضي الله عنها – في حديثها عن الإفك – قالت " فقام رسول الله فاستغدر يومئذ من عبدالله بن أبي بن سلول ، قالت فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر ' يا معشر ... "

(٣) هو : صفوان بن المعطل بن ربيعة بن خزاعي بن محارب السلمي الذكواني أسلم قبل المريسيع وشهدها ، ونقل عن الواقدي أنه شهد الخندق وما بعدها ، كان يكون على ساقة النبي ﷺ ، ولم يتخلف بعد عن غزوة غزاها ، روى عنه ابو هريرة وأبو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث ، قتل شهيدا في غزاة ارمينية ، الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ – ١٨١ ، وأسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٢٦ – ٢٧ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص ١٨٤ – ١٨٥ .

(٤) هو سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد عبد الأشهل الخزرجي الأنصاري الأشهلي ، أبو عمر أمه كبشة بنت رافع لها صحبة ، أسلم بالمدينة بين العقبتين على يدى مصعب – ﷺ – شهد بدرا وأحدا والخندق ، ورمي يوم الخندق بسهم ضرب له فسطاط في المسجد فكان رسول الله ﷺ يعوده كل يوم حتى توفي سنة خمس بعد أن حكم في قريظة بقتل الرجال وسبي النساء والذراري ، وفي الحديث أن العرش اهتز لموته ونزلت الملائكة من السماء لتشييعه ، انظر : الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٢٥ – ٣٠ ، وأسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ – ٢٩٩ ، والإصابة جـ ٢ ، ص٣٥ .

(٥) قوله : " أنا أعذرك منه " أي أنصرك عليه أو أنتقم لك منه . شرح النووي ، المرجع نفسه .

(٦) هو : سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة ، الخزرجي أبو ثابت من كبار الصحابة ، سيد الخزرج ، شهد العقبة مع السبعين ، وهو أحد النقباءالاثني عشر ، كان يلقب بالكامل لأنه يحسن الرمي ، والعوم ، والكتابة ، عرف بالكرم والجود ، وإطعام المساكين ، لم يبايع أبا بكر ولمّا أفضت الخلافة إلى عمر كلمه فلم يبايعه أيضا وارتحل إلى الشام فمات بحوران وذلك في أول خلافة عمر – ﷺ – انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ٣ ، ص ٦١٣ – ٦١٧ ، وصفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٥٠٣ – ٥٠٥ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص ٢٧ – ٢٨ .

(٧) اجتهلته الحمية : أي استخفته وأغضبته وحملته على الجهل . شرح النووي ، جـ ١ ، ص١١٠ .

ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير [١] وهو ابن عم سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله لنقتلنه " [٢] .

الخطبة الخامسة : استرضاؤه ﷺ للأنصار بعد موجدة كانت بسبب قسمة غنائم حنين :

عن عبدالله بن زيد بن عاصم [٣] ، قال : لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئا ، فكأنهم وجدوا [٤] إذ لم يصبهم ما أصاب الناس فخطبهم ، فقال : " يامعشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا [٥] فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة [٦] فأغناكم الله بي " كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمنُّ قال : " ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله ﷺ " قال : كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمنُّ ، قال : " لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا " [٧] ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو

---

(١) هو : أسَيد بن حضير بن سماك بن عتيك ابن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل أبو يحيى ، الأنصاري الأوسي ، أسلم قبل سعد بن معاذ ، من فضلاء الصحابة ، شهد العقبة الثانية ، وكان نقيب بني عبدالأشهل ، شهد أحدا وما بعدها ، وحضر فتح بيت المقدس مع عمر وتوفي في خلافة عمر سنة ٢٠ للهجرة ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٣ ، ص ٦٠٣ - ٦٠٧ ، وأسد الغابة ، جـ ١ ص ٩٢ - ٩٣ ، والإصابة جـ ١ ، ص ٦٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب قوله : (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ... إلى قوله : الكاذبون) ج٦ ، ص٣٠٣ ، ح ٤٧٥٠ .
وصحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك ، وقبول توبة القاذف ، ج٤ ، ص٢١٣٣ - ٢١٣٤ ، ح٢٧٧٠ .

(٣) هو : عبدالله بن زيد بن عاصم بن كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول النجاري الأنصاري ، روى عن النبي ﷺ حديث الوضوء وغيره ، قيل إنه هو الذي قتل مسيلمة الكذاب ، روى عنه سعيد بن المسيب ، ويحيى بن عمارة ، وواسع بن حبان وغيرهم ، قتل في وقعة الحرة سنة ٦٣هـ ، انظر : تاريخ خليفة بن خياط ص ٢٤٨ ، وأسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، وتهذيب التهذيب ، جـ٥ ، ص ٢٢٣ .

(٤) وجد عليه يجد ، وجدُ بكسر عين المضارع ، وضمها ، وجْدا وجدة وموجدة غضب . القاموس ، ج١ ، ص ٣٤٣ ، مادة وجد .

(٥) " ضلالا " بالضم والتشديد جمع ضال ، والمراد هنا ضلالة الشرك ، والهداية الإيمان " . فتح الباري ، ج٧ ، ص ٦٤٧ .

(٦) قوله : " عالة " أي فقراء لا مال لهم . فتح الباري ، ج٧ ، ص ٦٤٧ .

(٧) قوله : " جئتنا كذا وكذا " هكذا جاءت الرواية في الصحيحين على الإبهام ، قال ابن حجر : " ... جئتنا كذا وكذا وكان من الأمر كذا وكذا لأشياء زعم عمرو بن أبي يحيى المازني أنه لا يحفظها " ثم قال : " وقد فسر ذلك في حديث أي سعيد ولفظه : " فقال : أما والله لو شئتم لقلتم فصدقتم وصدقتم ، أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسيناك " . فتح الباري ، ج٧ ، ص٦٤٧ - ٦٤٨ .

سلك الناس واديا وشعبا ، لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار ، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض "[١] .

وفي رواية من حديث أنس بن مالك – ﷺ – قال " قال ناس من الأنصار – حين أفاء الله على رسوله ﷺ ما أفاء من أموال هوزان ، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالا المائة من الإبل فقالوا – يغفر الله لرسول ﷺ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم قال أنس فحُدّث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ، ولم يدْعُ معهم غيرَهم فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال : " ما حديث بلغني عنكم ؟ فقال فقهاء الأنصار أما رؤساونا يا رسول الله فلم يقولوا شينا ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ﷺ ، يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فقال النبي ﷺ " فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به . قالوا يا رسول الله قد رضينا . فقال لهم النبي ﷺ " ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ ، فإني على الحوض ، قال أنس فلم يصبروا "[٢] .

الخطبة السادسة : العطاء ليس معيار المحبة :

عن عمرو بن تغلب [٣] أن رسول الله ﷺ أتي بمال أو سبي فقسمه فأعطى رجلا وترك رجالا فبلغه أن الذين ترك عتبوا عليه ، فحمد الله ثم أثنى عليه ثم قال : " أما بعد فو الله إنّي لأعطي الرجل ، والذي أدع أحب إلي من

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف في شوال سنة ثمان ... ، ج٥ ، ص١٢٣ – ١٢٤ ، ح٤٣٣٠ .
وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبُّر من قوي إيمانه ، ج٢ ، ص٧٣٨ – ٧٣٩ ، ح١٠٦١/١٣٩ ، واللفظ للبخاري .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة الطائف في شوال ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ ، حـ ٤٣٣١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبّر من قوي إيمانه ، جـ ٢ ، ص ٧٣٥ – ٧٣٦ ، حـ ١٠٥٩ .

(٣) هو : عمرو بن تغلب العبدي ، من عبد القيس ويقال إنه من النمر بن قاسط ، عداده في أهل البصرة روى عن النبي ﷺ أحاديث منها هذه الخطبة المتضمنة للثناء عليه في إيمانه وعفته لم يشتهر بالرواية عنه غير الحسن البصري ، الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٥١١ – ٥١٢ ، والإصابة جـ ٢ ، ص٥١٩ .

الذي أعطي ، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع[١] ، والهلع[٢] ، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير ، فيهم عمرو بن تغلب " فو الله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم [٣] .

الخطبة السابعة : طلبه ﷺ من المسلمين أن يردوا إلى وفد هوازن سبيهم :

عن المسور بن مخرمة ومروان أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين ، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم ، فقال لهم رسول الله ﷺ : " معي من ترون وأحب الحديث إلى أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال ، وقد كنت استأنيت [٤] بكم " وكان أنظرهم [٥] رسول الله ﷺ بضع [٦] عشرة ليلة حين قفل [٧] من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير رادّ عليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا فإنا نختار سبينا [٨] ، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : " أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يُطيّب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل "

فقال الناس قد طيّبنا ذلك يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : " إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم

---

(١) الجزع محركة نقيض الصبر ، وقد جزع كفرح جزعا وجُزوعا فهو جازع وجزع . القاموس المحيط ، ج٣ ، ص١٣ ، مختار الصحاح ، ص١٠٣ .

(٢) الهلع أشد الجزع والضجر ، النهاية ، ج٥ ، ص٢٦٩ .

(٣) البخاري ، كتاب الجمعة ، باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد ... ، ج١ ، ص٢٧٦ ، ح٩٢٣ ، و ٣١٤٥ ، ٧٥٣٥ .

(٤) " استأنيت " معناه انتظرت ، أي أخرت قسم السبي لتحضروا فأبطأتم " فتح الباري ، ج٧ ، ص٦٢٩ .

(٥) " الإنظار التأخير والإمهال ، يقال : انظرته أنظره ، واستنظرته ، إذا طلبت منه أن ينتظرك " النهاية ، ج٥ ، ص٧٨ .

(٦) البضع في العدد بالكسر ، وقد يفتح ، مابين الثلاث إلى التسع ، وقيل ما بين الواحد إلى العشرة " النهاية ، ج١ ، ص ١٣٣ .

(٧) قوله : " قفل " يقفل أي عاد من سفره ، النهاية ، ج٤ ، ص٩٢ .

(٨) " السبي ما يسبى ، جمعه سُبي ، والنساء لأنهن يسبين القلوب ، او يسبين فيملكن ولا يقال ذلك للرجال " القاموس ، ج٤/٣٤٠ .

أمركم " فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا " (١) .

الخطبة الثامنة : بيانه ﷺ فضل زيد بن حارثة وابنه أسامة – رضي الله عنهما – وصلاحيتهما للإمارة :

عن عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال – وهو على المنبر – : " إن تطعنوا في إمارته – يريد أسامة بن زيد – فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله ! إن كان لخليقا لها . وأيم الله ! إن كان لأحب الناس إليّ ، وأيم الله ! إن هذا لها لخليق – يريد أسامة بن زيد – وأيم الله إن كان لأحبهم إليّ من بعده ، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم " (٢) .

وهذه نماذج من خطبه ﷺ ولست أدعى حصر جميعها ، وقد تركت خطبا كثيرة ذات أهمية من حيث الموضوع لعدم صحة الإسناد ، مثل خطبة تبوك ، وخطبة أول جمعة في المدينة .

وفيما يلي أبدأ دراسة هذه الخطب مبينا سماتها ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأصناف المخاطبين بها ومراعاة أحوالهم ، والوسائل والأساليب التي استخدمت فيها . وأسأل الله التوفيق والسداد .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قول الله تعالى : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل الله سكينته ﴾ إلى قوله : ﴿ غفور رحيم ﴾ ج٥ ، ص١١٨ ، ١١٩ ، ح٤٣١٨ ، ٤٣١٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد – رضي الله عنهما – ج٤ ، ص١٨٨٥ ، ح٢٤٢٦ .

المبحث الثاني

السمات العامة لخطب الرسول ﷺ

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : السمات المتعلقة بالأسلوب والبلاغة .

المطلب الثاني : السمات المتعلقة بكيفية الإلقاء وأسبابه .

المطلب الثالث : السمات العامة التي ترجع إلى المعاني .

المبحث الثاني

السمات العامة لخطب النبي ﷺ

لقد أوتي المصطفى ﷺ جوامع الكلم واختصر له الكلام اختصار ، قال رسول الله ﷺ " بعثت بجوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وبينا أنا نائم أوتيت بمفاتيح خزائن الأرض فوضعت في يدي " (١) .

وقال علماء البلاغة : إن السنة المطهرة تجيء في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم (٢) .

ولعل أهم صفة يحظى بها الكلام البليغ ، أن يفهمه السامعون ، ويؤثر فيهم بما يشتمل عليه من أدلة منطقية وألفاظ جزلة ، تراعى فيها أحوال المخاطبين وتتدفق عباراتها من غير تكلف فتسْري في أعماق النفوس والضمائر ، وتأسر القلوب بجمالها وهيبتها ، ورونقها اللامع ، ولا يحظى بهذه الهيبة كلام السحرة ولا الكهنة ولا شعرالشعراء .

كما لاحظ ذلك ضماد الأزدي (٣) – رضي الله عنه – أول ما سمع كلام رسول الله ﷺ : " إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد " ، فلما سمع هذه الكلمات طلب إعادتها ، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء ، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء ، ولقد بلغن

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، ج١ ، ص٣٧١ – ٣٧٢ ، ح٥٢٣ .

(٢) يقول الشيخ سيدي عبدالله الشنقيطي – رحمه الله – في نور الأقاح في علوم البلاغة وهو نظم مخطوط :

والطرف الأعلى هو القرآن * قد عجزت عن مثله عدنان

والطرف الأعلى الحديث يقرب * منه له الإعجاز بعض ينسب

(٣) هو ضماد بن ثعلبة الأزدي من أزد شنوءة ، وفي حديثه أنه قدم مكة ، وكان يرقي ، فسمع أهل مكة يقولون محمد ساحر ، أو كاهن أو مجنون ، فلقيه فقال : يا محمد إني أعالج ، فقال رسول الله ﷺ : " إن الحمد لله ... الحديث . الاصابة ، ج٢ ، ص٢٠٢ .

ناعوس [١] البحر ، قال : فقال : هات يدك أبايعك على الإسلام ، قال : فبايعه فقال رسول الله ﷺ وعلى قومك قال وعلى قومي " [٢] .

وكان رسول الله ﷺ يجتهد في إبلاغ الناس وإفهامهم ، ففي الصحيح أنه ﷺ " كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه ، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا " [٣] .

وقالت عائشة – رضي الله عنها – كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا يفهمه كل من يسمعه [٤] .

وفي هذا المبحث أتعرض لأهم السمات التي تتسم بها خطبه ﷺ في مطالب ثلاثة :

المطلب الأول

السمات المتعلقة بالأسلوب والبلاغة

ومعلوم أن البلاغة هي مراعاة مقتضى الحال ، وكان رسول الله ﷺ يراعي أحوال المخاطبين في خطبه ، ومن أمثلة ذلك ، ما يلي :

أ – كثرة استعمال أدوات التأكيد إذا كان الحديث عن أمر غيبي ، أو إبطال أمر اعتاده الناس ومَرِنُوا عليه . وأمثلة ذلك كثيرة في خطبه ﷺ وشواهده في القرآن الكريم ، والأحاديث التي ليست خطبا كثيرة أيضا .

فمن أمثلة ذلك قوله ﷺ في خطبة الكسوف : " إن الشمس والقمر من آيات الله ، وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته " [٥] .

---

(١) قال القاضي عياض : " (ناعوس) بالنون ذكره أبو مسعود الدمشقي في كتاب أطراف الصحيحين ، وعبدالله بن أبي نصر الحميدي في كتاب جمع الصحيحين (قاموس) بالميم ، وقال بعضهم هو الصواب ، قال أبو عبيد قاموس البحر وسطه – أو لجته ، او قعره الأقصى " ، إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٣ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة والخطبة ، ج٢ ، ص٥٩٣ ، ح٨٦٨ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه ، ج١ ، ص٣٩ – ٤٠ ، ح٩٤ ، ٩٥ .

(٤) سنن أبي داود كتاب الأدب ، باب الهدى في الكلام ، ج٥ ، ص١٧٢ ، ح٤٨٣٩ .

(٥) تقدم تخريجه هذه الخطبة في المجموعة الأولى من نصوص الخطب ، وهي الخطبة الأولى ، ص٦٧ .

وقد روي أن كسوف الشمس الذي كان سبباً في هذه الخطبة كان متزامنا مع موت إبراهيم ابنه ﷺ فظنوا أن ذلك كان سببا في كسوف الشمس [١] ، فنفى رسول الله ﷺ ذلك الظن في جملتين استعمل في كل واحدة منهما أكثر من مؤكد .

ففي الجملة الأولى : " إن الشمس والقمر من آيات الله " بدأها بحرف توكيد " إن " ثم أتى بالجملة اسمية ، وذلك يدل على التأكيد أيضا ؛ لأن الجملة الاسمية تدل على الدوام والاستمرار .

وفي الجملة التي بدأها بحرف عطف على الجملة الأولى " وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته " وقد اشتملت على مثل ما اشتملت عليه الأولى من تأكيد ، وفي نفس الخطبة يكرر الرسول ﷺ نداء أمته " يا أمة محمد " وهو نداء تظهر فيه الشفقة والرحمة بهذه الأمة من رسولنا ﷺ .

وفيها أيضا يقسم بالله على أننا لو علمنا ما يعلمه من الأمور الغيبية لكان بُكاؤنا أكثر من ضحكنا ، " والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " [٢] .

وفي هذا القسم مع ما بعده ما يدل على أن أكثر الناس يضعف إيمانهم بالغيب ، وهم في غفلة عن الآخرة ، مشتغلون عنها بحب الدنيا ، قال الله تعالى : ﴿ كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ [٤] .

ومما يدل على ذلك أن الله تعالى – وهو أصدق القائلين – عندما يكون الخبر عن الأمور الغيبية وأمور المعاد تكثر فيه المؤكدات من أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف

---

(١) جاء في صحيح مسلم عن جابر – رضي الله عنه – " قال انكسفت الشمس في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الناس إنما انكسفت لموت إبراهيم فقام النبي صلى الله عليه وسلم فصلى بالناس " ، مسلم ، ج٢ ، ص ٦٢٣ ، حـ١٠/٩٠٤ .

(٢) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٧ .

(٣) سورة القيامة ، الآيتان (٢٠ ، ٢١) .

(٤) سورة الأنبياء ، الآيتان : (١ ، ٢) ، وجزء من الآية (٣) .

المرفوع والبحر المسجور إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع ، يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا ، فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يُدعّون إلى نار جهنم دعّاً هذه النار التي كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون ﴾ (١) ، وقال عز وجل : ﴿ والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع ﴾ (٢) ، ففي هذه الآيات يقسم الله تعالى أقساما متتالية ، ثم يتبع هذه الأقسام بجمل تشعر السامع بشدة الموقف وهوله ، وذلك باستعمال المؤكدات حتى يعلم الغافلون أن الأمر عظيم وخطير ﴿ إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع ﴾ ، ﴿ إنما توعدون لصادق وإن الدين لواقع ﴾ .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية الأولى : " هذا هو المقسم عليه أي لواقع بالكافرين كما قال في الآية الأخرى ﴿ ما له من دافع ﴾ أي ليس له من دافع يدفعه عنهم إذا أراد الله بهم ذلك " (٣) .

وفي بعض روايات خطبة الكسوف أيضا عن أسماء – رضي الله عنها – يقول المصطفى ﷺ في بيان فتنة القبر وشدتها " وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور قريبا أو مثل فتنة المسيح الدجال " (٤) .

وفتنة القبور من الأمور الغيبية ، ولذلك اهتم رسول الله ﷺ بتأكيدها فأكدها بمؤكدين فقال : " وإنه قد أوحي إلى أنكم " فـ " إن " و " أنَّ " كلاهما حرف تأكيد .

وفي الخطبة الثانية إذ يتحدث رسول الله ﷺ عن البلايا والفتن التي تصيب أمته في آخر الزمان يقول : " إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب ءاخرها بلاء وأمور تنكرونها " (٥) .

وهذا من الأمور الغيبية ، ولذلك أكده المصطفى ﷺ بمؤكدين الأول : " إن " ، والثاني الإتيان بالجملة اسمية ، ولعل هذا من الغيبيات التي تحقق

(١) سورة الطور ، الآية : ١ إلى ١٥ .
(٢) سورة الذاريات ، من الآية ١ – ٦ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص ٣٠٥ .
(٤) تقدم تخريجه في النصوص ص ٦٩ .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٩.

بعضها ، فتكاثرت الفتن في هذا الزمان ، وتكالب الكفار على المسلمين ، وهذا أيضا مصداق قوله ﷺ : " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أو من قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ ! قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهة الموت " (١) .

وفي الخطبة الثالثة : إذ يبين رسول الله ﷺ الحالة التي يحشر الناس إلى الله تعالى عليها ، يقول ﷺ : " يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا " (٢) . وهذا أمر غيبي ، وحال الناس في لهوهم ولعبهم ، وتكالبهم على الدنيا ، واشتغالهم بتحصيلها ، عن أمور الآخرة ، يدل على ضعف إيمانهم بها ولذا فإن رسول الله ﷺ يراعي هذا الأمر فيؤكد كل الأخبار المتعلقة بأمور الآخرة .

وفي الخطبة الرابعة إذ يبين الرسول ﷺ بطلان بعض الأمور التي اعتادها الناس ومرنُوا عليها من تحريم ما أحل الله يقول ﷺ : " كل مال نحلته عبدا حلال " (٣) . فلفظة " كل " من أدوات العموم وتدل على تأكيده وفي ضمن ذلك إشارة إلى بطلان ما كانوا يعتقدونه ، من تحريم كثير مما أحل الله مما جاء مفصلا في سورة الأنعام ، وقد بينت ذلك في التمهيد قال الله تعالى : ﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون ﴾ (٤) .

وفي الخطبة الخامسة إذ يخبرنا رسولنا ﷺ عن بعض صفات الله عز وجل فيقول " إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام " (٥) .

وإذا تأملنا هذه الجمل ، وجدناها تحوي من الروعة والجلال والهيبة ما يحرك الشعور ، وتقشعرّ منه الجلود ، حيث بدأت بما يصعد بقلب السامع

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الملاحم ، باب تداعي الأمم على الإسلام ، ج٤ ، ص١١١ ، ح٤٢٩٧ ، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ٢/ص٦٨٤ .
(٢) تقدم تخريج هذه الخطبة كاملة في المبحث الأول من هذا الفصل ص ٧٠ .
(٣) هذه الخطبة رواها مسلم ، وقد تقدم تخريجها في نصوص الخطب ص ٧٠ .
(٤) سورة المائدة الآية (١٠٣) .
(٥) تقدم تخريج هذه الخطبة كاملة في النصوص ص ٧٢ .

ويرقى بفكره ، ليتعرف على قدرة مالك الملك ، ومخالفته لخلقه ؛ فإذا كان الإنسان لا يستغني عن النوم ، ولو فقده يوما واحدا لاضطربت حياته ، وشعر بالقلق والانزعاج فإن الله عز وجل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (١) ، ﴿ لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ (٢) ، ﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ (٣) . فمن بيده أمر السماء والأرض ، وتصريف الليل والنهار والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار " لا ينام ولا ينبغي له أن ينام " .

وفي الخطبة السادسة والتي يبين رسول الله ﷺ فيها شهادته على أمته ورؤيته لحوضه ، وأنه أعطي خزائن الأرض ، وأن أشد ما يخاف على أمته التنافس في الدنيا ، يقول ﷺ : " إني فرطكم وأنا شهيد عليكم " ثم يقول : " والله إني لأنظر إلى حوضي الآن " (٤) .

وإذا أردت أن تعرف الوجه الذي من أجله أقسم رسول الله ﷺ هذا القسم وهو الصادق المصدق وأتى معه بـ " إنّ " و " واللام " وكلاهما يدل على التأكيد ، فلاحظ نفسك حين يخبرك من أنت معه في مكان واحد وليس أحدّ بصرا منك أنه يري شيئا معينا لا يخفى مثله عليك لشهرته ، لاحظ ما تجده في نفسك من صعوبة التصديق إلا إذا كنت عالما بأن لهذا المخبر مزية ليست لك ، ودرجة لا تماثله فيها ، ومن أجل هذا أنكر الكفار ما جاء به رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم ، قال الله تعالى حكاية لمقالهم : ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ﴾ (٥) .

وقال تعالى حكاية لما قاله فرعون وقومه ، لموسى وهارون – عليهما السلام – : ﴿ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين إلى فرعون

---

(١) سورة الشورى ، جزء من الآية (١١) .
(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : (٢٥٥) .
(٣) سورة السجدة ، جزء من الآية : ٥ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧٣ .
(٥) سورة إبراهيم ، الآية : ١٠ .

وملائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين ، فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومها لنا عابدون ﴾ (١) .

وقال تعالى أيضا في بيان أمر قريش وإنكارهم للآيات البينات وتعللهم بهذه الحجة الواهية ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد ءاباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جائهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾ (٢) .

ومن رزقه الله الهداية علم أن الله يختص من شاء من عباده بما شاء من فضله ، لا مانع لما أعطى ولا رادّ لما قضى .

ولذا لما قالت قريش : ﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ (٣) . قال الله تعالى منكرا عليهم هذا القول : ﴿ أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ﴾ (٤) ، وقال تعالى ردا عليهم لما ربطوا إيمانهم بايتائهم مثل ما أوتي رسل الله وذلك في قوله تعالى عنهم : ﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾ (٥) ، فقال الله تعالى ردا عليهم ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٦) .

ب – الاختصار مع الوفاء بالمقصود :

معلوم أن الرسول ﷺ كان يلقى خطبه لمناسبات متعددة واسباب مختلفة ، ويظهر ذلك جليا بالاطلاع على نصوص خطبه ﷺ في المبحث الأول من هذا الفصل .

فقد تكون الخطبة ذات هدف محدود ، يقصد رسولنا ﷺ منها إنكار أمر معين ، أو الترهيب من أمر خاص ، أو بيان حكم مسألة معينة .

وفي هذه الأحوال يقتصر ﷺ على بيان المقصود من غير استطراد .

وفيما يلي بعض الأمثلة على ماذكر :

---

(١) سورة المؤمنون ، من الآية : ٤٥ – ٤٧ .
(٢) سورة سبأ ، الآية : ٤٣ .
(٣) سورة الزخرف ، الآية : ٣١ .
(٤) سورة الزخرف ، الآية ٣٢ .
(٥) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٢٤ .
(٦) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٢٤ .

١ – خطبته ﷺ في الترهيب من ترك الجمعة : فعن عبدالله بن عمر وأبي هريرة – ﷺ – أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول على أعواد منبره : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " [١] .

فرواية هذا الحديث تدل على أنه خطبة ، لتصريح راوييه بأنه قاله على المنبر ، وقد جاءت ألفاظه مختصرة لكنها كافية في التعبير عن المقصود ، وهو الترهيب من ترك الجمعة ، فالمتأمل في هذه الجمل يلاحظ أنها مع اختصارها وافية بالمقصود فقد دلت على خطورة ترك الجمعة ؛ وذلك لأن تاركها يهدده خطر عظيم ، ألا وهو الختم على قلبه ، حتى لا يفقه شيئا ولا يعيه ، وهذا أخطر شيء يخشاه من في قلبه شيء من الإيمان ، لأن الختم على القلوب والطبع عليها قد وصف الله به أهل الكفر ، قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم ﴾ [٢] .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية نقلا عن مجاهد [٣] أنه قال : " ختم الله على قلوبهم قال الطبع ، ثبتت الذنوب على القلب فحفت به من كل نواحيه ، فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم " [٤] .

وقال تعالى عن اليهود : ﴿ وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾ [٥] .

نقل ابن كثير عن ابن عباس ومجاهد ، وسعيد بن جبير ... ﴿ قلوبنا غلف ﴾ أي في غطاء " قال : وهو كقول المشركين ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة

---

(١) تقدم تخريجه ص٩٣ .
(٢) سورة البقرة ، الآيتان (٧ ، ٨) .
(٣) هو : مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي مولى بني مخزوم ، تابعي ، مفسر ، روى الكثير عن ابن عباس ، أخذ عنه القرآن وتفسيره ، والفقه ، وعن أبي هريرة ، وعائشة وغيرهم – رضي الله عنهم أجمعين – وعنه عكرمة وعطاء ، وطاوس وغيرهم ، روي عنه أنه قال : ما أدري أي النعمتين أعظم ، أن هداني للإسلام أو عافاني من هذه الأهواء ، توفي بعد المائة وهو ساجد ، انظر: سير أعلام النبلاء ، جـ٤ ، ص ٤٤٩ – ٤٥٧ ، وتذكرة الحفاظ جـ ١ ، ص ٩٢ – ٩٣ ، والأعلام جـ ٥ ص ٢٢٨ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٦٥ ، وانظر : نصوص الخطب ص .
(٥) سورة النساء ، جزء من الآية : ١٥٥ .

مما تدعونا إليه [١] ﴾ [٢] .

وليس تارك الجمعة مهددا بالختم وحده ، بل إن رسول الله ﷺ يقول : " ثم ليكونن من الغافلين " ، والغافلون مآلهم إلى النار ، قال تعالى : ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذي هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾ [٣] .

قال تعالى : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم ءاذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ [٤] .

وهذان أمران كل واحد منهما كاف في الترهيب من ترك الجمعة ، فإذا كان تاركها يبتليه الله بالختم على قلبه ، ثم بعد ذلك يكون من الغافلين ، والطبع والختم من صفات أهل الكفر والنفاق ، والغفلة أيضا مآل أصحابها إلى النار كما دلت على ذلك الآيات التي ذكرتها ؛ ولذا فإن هذه الخطبة مع قصرها قد وفت بالمقصود في بلاغة وإيجاز ، وعدم استطراد ، وذلك مما يزيد الأمر أهمية ، ويؤكد خطورته إذا كان يستحق أن يخص بخطبة لا يشاركه فيها غيره .

ومن أمثلة هذا النوع أيضا خطبته ﷺ في بيان حرمة الشفاعة في الحدود ، وإنكارها على من يريد القيام بها وذلك لما كلمه أسامة بن زيد حبّه وابن حبّه في المخزومية التي سرقت على عهده ﷺ قال له : " أتشفع في حدّ من حدود الله " . فقال له أسامة : استغفر لي يارسول الله ، فلما كان من العشي قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : " أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " [٥] .

---

(١) سورة فصلت ، جزء من الآية (٥) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٧٥١ .
(٣) سورة يونس ، الآيتان (٧ ، ٨) .
(٤) سورة الأعراف ، الآية (١٧٩) .
(٥) تقدم تخريج هذه الخطبة تخريجا كاملا ص٧٩ .

فسبب هذه الخطبة كما يوضحه سياقها إنكار الشفاعة في الحدود ، وقد بين رسول الله ﷺ في هذه الخطبة مع قصرها خطورة الشفاعة في الحدود ، لأنها كانت سببا في هلاك من قبلنا ، وخاصة إذا كانت على أساس الشرف والضعف ، وقد قطع رسول الله ﷺ الطريق على من تسول له نفسه أن يفرق بين أفراد المجتمع على أساس الشرف أو المنزلة في المجتمع ، بقوله : " وإني والذي نفسي بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " .

فإذا كان رسول الله ﷺ يقسم بالله أن أقرب الناس إليه وأحبهم إليه وهي فاطمة – رضي الله عنها – لو سرقت لقطع يدها ، فإن هذا كاف في قطع المطامع عن التفريق بين أفراد المجتمع .

ومن أمثلة هذا النوع ايضا : خطبته ﷺ في بيان حكم الأضحية وأنها يجب أن تكون بعد الصلاة حيث قال : " من صلى صلاتنا ونسك نسكنا ، فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له " [١] .

وهذه الخطبة يوم الأضحى كما نص عليه البراء بن عازب – رضي الله عنه – راوي الحديث .

وهي مع وجازتها قد وفت بالمقصود حيث بيّن رسول الله ﷺ وقت النسك ، وأنه لا يصح قبل الصلاة : " ومن نسك قبل الصلاة ، فإنه قبل الصلاة ولا نسك له " .

وبينّ كذلك أن من ذبح قبل الصلاة فحظه اللحم فقط ، والأمر الأمثل في ذلك أن يصلي مع المسلمين ويشهد الخير ، ثم يرجع بعد ذلك للنسك فيذبح شاته ، وهذه إصابة النسك ، وإذا تأملنا هذه الخطبة مع وجازتها ووضوح عباراتها . علمنا أنها كافية في بيان هذا الحكم الذي وردت فيه – وهو الوقت الذي يفضل للنسك .

ج – وضوح الألفاظ وقلة الغريب فيها :

سبقت الإشارة إلى أن قول رسول الله ﷺ كان قولا فصلا يفهمه كل من يسمعه .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨١ .

وإذا تأملنا خطبه ﷺ تبين لنا أنه كان يتخَيّر من الألفاظ أعذبها ، ومن الأساليب أسهلها وأقلها غرابة ، وأنه كان يتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي ، ولا يلجأ إلى التكلف والتقعر في كلامه .

فقد كان ﷺ يكره التشدق ، والثرثرة والتفيهق في الكلام ، فقد أخرج الترمذي وأحمد عن جابر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة ، أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلي الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون " قالوا يا رسول ، قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون " (١) .

قال النووي – رحمه الله – في تفسير هذه الألفاظ " الثرثار " هو كثير الكلام تكلفا ، " والمتشدق " المتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فيه تفاصحا وتعظيما لكلامه ، " والمتفيهق " أصله من الفهق ، وهو الامتلاء ، وهو الذي يملأ فمه بالكلام ، ويتوسع فيه ، ويغرب به تكبرا وارتفاعا ، وإظهارا للفضيلة على غيره " (٢) .

وسأورد أمثلة تؤكد ما قلته – إن شاء الله تعالى –

١ – منها خطبته ﷺ في خطورة الشفاعة في الحدود حيث قال بعد الثناء على الله : " أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٣) .

فعندما تتأمل هذه الألفاظ ، يظهر لك خلوها من الغرابة ، حيث جاءت العبارات واضحة ، لا يحتاج المستمع العادى ، في فهمها إلى المعاجم اللغوية أو كتب الغريب ؛ لأنها سهلة لا غموض فيها ، ولا تعقيد ولا تنافر ، ينبو عنه اللسان ، أو يستثقله السمع ، وقد لا حظنا فيما سبق أيضا خلو هذه الخطبة ، من الحشو والاستطراد ؛ لأنها وردت لبيان حكم محدد فأبلغت في بيان خطورته والتحذير منه .

---

(١) الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ، ج٤ ، ص ٣٧٠ ، ح٢٠١٨ .
ومسند الإمام أحمد ، جـ ٤ ، ص٢٦٤ ، حـ ١٧٦٩٩ من حديث أبي ثعلبة الخشني – ﷺ – .
(٢) رياض الصالحين ، الإمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، ص ٢٢٣ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .

وإذا تتبعت مفردات هذه الخطبة لاحظت صدق ما ذكرته لك .. فالهلاك معروف ، وكذلك السرقة ، والشرف والضعف ، وإقامة الحد ، والترك ... كلها واضحة .

٢ – قوله ﷺ مبينا وجوب الحج : " إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا " (١) .

فإذا تأملت هذه الألفاظ لم تجد فيها لفظا غريبا ، ولا متنافرا ، وتجد أن تركيب الكلمات وتناسقها فيما بينها أمر جلي أيضا فلا تعقيد فيها ، يدل على ما ذكرته أن الرسول ﷺ لما سأله أحد الحاضرين ، هل الحج كل عام ؟ لم يجبه حتى كرر السؤال ثلاث مرات ، مما يدل على عدم الحاجة إلى هذا السؤال ، وأجابه قائلا : " لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ، ذروني ما تركتكم فإنما أهلك الذين من قبلكم كثرة مسائلهم ، واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم ، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " .

محل الدلالة في هذا الحديث على وضوحه من وجهين :

١ – أن النبي ﷺ أنكر السؤال من السائل ، ولم يجبه في أول الأمر .

٢ – أن جميع الحاضرين فهموا المقصود فلم يسأله غير رجل واحد .

ويظهر من جواب رسول الله ﷺ أنه طلب منهم أن يحجوا دون تقييد بمرة أو تكرار ، ولو قاموا بواحدة لكفتهم ، ولا حاجة إلى السؤال .

٣ – قوله ﷺ في إبطال النسيء :

" الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان " (٢) .

فتأمل معي هذه الأفاظ ، يظهر لك خلوّها من الغموض والغرابة ، ومن احتمال أكثر من معنى ، فالسنة اثنا عشر شهرا " والذي يشمله التحريم أربعة فقط ، وقد حددت هذه الأربعة تحديدا تاما لا يحتمل غيرها ، حددت بتواليها (ثلاث متواليات) وحددت أيضا بأسمائها المعيّنة لها ، (ذو القعدة ، ذو الحجة ،

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، وقد تقدم تخريجه في ص٨٠ .
(٢) هذا الحديث نص خطبة تقدم تخريجها ص ٨٤ .

والمحرم) ، هذا فيما يعني الثلاثة المتوالية ، وأما الشهر الرابع فقد حدّد أيضا بإضافته (ورجب مضر) وبتعيين الشهر الذي قبله ، والشهر الذي بعده " الذي بين جمادى وشعبان " [١] .

ولعل هذا التوضيح التام يقطع الطريق على من يريد الترخّص ، أو التأويل الذي ينال بسببه من قدسية هذه الأشهر التي حرمها الله ولم يحرّمها الناس ، ولتنبيههم إلى أن هذه الأشهر محرمة بأعيانها ، لا بأبدالها التي كان أهل الجاهلية يعوّضونها بها ، فيجعلون صفرا محرما ، فالله الذي خلق السماوات والأرض هو الذي جعل السنة اثني عشر شهرا ، وحرم أربعة منها ، وهي معينة لا تتغير بتغيير البشر لها .

(١) تأكيد للبيان والإيضاح ، كما سبق ذكره ص ٨٤ .

المطلب الثاني

السمات المتعلقة بكيفية الإلقاء وأسبابه

معلوم أن للخطابة آدابا ، وشروطا يجب التقيد بها ليكون الخطيب ناجحا وكلامه مؤثرا في سامعيه .

وتعتمد هذه الآداب في أساسها على كيفية الإلقاء وهيئة الملقي ، ومراعاة ظروف الإلقاء وأسبابه .

ورسول الله ﷺ هو المثل الأعلى لكل داعية وخطيب ، وقد جاء في خطبه ما يوضح الكثير من هذه الآداب ، مما يمكن اعتباره سمات غالبة ، لتكررها وغلبة ورودها ، وفي هذا المطلب سأذكر ما تيسر من السمات المتعلقة بهيئته ﷺ حالة الإلقاء ، وأهم الأسباب التي كان يخطب بموجبها .

أولا : ظهور أمارات الغضب عند إرادة تغيير منكر أو الحديث عن الساعة .

جاء في حديث عن جابر – رضي الله عنه – قال : كان رسول الله ﷺ : " إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش ، يقول صبَّحكم ومسّاكم ويقول : " بعثت أنا والساعة كهاتين " ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى " [١] .

وكان رسول الله ﷺ كثير التحمل والصبر ، ولا يغضب لنفسه ، ولا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله [٢] ، وقد وردت أدلة كثيرة على أن أمارات الغضب كانت تظهر عليه إذا تعلق الأمر بتغيير منكر .

١ – منها ما ثبت في خطبته التي ينكر فيها الشفاعة في الحدود تقول عائشة – رضي الله عنها – : " فكلمه فيها أسامة ابن زيد فتلوّن وجه رسول الله ﷺ فقال : " أتشفع في حد من حدود الله " ؟ [٣] .

---

(١) أخرجه مسلم ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٨ .

(٢) في صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ، ولا امرأة ولا خادما ، إلا أن يجاهد في سبيل الله ، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه ، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله ، فينتقم لله عز وجل " صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب مباعدته ﷺ للآثام ، واختياره من المباح أسهله ، وانتقامه لله ، ج٤ ، ص١٨١٤ ، ح٢٣٢٨ .

(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .

وهذه الخطبة قد ظهر الغضب فيها على وجه رسول الله ﷺ فتلوّن وهي أمارة واضحة للغضب – كما هو معلوم – .

وظهرت أيضا في خطابه حيث قال : " أتشفع في حد من حدود الله " ، فهذه عبارة تدل على عدم الرضا ، فالهمزة للاستفهام الإنكاري ، والعبارة بمجملها تدل على الإنكار كذلك .

وقد قام خطيبا في اليوم نفسه فقال : " إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " ، وهذه الألفاظ كلها تدل على خطورة هذا الأمر ، واستنكار الرسول ﷺ له .

٢ – من أمثلة هذا النوع أيضا خطبته ﷺ في التحذير من هدايا العمال ، فقد استعمل رسول الله ﷺ رجلا على الصدقة ، فلما قدم قال : هذا لكم وهذا أهدي لي ، فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : " ما بال عامل أبعثه ؟ فيقول هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟ والذي نفس محمد بيده ، لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه ، بعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر " [١] .

فإذا تأملت ألفاظ هذه الخطبة لاحظت أن رسول الله ﷺ تكلم بها وهو مغضب غير راض عن هذا الفعل الذي قام به هذا العامل ، يظهر ذلك من قوله : " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي " فهذه العبارة التلميحية كان يستخدمها رسول الله ﷺ في حالة غضبه وإنكاره مثل هذه الأمور مثل قوله في خطبة أخرى " ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ، وإن كان مائة شرط " [٢] .

ويظهر غضبه ﷺ أيضا في قوله " أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا " .

إذا تأملت هذه الألفاظ ، وما فيها من قسوة على من يقوم بهذا العمل ، مع أنك تعلم أن هذا الكلام صدر من رسول الله ﷺ ذي الخلق العظيم الذي

---

(١) متفق عليه ، وتقدم تخريجه ص ٩١ .
(٢) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه ص٨٣ .

يقول الله فيه ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (١) ، وقال عنه خادمه أنس بن مالك – رضي الله عنه – " لقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين فما قال لي قط أف ، ولا قال لي في شيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا " (٢) .

ومع ذلك فإن ارتكاب هذا الرجل لهذا الأمر الفظيع ، وأخذه الهدايا التي لم يكن لينالها لولا المسؤولية التي كلف بها ، جعل الرسول ﷺ يواجهه بهذه الكلمات القاسية التي لم يكن ليقولها ، لولا عظم المخالفة التي صدرت من هذا الرجل ؛ ولذا أوعده رسول الله ﷺ وعيد صاحب الغلول حيث قال : " والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله بعير له رغاء " ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر " (٣) .

وهذا الوعيد مشعر بخطورة الموقف ، وأن صاحبه يستحق العقوبة من الله بما يفضحه من مجيئه حاملا بعيرا يرغو ، أو بقرة تخور ، أو شاة تيعر وتصيح فمجرد حمل البعير كاف في التشهير ولا سيما إذا كان له رغاء ، ومثل ذلك يقال في البقرة والشاة ، نعوذ بالله من غضبه ، ومن فضيحتي الدنيا والآخرة .

٣ – من الأمثلة التي ظهر فيها غضبه ﷺ خطبته في الترهيب من الغلول فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظّمه ، وعظّم أمره ، ثم قال : " لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، يقول يا رسول الله أغثني ، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثني ، فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك " (٤) .

فسياق هذه الخطبة يدل على أنها ألقيت في حالة غضب ، يدل على ذلك اشتمالها على هذا الوعيد الشديد ، وتبرّأ رسول الله ﷺ من الشفاعة لمن ارتكب

---

(١) سورة القلم ، الآية : (٤) .
(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب حسن الخلق ، ج٧ ، ص ١٠٩ ، ح٦٠٣٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل باب كان رسول الله ﷺ ، أحسن الناس خلقا ، ج٤ ، ص١٨٠٤ ، ح٢٣٠٩ .
(٣) تقدم تخريجه ، في ص٩١ .
(٤) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه ص٩١ .

هذه العظائم ، فالرسول ﷺ وهو صاحب الشفاعة العظمى ، والمقام المحمود ولكنه لم يقبل ، أن يغيث صاحب الغلول ، فأخبر أنه يقول له : " يا رسول الله أغثني " فيردّ الرسول ﷺ قائلا " لا أملك لك شيئا قد أبلغتك " .

وهذه الألفاظ تشعر من سمعها أن الرسول ﷺ قالها وهو مغضب وقد قدمنا أنه لم يكن ينتقم لنفسه ولكنه ينتقم إذا انتهكت محارم الله [١] .

ثانياً : استغلال المناسبات الدينية والكونية ، والمخالفات الشخصية لبيان ما تعلق بها من أحكام :

١ – **المناسبات الدينية** : وأعني بها الأعياد الشرعية ، عيد الفطر والأضحى ، وموسم الحج ، والجمعة ، وسأذكر أمثلة للخطب الواردة في هذه المناسبات .

أ – منها ما ثبت أنه ﷺ خطب يوم الأضحى بعد الصلاة فقال : " من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له " [٢] .

ومعلوم أن الرسول ﷺ كان يخطب في العيدين باستمرار ، ولكن لم ينقل لنا الكثير من هذه الخطب ، وهذا المثال يشهد لما قلته ، فقد ذكر الراوى لهذه الخطبة أنها كانت يوم الأضحى ، وقد بين رسول الله ﷺ فيها أحكاما تتعلق بالصلاة ، وبالنسك – كما هو واضح من النص الذي أوردته – .

ب – روى الحاكم بسنده عن قيس بن مخرمة قال : خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من ها هنا عند غروب الشمس ، حين تكون الشمس على رؤوس الجبال ، مثل عمائم الرجال على رؤوسها ، فهدينا مخالف لهديهم " [٣] .

فهذه الخطبة نص راويها على أنها كانت بعرفة ، وقد بين فيها رسول الله ﷺ مخالفته لأهل الشرك ، في الدفع من عرفة قبل الغروب ، وهذا حكم

---

(١) تقدم الحديث الذي يدل على ذلك وهو في صحيح مسلم عن عائشة – رضي الله عنها – ص١١٦ هامش (٢) .

(٢) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٨١ .

(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .

متعلق بهذه المناسبة الدينية .

وقد نقلت عنه ﷺ خطب كثيرة في الحج بين فيها الكثير من أحكام الإسلام ، وأبطل فيها بعض أمور الجاهلية ، فمن هذه الخطب قوله في إبطال النسيء " الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ... "

ثم قال فيها أيضا : " فإن دماءكم وأموالكم " قال محمد وأحسبه قال " وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا ، في شهركم هذا ، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا ليبلغ الشاهد الغائب ... " [١] .

وهذه الخطبة ثبت أنها كانت يوم النحر [٢] ، وقد تعرض الرسول ﷺ فيها لبيان أحكام مهمة ، وأوصى فيها بوصايا فمن الأحكام التي بينها حرمة الأشهر الحرم ، وأن النسيء لا يغير حرمتها ، ولا يحيلها عن أماكنها التي حددها الله لها ، يوم خلق السماوات والأرض ، وبين تأكيد حرمة الدماء ، والأموال ، والأعراض ، وأوصى بالاستمرار على الدين ، وحذر من التقاتل ، وحض على البلاغ ، لمن هو غائب .

ومعلوم أن الحج مناسبة عظيمة ، يتجمهر فيها المسلمون من سائر الآفاق لتأدية هذه العبادة التي أوجب الله عليهم ، وهي ركن من أركان الإسلام ولا يكون الحج في السنة إلا مرة واحدة ، وهذا كله يقتضي من الدعاة أن يستنفدُوا كل الجهود والطاقات ليبلغوا المسلمين أحكام دينهم .

وهكذا قام ﷺ في حجة الوداع بكثير من الخطب التعليمية ، وحض على تبليغ الشاهد الغائب ، مما يعنى أن المسؤولية ملقاة في أعناق كل من علم عن الله ، أو عن رسول الله ﷺ أمرا يهم عباد الله ويتعلق بحياتهم العامة أو الخاصة .

٢ - المناسبات الكونية :

وأعني بالمناسبات الكونية ما يحدث من الأمور غير العادية مثل كسوف

---

(١) متفق عليه ، وقد تم تخريجه في نصوص الخطب ص٨٤ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب حجة الوداع ، ج٥ ، ص ١٤٩ - ١٥٠ ، ح٤٤٠٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء ، ج٣ ، ص ١٣٠٥ - ١٣٠٦ ، ح١٦٧٩.

الشمس ، أو القمر ، وقد خطب رسول الله ﷺ لما خسفت الشمس على عهده خطبة جامعة ، ركز فيها على تصحيح العقيدة وتقوية الإيمان بالغيب فقال : إن الشمس والقمر من آيات الله ، وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته " ، وفي هذه الفقرة لفت رسول الله ﷺ انتباههم إلى أن الشمس والقمر ، من آيات الله ، وتصريفها بيده سبحانه ، لا علاقة لما يقع لهما من كسوف بموت أحد من الناس ، ولا بحياته .

وفيها يؤكد رسول الله ﷺ أن الله قد أطلعه على كثير من الأمور الغيبية فيقول : " ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه ، لقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت ، مخافة أن يصيبني من لفحها ، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قُصْبَه في النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجني ، وإن غفل عنه ذهب به ...

وفيها أيضا ، يقول : " ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت ، حتى قمت في مقامي ، ولقد مددت يدي أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ، ثم بدا لي أن لا أفعل ، فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه " [١] .

وهذه الخطبة العظيمة التي تتعلق في مجملها بأمور غيبية يخبر الرسول ﷺ عنها وهو يشاهدها عيانا ﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ [٢] . ويهول ﷺ هذه الأمور التي هي غائبة عن الناس في الدنيا فيقول : " يا أمة محمد والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا " .

وفيها يقول : " ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرا قط " والحاضرون مع رسول الله ﷺ في هذا الموقف العظيم لم يشاهدوا الجنة ، ولا النار ، – فهذا أمر غيبي اختص الله به رسوله ﷺ ولكنهم شاهدوا حركة رسول الله ﷺ " ولقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها ، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ، ولقد مددت يدي أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه " [٣] .

---

(١) تقدم تخريج هذه الخطبة كاملة بجميع رواياتها من الصحيحين والموطأ ص ٦٨ .
(٢) سورة التكوير ، الآية (٢٤) .
(٣) تقدم تخريج هذه الخطبة كاملة في ص ٦٨ .

وهذا كله مما يزيد الإيمان بالغيب ، ويقوي العزيمة والاستعداد ، لأن اليقين بهذه الأهوال يدعو إلى التشمير عن ساعد الجد وعدم الركون إلى الدنيا والانسياق في تحصيل شهواتها .

٣ - المخالفات الشخصية :

لقد كان الرسول ﷺ يقوم بإنكار المخالفات التي تقع فور علمه بها ، ويعمم الحكم في الواقعة التي وقعت ، حتى يعلم الناس حكمها وقد ذكرت أمثلة لذلك مثل خطبته في بيان منع الشفاعة في الحدود وخطورتها ، وتحريم هدايا العمال ، والغلول فلا أكرر هذه الأمثلة وقد مرّت آنفا ، ومن أمثلة هذا النوع الخطبة التي بيّن رسول الله ﷺ فيها بطلان كل شرط ليس في كتاب الله ، قال ابن حجر - رحمه الله - في شرحه لهذا الحديث : " فيه أن الرسول ﷺ كان يظهر الأمور المهمة من أمور الدين ، ويعلنها ويخطب بها على المنبر لإشاعتها " (١) . وقد جاءت بريرة (٢) إلى عائشة تستعينها في كتابتها ، ولم تكن قضت من كتابتها شيئا ، فقالت لها عائشة : ارجعي إلى أهلك ، فإن أحبّوا أن أقضي عنك كتابتك ، ويكون ولاؤك لي ، فعلت فذكرت ذلك بريرة لأهلها ، فأبوا ، وقالوا : إن شاءت أن تحتسب عليك فلتفعل ، ويكون لنا ولاؤك فذكرت لرسول الله ﷺ فقال لها رسول الله ﷺ : " ابتاعي فأعتقي فإنما الولاء لمن أعتق " (٣) .

ثم خطب رسول الله ﷺ عشية فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : " أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ، ليست في كتاب الله ؟ ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل ، وإن كان مانة شرط ، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق " (٤) .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٢٢٩ .

(٢) هي : بريرة مولاة عائشة أم المؤمنين ، اشتهرت لأن رسول الله ﷺ بين بسبب قضيتها أن الولاء لمن أعتق ، وخيرها بعد عتقها فاختارت فراق زوجها ، وتُصدِّق عليها بلحم فذكر للرسول ﷺ فقال هو عليها صدقة ، ولنا هديه ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ - ٢٦١ والإصابة ، جـ٤ ، ص ٢٤٥ .

(٣) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه في ص٨٤ .

(٤) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، في ص ٨٣ .

وقد بيّن رسول الله ﷺ في هذه الخطبة بطلان جميع الشروط التي لا سند لها من كتاب ولا من سنة [١] .

هذا الحكم شامل لكثير من المسائل ؛ إذ يشمل الشروط في جميع العقود كالبيع ، والنكاح ، والمكاتبة ، فصارت واقعة السبب مجرد جزئية من الأحكام التي بينها رسول الله ﷺ في هذه الخطبة ، وذلك بدليل قوله : " كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل " فكل من ألفاظ العموم وقد أضيف إلى النكرة ، قال ابن حجر – رحمه الله – : " يؤخذ من ذلك تقرير شرع عام للمذكورين وغيرهم في الصورة المذكورة ، وغيرها " [٢] .

(١) الشروط التي لا تجوز في البيع وغيره هي التي تناقض المقصود من العقد كأن يبيعه بشرط أن لا يبيع أو لا يهب ، واستثنوا اشتراط العتق بدليل هذا الحديث ، انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٥ ، ص٢٢٩ .

(٢) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ج٥ ، ص ٢٢٩ .

المطلب الثالث

السمات العامة التي ترجع إلى المعاني

إن المتأمل في خطب النبي ﷺ وأحاديثه يلاحظ أنه كان يختار من المعاني أجمعها ، ومن الألفاظ أجملها ، وأكثرها عمقا في النفوس ، وتمازجا مع أفكار المدعوين ، فصدق التعبير ، وواقعية الأخبار ، تكسوان المعاني التي يشملها خطابه ﷺ جمالا وهيبة ، وبالنظر في المعاني التي يغلب ورودها في جميع خطبه ﷺ تبين لي أنها تتسم بسمات كثيرة أذكر أهمها في ما يلي – إن شاء الله – .

أولاً : البدء بالحمد والثناء على الله تعالى بما هو أهله .

كان الرسول ﷺ يبدأ خطبه بالحمد والثناء على الله تعالى [١] ، ويظهر أن رواة أكثر هذه الخطب التي استطعت الحصول عليها كانوا يختصرون ، فلا يذكرون الحمد والثناء على الله ، ومع ذلك فقد وردت شواهد لما ذكرته أعرض بعضها فيما يلي :

١ – ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة قام في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " إن الله حبس عن مكة الفيل ... " [٢] .

٢ – ثبت في الصحيحين من حديث عائشة – رضي الله عنها – أيضا أنه ﷺ قام من العشي بعد أن كلمه أسامة بن زيد – رضي الله عنه – في شأن المخزومية التي سرقت " فأثنى على الله بما هو أهله " [٣] .

٣ – وكذلك ثبت فيهما عن عائشة – رضي الله عنها – أيضا في الخطبة التي بين فيها رسول الله ﷺ بطلان كل شرط ليس في كتاب الله ، قالت : " .. ثم خطب رسول الله ﷺ عشية فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : " أما بعد فما بال أقوام يشترطون ... " [٤] الحديث .

---

(١) انظر : فتح الباري مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٢٢٩ .
(٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص ٧٩ .
(٣) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه ص ٨٠ .
(٤) متفق عليه ، وقد تقدم تخريجه ص ٨٤ .

ومن أمثلة ذلك أيضا خطبة الحاجة فقد بدأها ﷺ بقوله : " الحمد لله نحمده " .

ومنها ما ثبت عند الحاكم عن قيس بن مخرمة - ﷺ - في مخالفة المشركين في الدفع من عرفة ، وقد قال فيها : " خطبنا رسول الله ﷺ بعرفة فحمد الله وأثنى عليه " (١) ، وهذا غيض من فيض وقليل من كثير .

ثانياً : محاربة العادات الجاهلية :

قد سبق في التمهيد بيان الكثير من عاداتهم الجاهلية الباطلة التي جاء الإسلام بالنهي عنها .

١ - ومن هذه العادات التي نهى الله عنها ، وبين الرسول ﷺ أنه قد أبطلها ووضعها تحت قدمه إلى يوم القيامة ، الربا ودماء الجاهلية ، قال ﷺ في خطبة حجة الوداع : " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله " (٢) .

٢ - بين رسول الله ﷺ إبطال النسيء الذي كان معتادا عند أهل الجاهلية في الخطبة التي تقدمت وفيها يقول : " الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم " (٣) .

٣ - وقد بيّن رسول الله ﷺ في خطبة بعرفة مخالفة أهل الشرك والأوثان ، فيما اعتادوه من الدفع من عرفة قبل الغروب فقال : " أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان ، كانوا يدفعون من ها هنا عند غروب الشمس ، حين تكون على رؤوس الجبال " (٤) .

ثالثاً : الواقعية والصدق في الخبر :

لا يشك أي مسلم في صدق أخبار رسول الله ﷺ وأحاديثه ، فهو الذي يقول الله في حقه : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٥) .

والمقصود بالواقعية في هذا المقام أن الرسول ﷺ لا يتحدث إلا بما هو واقع ، إما في الحال لبيان حكمه ، أو في الماضي للاعتبار ، أو في المستقبل

---

(١) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٢) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٣) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٨٤ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٥) سورة النجم ، الآيتان : ٣ - ٤ .

ترهيبا من الشر أو ترغيبا في الخير ، فلا يلجأ ﷺ إلى الخوض في الأمور الخيالية ، كما يفعل الشعراء والأدباء الذين يلجؤون في أحيان كثيرة إلى الخيال الواسع ؛ لإبراز ما يريدون بيانه من معان .

وسأذكر أمثلة توضح ما ذكرته فيما يلي : – إن شاء الله –

أ – قوله ﷺ في خطبة الفتح : " إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين ، وإنها لم تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدي " (١) .

وإذا تأملت هذه الخطبة العظيمة ، وجدتها تتحدث عن أمور واقعية إما في الماضي كقوله : " إن الله حبس عن مكة الفيل " أو في الحال كقوله : " وسلط عليها رسوله والمؤمنين " ، أو في المستقبل كقوله : " وإنها لن تحل لأحد بعدي " .

وهذا من عظيم بلاغته ﷺ وقوة بيانه حيث أخبر عن الماضي والحال ، والمستقبل في كلام متصل ؛ وذلك من أجل تأكيد حرمة مكة ؛ لأنها كانت حراما في الماضي ، والله هو الذي حفظها من الفيل ، وهي حرام أيضا في المستقبل : " فلا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها " والوقت الذي أحلها الله فيه ليس طويلا " وإنها أحلت لي ساعة من نهار " (٢) .

٢ – منها قوله ﷺ : يحدّث عن الجنة والنار " عرضت على الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر " (٣) .

فالرسول ﷺ في هذه الخطبة يحدث عن غيبيّ ، ولكنه مشاهد بالنسبة لرسول الله ﷺ ولذلك يقول : " فلم أر كاليوم في الخير والشر " .

٣ – منها قوله ﷺ متحدثا عن بعض ما أطلعه الله عليه من الغيب : " وإني فرطكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني قد أعطيت خزائن الأرض ، أو مفاتيح خزائن الأرض " (٤) .

---

(١) تقدم تخريجها في نصوص الخطب ص ٧٩ .
(٢) هذه الألفاظ كلها وردت في خطبة الفتح ص ٧٩ .
(٣) هذا الحديث تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٦ .
(٤) نص خطبة تقدم تخريجها ، ص ٧٣ .

فالرسول ﷺ يحدث عن أمور غيبية ، ولكنه ﷺ يخبر عن مشاهد بالنسبة له ﷺ يدل على ذلك قوله " وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن " .

وإذا تأملت مضمون هذه الخطبة علمت أنه لا مجال للخيال فيها ، ولا وجود له ، إذ جميع هذه الأمور التي أخبر عنها رسول الله ﷺ لا يمكن الإخبار عنها بمجرد الخيال والاجتهاد ، فهل يمكن لأي إنسان عاد أن يتخيل هذه الأمور ؟ ويخبر عنها " وإني قد أعطيت خزائن الأرض ، أو مفاتيح خزائن الأرض " .

وغير ذلك من الأمثلة الواردة في هذا الشأن .

رابعاً : الإخبار عن الأمور الغيبية :

لقد كان رسول الله ﷺ في خطبه يحدث أصحابه عن أمور غيبية تتعلق أحيانا بالماضي ، وأحيانا بالمستقبل وهذا من الإعجاز الغيبي الذي أيده الله به ، وهو من آيات نبوته : لأنه لم يكن ليعلم هذه الغيوب إلا بإعلام الله له ، وسأذكر أمثلة لذلك – إن شاء الله –

١ – الغيبيات التي وقعت في الماضي وأخبر عنها رسول الله ﷺ :

أ – منها قوله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي مالم أنزل به سلطانا ، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " [١] .

فجميع هذه الأمور غيبية ، لا يمكن أن تعرف إلا بوحي من الله ، وهي واقعة في الماضي .

ب – منها أيضا : قوله ﷺ مخبرا عن قرب أجله : " إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله " [٢] . يعني أن الله خير رسوله بين الحياة والموت ، وهذا التخيير يخبر عنه ﷺ بصيغة الماضي مما يدل على أنه وقع قبل حديثه عنه ، وكانت هذه الخطبة في آخر حياته ﷺ .

---

(١) صحيح مسلم ، وقد تقدم تخريجه ص ٧٠ .

(٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه ص ٧٦ .

٢ – الغيبيات التي أخبر عنها رسول الله ﷺ قبل وقوعها ، وهي كثيرة ، منها ما تحقق وقوعه ، ومنها ما سيقع ولم يأت وقته بعد ، فمن أمثلة النوع الأول :

أ – قوله ﷺ مبينا فتن آخر الزمان " إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ... " [١] .

وإذا تأملنا هذا الحديث مع واقع الأمة ، علمنا أنه قد تحقق حيث أصاب الأمة الكثير من البلايا والمحن ، فقد امتحن الكثير من أئمتها ودعاتها ، في مختلف الأزمنة ، وهذا أمر مشهور ومعلوم .

ب – قوله ﷺ ، محذرا أمته من فتنة الدنيا ، " وإني قد أعطيت خزائن الأرض ، أو مفاتيح الأرض ، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها " [٢] .

وفي بعض رواياته : "وتقتتلوا ، فتهلكوا ، كما هلك من كان قبلكم " [٣] .

وإذا تأملت معنى هذا الحديث ومدلوله ، من أن هذه الأمة سيفتح الله عليها أبواب الرزق والخير ، وستملك خزائن الأرض ، علمت أن هذا الأمر الغيبي قد تحقق فقد ملك الله هذه الأمة خزائن كسرى وقيصر [٤] .

وقد جاء في خطبة أخرى ما يشهد لهذا المعنى وهو قوله ﷺ : " إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها " [٥] .

وقد جاء في حديث آخر : " فو الله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها ، فتهلككم كما أهلكتهم " [٦] .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٩ .

(٢) متفق عليه وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٣.

(٣) سبق تخريجها في نصوص الخطب ، ص ٧٣ .

(٤) قال ابن حجر – رحمه الله – : " وقد فتحت عليهم الفتوح بعده ، وآل الأمر إلى أن تحاسدوا وتقاتلوا ووقع ما هو المشاهد المحسوس لكل أحد ، مما يشهد بمصداق خبره ﷺ " فتح الباري ، ج٦ ، ص ٧١٠ .

(٥) نص خطبة تقدم تخريجها في نصوص الخطب ص٩٢.

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا ، جـ ٧ ، ص ٢٢٢ ، حـ ٦٤٢٥ . وصحيح مسلم ، كتاب الزهد ، والرقائق ، باب الزهد ، جـ ٤ ، ص ٢٢٧٤ ، حـ ٢٩٦١.

وقد تحقق ما قاله رسول الله ﷺ ، فوقعت الفتوح ، وكثر المال ، ووقع التنافس فيه . ومن أمثلة هذا النوع ما حدَّث به رسول الله ﷺ في رفع الأمانة فعن حذيفة [١] – رضي الله عنه – قال : حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر ، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ، ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة وحدثنا عن رفعها قال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ... " [٢] .

وأمثلة النوع الثاني كثيرة منها :

ج – قوله ﷺ في فتنة القبر : " وإنه قد أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور قريبا ، أو مثل فتنة المسيح الدجال " [٣] .

د – قوله ﷺ مخبرا أن أمته ستكون شطر أهل الجنة : " أتحبون أنكم ربع أهل الجنة ؟ قلنا نعم يا رسول الله ، فقال : أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قالوا نعم يا رسول الله ، قال إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة " [٤] .

هـ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال قام فينا رسول الله ﷺ خطيبا بموعظة فقال : " يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا " [٥] .

وهذه نماذج للتمثيل فقط ولا تدل على الحصر ؛ لأنه غير ممكن .

ولا يعني إخبار الرسول ﷺ بهذه الأمور الغيبية ، أنه كان يعلم جميع الغيبيات ، لكنها تدل على أن الله أطلعه على هذه الغيوب ، ولله أن يظهره على ما شاء من غيبه .

---

(١) هو : حذيفة بن حسل ، ويقال حسيل بن جابر بن عمرو بن ربيعة العبسي ، حليف بني عبد الأشهل روى عنه ابنه أبو عبيدة ، وعمر بن الخطاب ، وعلي بن أبي طالب – رضي الله عنهم – ، شهد أحدا مع النبي ﷺ وهو صاحب السر في أسماء أهل النفاق ، أرسله رسول الله ﷺ ليلة الاحزاب ليخبره عن حال قريش ، شهد الحرب ينهاوند فلما قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش أخذ حذيفة الراية وكان فتح همدان والري على يديه ، توفي – رضي الله عنه – سنة ست وثلاثين ٣٦ ، الاستيعاب ، جـ ١ ، ص٢٧٦ ، وأسد الغابة جـ١ ، ص٣٩٠ – ٣٩٢ ، والإصابة ، جـ ٨ ، ص٣١٦ – ٣١٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة والإيمان ، جـ ٦ ، ص ٢٤٢ ، حـ ٦٤٩٧ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب رفع الأمانة والإيمان ، جـ ١ ، ص ١٢٧ ، حـ ١٤٣ .

(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٦٩ .

(٤) تقدم تخريجه ، في ص ٧٧ .

(٥) تقدم تخريجه ، في ص ٧٠ .

خامساً : ضرب الأمثلة بالمحسوسات للإيضاح :

لقد كان الرسول ﷺ يهتم بإيضاح ما يعبر عنه من أفكار ، حتى لا يقع التباس على السامعين ، ومعلوم أن المحسوسات أوضح من المعاني المجردة ، ولذا فقد كان الرسول ﷺ يستعمل المنهج الحسي في خطبه للإيضاح .

أ - من ذلك قوله ﷺ في خطبة بعرفة : " فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من ها هنا عند غروب الشمس ، حين تكون الشمس على رؤوس الجبال ، مثل عمائم الرجال على رؤوسها " (١) .

وفي هذه الخطبة يشبه رسول الله ﷺ حالة الشمس على رؤوس الجبال ، بعمائم الرجال على رؤوسها ، وهذا مشعر بأن الشمس موشكة على الغروب ولم يبق من الوقت إلا القليل ، وهذا التشبيه يجعل الأمر واضحا لاعتماده على أمر محسوس .

ب - منها أيضا : قوله : " بعثت أنا والساعة كهاتين " ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى " (٢) .

وفي هذا المثال قد بين رسول الله ﷺ قرب الساعة من مبعثه ، لأنه لم يسبقها إلا بمقدار ما تنقص به السبابة عن الوسطى ، وهذا أمر محسوس مشاهد يمكن إدراكه بسهولة ، ولا يتغير باختلاف الأزمنة أو الأشخاص .

جـ - منها قوله ﷺ مبينا مكانة الأنصار عنده : " الأنصار شعار ، والناس دثار " (٣) ، فالرسول ﷺ في هذه الخطبة يؤكد قرب الأنصار منه ، والتصاقهم به ؛ لأنهم (شعار) ، وهو الثوب الذي يلي الجسد ، ومن سوى الأنصار من الناس (دثار) وهو الثوب الذي يكون فوق الشعار وهذا منهج بليغ وواضح في قوة التعبير عن المراد ، من تميز الأنصار - ﷺ - وقوة صلتهم برسول الله ﷺ ؛ لأن الشعار يلتصق بجلد لابسه ، ويحيط به ، ويستره ، ويدفع عنه الحر والبرد ، وكذلك الأنصار - ﷺ - .

قال ابن حجر - رحمه الله - في شرح هذه الجملة من الحديث : " وهي استعارة لطيفة لفرط قربهم منه ، وأراد أيضا أنهم بطانته وخاصته ، وأنهم

---

(١) أخرجه الحاكم ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٢) الحديث عند مسلم ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٨ .
(٣) من خطبة تقدم تخريجها ص ٩٩ .

ألصق به وأقرب إليه من غيرهم " [١] .

وهذا الذي ذكره ابن حجر يعضد ما بينته ويقوّيه مع أنه واضح ، من نص الحديث والله أعلم .

سادساً : استثارة العقول والعواطف لتقرير المعاني المهمة :

كثيرا ما يقوم الرسول ﷺ ، باثارة عقول المخاطبين وعواطفهم ليقرّر في أذهانهم أمرا مهما وسأذكر بعض الأمثلة التي تدل على ذلك فيما يلي :

١) إثارة العقول :

أ – من ذلك قوله ﷺ " بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبرّ وأتقى لله منهم ، ولو أني استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معي الهدي لأحللت " [٢] . ففي هذه الجمل يحاور رسول الله ﷺ أصحاب العقول الذين يتحرّجون من أمر يأمر به رسول الله ﷺ ويقسم قائلا : " والله لأنا أبرّ وأتقى لله منهم " مما يعني أنهم إذا فكروا علموا أن هذا التحرج ليس في محله ما دام رسول الله ﷺ هو الذي أمر به ، وهو الأبرّ الأتقى الذي أمر الله بطاعته بقوله : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [٣] ، وبقوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ [٤] .

ب – من أمثلة هذا النوع أيضا قوله ﷺ : " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه ؟ حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟ " [٥] .

وفي هذا المثال استثارة للعقول ؛ حيث بين رسول الله ﷺ ، أن هذا الأمر الذي قام به هذا العامل غير مناسب ؛ حيث توسل بمسؤوليه عامة إلى أخذ المال ، مما يعتبر رشوة ، أو هو أخوها ، ويظهر استخدام المنهج العقلي في قوله : أفلا قعد في بيت أبيه ؟ أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟ " ففيه دعوة إلى التفكير والمقارنة بين حال هذا العامل ، وهو جالس في بيت

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٧ ، ص ٦٤٩ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .
(٣) سورة الحشر ، جزء من الآية (٧) .
(٤) سورة النساء ، جزء من الآية (٥٩) .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩١ .

أبيه ، أو في بيت أمه ، وحاله بعد تحمل المسؤولية ، وبعث رسول الله ﷺ له لجباية مال الزكاة ، وينبّهه إلى أنه في الحالة الأولى لا يمكن أن تأتيه الهدايا ، مما يؤكد أن هذه الهدايا والأموال إنما نالها بسبب العمل الذي كلف به ؛ ومن ثم فلا حق له أن ينفرد بها دون الأمة .

ج – ومن أمثلته أيضا قوله ﷺ في إنكار ضرب النساء " يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ! فلعله يضاجعها من آخر يومه " [١] .

وفي هذا المثال استثارة للعقول ، للتنفير من هذا الفعل الشنيع ، الذي لا يناسب حال المرأة وزوجها ؛ إذ كيف يجلد العاقل امرأته أول النهار ؟ ثم يضاجعها من آخر ذلك اليوم !

ومعلوم أن هذا الفعل في غاية القبح تنفر منه العقول السليمة ، وتأباه الطباع الكريمة ، وهذا السياق الذي بيّنه رسول الله ﷺ كاف في التدليل على ذلك ، حيث شبه هذا الجلد بجلد العبد ، ولعل ذلك من أجل التنفير فقط ، لا ترخيصا في جلد العبيد ، فقد أمر الإسلام بالإحسان إليهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون [٢] ، وأوجب في التمثيل العتق .

٣) إثارة العاطفة ولها أمثلة كثيرة في الخطب ، والأحاديث :

أ – منها قوله ﷺ في خطبة الوداع : " فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله " [٣] .

وفي هذا المثال يأمر رسول الله ﷺ بتقوى الله في النساء ، وفي هذا الأمر إثارة للعاطفة من أجل أن يشفق الرجال على نسائهم ، وذلك لضعفهن وسيطرة الرجال عليهن ، وقد قال رسول الله ﷺ في حديث آخر : " استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج ، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن تركته لم يزل أعوج ، فاستوصوا بالنساء " [٤] .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .

(٢) قال رسول الله ﷺ : " إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم " صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفرها صاحبها بارتكابها ، ج١ ، ص ١٦ ، ح٣٠ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب إطعام المملوك مما يأكل ، جـ ٣ ، ص ١٢٨٢ ، حـ ١٦٦١ .

(٣) سبق تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٧٨ .

(٤) تقدم تخريجه في ص ٦٢ هامش (٤) .

وفي هذا الحديث إثارة للعاطفة حيث كرر الوصية بهن مع التشبيه بالضلع الذي لا يقام إلا بالكسر .

ب – من أمثلته أيضا قوله ﷺ يوصي بأهل بيته : " وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي " (١) ، ففي هذه الخطبة يثير رسول الله ﷺ عواطف المسلمين تجاه أهل بيته لأنهم قرابته ، وفي هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ (٢) .

وذلك على أحد الأوجه في تفسيرها ، قال ابن كثير – رحمه الله – بعد أن ذكر وجهين في تفسيرها : " و ... قول ثالث وهو ما حكاه البخاري وغيره رواية عن سعيد بن جبير ما معناه أنه قال : معنى ذلك أن تودوني في قرابتي أي تحسنوا إليهم وتبروهم " (٣) .

ولا شك أن تذكير رسول الله ﷺ لهم بأهل بيته ولكل من تبلغه هذه الخطبة مؤثر غاية التأثير في قلب كل مؤمن ؛ كيف لا وهم قرابة من أخرجنا الله به من الظلمات إلى النور ، ﷺ وعلى آله وصحابته أجمعين .

جـ – منها قوله ﷺ للأنصار : " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ، لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا ، لسلكت وادي الأنصار وشعبها " (٤) .

وكما سبقت الإشارة إليه فقد كانت هذه الخطبة من أجل استرضاء الأنصار – ﷺ – حين وجدوا على رسول الله ﷺ إثر تقسيمه غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم من قريش ، وترك الأنصار ، وقد أثار عواطفهم بقوله : " ألا ترضون ... "يعني أنه لو فاتكم شيء من عرض الدنيا ، من إبل وغنم ، فإنكم قد رجعتم برسول الله ﷺ إلى رحالكم ، وفي هذه الخطبة إثارة لعاطفة حب رسول الله ﷺ الذي يجب أن يكون أحب إلى كل مسلم من والده ، وولده

---

(١) صحيح مسلم وقد تقدم تخريجه ص ٩٥ .
(٢) سورة الشورى ، جزء من الآية (٢٣) .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص ١٤١ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٨ .

والناس أجمعين لأن ذلك شرط في الإيمان ، قال رسول الله ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) [١] .

وبعد أن ذكر رسول الله ﷺ الأنصار بأنهم لم يغبنوا ؛ إذ رجع الناس بالشاء والبعير ، ورجعوا برسول الله ﷺ دعا لهم فقال : " اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ، قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله ﷺ قسما " [٢] .

(١) تقدم تخريجه في التمهيد ص٥١ .
(٢) في بعض روايات هذا الحديث ، مسند الإمام أحمد جـ ٣ ، ص ٩٤ حـ ١١٧٣٦ .

الفصل الثاني

موضوعات الخطب

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : العقائد والغيبيات .

المبحث الثاني : الأحكام .

المبحث الثالث : الأخلاق والآداب .

الفصل الثاني

موضوعات الخطب

قد سبقت الإشارة إلى أن الرسول ﷺ كان يخطب في مناسبات متعددة ، ويتناول الكثير من الموضوعات في مجالات العقائد ، والأحكام العملية ، والأخلاق وأمور الآخرة ، وأخبار الماضين ، وغير ذلك مما يتعلق بالمجتمع الذي يخاطبه ، ومن يبلغه الخطاب من أمته إلى نهاية الدنيا .

يقول ابن القيم – رحمه الله – مبينا أهمّ موضوعات خطبه ﷺ : " وكان مدار خطبه ﷺ على حمد الله والثناء عليه بآلائه ، وأوصاف كماله ، ومحامده ، وتعليم قواعد الإسلام ، وذكر الجنة والنار والمعاد ، والأمر بتقوى الله وتبيين موارد غضبه ومواقع رضاه " [١] .

وفي هذا الفصل سأتناول بإذن الله الموضوعات التي اشتملت عليها الخطب المدروسة ، بالشرح والتحليل مدعّما ما أتوصل إليه من فوائد بشواهد وأمثلة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، وأقوال علماء السلف في مختلف العصور ، ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج١ ، ص١٨٨ .

المبحث الأول

العقائد والغيبيات

وفيه مطلبان

المطلب الأول : القضايا المتعلقة بالله ورسله وكتبه .

المطلب الثاني : القضايا الغيبيه التي أخبر بها رسول الله ﷺ .

المبحث الأول

العقائد والغيبيات

معلوم أن الرسول ﷺ كان يهتمُّ بأمور العقيدة ، ويقدّمها على غيرها مما يتعلق بالعبادات والأخلاق ، والأمور العملية الأخرى ، وذلك لأن سلامة الاعتقاد شرط في قبول ما سواه من الأعمال ، لأن الشرك محبط لجميع الأعمال ، قال تعالى : ﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [١] .

ومما يؤكد ذلك أن الرسول ﷺ طوال الفترة المكية كانت جهوده ﷺ منصبّة على بناء العقيدة وتقويتها بالاستدلال على قدرة الله ، وإبراز خصائص مخلوقاته ، ولفت النظر إلى ما خلق الله في سمائه وأرضه من عجائبَ وآيات [٢] .

وما يتبع ذلك من جزاء أهل الإيمان ، وإنجائهم من المهالك والمحن التي يقع فيها غيرهم ، ممن خالف أمر الله ، ولم يستجب لرسله صلوات الله وسلامه عليهم ، وفي هذا المبحث سأتناول بإذن الله تعالى وتوفيقه ما اشتملت عليه الخطب المدروسة مما يتعلق بالعقيدة والأمور الغيبية في مطلبين .

---

(١) سورة الزمر ، الآيتان (٦٥ - ٦٦) .

(٢) قال الله تعالى : ﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾ الأعراف آية : ١٨٥ .

المطلب الأول

القضايا المتعلقة بالله ورسله وكتبه

أولاً : ما يتعلق بالله عز وجل مما ورد في خطب الدراسة :

سبق بيان أن الخطب تشتمل على موضوعات كثيرة منها " حمد الله والثناء عليه بآلائه وأوصاف كماله ومحامده " (١) .

والله تعالى أهل الحمد والثناء الكامل في جميع أوصافه الذي أحاط بكل شيء علما ، خلق العباد بقدرته ، ووفّق من شاء منهم بفضله ، كلُّ شيء بقضائه وقدره ، يحبّ أهل الإيمان والطاعة ، ويمقت أهل الكفر والمعاصي ، سبحانه هو الله الواحد القهار ، وقد ورد في خطبه ﷺ بيان بعض المسائل المتعلقة بالله عز وجل ، وهي إما نفي نقص أو إثبات كمال ، ونفي النقص يتضمن إثبات الكمال ، وفيما يلي بيان هذه المسائل :

أ = من ذلك قوله ﷺ " إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام " (٢) .

يتضمن هذا اللفظ إثبات العزة والجلال لله سبحانه ونفي النوم عنه سبحانه ، فهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم ، قال الله عز وجل ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾ (٣) .

قال ابن جرير الطبري – رحمه الله – ﴿ لا تأخذه سنة ﴾ لا يأخذه نعاس فينعس ، ولا نوم فيستثقل نوما ، والوسن خثورة النوم " (٤) .

وقال النووي – رحمه الله – قوله ﷺ " لا ينام ولا ينبغي له أن ينام " فمعناه أنه سبحانه لا ينام ، وأنه يستحيل في حقه النوم ، فإن النوم انغمار وغلبة على العقل ، يسقط معه الإحساس ، والله تعالى منزه عن ذلك ، وهو مستحيل في حقه جل وعلا " (٥) .

وأورد ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن بني إسرائيل قالوا : يا موسى هل ينام ربك ؟ قال : اتقوا الله (عز وجل) ،

---

(١) زاد المعاد ، ج١ ، ص ١٨٨ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧٢ .
(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية (٢٥٥) .
(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج٣ ، ص ٦ .
(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، ج٣ ، ص ١٣ .

فناداه ربه عز وجل يا موسى ، سألوك هل ينام ربك ؟ فخذ زجاجتين في يديك ، فقم الليلة ، ففعل موسى فلما ذهب من الليل ثلث نعس ، فوقع لركبتيه ، ثم انتعش فضبطهما ، حتى إذا كان آخر الليل نعس ، فسقطت الزجاجتان فانكسرتا فقال : ياموسى ، لو كنت أنام لسقطت السماوات والأرض فهلكت كما هلكت الزجاجتان في يديك ، فأنزل الله عز وجل على نبيه آية الكرسي " [١] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : " وأما صفات النقص فمثل النوم ، فإن الحي اليقظان أكمل من النائم ، والله لا تأخذه سنة ولا نوم " [٢] .

ب = قوله ﷺ : " يخفض القسط ويرفعه " [٣] .

قال القاضي عياض [٤] : " قيل : القسط هنا الرزق ، أي يضيقه ، ويوسعه ، والقسط الحصّة والمقدار ، وقيل القسط هنا الميزان ، وقد جاء كذلك في حديث آخر : بيده الميزان ، وهو تمثيل لما يقدّره لما يرفع إليه من أعمال العباد ، وينزل من أرزاقهم ، والقسط العدل أيضا وبه سمي الميزان ؛ لأن به يقع العدل " [٥] .

وعلى هذا يمكن تفسير هذا اللفظ بمعنيين :

الأول : أن الله عز وجل يخفض الميزان ويرفعه بما يوزن من أعمال العباد المرتفعة وأرزاقهم النازلة .

الثاني : أن القسط المراد به الرزق ، وخفضه تقتيره ، ورفعه توسيعه [٦].

وعلى كلا المعنيين فإنه مشتمل على اسمين من أسمائه تعالى باللفظ ، وهما (الخافض ، والرافع) ، وعلى اسميه (الرزاق والعدل) بالتضمن ، لأن

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٤٠٣ – ٤٠٤ .
(٢) مجموع الفتاوى ، ج٦ ، ص ٩٣ .
(٣) صحيح مسلم ، تقدم تخريجه في ص٧٢ .
(٤) هو : عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي ، أبو الفضل ، عالم المغرب في عصره ، وإمام المحدثين في وقته ، كان عالما بأنساب العرب وأيامهم ، ولغتهم ، ومؤلفاته تدل على سعة علمه ، من مؤلفاته إكمال المعلم بفوائد مسلم ، طبع حديثا ، ومشارق الأنوار ، والشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وغير ذلك ، ولد سنة ٤٧٦ وتوفي ٥٤٤ ، انظر : وفيات الأعيان ، جـ ١ ، ص٣٩٢ ، وتذكرة الحفاظ ، جـ ٤ ، ص ١٣٠٤ – ١٣٠٧ .
(٥) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، ج٢ ، ص ١٣٨ .
(٦) شرح النووي لصحيح مسلم ، ج٣ ، ص١٣ .

وزن أعمال العباد يقتضي كونه (عدلا) وخفض الرزق ورفعه يدل على أنه هو (الرزاق) بيده رزق العباد ، يضيّقه على من شاء ، ويوسعه لمن شاء .

قال تعالى : ﴿ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ، وهو خير الرازقين ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ [٢] .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير الآية الأولى : ﴿ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له ﴾ " أي بحسب ماله في ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ، ويضيق على هذا ويقتر عليه رزقه جداً وله في ذلك من الحكمة ما لا يدركه غيره كما قال تعالى : ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ [٣] أي كما هم متفاوتون في الدنيا هذا فقير وهذا غني موسع عليه ، فكذلك هم في الآخرة هذا في الغرفات في أعلى الدرجات ، وهذا في الغمرات في أسفل الدركات " [٤] .

ج = قوله ﷺ " يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل " [٥] وفي رواية " عمل النهار بالليل " [٦] .

قال النووي – رحمه الله – " معنى الأول – والله أعلم – يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار الذي بعده وعمل النهار قبل عمل الليل الذي بعده .

ومعنى الرواية الثانية " يرفع إليه عمل النهار في أول الذي بعده، ويرفع إليه عمل الليل في أوّل النهار الذي بعده فإن الملائكة الحفظة يصعدون بأعمال الليل بعد انقضائه في أول النهار ، ويصعدون بأعمال النهار بعد انقضائه في أول الليل " [٧] .

وفي هذا اللفظ دليل على إثبات العلوّ لله تعالى : وإثبات العلوّ لله عز وجل هو مذهب السلف وقد جاءت نصوص كثيرة في الكتاب والسنة الصحيحة دالة عليه منها قوله تعالى : ﴿ يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ [٨]

---

(١) سورة سبأ ، الآية : ٣٩ .
(٢) سورة الذاريات ، الآية : ٥٨ .
(٣) سورة الإسراء ، الآية (٢١) .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص٧٠٩ .
(٥) صحيح مسلم وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٦) ثبتت هذه الرواية في صحيح مسلم ، المرجع نفسه .
(٧) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، ج٣ ، ص١٣ .
(٨) سورة النحل ، الآية (٥٠) .

وقال تعالى : ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ [١] .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [٢] ، يقول ابن جرير الطبري – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم ﴾ [٣] بعد ذكر خلاف الناس في تأويل هذه الآية – " وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ علا عليهن وارتفع فدبّرهن بقدرته وخلقهن سبع سماوات ، والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ الذي هو بمعنى العلو والارتفاع هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوّله بمعناه المفهوم ، كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها إلى أن تأوّله بالمجهول من تأويله المستنكر ، ثم لم ينج مما هرب منه ، فيقال له : زعمت أن تأويل قوله ﴿ استوى ﴾ أقبل أكان مدبرا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس إقبال فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فقل : علا عليها علو ملك وسلطان لا علو انتقال وزوال ، ثم لن يقول في شيء من ذلك قولا إلا ألزم في الآخر مثله " [٤] .

وقد ذكر السعدي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ [٥] أن للاستواء في القرآن ثلاثة معان : –

١ – يكون بمعنى الكمال إذا لم يتعدَّ بحرف جرّ مثاله قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ [٦] .

٢ – يكون بمعنى العلوّ والارتفاع إن عدي " بعلى " مثاله قوله تعالى : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [٧] .

٣ – يكون بمعنى " قصد " وذلك حين يتعدّى " بإلى " مثاله قوله تعالى :

---

(١) سورة الأنعام جزء من الآية (٦١) .
(٢) سورة طه ، الآية (٥) .
(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٩) .
(٤) جامع البيان ، محمد بن جرير الطبري ، ج١ ، ص ١٩٢ .
(٥) سورة البقرة جزء من الآية (٢٩) .
(٦) سورة القصص جزء من الآية (١٤) .
(٧) سورة طه الآية (٥) .

﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ [١][٢] .

وهذا المعنى الأخير هو الذي تقدم إنكار الطبري له في هذه الآية ، وقال العلامة عبدالعزيز الرشيد في شرح الواسطية : إنه " هنا بمعنى العلو بإجماع السلف " [٣] .

وقد أشار الحافظ ابن كثير – رحمه الله – إلى الخلاف في تفسير الاستواء فقال : " للناس في هذا المقام مقالات كثيرة .... وإنما نسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح ، مالك ، والأوزاعي [٤] ، والثوري [٥] ، والليث بن سعد [٦] ، والشافعي ، وأحمد ، وإسحاق بن راهويه [٧] ، وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل ، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفيّ عن الله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [٨] ، بل الأمر

---

(١) سورة البقرة الآية (٢٩) .
(٢) انظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبدالرحمن السعدي ، ص ٣٠ .
(٣) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ، ص ١٣٠ .
(٤) هو : عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد شيخ الإسلام وعالم أهل الشام ، أبو عمرو الأوزاعي حدث عن عطاء بن أبي رباح ، والقاسم ابن مخيمرة ، والزهري ، ويحيى بن أبي كثير ، وعنه شعبة ، وابن المبارك ، والوليد بن مسلم ، ولد سنة ٨٨ ببعلبك وسكن بيروت مرابطا إلى أن توفي ١٥٧ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ٧ ، ص ١٠٧ – ١٣٤ ، والتذكرة ، جـ ١ ، ص ١٧٨ –١٨٣ وشذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٤١ .
(٥) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبدالله الكوفي ، ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة ، نقل ابن سعد عنه أنه قال : " تعلموا هذا العلم ، فإذا تعلمتموه فاحفظوه ، فإذا حفظتموه فاعملوا به ، فإذا عملتم به فانشروه " ، ولد في خلافة عبدالملك ، سنة ٩٧ ، وتوفي في خلافة المهدي ، وهو مستخف بالبصرة في شعبان سنة ١٦١ ، انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ٦ ، ص ٣٧١ – ٣٧٤ ، وتقريب التهذيب ص ٢٤٤ ، والأعلام ، جـ ٣ ، ص ١٠٤ .
(٦) هو : الليث بن سعد بن عبدالرحمن ، الإمام الحافظ ، عالم الديار المصرية ، أبو الحارث الفهمي ، مولى خالد بن ثابت ، ولد بمصر سنة ٩٤ أو ٩٣ ، سمع عطاء بن أبي رباح ، وابن شهاب ، وأبا الزبير المكي ، وروى عنه ابن عجلان ، وابن لهيعة ، وهشيم ، وابن وهب ، وابن المبارك ، وخلق كثير غيرهم ، توفي سنة ١٧٥ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ١٣٦ – ١٦٢ ، وتقريب التهذيب ، ص ٤٦٤ .
(٧) هو : الامام الكبير ، شيخ المشرق ، سيد الحفاظ أبو يعقوب ، ولد سنة ١٦١ ، وسمع من ابن المبارك ، ولم يرو عنه ، كتب عن الكثيرين من أتباع التابعين ، منهم الفضيل بن عياض ومعتمر بن سليمان ، وعنه أحمد بن حنبل ، وبقية بن الوليد ، ويحيى بن معين ، وغيرهم ، توفي ٢٣٨ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١١٠ ، ص ٣٥٨ ، ٣٨٣ .
(٨) سورة الشورى ، جزء من الأية (١١) .

كما قال الأئمة منهم نعيم بن حمّاد [١] قال " من شبّه الله بخلقه كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ، ولا رسوله تشبيه .

فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة ، والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ، ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى " [٢] ، وقد ذكر القرطبي [٣] في تفسيره اتفاق السلف الصالح على أن الاستواء حقيقي على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى فقال : " ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة ، وخص العرش بذلك لأنه أعظم مخلوقاته ، وإنما جهل كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقتها .

قال مالك : – رحمه الله – الاستواء معلوم يعني في اللغة ، والكيف مجهول ، والسؤال عن هذا بدعه " [٤] .

وقال البغوي في تفسيره للاستواء : " قال الكلبي [٥] ومقاتل [٦] استقر وأولت المعتزلة الاستواء بالاستيلاء .

وأما أهل السنة يقولون الاستواء على العرش صفة لله تعالى بلا كيف ، يجب على الرجل الإيمان به ، ويكل العلم فيه إلى الله عز وجل " [٧] .

وقد بين الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره أن الله عز وجل بيّن أن الحق في آيات الصفات متركب من أمرين :

---

(١) هو : نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي ابو عبدالله المروزي الفارضى ، المصري ، روى عن إبراهيم بن طهمان حديثا واحدا ، وعن أبى عصمة ، وهُشيم ، وأبي بكر بن عياش ، وعنه البخاري مقرونا بغيره ، وثقة أحمد ، وغيره كان شديد الرد على الجهمية ، توفي ٢٢٨ ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ ١٠ ، ص ٤٥٨ – ٤٦٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٢٩٦ .

(٣) هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي ، أبو عبدالله ، صاحب التفسير المشهور وصاحب التذكرة ، كان من أهل الصلاح والعبادة ، توفي سنة ٦٧١ بمصر – رحمه الله – انظر : شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٣٣٥ ، والأعلام ، جـ ٥ ، ص ٣٢٢ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن ، ج٧ ، ص٢١٩ ، ٢٢٠ .

(٥) هو : إبراهيم بن خالد بن أبى اليمان الكلبي ، أبو ثور الفقيه الشافعي ، قيل عنه كان أحد أئمة الدنيا فقها وعلما وورعا ، صنف الكتب وذب عن السنن ، توفي ببغداد سنة ٢٤٠ ، انظر : تقريب التهذيب ، ص ٨٩ ، والأعلام ، جـ ١ ، ص ٣٧ .

(٦) مقاتل بن حيّان النبطي ، أبو بسطام البلخي الخزّاز صدوق فاضل ، مات بالبصرة في حدود ١٥٠هـ انظر : تقريب التهذيب ، ص ٥٤٤ ، والأعلام ، جـ ٧ ، ص ٢٨١ .

(٧) تفسير البغوي " معالم التنزيل " ، ج٢ ، ص ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، بحذف بسيط .

الأول : تنزيه المولى سبحانه عن مشابهة الحوادث في صفاتهم .

الثاني : الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه أو وصفه به رسوله ﷺ لأنه لا يصف الله أعلم بالله من الله ﴿ ءأنتم أعلم أم الله ﴾ [١] .

ولا يصف الله بعد الله أعلم بالله من رسوله ﷺ ، إذ هو الذي قال الله فيه : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [٢] فمن نفى عن الله وصفا ، أثبته لنفسه في كتابه العزيز ، أو ثبت عن رسول الله ﷺ الإخبار به عن الله متوهماً أن ذلك الوصف يلزم منه ما لا يليق بالله ، فقد جعل نفسه أعلم من الله ورسوله ﷺ بما يليق بالله جل وعلا ، سبحانك هذا بهتان عظيم ، ومن اعتقد أن وصف الله يشابه صفات الخلق فهو مشبه ملحد ضال .

والصواب أن نثبت لله ما أثبته لنفسه ، أو أثبته له رسوله ﷺ ، مع التنزيه عن مشابهة الخلق والله جل وعلا قد أوضح هذا المعنى بقوله ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [٣][٤] .

وقد جمع الإمام الذهبي [٥] – رحمه الله – الأحاديث الدالة على إثبات صفة العلو لله تعالى في كتاب بعنوان " العلو للعلي الغفار " اختصره وخرّج أحاديثه وعلق عليه المحدث محمد ناصر الدين الألباني – حفظه الله – أذكر بعض الأحاديث التي اشتمل عليها هذا الكتاب القيم ، منها :

١) حديث معاوية بن الحكم السلمي [٦] قال : " كانت لي غنم بين أحدٍ

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١٤٠ .
(٢) سورة النجم الآيتان (٣ – ٤) .
(٣) سورة الشورى جزء من الآية (١١) .
(٤) أضواء البيان ، ج٢ ، ص ٣٠٤ ، ٣٠٥ .
(٥) هو : محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه أبو عبدالله شمس الدين ، صاحب التصانيف المفيدة رحل في طلب العلم وهو في ريعان شبابه فأجازه الكثيرون من علماء الأمة من مشايخه بمصر ابن دقيق العيد ، وبدمشق أحمد بن عساكر ، ولد سنة (٦٧٣ وتوفي ٧٤٨) ، انظر : " طبقات الشافعية " لأبي بكر بن أحمد بن قاضي شهبة ، " ذيل تذكرة الحفاظ " جـ ٣ ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩ ، ص ٣٤ – ٣٨ ، و " شذرات الذهب " ، جـ ٦ ، ص١٥٣ – ١٥٦ .
(٦) هو : معاوية بن الحكم السلمي صحابي ، عداده في أهل المدينة ، وكان يسكن في بني سليم له أحاديث عن النبي ﷺ منها حديث التشميت وهو يصلي خلف رسول الله ﷺ ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٣٨٤ ، والإصابة ، جـ ٣ ، ص ٤١١ .

والجوانية فيها جارية لي ، فاطلعتها ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة – وأنا رجل من بني آدم – فأسفت فصككتها فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له فعظّم ذلك عليّ ، فقلت يا رسول الله أفلا أعتقها ؟ قال : ادعها ، فدعوتها فقال لها أين الله ؟ قالت : في السماء ، قال : من أنا ؟ قالت : [أنت] رسول الله ﷺ ، قال : " أعتقها فإنها مؤمنة " (١) .

٢) حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار ، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم ، كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون " (٢) .

٣) حديث أنس – رضي الله عنه – قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر قال : فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا ؟ قال ؟ " لأنه حديث عهد بربه تعالى " (٣) .

٤) حديث أنس – رضي الله عنه – أيضا ، قال : " كانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول : زوّجكنّ أهاليكن وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سماوات " (٤) .

٥) حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي " (٥) .

٦) حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب ، فإن الله يتقبلها بيمنه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربّى أحدكم فُلُوّه حتى تكون مثل الجبل " (٦) .

---

(١) أخرجه مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، ج١ ، ص ٣٨٢ ، ح٥٣٧ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر ، ج١ ، ص١٧٣ ، ح٥٥٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ، ج١ ، ص ٤٣٩ ، ح٦٣٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة الاستسقاء ، باب الدعاء في الاستسقاء ، ج٢ ، ص٦١٥ ، ح٨٩٨ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ، وهو رب العرش العظيم جـ٨ ، ص ٥٣٤ ، ح٧٤٢٠ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء ... ، ج٨ ، ص٥٣٤ ، ح٧٤٢٢ .

(٦) سبق تخريجه في ص ٦٠ .

وقد أجمع علماء المسلمين من مختلف المذاهب والعصور على إثبات علوّ الله تعالى .

وفيما يلي سأذكر أقوال جمع منهم ، فمن هؤلاء أبو الحسن الأشعري[١] : الذي يزعم نفاة العلو والنزول أنهم على رأيه في العقيدة ، قال في الإبانة : " ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء ؛ لأن الله عز وجل مستو على العرش ، الذي هو فوق السماوات ، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش ، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض " [٢] .

وقال أيضا في رسالة إلى أهل الثغر : " وأنه تعالى فوق سماواته على عرشه دون أرضه ، وقد دل على ذلك بقوله : ﴿ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ [٣] ، وقال : ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ [٤] ، وقال : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ [٥] ، وليس استواؤه على العرش استيلاء كما قال أهل القدر لأنه عز وجل لم يزل مستوليا على كل شيء " [٦] .

ومنهم الحافظ بن عبدالبر [٧] إمام أهل السنة ببلاد المغرب في عصره قال في التمهيد في كلامه على حديث النزول : " هذا حديث ثابت من جهة النقل ، صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته .... وفيه دليل على أن الله

---

(١) هو : علي بن إسماعيل بن إسحاق ، أبو الحسن من أبناء الصحابي أبي موسى الأشعري - ﷺ - إليه ينسب الأشاعرة ، تلقى مذهب الاعتزال ثم تركه وأعلن توبته على المنبر وجاهرهم بالعداء ، له مصنفات كثيرة منها الإبانة ، ومقالات الإسلاميين ، ورسالة إلى أهل الثغر ... ، ويظهر من كتبه أن الأشاعرة المتأخرين يخالفونه في كثير من الأمور مثل تأويل الصفات ، ولد سنة ٢٧٠ - وتوفي ٣٢٤ ، انظر : البداية والنهاية ، جـ ١١ ، ص ١٨٧ ، وطبقات الشافعية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٥ ، والأعلام ، جـ ٤ ، ص ٢٦٣ .

(٢) الإبانة عن أصول الديانة ، لأبي الحسن الأشعري ، ص١٠٧ .

(٣) سورة الملك ، جزء من الآية (١٦) .

(٤) سورة فاطر ، جزء من الآية (١٠) .

(٥) سورة طه ، الآية (٥) .

(٦) رسالة إلى أهل الثغر ، الإمام أبو الحسن الأشعري ، ص٢٣٢ - ٢٣٤ .

(٧) هو : يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري القرطبي المالكي ، أبو عمر حافظ المغرب ، مؤرخ وأديب له مؤلفات مفيدة ، منها التمهيد والاستذكار كلاهما على الموطأ والاستيعاب في معرفة الأصحاب وغيرها ، انظر : الديباج المذهب ، جـ ٢ ، ص ٣٦٧ - ٣٧٠ ، وشجرة النور الزكية ، جـ ١ ، ص ٩٦ .

عز وجل في السماء على العرش من فوق سبع سماوات ، كما قالت الجماعة ، وهو من حججهم على المعتزلة والجهمية في قولهم : إن الله عز وجل في كل مكان وليس على العرش " (١) .

ومنهم إمام المالكية في عصره عبدالله بن أبي زيد القيرواني (٢) ، قال في مقدمة كتابه " الرسالة " وهو يعدد المسائل التي يجب الإيمان بها : " ... وهو العلي العظيم ، وهو العليم الخبير ، المدبر القدير ، السميع البصير العلي الكبير ، وأنه فوق عرشه المجيد بذاته ، وهو في كل مكان بعلمه " (٣) .

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – فقد نقل عن أبي حنيفة – رحمه الله – أنه قال : " عمن قال لا أعرف ربي في السماء ؟ أم في الأرض ، فقد كفر ، لأن الله يقول : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٤) وعرشه فوق سبع سماوات " (٥) .

ثم قال شيخ الإسلام : " قلت : فإن قال : إنه على العرش استوى ، ولكنه يقول لا أدري العرش في السماء أم في الأرض ؟ قال هو كافر " (٦) .

ثم قال : ومن قول أهل السنة إن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ، ثم استوى عليه كيف شاء كما أخبر عن نفسه في قوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ (٧) . وقوله ﴿ ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض ﴾ (٨) " (٩) .

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، ج٧ ، ص١٢٨ – ١٢٩ ، بتصرف يسير .
(٢) هو : عبدالله بن أبي زيد عبدالرحمن ، القيرواني ، أبو محمد ، إمام المالكية في وقته ، حتى عرف بمالك الصغير من مؤلفاته النوادر ، ومختصر المدونة والرسالة كلها في الفقه المالكي ، توفي ٣٨٦هـ ، انظر : المدارك ، جـ ٦ ، ص ٢١٥ – ٢٢١ ، وشذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٣١ ، وشجرة النور جـ ١ ، ص ٩٦ .
(٣) انظر : حاشية العدوي على شرح أبي الحسن كفاية الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ج١ ، ص٤٥ – ٤٩ .
(٤) سورة طه ، الآية (٥) .
(٥) مجموع الفتاوى ، شيخ الإسلام ابن تيمية ، ج٥ ، ص٤٧ .
(٦) مجموع الفتاوى ، ج٥ ، ص٥٤ .
(٧) سورة طه ، الآية (٥) .
(٨) سورة الحديد ، جزء من الآية (٤) .
(٩) مجموع الفتاوى ، ج٥ ، ص٥٤ .

و = الاعتراف بالجميل :

يدل عليه قوله ﷺ : في الخطبة التي لمَّح فيها بقرب أجله حتى بكى أبوبكر " إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبابكر خليلا " (١) .

وقال أيضا في الخطبة التي أعلن فيها رفضه لزواج علي - ﷺ - بابنة أبي جهل عدو الله على فاطمة - رضي الله عنها - ثم أثنى على أبي العاص زوج زينب - ﷺ - فقال " حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي " (٢) .

وقال أيضا في الخطبة التي حَاورَ فيها الأنصار وذكَّرهم بنعم الله عليهم حيث كانوا ضلالا فهداهم الله ... ومتفرقين فألفكم الله بي .. ثم قال في آخرها: " لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ... " (٣) ، جاء في الصحيحين مبهما ، وقد ذكر ابن حجر تفسيره من حديث أبي سعيد ولفظه : " قال أما والله لو شيئتم لقلتم فصدَقتم وصدِقتُمْ : جئتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسيناك " (٤) .

والاعتراف بالجميل نوع من الشكر ، والشكر مطلوب فقد روى أبوهريرة - ﷺ - عن النبي ﷺ قال : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (٥) .

وعن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " (٦) .

قال الشيخ الخطابي - رحمه الله - هذا الكلام يتأول على وجهين أحدهما أن من كان طبعه وعادته ، كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله ، وترك الشكر له سبحانه .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٦ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٨ .
(٤) من فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٦٤٧ ، ٦٤٨ .
(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب شكر المعروف ، جـ ٥ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، حـ ٤٨١١ ، وسنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، جـ ٤ ، ص ٣٣٩ ، حـ ١٩٥٤ ، وقال حسن صحيح .
(٦) سنن الترمذي المرجع نفسه ، حـ ١٩٥٥ ، وقال حسن صحيح .

وقد ناقش هذه الصفة نقاشا مستفيضا من خلال ثلاثين دليلا ، ردّ بها شبه المنكرين لعلوّه تعالى ، وأثبت تناقضهم [١] .

وفي كتابه (اجتماع الجيوش الإسلامية) أثبت أن القول بعلو الله وأنه في السماء ثابت عن الصحابة - ﷺ - والتابعين .

وذكر من الصحابة أبا بكر ، وعمر بن الخطاب ، وعبدالله بن رواحة ، وعبدالله بن مسعود ، وابن عباس ، وعائشة ، وزينب ، وأبا أمامة الباهلي - رضي الله عنهم أجمعين _ [٢] .

ثم ذكر أقوال جمع من التابعين تضافرت أقوالهم على إثبات العلو لله عز وجل ، وأنه فوق السماوات ، ومن هؤلاء : مسروق [٣] ، وكعب الأحبار [٤] ومقاتل [٥] .

وقال - رحمه الله - " روى البيهقي [٦] بإسناد صحيح إلى الأوزاعي ، قال : كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله تعالى جل ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته " [٧] .

وكذلك أتباع التابعين ، والأئمة الأربعة وغيرهم ، من سلف هذه الأمة - رحم الله الجميع - [٨] .

---

(١) الصواعق المرسلة ، ج٤ ، من ص ١٢٨٠ - ١٣٤٠ .

(٢) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص ٣٩ - ٤١ .

(٣) هو : مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي ، قدم من اليمن بعد وفاة النبي ﷺ روى عن أبي بكر وعمر وعلي ومعاذ ، وابن مسعود ، وعنه ابن أخيه محمد بن المنتشر ، وأبو الضحى ، والشعبي وغيرهم ، سكن الكوفة ، اشتهر بالفتيا ، والعبادة ، توفي سنة ٦٢ وقيل ٦٣ . انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٣ ، ص ٤٦٩ ، والتقريب ، ٥٢٨ ، والأعلام ، جـ ٧ ، ص٢١٥ .

(٤) هو : كعب بن ماتع الحميري من أوعية العلم ، ومن كبار علماء أهل الكتاب ، أسلم في زمن أبي بكر ، وقدم من اليمن في خلافة عمر ، وأخذ عنه الصحابة وغيرهم ، وأخذ هو الكتاب والسنة عن الصحابة ، توفى في خلافة عثمان ، انظر : تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ٥٢ .

(٥) انظر : اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص٤٢ - ٤٣ .

(٦) هو : أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر ، سمع الكثير ورحل للجمع والتحصيل ، أخذ عن مشايخ عصره وفاق أقرانه ، ألف الكتب المفيدة النافعة مثل السنن الكبرى ، والصغرى ، والأسماء والصفات ، ودلائل النبوة وغيرها ، ولد سنة ٣٨٤ ، وتوفي ٤٥٨ ، انظر : تذكرة الحفاظ ، جـ ٣ ، ص ١١٣٢ - ١١٣٣ ، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، والأعلام ، جـ ١ ص ١١٦ .

(٧) اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص ٤٣ .

(٨) اجتماع الجيوش الإسلامية ، ص ٤٤ - ٨٠ .

د = ثبوت صفة الوجه لله عز وجل ، فقد جاء قوله ﷺ في خطبته : " حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبُحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " (١) .

يدل قوله : " لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه " على ثبوت صفة الوجه لله عز وجل ، وقال الله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ (٢) .

قال البيهقي – رحمه الله – مستدلا على دلالة هذه الآية على إثبات صفة الوجه : " فأضاف الوجه إلى الذات ، وأضاف النعت إلى الوجه ، فقال : ﴿ والجلال والإكرام ﴾ ولو كان ذكر الوجه صلة ، ولم يكن للذات صفة ، لقال : ذي الجلال والإكرام ، فلما قال : ذو الجلال والإكرام علمنا أنه نعت للوجه وهو صفة للذات " (٣) .

وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ : " يخبر تعالى أن جميع أهل الأرض سيذهبون ويموتون أجمعون ، وكذلك أهل السماوات إلا من شاء الله ، ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم ، فإن الرب تعالى وتقدس لا يموت ، بل هو الحي الذي لا يموت أبدا " (٤) .

وقال العلامة عبدالعزيز بن ناصر الرشيد في التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية : وقوله " وجه ربك " فيه إثبات صفة الوجه لله ، وهو من الصفات الذاتية كالسمع والبصر واليدين ، وغير ذلك من الصفات .

فعلى العباد الإيمان بها والتسليم واعتقاد أنها حقيقة تليق بجلال الله وعظمته ، وعلى هذا مضى الصحابة والأئمة " (٥) .

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٢) سورة الرحمن ، الآيتان : ٢٦ – ٢٧ .
(٣) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ، البيهقي ، ص ٨٨ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص٣٤٧ .
(٥) التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ، ص٩٠ .

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – في تفسيره : " والوجه صفة من صفات الله العلي وصف بها نفسه فعلينا أن نصدق ربنا ونؤمن بما وصف به نفسه مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق " (١) .

وقال العلامة السعدي – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ (٢) : " فيه إثبات الوجه لله تعالى ، على الوجه اللائق ... به تعالى ، وأن لله وجها لا تشبهه الوجوه " (٣) .

وهذه الأدلة والنقول توجب على كل مؤمن همّته البحث عن الحق من غير اعتماد على آراء استقرت في ذهنه تقليدا لغير معصومين ، أن يثبت لله هذه الصفة على الوجه الذي يليق بجلاله سبحانه من غير تشبيه .

هـ = صفة البصر ثابتة لله عز وجل بدليل قوله ﷺ " لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه " (٤) .

قال النووي – رحمه الله – في شرح هذا الحديث : " يعني جميع مخلوقاته " (٥) ، وقال الله تعالى : ﴿ وكان الله سميعاً بصيرا ﴾ (٦) .

وعن أبي موسى (٧) – رضي الله عنه – قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فكنا إذا علونا كبرنا فقالوا : " اربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا تدعون سميعا بصيرا قريبا " (٨) .

وقد بوب البخاري – رحمه الله – في الصحيح بقول الله تعالى : ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾ .

---

(١) أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن ، ج٧ ، ص٧٥٠ .
(٢) سورة البقرة ، جزء من الآية : ١١٥ .
(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص٤٥ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٢ .
(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، ج٣ ، ص ١٤ .
(٦) سورة النساء ، الآية : (١٣٤) جزء من الآية المذكورة .
(٧) هو : عبدالله بن قيس بن سليم بن حضار بن حرب بن عامر ، أبو موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ ، قدم مكة وحالف سعيد بن العاص ، وعده بعض أهل السير من مهاجرة الحبشة ، وقيل إنما خرج في جماعة من قومه في سفينة ، فألقتهم الريح إلى النجاشي ووافق ذلك خروج مهاجري الحبشة ، فقدموا جميعا المدينة عند فتح خيبر ، وهو من ولاة الصحابة ، وقادتهم ، وعلمائهم – رضي الله عنه – توفي بالكوفة سنة ٤٢ ، انظر الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ١٦ ، وأسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٢٤٥ – ٢٤٦ .
(٨) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾ ج٨ ، ص٥٢٤ حـ ٧٣٨٦ .

ونقل ابن حجر عن ابن بطال أنه قال : " غرض البخاري في هذا الباب الرد على من قال إن معنى " سميع بصير " عليم ، قال : ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها ، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتا ولا يسمعها ، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر ، فصح أن كونه سميعا بصيرا يفيد قدرا زائدا على كونه عليما ، وكونه سميعا بصيرا يتضمن أنه يسمع بسمع ، ويبصر ببصر ، كما تضمن كونه عليما أنه يعلم بعلم ، ولا فرق بين إثبات كونه سميعا بصيرا وبين كونه ذا سمع وبصر " (١) .

وأخرج البيهقي من طريق سليم بن جبير (٢) مولى أبي هريرة ، قال : سمعت أبا هريرة - ﷺ - يقرأ هذه الآية : ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ إلى قوله : ﴿ إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ (٣) يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ، قال أبو هريرة - ﷺ - رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع أصبعيه - قال البيهقي - والمراد بالإشارة المروية في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل بالسمع والبصر ، فأشار إلى محلي السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله تعالى ، كما يقال قبض فلان مال فلان ، ويشار باليد على معنى أنه حاز ماله ,افاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم ؛ إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب ؛ لأنه محل العلم منه ، وليس في الخبر إثبات الجارحة ، تعالى الله عن شبه المخلوقين علوا كبيرا " (٤) .

و = ثبوت صفة الغيرة لله عز وجل على الوجه الذي يليق بجلال الله وعظمته من غير تشبيه بمخلوق سبحانه ، يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة الكسوف " يا أمة محمد إن من أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته " (٥) .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج١٣ ، ص٣٨٥ .

(٢) ويقال بن جبيرة الدوسي مولى أبي هريرة - روى عن أبي هريرة ، وعنه عمرو بن الحارث ، وحيوة بن شريح ، والليث بن سعد ، وثقة النسائي وابن حبان ، توفي سنة (١٢٣) ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ ٤ ، ص١٦٦ .

(٣) سورة النساء ، الآية (٥٨) .

(٤) كتاب الأسماء والصفات ، الإمام البيهقي ، جـ ١ ، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ .

(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٧ .

وفي الصحيحين عن عبدالله بن مسعود - ﷺ - عن النبي ﷺ قال : " ما من أحد أغير من الله ، من أجل ذلك حرم الفواحش ؛ وما أحد أحب إليه المدح من الله " (١) .

وفيهما أيضا عن المغيرة بن شعبة (٢) قال : قال سعد بن عبادة لو رأيت رجلا مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح (٣) ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : " تعجبون من غيرة سعد ، والله لأنا أغير منه ، والله أغير مني ، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ، ولا أحد أحب إليه المدحة من الله ، ومن أجل ذلك وعد الله الجنة " (٤) .

والغيرة الثابتة لله عز وجل على لسان نبيه ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة ، لا تشبه غيرة المخلوقين ، فالله عز وجل ، ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (٥) . فهي كالحب والرضا ، والنزول ، والسمع والبصر وغير ذلك من الصفات الثابتة لله عز وجل في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ .

وقياس هذه الصفات على صفات المخلوقين حمل الكثيرين من علماء الأمة على تأويلها ، ولعل قصدهم من ذلك هو تنزيه الله عز وجل ، ومن هؤلاء البيهقي ، والنووي ، وابن حجر - رحمهم الله - .

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ ، ج٨ ، ص٥٢٨ ، ح٧٤٠٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب التوبة باب غيرة الله وتحريم الفواحش ، ج٤ ، ص٢١١٣ - ٢١١٤ ، ح٢٧٦٠ ، واللفظ للبخاري .

(٢) هو : ابن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف أبو عبدالله ، وقيل أبو عيسى أسلم عام الخندق ، وأول مشاهده الحديبية ، ولاه عمر البصرة وعزله عنها ، وولاه الكوفة واستمر على الكوفة حتى عزله عثمان - ﷺ - شهد اليمامة وفتوح الشام وفقد عينه في اليرموك ، وشهد القادسية ، وفتح نهاوند ، اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان - ﷺ - توفي سنة (٥٠) في خلافة معاوية وعمره ٧٠ سنة . انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ٢٠ - ٢١ ، وأسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ ، والإصابة ، جـ ٣ ، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ .

(٣) مصفح بضم الميم وسكون الصاد ، يقال أصفحه بالسيف إذا ضربه بعُرضه دون حده ، انظر : النهاية في غريب الحديث ، ج٣ ، ص٣٤ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول النبي ﷺ " لا شخص أغير من الله " ج٨ ، ص٥٣٢ ، ح٧٤١٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب اللعان ، باب ١ ، ج٢ ، ص١١٣٦ ، ح١٤٩٩ .

(٥) سورة الشورى ، جزء من الآية : ١١ .

وفيما يلي سأتعرض لأقوال هؤلاء الأئمة على الترتيب ، فأما البيهقي – رحمه الله – فقد أورد هذه الأحاديث التي ذكرتها مستدلا بها على ثبوت الغيرة لله عز وجل ، ولكنه نقل عن الخطابي أنّه قال : " ما أحد أغير من الله ، أي أزجر من الله ، والغيرة من الله الزجر ، والله غيور بمعنى زجور ، يزجر عن المعاصي " (١) .

وأما النووي فقال في شرحه لحديث عائشة – رضي الله عنها – في الكسوف في قوله ﷺ فيه " يا أمة محمد إنْ من أحد أغير من الله تعالى " قالوا معناه ليس أحد أمنع من المعاصي من الله تعالى ، ولا أشد كراهة لها منه سبحانه " (٢) .

وأما ابن حجر فقد صرح بإحالة الغيرة بمعناها اللغوي على الله –تعالى– فقال في شرح قوله ﷺ : " ما من أحد أغير من الله " (٣) " أغير" أفعل تفضيل من الغيرة بفتح المعجمة وهي في اللغة تغير يحصل من الحمية والأنفة ، وأصلها في الزوجين والاهلين ، وكل ذلك محال على الله تعالى لأنه منزه عن كل تغير ونقص فيتعين حمله على المجاز " (٤) .

وقد علّق الشيخ عبدالعزيز بن باز – رحمه الله – على قول ابن حجر : " وكل ذلك محال على الله تعالى " بقوله : " المحال عليه سبحانه وتعالى وصفه بالغيرة المشابهة لغيرة المخلوق ، وأما الغيرة اللائقة بجلاله سبحانه وتعالى فلا يستحيل وصفه بها ، كما دل عليه هذا الحديث ، وما جاء في معناه فهو سبحانه يوصف بالغيرة عند أهل السنة على وجه لا يماثل فيه صفة المخلوقين ، ولا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو سبحانه ، كالقول في الاستواء والنزول والرضا ، والغضب وغير ذلك من صفاته سبحانه " (٥) .

---

(١) الأسماء والصفات ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ .
(٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، ج٦ ، ص٢٠١ .
(٣) متفق عليه ، من حديث عائشة – رضي الله عنها – وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٧ .
(٤) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٦١٧ .
(٥) تعليق الشيخ على الفتح ، ج٢ ، هامش ، ص٦١٧ .

ثانياً : المسائل المتعلقة بالملائكة والكتب والرسل :

١ – **الملائكة** : وهم عباد الله ، ورسله إلى أنبيائه ولهم وظائف كثيرة وعبادات متنوعة ، قال الله تعالى : ﴿ وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾ (١) .

وقد بين رسول الله ﷺ في حديث الجساسة أن الدجال قال للقوم الذين لقوه " وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج ، فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة ، فهما محرّمتان علىّ كلتاهما ، كلما أردت واحدة أو واحدا منهما ، استقبلني ملك بيده السيف صلتا " (٢) .

وهذا الحديث نص على أن من وظائف الملائكة حراسة الحرمين ممن أرادهما بسوء ، وفيه النص على الدجال لأنه أعظم الفتن .

وبيّن رسول الله ﷺ أن المدينة محروسة من الطاعون والدجال ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : " على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال " (٣) .

وقال أيضا : " لا يدخل المدينة رُعب المسيح الدجال ، لها يومئذ سبعة أبواب على كل باب ملكان " (٤) .

وأخبر رسول الله ﷺ أن الدجال يدخل جميع البلدان غير مكة والمدينة ، ففي حديث أنس – رضي الله عنه – عند البخاري ، أن النبي ﷺ قال " ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال ، إلا مكة والمدينة ، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات ، فيخرج الله كل كافر ومنافق " (٥) .

---

(١) سورة الأنبياء ، آية (٢٠) .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٥ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة ، ج٢ ، ص٥٧٩ ، ح١٨٨٠ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب لا يدخل الدجال المدينة ، ج٢ ، ص٥٧٩ ، ح١٨٧٩ .
(٥) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ٥٨٠ ، حـ ١٨٨١ .

٢ - ما يتعلق بالكتب مما ورد في نصوص الخطب بيانه أو الإشارة إليه مع العلم أني لم أجد في الخطب شيئا متعلقا بغير القرآن .

أ = قوله فيما يرويه عن الله عز وجل " وأنزلت عليك كتابا " [١] .

يدل على أن القرآن منزل من الله تعالى وهذه عقيدة يجب الإيمان بها قال الله تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ [٢] .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآيات : " يقول تعالى مخبرا عن الكتاب الذي أنزله على عبده ورسوله محمد ﴿ وإنه ﴾ أي القرآن ذكَرَه في أول السورة في قوله ﴿ وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث ﴾ الآية ، ﴿ لتنزيل رب العالمين ﴾ أي أنزله الله عليك وأوحاه إليك ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ وهو جبريل عليه السلام " [٣] .

وقال تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [٤] .

ب = القرآن محفوظ من التغيير :

دليل ذلك قوله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل " وأنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء " [٥] .

قال الأبيّ [٦] في شرح صحيح مسلم : " قوله " لا يغسله الماء " كناية عن كونه محفوظا في الصدر لا يتطرق إليه الذهاب ، ويحتمل أنه كناية عن تسهيل حفظه " [٧] .

وقال الله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ [٨] ، قال ابن جرير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : " يقول تعالى ذكره ﴿ إنا نحن

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ، وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٢) سورة الشعراء ، الآيات من ١٩٢ - ١٩٥ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٣ ، ص٤٥٨ .
(٤) سورة الحجر ، الآية (٩) .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧٢ .
(٦) هو : محمد بن خلف الوشتاني ، وقيل الموشتاني الأبي ، له شرح على المدونة ، وله نظم وتفسير ، وله شرح على صحيح مسلم ، توفي سنة ٨٢٧هـ وقيل ٨٢٨هـ . انظر : " توشيح الديباج " ، ص٢٠٤ - ٢٠٥ ، و " شجرة النور " جـ١ ، ص٢٤٤ ، و " نيل الابتهاج " ، ص٣٣٦ - ٣٣٧ .
(٧) شرح الأبي لصحيح مسلم ، ج٩ ، ص٣٠٩ .
(٨) سورة الحجر ، الآية (٩) .

نزلنا الذكر ﴾ وهوالقرآن ﴿ وإنا له لحافظون ﴾ من أن يزاد فيه باطل مّـا ليس منه ، أو ينقص منه ما هو من أحكامه وحدوده وفرائضه " (١) .

وقال تعالى مخاطبا نبيه : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ (٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآيات : " هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك ، فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسبق الملك في قراءته ، فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له ، وتكفل الله له أن يجمعه في صدره ، وأن ييسر لأدائه على الوجه الذي ألقاه عليه ... " (٣) .

روى البخاري ومسلم من حديث ابن عباس – ﷺ – في قوله تعالى : ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به ﴾ قال : كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فأنزل الله ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾ قال جمعه لك في صدرك وتقرأه ﴿ فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ﴾ قال فاستمع له وأنصت ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه ، فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأ " (٤) .

وقال تعالى مخاطبا نبينا محمدا ﷺ ﴿ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾ (٥) ، قال ابن جرير في تفسيرها : " يقول تعالى ذكره : سنقرئك يا محمد هذا القرآن فلا تنساه ، إلا ما شاء الله .... ، – وقال – ثم اختلف أهل التأويل في معنى قوله تعالى ﴿ فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾ ، فقال بعضهم هذا إخبار من الله نبيه عليه الصلاة والسلام أنه يعلمه هذا القرآن ، ويحفظه عليه ، ونهي منه أن يعجل بقراءته كما قال جل ثناؤه ﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن

---

(١) جامع البيان ، مجلد ٨ ، ج١٤ ، ص٧ .
(٢) سورة القيامة ، الآيات : ١٦ – ١٨ .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص٥٧٧ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب بدء الوحي ، باب ٤ ، ج١ ، ص٥ ، ح٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة باب الاستماع للقراءة ، ج١ ، ص٣٣٠ ، ح٤٤٨ .
(٥) سورة الأعلى ، الآية (٦) .

علينا جمعه وقرآنه ﴾ وقال آخرون : معنى النسيان في هذا الموضع الترك ، أي فلا تترك العمل بشيء منه " ورجح القول الأول [١] .

ج = القرآن ميسر للحفظ :

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل : " وأنزلت عليك كتابا لا يغسله ماء تقرؤه نائما ويقظان " [٢] ، وقال تعالى : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ [٣] .

قال ابن كثير – رحمه الله – : " أي سهلنا لفظه ويسرنا معناه لمن أراده ليتذكر الناس ، كما قال ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب ﴾ [٤] ، وقال تعالى : ﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا ﴾ [٥] .

قال مجاهد : ﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ يعني هونا قراءته ، وقال السدي [٦] : يسرنا تلاوته على الألسن ، وقال الضحاك [٧] عن ابن عباس : لولا أن الله يسره على لسان الآدميين ما استطاع أحد من الخلق أن يتكلم بكلام الله عز وجل " [٨] .

د = الأخذ بكتاب الله والتمسك به واجب كل مسلم :

قال رسول الله ﷺ " وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به " [٩] .

---

(١) جامع البيان ، مرجع سابق ، المجلد ١٥ ، ج٣٠ ، ص١٥٤ ، باختصار .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧١ .
(٣) سورة القمر ، جزء من الآية (١٨) ، وقد تكررت عدة مرات في هذه السورة .
(٤) سورة ص ، الآية (٢٩) .
(٥) سورة مريم ، الآية (٩٧) .
(٦) هو : إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة ، الإمام المفسر أبو محمد ، الحجازي الكوفي السدي ، القرشي مولاهم ، يروي عن أنس ، وابن عباس ، وعنه شعبة ، وسفيان الثوري ، والحسن بن حي ، وثقه أحمد ، وضعفه ابن معين ، توفي سنة ١٢٧ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ٥ ، ص ٢٦٤ – ٢٦٥ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ١ ، ص ٣١٣ – ٣١٤ .
(٧) هو الضحاك بن مزاحم ، الهلالي ، أبو محمد أو أبو القاسم ، المفسر ، كان من أوعية العلم وليس بجيد الحديث ، يروي عن ابن عباس ، وأبي سعيد الخدري ، وابن عمر ، وأنس ، وعنه عمارة بن أبي حفصة ومقاتل ، وعلي بن الحكم ، وثقه أحمد ويحيى وغيرهما ، كان يكثر من الحوقلة ، توفي – رحمه الله – سنة ١٠٦هـ ، انظر : " سير أعلام النبلاء " جـ٤ ، ص ٥٩٨ – ٦٠٠ ، و" تقريب التهذيب " ص ٢٨٠ ، و " الأعلام " جـ ٣ ، ص ٢١٥ .
(٨) تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٤ ، ص٣٣٦ .
(٩) تقدم تخريج هذا الحديث في نصوص الخطب ص ٩٥ .

وقال تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ [١] ، فحبل الله القرآن ، أو القرآن والسنة في أحد التفسيرات التي وردت فيه ، وفسر بأنه عهد الله [٢] .

قال الكرماني [٣] في ترجمة كتاب الاعتصام من صحيح البخاري : " الترجمة مقتبسة من قوله تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله ﴾ إذ المراد بالحبل الكتاب والسنة على سبيل الاستعارة المصرحة والقرينة - إضافته - إلى الله والجامع كونهما سببا للمقصود الذي هو الثواب ، كما أن الحبل سبب للمقصود من السقي ونحوه " [٤] .

وأخرج ابن جرير عن أبي سعيد الخدري - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ " كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض " [٥] .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٠٣) .
(٢) انظر : جامع البيان ، مجلد ٣ ، ج٤ ، ص٣٠ - ٣١ ، وزاد المسير ، ج٢ ، ص١٢ .
(٣) هو : محمد بن يوسف بن علي بن سعيد ، شمس الدين الكرماني ، عالم بالحديث ، أصله من كرمان اشتهر في بغداد ، أقام بمكة مدة وفيها فرغ من تأليف كتابه " الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري " ولد سنة ٧١٧هـ وتوفي ٧٨٦هـ . انظر الأعلام ، جـ ٧ ، ص ٥٣ .
(٤) شرح الكرماني لصحيح البخاري ، ج٢٥ ، ص٢٨ .
(٥) جامع البيان ، المجلد ٣ ، ج٤ ، ص ٣١ .

٣ - ما يتعلق بالرسل صلوات الله وسلامه عليهم مما ورد في الخطب المدروسة :

أ = ثبوت بعثة النبي ﷺ :

ثبتت نبوة محمد ﷺ بأدلة كثيرة ، ومعجزات ظاهرة ، من أهمها هذا القرآن الذي تكفل الله عز وجل بحفظه حيث يقول : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ (١) . وقد تحدى الله الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم أن يأتوا بعشر سور مثله ، أو بسورة من مثله ، قال تعالى : ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٢) . وقال تعالى : ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٣) .

وقد أخبر الله تعالى أن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يأتوا بمثله ما استطاعوا ، ولو تظاهروا على ذلك جميعا ، قال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ (٤) .

وقد وردت آيات كثيرة وأحاديث دالة على نبوة محمد ﷺ فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ (٦) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (٧) ، والآيات في هذا المعنى كثيرة .

ومن الأحاديث قوله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل " وإنما بعثتك

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٩) .
(٢) سورة هود ، الآية (١٣) .
(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٣) .
(٤) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .
(٥) سورة الأحزاب ، الآيتان (٤٥ - ٤٦) .
(٦) سورة المدثر ، الآيتان (١ - ٢) .
(٧) سورة المائدة ، جزء من الآية (٦٧) .

لأبتليك وأبتلي بك " [١] ، وقال ﷺ في خطبة الحاجة : " أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله " [٢] ، وقال رسول الله ﷺ في خطبة الكسوف في الحديث عن فتنة القبر : " فأما المؤمن أو الموقن فيقول هو محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فآمنا واتبعناه " [٣] .

ب = وجوب التبليغ في حق جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم .

فقد جاء في خطبة عنه ﷺ أنه قال : " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم " [٤] .

وقال تعالى : ﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا ﴾ [٥] ، فقد ذكر ابن جرير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية أقوالا ثلاثة :

١ – " ليعلم رسول الله ﷺ أن قد أبلغت الرسل قبله عن ربها " .

٢ – " ليعلم المشركون أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم " .

٣ – " ليعلم محمد أن قد بلغت الملائكة رسالات ربهم " .

وقد رجح الرأي الأول فقال : " وأولى هذه الأقوال عندنا بالصواب ، قول من قال : ليعلم الرسول أن الرسل قبله قد أبلغوا رسالات ربهم " [٦] .

وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [٧] .

وفي الصحيحين عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : " من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئا من الوحي فلا تصدقه إن الله تعالى يقول : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ [٨] " [٩] .

---

(١) من نص خطبة ثبتت في صحيح مسلم ، وتقدم تخريجها في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٢) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ، ص ٨٦ .
(٣) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ، ص ٦٨ .
(٤) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٦٩ .
(٥) سورة الجن ، الآية (٢٨) .
(٦) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابن جرير الطبري ، ج١٤ ، ص ١١٨ – ١١٩ .
(٧) سورة المائدة ، الآية (٦٧) .
(٨) سورة المائدة ، الآية (٦٧) .
(٩) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية ، ج٨ ، ص ٥٧٥ ، ح٧٥٣١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ج١ ، ص١٥٩ ، ح ١٧٧ .

وفي صحيح مسلم وسنن الترمذي عنها – رضي الله عنها – " ولو كان محمد ﷺ كاتما شيئا مما أنزل عليه لكتم هذه الآية ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه [١] ﴾ " [٢] .

وفي البخاري عن أبي جحيفة [٣] – رضي الله عنه – قال : " قلت لعلي – رضي الله عنه – هل عندكم شيء من الوحي إلا ما في كتاب الله ؟ قال : لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، ما أعلمه إلا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن ، وما في هذه الصحيفة ، قلت وما في الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الأسير ، وأن لا يقتل مسلم بكافر " [٤] .

وقد استنطق الرسول ﷺ أصحابه – رضي الله عنهم – في خطبة الوداع ، في أعظم تجمع في حياته ﷺ حيث بلغ عدد الحاضرين نحو أربعين ألفا [٥] .

وقال في آخر هذه الخطبة : " وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه يرفعها إلى السماء ، وينكتها إلى الناس اللهم اشهد " [٦] .

وقد حمّل الرسول ﷺ الصحابة مسؤولية البلاغ في خطبة جامعة ألقاها يوم النحر في حجة الوداع بين فيها إبطال النسيء ، وأخبر عن حرمة الدم ، والمال ، والعرض ، ونهى عن التقاتل ، وحذر الرجوع إلى الكفر ، منها : " وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم ، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ألا ليبلغ الشاهد الغائب " [٧] .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٣٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب معنى قول الله تعالى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ جـ ١ ، ص ١٥٩ ، حـ ١٧٧ ، وسنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة الأحزاب ، ج٥ ، ص٣٥٢ ، ح٣٢٠٧ .

(٣) هو : وهب بن عبدالله السوائي ، بضم المهملة والمد ، أبو جحيفة مشهور بكنيته ، ويقال له وهب الخير ، صحابي معروف ، وصحب عليا ، توفي ٧٤ ، وقيل ٩٤ ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص١٥٧ ، وتقريب التهذيب ، ص ٥٨٥ ، والبداية والنهاية ، جـ ٩ ، ص ٧

(٤) صحيح البخاري في مواضع منها كتاب الجهاد والسير ، باب فكاك الأسير ، ج٤ ، ص ٣٥٧ ، ح٣٠٤٧ .

(٥) انظر : تفسير القرآن العظيم ، مرجع سابق ، ج٢ ، ص ١٠٨ .

(٦) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٧٨ .

(٧) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٨٤ .

ومما يدل على مسارعته في تبليغ ما أمر بتبليغه قوله في الخطبة التي رواها عياض بن حمار – ﷺ – " إن الله أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا " (١) .

ونقل البخاري عن الزهري (٢) – رحمهما الله – أنه قال : " من الله الرسالة ، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ وعلينا التسليم " (٣) .

وجميع هذه الأدلة تثبت أن الرسول ﷺ وغيره من المرسلين بلغوا عن الله جميع ما أمرهم بتبليغه ، إذ هم أصحاب العصمة ، الذين اختارهم الله لتبليغ دينه ، فهم أخشى الناس لله ، وأتقاهم له ، قال تعالى : ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ﴾ (٤) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : " يمدح تبارك وتعالى ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ﴾ أي إلى خلقه ، ويؤدونها بأماناتها ﴿ ويخشونه ﴾ يخافونه ، ولا يخافون أحدا سواه ، فلا تمنعهم سطوة أحد عن إبلاغ رسالات الله ﴿ وكفى بالله حسيبا ﴾ أى كفى بالله ناصرا ومعينا ، وسيد الناس في هذا المقام بل وفي كل مقام محمد رسول الله ، فإنه قام بأداء الرسالة وإبلاغها إلى أهل المشارق والمغارب ، إلى جميع أنواع بني آدم ... " (٥) .

قال تعالى : ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ (٦) . قال السعدي –رحمه الله– في تفسير هذه الآية : " فيمن علمه يصلح لها ، ويقوم بأعباءها ، وهو متصف بكل خلق جميل ، ومتبرئ من كل خلق دنيء ، أعطاه الله ما تقتضيه حكمته أصلا وتبعا " (٧) .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧٢ .

(٢) هو : محمد بن مسلم بن عبدالله بن عبيدالله بن شهاب بن عبدالله بن الحارث بن زهرة القرشي أبو بكر ، الفقيه الحافظ ، متفق على جلالته وإتقانه ، قيل إنه أول من دون الحديث ، روى عن عبدالله بن عمر ، وعبدالله بن جعفر ، وربيعة بن عياد ، والمسور بن مخرمة ، قال أبو داود حديثه ألفان ومائتان ، النصف منها مسند ، كان سريع الحفظ ، انظر : تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ١٠٨ – ١١٣ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ١ ، ص ٤٤٥ – ٤٥١ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ ، ج٨ ، ص ٥٧٤ .

(٤) سورة الأحزاب ، جزء من الآية : ٣٩ .

(٥) تفسير القرآن العظيم ، ج٣ ، ص٦٤ .

(٦) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٢٤ .

(٧) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٢٣٥ .

وفي هذه الأدلة إبطال المزاعم التي يدّعيها بعض أهل البدع من اختصاص أئمتهم بأمور لا يعلمها غيرهم ، وفيه أيضا إبطال لمناهج أهل الكلام وما عندهم من تقسيمات للأشياء إلى جواهر ، وأعراض إلى غير ذلك مما عندهم من تهافت وتناقض .

قال ابن حجر – رحمه الله – في هذا المعنى " وكان مما أمر بتبليغه التوحيد بل هو أصل ما أمر به ، فلم يترك شيئا من أمور الدين أصوله وقواعده وشرائعه إلا بلغه ، ثم لم يدع إلى الاستدلال بما تمسكوا به من الجوهر والعرض ، ولا يوجد عنه ولا عن أصحابه من ذلك حرف واحد فما فوقه ، فعرف بذلك أنهم ذهبوا خلاف مذهبهم ، وسلكوا غير سبيلهم بطريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه – ﷺ – ويلزمهم من سلوكه العود على السلف بالطعن والقدح ، ونسبتهم إلى قلة المعرفة ، واشتباه الطرق " (١) .

ولا يخفى بطلان هذه الطريقة ، وما فيها من جرأة على الله ، إذ كيف تكون هذه التقسيمات المخترعة هي الدين الذي لا يقبل من أحد سواه ، مع أن الرسول ﷺ لم يدع أحدا إلى اعتقادها ، أو الاستدلال بها ، ولا ربط إيمان أحد بها ، وقد أنزل الله عليه في آخر حياته ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ (٢) .

ج = الرسول ﷺ لا يعلم من الغيب إلاّ ما أطلعه الله عليه ، يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة " ألا إنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك " (٣) .

وقال الله عز وجل : ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾ (٤) .

قال ابن كثير – رحمه الله – " أي لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما أعلمه الله عز وجل وأطلعه عليه " (٥) .

---

(١) فتح الباري ، ج١٣ ، ص٥١٦ .
(٢) سورة المائدة ، جزء من الآية (٣) .
(٣) متفق عليه ، وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٠ .
(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية : ٢٥٥ .
(٥) تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص ٤٠٤ .

وقال الله تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يقول للناس أنه لا يعلم الغيب ﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (٢) .

وقال تعالى آمرا رسوله ﷺ أن يخبر عن نفسه أنه لا يملك لنفسه شيئا ولا يعلم الغيب ﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لا ستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ﴾ (٣) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية " أمره الله تعالى أن يفوض الأمر إليه ، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل ، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه " (٤) .

وهذه الأدلة واضحة في ردّ دعوى من يدعي الاطلاع على الغيب ، من الكهنة والعرّافين والمنجمين ونحوهم ، وقال القرطبي – رحمه الله – : " قال العلماء لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه ، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم ، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم ، وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصى وينظر في الكتب ، ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما شاء من غيبه ، بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه " (٥) .

وقال الشوكاني – رحمه الله – : " وقيل المراد بقوله : ﴿ إلا من ارتضى من رسول ﴾ فإنه يطلعه على بعض غيبه ، وهو ما يتعلق برسالته

---

(١) سورة الجن ، من الآية (٢٥ – ٢٧) .
(٢) سورة الأنعام ، الآية (٥٩) .
(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٨٨) .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص ٣٦٣ .
(٥) الجامع لأحكام القرآن ، ج١٩ ، ص ٢٨ .

كالمعجزة ، وأحكام التكاليف ، وجزاء الأعمال ، وما يبينه من أحوال الآخرة ، لا ما لا يتعلق برسالته كوقت الساعة ونحوه " [١] .

ونقل عن الواحدي [٢] أنه قال : " وفي هذا دليل على أن من ادعى أن النجوم تدله على ما يكون من حادث فقد كفر بما في القرآن " [٣] .

وقال الزمخشري [٤] في الكشاف قوله تعالى : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر ﴾ فلا يطلع و ﴿ من رسول ﴾ تبيين لمن ارتضى يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى ، وفي هذا إبطال للكرامات ؛ لأن الذين تضاف إليهم ، وإن كانوا أولياء مرتضَيْن ، فليسوا برسل ، وقد خص الله الرسل من بين المرتضَيْن بالاطلاع على الغيب وإبطال الكهانة ، والتنجيم ؛ لأن أصحابها أبعد شيء عن الارتضاء وأدخله في السخط " [٥] .

د = الرسول ﷺ بشر وليس بإله :

يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة : " إنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب " [٦] ، وفي كتاب الله عز وجل آيات كثيرة تدل على هذا المعنى ، وترد على من أنكر رسالة الرسل متعللا بكونهم بشرا منها قوله تعالى ﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا ﴾ [٧] . وقال تعالى مبينا حوار الرسل مع المكذبين من أقوامهم : ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا

---

(١) فتح القدير ، ج٥ ، ص ٣١١ .

(٢) هو : الشيخ أبو القاسم ، بن عبدالرحمن بن أحمد الواحدي ، سمع أبا طاهر ، ويحيى بن إبراهيم المزكى ، وأبا بكر الحيري ، وعنه إسماعيل ابن محمد التيمي الحافظ وعبدالخالق الشحامي ، توفي سنة ٤٨٧ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٨ ، ص ٣٤٢ - ٣٤٣ .

(٣) فتح القدير ، المرجع السابق ، ج٥ ، ص ٣١١ .

(٤) هو : محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي النحوي اللغوي ، أبو القاسم ، برع في علوم شتى ، وكان معتزليا يدعو إلى مذهبه ، من أشهر مؤلفاته الكشاف ، والمفصل في النحو ، الفائق في غريب الحديث ، وأساس البلاغة في اللغة ، كانت ولادته ٤٦٧ ، وتوفي ٥٣٨هـ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٠ ، ص ١٥١ ، " وفيات الأعيان " جـ ٢ ، ص ٨١ ، وشذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ١١٨ - ١٢١ .

(٥) الكشاف عن حقائق التنزيل ، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ج٤ ، ص١٥٠ .

(٦) تقدم تخريجه ، في نصوص الخطب ص ٩٥ .

(٧) سورة الإسراء ، الآية : ٩٤ .

عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين ، قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ﴾ (٢) .

وقال فرعون وقومه مستبعدين الإيمان لموسى وهارون متعللين ببشريتهما : ﴿ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون ﴾ (٣) .

ولما تفنن أهل مكة في الاقتراحات ، الدالة على العناد ورفض الرسالة ، فزعموا أنهم لن يؤمنوا لرسولنا محمد ﷺ حتى يفجر لهم الماء ينابيع أو تكون له جنة من النخيل والعنب تتفجر الأنهار خلالها ، أو يأخذهم بالعذاب ، فيسقط عليهم السماء كسفا أو يأتي الله عز وجل وملائكته لنصرته معاينة ، أو يكون له بيت من ذهب ، أو يصعد في السماء ويأتيهم بكتاب يقرؤونه أمره الله عز وجل أن يجيبهم بقوله ﴿ سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ (٤) .

قال السعدي – رحمه الله – معلقا على هذه الاقتراحات : " ولما كانت هذه تعنتات ، وتعجيزات ، وكلام أسفه الناس وأظلمهم ، المتضمنة لرد الحق ، وسوء أدب مع الله ، وأن الرسول ﷺ هو الذي يأتي بالآيات أمره الله أن ينزهه فقال : ﴿ سبحان ربي ﴾ عما يقولون علوا كبيرا ، وسبحانه أن تكون أحكامه وآياته ، تابعة لأهوائهم الفاسدة وآرائهم الضالة " (٥) .

وقال سيد قطب – رحمه الله – : " وتبدو طفولة الإدراك والتصور كما يبدو التعنت في هذه المقترحات الساذجة ، هم يسوّون بين البيت المزخرف ، والعروج إلى السماء أو بين تفجير الينبوع من الأرض ومجيء الله سبحانه ، والملائكة قبيلا ، والذي يجمع في تصوّرهم بين هذه المقترحات أنها خوارق ، فإذا جاءهم بها نظروا في الإيمان به والتصديق له " (٦) .

---

(١) سورة إبراهيم ، الآيتان ، ١٠ – ١١ .
(٢) سورة التغابن ، جزء من الآية : ٦ .
(٣) سورة المؤمنون ، الآية : ٤٧ .
(٤) سورة الإسراء ، جزء من الآية : ٩٣ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن ، ص٤١٧ .
(٦) في ظلال القرآن ، ج٤ ، ص٢٢٥١ .

وقد بين الله تعالى أنهم يعجبون ويستنكرون أن يكون الرسول المنذر منهم فقال تعالى : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم ، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾ (٢) .

ولا يخفى أن مصدر هذا العجب إنما هو الجهل بنعمة الله ومنه حيث جعل الرسل بشرا ، ليسوا غرباء في التكوين والخلقة ، وليسوا غرباء في اللغة ليسوا غرباء في الاحتياجات البشرية ، فهم بشر يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، ولهم أزواج وذرية ، قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾ (٣) . وقال تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ (٤) .

وحكم الله في بعثه الرسل من بني آدم كثيرة ولعل منها ما يلي :

١ – الاطمئنان إليهم وعدم الانزعاج برؤيتهم إذ لو كانوا ملائكة أو خلقا آخر لما استطاع بنو آدم حوارهم ، والجلوس معهم ويدل على ذلك قوله عز وجل : ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ﴾ (٥) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾ (٦) ، أي ولو أنزلنا مع الرسول البشري ملكا ، أي لو بعثنا إلى البشر رسولا ملكيا ، لكان على هيئة الرجل ليمكنهم مخاطبته والانتفاع بالأخذ عنه ، ولو كان كذلك لا التبس عليهم الأمر ، كما هم يلبسون على أنفسهم في قبول رسالة البشري ، كقوله تعالى : ﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ (٧) .

فمن رحمته تعالى بخلقه ، أنه أرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلا منهم ، ليدعو بعضهم بعضا ، وليمكن بعضهم أن ينتفع في المخاطبة والسؤال

(١) سورة ص ، الآية (٤) .
(٢) سورة ق ، الآية (٢) .
(٣) سورة الفرقان ، جزء من الآية (٢٠) .
(٤) سورة الرعد ، جزء من الآية (٣٨) .
(٥) سورة الأنعام ، جزء من الآية (٩) .
(٦) سورة النعام ، الآية (٩) .
(٧) سورة الإسراء ، الآية (٩٥) .

كما قال تعالى : ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ﴾ (١) .

قال الضحاك عن ابن عباس : " في الآية يقول : لو أتاهم ملك ما أتاهم إلا في صورة رجل ؛ لأنهم لا يستطيعون النظر إلى الملائكة من النور " (٢) .

٢ – وضوح البيان وسهولة البلاغ للأوامر والنواهي :

قال تعالى : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾ (٣) ، وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ (٤) .

٣ – سهولة المتابعة ، لأن الخلقة إذا كانت متقاربة ، والاحتياجات متحدة سهلت المتابعة والاقتداء ، ولم يبق لمعتذر حجة بعدم القدرة على التكاليف سواء تعلقت بالفعل أو الترك ؛ ولذا بين رسول الله ﷺ للذين أرادوا التنكر لهذه الاحتياجات البشرية من أجل التقرب إلى الله ، أن ذلك ليس قربة ، وليس هدفا ، فالإسلام دين رحمة لا تضييق فيه ، ولا حرج ، قال تعالى : ﴿ ما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (٥) .

ففي البخاري عن أنس – رضي الله عنه – قال جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها ، فقالوا وأين نحن من النبي ﷺ ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني " (٦) .

٤ – عدم الافتتان بالرسل واتخاذهم آلهة من دون الله عز وجل ؛ لأن كون الرسول بشرا ، له أب وأم ، يجوع ويعطش ، ويأكل ويشرب ، ويصاب

---

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية (١٦٤) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص١٧٢ .
(٣) سورة إبراهيم ، جزء من الآية (٤) .
(٤) سورة النحل ، جزء من الآية (٤٤) .
(٥) سورة الحج ، جزء من الآية (٧٨) .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب الترغيب في النكاح ، ج٦ ، ص٤٣٧ ، ح٥٠٦٣ .

بالأمراض التي لا تؤدى إلى نقص ، ينام ، ويستيقظ ، كاف في الدلالة على أنه ليس بإله ، ولكنه مبلغ عن الله أمره ونهيه ، وفي اختيار الله له للقيام بهذه المهمة دليل قاطع على صدقه وأمانته .

يقول الله تعالى منكرا على النصارى ما ادّعوه في عيسى وأمه – عليهما السلام – من الإلهية : ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ (١) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ : " أي : يحتاجان إلى التغذية به وإلى خروجه منهما ، فهما عبدان كسائر الناس وليسا بإلهين كما زعمت فرق النصارى الجهلة ، عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة " (٢) .

هـ = قوله ﷺ : " إني فرطكم وأنا شهيد عليكم " (٣) يدل على أن الرسول ﷺ شاهد على أمته :

وقال تعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ (٤) ، وقال تعالى : ﴿ وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾ (٥) .

وهذه الأدلة تدل على ثبوت شهادة رسول الله ﷺ على أمته ، ولكن هل هذه الشهادة مختصة بمن كانوا معه في حياته ، وكان له اطلاع على أعمالهم ، أو عامة في جميع الأمة إلى آخر الدنيا .

وعلى الأول يدل ما ذكره ابن كثير – رحمه الله – من طريق ابن أبي حاتم مرفوعا : أن النبي ﷺ جلس على صخرة في بني ظفر ، ومعه ابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وناس من أصحابه – ﷺ – ، فأمر النبي ﷺ قارنا فقرأ حتى أتى على هذه الآية : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك

---

(١) سورة المائدة ، جزء من الآية (٧٥) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ، ص١١٤ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٣ .
(٤) سورة النساء ، الآية (٤١) .
(٥) سورة الزمر ، جزء من الآية (٦٩) .

على هؤلاء شهيدا ﴾ فبكى رسول الله ﷺ حتى اضطرب لحياه وجنباه ، فقال " يا رب هذا شهدت على من أنا بين ظهريه ، فكيف بمن لم أره " (١) .

وذكر ابن جرير – بسنده عن عبدالله ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ قال : قال رسول الله ﷺ " شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد " (٢) .

وعلى الثاني وهو أن شهادة الرسول ﷺ تشمل جميع الأمة – يدل ما ذكره القرطبي في التذكرة عن سعيد بن المسيب قال : " ليس من يوم إلا تعرض على النبي ﷺ أمته غدوة وعشية ، فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم ، فلذلك يشهد عليهم ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ (٣) .

قال ابن كثير – رحمه الله – معلقا على هذا الأثر – بعد إيراده له باللفظ الذي ذكرته : " فإنه أثر وفيه انقطاع ، فإن فيه رجلا مبهما لم يسم ، وهو من كلام سعيد بن المسيب لم يرفعه " (٤) .

وقد أورده ابن كثير في مقابلة الحديثين السابقين عن ابن أبي حاتم وابن جرير مرفوعين .

ومما يؤيد الرأي الأول ما ثبت في الخطبة المروية في الصحيحين التي قال فيها رسول الله ﷺ : " ألا وإنه سيجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول يارب أصحابي ، فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك ، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾ (٥) " (٦) .

---

(١) المعجم الكبير ، جـ ١٩ ، ص ٢٤٣ – ٢٤٤ وأورده الإمام ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره بدون تضعيف ولا تصحيح ، ج١ ، ص٦٥٢ .
(٢) جامع البيان عن تأويل القرآن ، ج٤ ، ص٩٢ .
(٣) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ص٣٤٦ .
(٤) تفسير القرآن العظيم ، ج١ ، ص٦٥٢ .
(٥) سورة المائدة ، جزء من الآية : (١١٧) .
(٦) متفق عليه ، وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٠ .

ووجه الدلالة من هذا الحديث على أن شهادته ﷺ على أعمال أمته ، مختصة بمن كانوا معه في حياته ، أن الله قال له : " إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك " ، فلو كان الناس يعرضون عليه بالغداة والعشي ، بأعمالهم وأشكالهم ، لكان عارفا بمن بدل ، وعارفا من استقام ، وقد ثبت في صحيح مسلم أن الرسول ﷺ سأل الصحابة - ﷺ - فقال : " أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة بين ظهري خيل دهم بهم ألا يعرف خيله ؟ قالوا بلى يا رسول الله ، قال : فإنهم يأتون غرا محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال ، أناديهم ألا هلم ! فيقال : إنهم قد بدلوا بعدك ، فأقول : سحقا سحقا " (١) .

و= قوله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل : " أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء ، تقرؤه نائما ويقظان " (٢) ، يدل قوله : " تقرؤه نائما ويقظان " على أن الوحي إلى الأنبياء قد يكون مناما كما يكون يقظة .

وفي الصحيح ما يؤكد ذلك ، فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح " (٣) .

قال الكرماني : " فيه تصريح من عائشة - رضي الله عنها - بأن رؤيا النبي ﷺ من جملة أقسام الوحي ، وهذا متفق عليه " (٤) .

ويدل على أن غيره من الأنبياء مثله قوله تعالى عن ابراهيم ﷺ ﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ذا ترى ﴾ (٥) .

ونقل ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية عن ابن أبي حاتم بسنده إلى ابن عباس - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ " رؤيا الأنبياء وحي " قال ابن كثير : " وليس هو في شيء من الكتب الستة " (٦) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل ، ج١ ، ص٢١٨ ، ح٢٤٩ .
(٢) هذا الحديث في صحيح مسلم ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧٢ .
(٣) سبق تخريجه في ص ١٦ .
(٤) شرح الكرماني لصحيح البخاري ، ج١ ، ص٣١ .
(٥) سورة الصافات ، جزء من الآية (١٠٢) .
(٦) تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ، ص٢١ .

وقال البيهقي في تفسير قوله تعالى : ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ [١] ، " قال بعض أهل التفسير : فالوحي الأول ما أرى الله سبحانه الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - في منامهم ، كما أمر إبراهيم - عليه السلام - في منامه بذبح ابنه - وساق الآية الدالة على ذلك ثم قال - : قال الإمام المطلبي : .. قال غير واحد من أهل التفسير رؤيا الأنبياء وحي لقول ابن إبراهيم الذي أمر بذبحه ﴿ افعل ما تؤمر ﴾ " [٢] .

وفي حديث عائشة المتفق عليه في أن بداية الوحي إلى رسول الله ﷺ كانت في النوم [٣] مع قوله تعالى عن إبراهيم في خطابه الذبيح ﴿ يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ذا ترى ﴾ [٤] ، وقوله تعالى : ﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم ﴾ [٥] فهذه الأدلة بمجموعها تدل على أن الرؤيا في النوم من أقسام الوحي ، وأن غير رسول الله ﷺ من الأنبياء مثله في هذا المعنى والله أعلم .

ز = قوله ﷺ : " ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم - عليه السلام - " [٦] :

يدل على فضل إبراهيم - عليه السلام - وإبراهيم خليل الرحمن ، قال الله في حقه : ﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾ [٧] .

وهو الصديق النبي ، قال الله تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ [٨] ، وهو الأمة القانت الحنيف ، قال الله تعالى : ﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ﴾ [٩] ، وهو الأسوة القدوة الذي أمر الله نبيه ﷺ بالاقتداء به ، فقال تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان

---

(١) سورة الشورى ، الآية (٥١) .
(٢) الأسماء والصفات ، جـ ١ ، ص ٣١٥ .
(٣) سبق ذكره في ص ١٧٣ ، وتخرجه في ص ١٦ .
(٤) سورة الصافات ، جزء من الاية (١٠٢) .
(٥) سورة النساء جزء من الآية (١٦٣) .
(٦) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٠ .
(٧) سورة النساء ، الآية (١٢٥) .
(٨) سورة مريم ، الآية (٤١) .
(٩) سورة النحل ، الآية (١٢٠) .

من المشركين ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ [٢] .

وروى البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس مرفوعا : " وأول من يكسى من الجنة يوم القيامة إبراهيم - عليه السلام - يكسى حلة من الجنة ، ويؤتى بكرسيّ فيطرح له عن يمين العرش ثم يؤتى بي فأكسى حلة من الجنة لا يقوم لها البشر ثم أوتى بكرسي فيطرح لي على ساق العرش " [٣] .

قال ابن حجر - رحمه الله - " ولا يلزم من خصوصيته - عليه السلام - بذلك تفضيله على نبينا محمد ﷺ ؛ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة " [٤] .

ولإبراهيم - عليه السلام - أوليات أخرى ، فيروى أنه أول من ضاف الضيوف ، وأول من اختتن ، وأول من رأى الشيب [٥] .

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٣) .
(٢) سورة الممتحنة ، جزء من الآية : ٤ .
(٣) الأسماء والصفات ، جـ ٢ ، ص ١٣٨ .
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج٦ ، ص٤٤٩ .
(٥) انظر : فتح الباري ، نفس المرجع ، ج٦ ، ص ٤٤٩ .

المطلب الثاني

القضايا الغيبية التي أخبر بها رسول الله ﷺ

وتتعلق هذه القضايا بالجنة والنار ، وسائر أمور الآخرة ، أو ما أخبر عنه من حوادث كونية قبل وقوعها فتحققت على وفق ما أخبر ، أو ستتحقق لا محالة ؛ لأنه ﷺ هو الذي قال الله فيه ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [١] .

أولاً : القضايا الغيبية المتعلقة بالجنة والنار ، وعذاب القبر ونعيمه ، وكل ما لا يشاهده الناس في حياتهم .

أ = قوله ﷺ : " ثم جيء بالجنة وذلك حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ، ولقد مددت يدي أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه " وفي الرواية الأخرى " ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه " [٢] .

تدل هذه الألفاظ على ثبوت الجنة ، وأنها مخلوقة إذ ذاك ، وثبوت الجنة من الأمور الأساسية في العقيدة ، فمن شك في وجودها فلا إيمان له ؛ لأنه شاك فيما أخبر الله به ورسوله ﷺ إخبارا يقينيا وعلم بالضرورة .

وفي حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ : " من قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدالله وابن أمته ، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء " [٣] .

وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تتحدث عن الجنة ونعيمها وأنها جزاء لمن آمن وعمل صالحا ، قال تعالى : ﴿ إن المتقين في جنات وعيون ، ادخلوها بسلام آمنين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين ﴾ [٤] ، وقال تعالى :

---

(١) سورة النجم ، الآية (٣ – ٤) .

(٢) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ، ص ٦٨ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قول الله عز وجل ﴿ يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ﴾ ج٤ ، ص٤٩٣ ، ح٣٤٣٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة ، ج١ ، ص٥٧ ، ح٢٨ ، واللفظ لمسلم .

(٤) سورة الحجر ، الآية : ٤٥ .

﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا ﴾ (١) ، وقال تعالى : ﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين ، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم ﴾ (٢) .

وأخبر النبي ﷺ أنه أُريَ الجنة والنار ، قال القرطبي (٣) في المفهم : " هذه الرؤية رؤية عيان حقيقية ، لا رؤية علم ، بدليل أنه رأى في الجنة والنار أقواما بأعيانهم ، ونعيما وقطفا من عنب وتناوله وغير ذلك ، ولا إحالة في إبقاء هذه الأمور على ظواهرها لا سيما على مذاهب أهل السنة : في أن الجنة والنار قد خلقتا ووجدتا ، كما دل عليه الكتاب والسنة ، وذلك أنه راجع إلى أن الله تعالى خلق لنبيه إدراكا خاصا به ، أدرك به الجنة والنار على حقيقتهما " (٤) .

وقال ابن حجر – رحمه الله – " فمنهم من حمله على أن الحجب كشفت له دونها ، فرآها على حقيقتها ، وطويت المسافة بينهما ، حتى أمكنه أن يتناول منها ، وهذا أشبه بظاهر هذا الخبر .

ومنهم من حمله على أنها مثلت له في الحائط كما تنطبع الصورة في المرآة فرأى جميع ما فيها " (٥) .

قال ولكل من الرأيين ما يؤيده فيقوي الأول حديث أسماء : " دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجنتكم بقطف من قطافها " (٦) .

وأما الثاني فيؤيده حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : " عرضت عليّ الجنة والنار آنفا في عُرض هذا الحائط فلم أر كالخير والشر " (٧) .

---

(١) سورة الرعد ، جزء من الآية (٣٥) .
(٢) سورة محمد ، جزء من الآية (١٥) .
(٣) هو : أحمد بن عمر بن إبراهيم ، أبو العباس الأنصاري القرطبي ، الفقيه المالكي ولد بقرطبة سنة ٥٧٨ ، ورحل إلى مصر فكان مدرسا بالاسكندرية من مؤلفاته المفهم شرح صحيح مسلم ، توفي سنة ٦٥٦ ، انظر : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٢١٣ ، وشذرات الذهب ، جـ٥ ، ص ٢٧٣ – ٢٧٤ .
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، ج٢ ، ص٥٥٣ – ٥٥٤ .
(٥) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ج٢ ، ص ٦٢٩ .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب (٩٠) ، ج١ ، ص٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ح٧٤٥ .
(٧) صحيح البخاري ، كتاب مواقيت الصلاة ، باب وقت الظهر عند الزوال ، ج١ ، ص ١٧٠ ، ح٥٤٠ .

ب = قوله ﷺ : " لقد جيء بالنار وذلكم حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها " [١] .

يدل هذا اللفظ على ثبوت النار دار جزاء أهل العصيان والإلحاد والشرك ، أعاذنا الله منها .

والنار ثابتة ثبوت الجنة لا يشك في وجودها وكونها معدة مهيأة لأهل الشقاء إلا الملحدون ، قال تعالى : ﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ، خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك ، إن ربك فعال لما يريد ﴾ [٢] .

وفي حديث عبادة بن الصامت – رضي الله عنه – الذي سبق قريبا ما يدل على أن الإيمان بها من شروط صحة الإيمان المؤدي إلى دخول الجنة حيث قال فيه : " وأن الجنة حق وأن النار حق ، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء " [٣] .

وقوله ﷺ " لقد جيء بالنار " يدل على أن هذا المجيء حيققي ، وليس طبعا ولا تصويرا في حائط ، كما حمله البعض عليه ، والرأيان المتقدمان في خبر الجنة يردان هنا ، والله أعلم .

والواجب علينا في مجال الغيبيات أن نصدق الله ورسوله ﷺ ونوقن أن كل ما أخبر الله به أو رسوله ﷺ صدق وحق لا ريب فيه ، وإن لم تدرك عقولنا كيفية ذلك الخبر .

وقد أخبر الله عن مجيء جهنم يوم القيامة في كتابه فقال : ﴿ وجيء يومئذ بجهنم ﴾ [٤] .

وقد بين الرسول ﷺ طريقة مجيئها فقال : " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها " [٥] .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٨ .
(٢) سورة هود ، الآيتان ، (١٠٦ – ١٠٧) .
(٣) متفق عليه ، وتقدم تخريجه ص ١٧٦ .
(٤) سورة الفجر ، جزء من الآية (٢٣) .
(٥) صحيح مسلم ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها ، وما تأخذه من المعذبين ، ج٤ ، ص ٢١٨٤ ، ح٢٨٤٢ .

وما دامت النار تجيء ، أو يجاء بها يوم القيامة مجيئا حقيقيا ، فإن الله عز وجل قادر أن يجيء بها مجيئا حقيقيا لرسوله ﷺ حتى يصفها وصف معاينة ، كما رفع له بيت المقدس ، وهو بمكة ، لما طلبوا منه أن يصفه لهم . فعن جابر – رضي الله عنه – قال : سمعت النبي ﷺ يقول : " لما كذبتني قريش قمت في الحجر ، فجلى الله لي بيتَ المقدس ، فجعلت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه " (١) .

جـ = قوله ﷺ : " وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قُصبه في النار كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به . وحتى رأيت صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعا " (٢) .

تدل هذه الألفاظ على ثبوت عذاب النار ، وأن المعاصي تكون سببا في حصول العذاب إذا لم يعف الله عن صاحبها ويتوب عليه ، وتدل أيضا على خطورة حقوق المخلوقات حتى البهائم ، وتدل على خطورة الظلم ، وقد أكد رسول الله ﷺ أن جميع الحقوق ستؤدى إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقتص للبهائم بعضها من بعض ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة ، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء " (٣) .

وفي هذا الحديث زجر شديد عن الظلم ، وموعظة بالغة لمن أحيا الله قلبه بالإيمان ، نسأل الله أن يعيننا على أداء الحقوق ، ويغفر لنا ولجميع المسلمين .

د = قوله ﷺ : " وإنه قد أوحي إليّ أنكم تفتنون في القبور قريبا أو مثل فتنة المسيح الدجال – لا أدري أي ذلك قالت أسماء – فيؤتى أحدكم فيقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن أو الموقن – لا أدري أي ذلك قالت أسماء –

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله { أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام } ج٥ ، ص٢٧٢ ، ح٤٧١٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح بن مريم والمسيح الدجال ، ج١ ، ص ١٥٦ ، ح١٧٠ .

(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٨ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم ، ج٤ ، ص ١٩٩٧ ، ح ٢٥٨٢ .

فيقول هو " محمد رسول الله جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا " [١] .

تدل هذه الألفاظ على ثبوت فتنة القبر وعظمها ، فيمتحن الناس في قبورهم بالسؤال عن رسول الله ﷺ سؤالاً مبهما لا نص فيه على الاسم ولا الصفة الخاصة به وهي الرسالة .

فمن كان في حياته معظما لرسول الله ﷺ ممتثلا لأمره متبعا سنته ثبته الله ، ووفقه للإجابة فيقول : " هو محمد رسول الله " ، ومن كان متنكبا طريق الحق جاحدا لنبوته ﷺ أو شاكا مرتابا فيها أضله الله بظلمه ، ولم يهتد للجواب المطلوب ويقول : " لا أدري سمعت الناس يقولون شيئا فقلته " كان يقلد الناس وليس هناك من يقلد ، قال تعالى : ﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾ [٢] .

وفي حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه – وإنه ليسمع قرع نعالهم – أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ ، فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله ، فيقال له انظر إلى مقعدك من النار ، فقد أبدلك الله به مقعدا من الجنة فيراهما جميعا " .

قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس قال : " وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس ، فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين " [٣] .

وكان رسول الله ﷺ يتعوذ من عذاب القبر ، فعن عائشة – رضي الله عنها – أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها أعاذك الله من عذاب القبر ، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال : " نَعَمْ عذاب القبر " ، قالت عائشة – رضي الله عنها – فما رأيت رسول الله صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر " قال البخاري : زاد غُندر " عذاب القبر حق " [٤] .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٦٨ .

(٢) سورة إبراهيم ، الآية : ٢٧ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ج٢ ، ص ٤١٨ – ٤١٩ ، ح١٣٧٤ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ج٢ ، ص ٤١٨ ، ح١٣٧٢ .

ومن دعائه ﷺ : " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ، ومن عذاب النار ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن فتنة المسيح الدجال " (١) .

ومجموع هذه الأحاديث كاف في الدلالة على ثبوت فتنة القبر وعذابه ، وهذا إجماع من أهل السنة والجماعة ، وعليه أكثر المعتزلة أيضا (٢) .

وأنكره الخوارج مطلقا ، ومن المعتزلة ضرار بن عمرو ، وبشر المريسي ، وزعم بعض المعتزلة اختصاصه بالكفار (٣) ، نسأل الله أن يعيذنا من عذاب القبر وفتنته .

ومن الأحاديث الدالة على ثبوت عذاب القبر ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس – ﷺ – أن رسول الله ﷺ مر بقبرين ، فقال : " إنهما ليعذبان ، وما يعذبان في كبير ، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة " (٤) .

قال ابن دقيق العيد (٥) : فيه التصريح بإثبات عذاب القبر على ما ذهب إليه أهل السنة ، واشتهرت به الأخبار (٦) .

هـ = قوله ﷺ : " يا أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا " (٧) :

يدل على ثبوت الحشر إلى الله عز وجل ، وقد وردت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تُثبت الحشر إلى الله ، والرجوع إليه ، سبحانه لفصل القضاء يوم القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ ويو م نسير الجبال وترى الأرض

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب التعوذ من عذاب القبر ، ج٢ ، ص٤١٩ ، ح ١٣٧٧ .

(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٣ ، ص ٢٧٥ .

(٣) انظر : فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، ج٣ ، ص ٢٧٥ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الطهارة ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ، ج١ ، ص٧٥ ، حـ٢١٦ ، وهو في باب الجريد على القبر كتاب الجنائز ، جـ ٢ ، ص ٤١٤ ، ح١٣٦١ ، بهذا اللفظ .
وصحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ، ووجوب الاستبراء منه ، ج١ ، ص٢٤٠ – ٢٤١ ، ح٢٩٢ .

(٥) هو : محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري الشافعي المالكي المصري ، شيخ الإسلام تقي الدين ابن دقيق العيد ولد في شعبان سنة ٦٢٥ ، وتفقه على والده وكان مالكي المذهب ، وتفقه على الشيخ عز الدين بن عبدالسلام فحقق المذهبين وأفتى فيهما ، وولي القضاء بمصر ، له مؤلفات منها الإلمام في الحديث وشرح عمدة الأحكام توفي رحمه الله سنة ٧٠٢ ، انظر : شذرات الذهب ، جـ ٦ ، ص ٥– ٦ ، والبداية والنهاية ، جـ ١٤ ، ص ٣٠ .

(٦) انظر : إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، ص١٠٧ ، مكتبة السنة .

(٧) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص٧٠ .

بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾ [١] ، وقال تعالى : ﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا ﴾ [٣] ، وفي الصحيح عن عائشة – رضي الله عنها – قالت : قال رسول الله ﷺ : " تحشرون حفاة عراة غرلا " ، قالت عائشة – رضي الله عنها – فقلت : يا رسول الله ، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض ؟ فقال : الأمر أشد من أن يهمهم [٤] ذاك " [٥] .

و = قوله ﷺ : " وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن " [٦] ، وفي رواية : " وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة " [٧] .

يدل على ثبوت حوض نبينا ﷺ ، وقد وردت أحاديث كثيرة صحيحة يدل بعضها على سعته ، وبعضها على بياض لونه ، وطيب ريحه وكثرة كيزانه ، وبعضها على أن المبدّلين يذادون عنه ، فمن تلك الأحاديث ما رواه عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – عن رسول الله ﷺ قال : " أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح " [٨] .

وحديث عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – ، قال : قال النبي ﷺ " حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه فلا يظمأ أبدا " [٩] .

وحديث أنس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " ليَرِدَنّ عليّ ناس من

---

(١) سورة الكهف ، آية : ٤٧ .
(٢) سورة مريم ، آية ٨٥ .
(٣) سورة طه ، آية : ١٠٢ – ١٠٣ .
(٤) يهمهم بضم أوله وكسر الهاء من الرباعي يقال : أهمه الأمرُ ، وجوز ابن التين فتح أوله وضم ثانيه من : همه الشيء إذا آذاه ، والأول أولى ، فتح الباري ، جـ ١١ ، ص ٣٩٤ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الرقائق ، باب الحشر ، ج٧ ، ص٢٤٩ – ٢٥٠ ، ح٦٥٢٧ .
(٦) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٣ .
(٧) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٣ .
(٨) صحيح البخاري ، كتاب الرقائق ، باب في الحوض وقول الله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ ، ج٧ ، ص٢٦٤ ، ح٦٥٧٧ . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ ، وصفاته ، ج٤ ص ١٧٩٧ ، ح٢٢٩٩ .
(٩) صحيح البخاري ، كتاب الرقائق ، باب في الحوض ، ج٧ ، ص٢٦٤ ، ح٦٥٧٩ . وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا محمد ﷺ ، ج٤ ، ص ١٧٩٣ – ١٧٩٤ ، ح٢٢٩٢ .

أصحابي الحوض حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني ، فأقول أصحابي ، فيقول لا تدري ما أحدثوا بعدك " (١) .

قال النووي – رحمه الله – " قال القاضي عياض – رحمه الله – أحاديث الحوض صحيحه ، والإيمان به فرض ، والتصديق به من الإيمان وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة ، لا يتأول ولا يختلف فيه . قال القاضي عياض : وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة " (٢) .

وقال القرطبي في المفهم : " ومما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به ، أن الله تعالى قد خص نبيه محمدا ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض المصرح باسمه ، وصفته ، وشرابه وآنيته في الأحاديث الكثيرة الشهيرة التي يحصل بمجموعها العلم القطعي ، واليقين التواتري إذ قد روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين ، في الصحيحين منهم نيف على العشرين ، وباقيهم في غيرهما ، مما صح نقله ، واشتهرت روايته ثم قد رواها عن الصحابة من التابعين أمثالهم ، ثم لم تزل تلك الأحاديث مع توالي الأعصار وكثرة الرواة لها في جميع الأقطار ، تتوفر همم الناقلين لها على روايتها وتخليدها في الأمهات وتدوينها إلى أن انتهى ذلك إلينا ، وقامت به حجة الله علينا ، فلزمنا الإيمان بذلك والتصديق به كما أجمع عليه السلف وأهل السنة من الخلف " (٣) .

وهذه الأحاديث كافية في إثبات حوضه ﷺ وهو محل إجماع من الأمة ، لم يخالف فيه إلا من أعمى الله بصائرهم من أهل الابتداع والزندقة .

قال ابن حجر : " وأنكره الخوارج والمعتزلة ، وممن كان ينكره عبيد الله بن زياد (٤) أحد أمراء العراق لمعاوية وولده " (٥) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الرقائق ، باب في الحوض ، ج٧ ، ص٢٦٤ ، ح٦٥٨٢ .
وصحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ج٤ ، ص١٨٠٠ ، حـ٢٣٠٤ .
(٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، ج١٥ ، ص٣٥ .
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، ج٦ ، ص ٩٠ .
(٤) هو : عبيد الله بن زياد بن عبيد ، المعروف بابن زياد بن أبي سفيان ، ويقال له زياد ابن أبيه ، وابن سمية أمير العراق بعد أبيه – قال ابن معين ويقال له عبيد الله ابن مرجانة وهي أمه ، روى الحديث عن معاوية وسعد بن أبي وقاص ، وعنه الحسن البصري ، وأبو المليح بن أسامة ، هو قاتل الحسين – ﷺ – ولاه معاوية على البصرة سنة ٥٥ ، ولما تولى يزيد جمع له بين البصرة والكوفة ، وقتله ابن الأشتر في يوم عاشوراء ٦٦ ، واختلف في سنة ولادته فقيل سنة ٣٩ – وقيل ٣٣ ، انظر : تاريخ الطبري ، جـ ٦ ، ص ٨٦ ، والبداية والنهاية ، جـ ٨ ، ص ٢٨٣ – ٢٨٧ ، والعبر ، جـ ١ ، ص ٥٤ .
(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج١١ ، ص٤٧٥ .

لكن اختلفوا هل هو قبل الصراط ، أو بعده ؟ أو هما حوضان أحدهما قبل الصراط في الموقف ، والثاني بعده في الجنة ، وإلى الأخير مال القرطبي وصححه في تذكرته ، قال : " والصحيح أن للنبي ﷺ حوضين : أحدهما في الموقف قبل الصراط ، والثاني في الجنة ، وكلاهما يسمى كوثرا " (١) .

واعترض ابن حجر في الفتح كلام القرطبي في قوله : " وكلاهما يسمى كوثرا " قال : " وفيه نظر ؛ لأن الكوثر نهر داخل الجنة ، وماؤه يصب في الحوض ، ويطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه " (٢) .

واختلفت الروايات في تحديد سعة الحوض ، ففي حديث عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – تحديده بمسافة شهر ، وفي حديث عبدالله بن عمر – رضي الله عنهما – تقديره بما بين جرباء وأذرح ، وهما قريتان بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال كما ثبت في صحيح مسلم " (٣) .

وفي حديث جابر بن سمرة " وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة " (٤) .

في حديث أنس – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة " (٥) .

قال القرطبي في المفهم : " وقد اختلفت الأفاظ الدالة على مقدار الحوض ... وقد ظن بعض القاصرين أن ذلك اضطراب ، وليس كذلك ، وإنما تحدث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة ، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة إشعاراً بأن ذلك تقدير لا تحقيقٌ ، كلها تفيد أنه كبير متسع ، متباعد الجوانب والزوايا ، ولعل سبب ذكره للجهات المختلفة في تقدير الحوض أن ذلك إنما كان بحسب من حضره ممن يعرف تلك الجهات فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها . والله أعلم " (٦) .

---

(١) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ص٣٥٤ .
(٢) فتح الباري ، ج١١ ، ص ٤٧٥ .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض النبي ﷺ ، ج٤ ، ص١٧٩٨ ، ح٢٢٩٩ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض النبي ﷺ ، ج٤ ، ص١٨٠١ ، ح٢٣٠٥ .
(٥) صحيح مسلم ، المرجع نفسه ، ح٢٣٠٣ .
(٦) المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم ، ج٦ ، ص٩٢ .

ز = قوله ﷺ : " أتحبون أنكم ربع أهل الجنة ؟ فقلنا نعم يا رسول الله فقال : أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة " (١) .

يدل هذا الحديث على فضل أمة محمد ﷺ حيث أخبر رسول الله ﷺ عن رجائه أن يكون شطر من يدخل الجنة منهم ، وهذه ميزة عظيمة وبشارة لهذه الأمة ، فإذا كانوا مع قلتهم بالنسبة لغيرهم " ما أنتم في سواكم من الأمم ، إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض ، أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " يمثلون شطر أهل الجنة ، فإن هذا يدل على أفضليتهم على غيرهم .

وفي حديث ابن عباس - ﷺ - في عرض الأمم على رسول الله ﷺ ما يدل أيضا على أن هذه الأمة أكثر الأمم في الجنة : فعن ابن عباس - ﷺ - عن النبي ﷺ أنه قال : " عرضت على الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، ، والنبي ليس معه أحد ، إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي هذا موسى وقومه ، ولكن انظر إلى الأفق ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : انظر إلى الأفق الآخر ، فإذا سواد عظيم ، فقيل لي هذه أمتك ، ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب " (٢) .

نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم بفضله وكرمه .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولاعذاب ، ج١ ، ص١٩٩ ، ح٢٢٠ ، واللفظ له .
صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب من اكتوى ، جـ ٧ ، ص ٢١ ، حـ ٥٧٠٥ .

ثانياً : المسائل الغيبية التي يدركها الناس في حياتهم : - إذا وقعت -

لقد اشتملت خطبه ﷺ على بعض المسائل التي تعتبر غيبا بالنسبة للمخاطبين في عصره ، ولكنها قد تظهر في الوجود وتكون مشاهدة بالنسبة لغيرهم ، لأنها يمكن أن تقع ويشاهدها الناس وهم أحياء ، وسأتناول أهم ما اشتملت عليه خطب الدراسة من هذا النوع .

أ = في حديث الجساسة وهو نص خطبة طويلة [١] بيان لخروج المسيح الدجال ، وأنه يطأ جميع الأرض في أربعين ليلة غير مكة والمدينة ، فهما محروستان منه بالملائكة .

وخروج المسيح الدجال من أشراط الساعة الكبرى وفتنته عظيمة أخبر عنها رسول الله ﷺ وكان يستعيذ بالله منها .

ففي صحيح مسلم عن عمران بن حصين [٢] - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال " [٣] .

والدجال من الآيات التي إذا خرجت لم يقبل من أحد إيمانه قال الله تعالى : ﴿ يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا ﴾ [٤] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا : طلوع الشمس من مغربها ، والدجال ، ودابة الأرض " [٥] .

وقد حث رسول الله ﷺ على المبادرة بالأعمال قبل ستة من بينها هذه الثلاث ، وذلك في قوله ﷺ : " بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس

---

(١) تقدم تخريجها في نصوص الخطب ، ص ٧٦ .

(٢) هو : عمران بن الحصين أبو نجيد صحابي ، شهد بعض المغازي مع رسول الله ﷺ ، بعثه عمر إلى البصرة يفقه أهلها ، روى عن رسول الله وعن أبي بكر وعثمان ، وتوفي بالبصرة سنة ٥٢ ، في خلافة معاوية ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٩ - ١٢ ، وصفة الصفوة ، جـ ١ ، ص ٦٨١ - ٦٨٢ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الفتن ، وأشراط الساعة ، باب أحاديث الدجال ، ج٤ ، ص٢٢٦٧ ، ح٢٩٤٦ .

(٤) سورة الأنعام ، جزء من الآية : ١٥٨ .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان ، ج١ ، ص ١٣٨ ، ح١٥٨ .

من مغربها ، أو الدخان ، أو الدجال ، أو الدابة ، أو خاصة أحدكم ، أو أمر العامة " [١] .

وأخبر رسول الله ﷺ أن جميع الأنبياء أنذروه أممهم ، فعن أنس -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ " ما من نبي إلا قد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كفر " [٢] .

وقد اشتملت الأحاديث التي حذر فيها رسول الله ﷺ من الدجال على بيان أوصافه ، حيث بين رسول الله ﷺ صفة شعره فهو جعد (قطط) وصورة عوَرة وقبحه ، وأن عينه كالعنبة الطافية ، وللوقاية منه أمر بالاستعاذة بالله من فتنته ، وبقراءة فواتح سورة الكهف ، وأوضح المكان الذي يخرج منه فعن النواس بن سمعان [٣] - رضي الله عنه - قال : ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا فقال : " ما شأنكم ؟ " قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل ، فقال : " غير الدجال أخوفني عليكم ، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم ، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شاب قطط ، عينه طافئة ، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف ، إنه خارج خَلَّة بين الشام والعراق ، فعاث يمينا وعاث شمالا يا عباد الله فاثبتوا ، قلنا : يا رسول الله : وما لبثه في الأرض ؟ قال : " أربعون يوما : يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم " قلنا : يا رسول الله ، فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره قلنا : يا رسول الله وما إسراعه في الأرض ؟ قال : كالغيث استدبرته الريح ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ، ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر ، والأرض فتنبت ، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا ، وأسبغه

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب أشراط الساعة ، باب في بقية من أحاديث الدجال ، ج٤ ، ص٢٢٦٧ ، ح٢٩٤٧ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال ، ج٨ ، ص ٤٤٢ ، ح٧١٣١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته ، وما معه ، ج٤ ، ص٢٢٤٨ ، ح٢٩٣٣ .

(٣) هو : النوّاس (بتشديد الواو ، ثم مهملة) بن سمعان بن خالد الكلابي ، صحابي مشهور عداده في الشاميين ، له رواية عن النبي ﷺ في حديث الدجال .
انظر : أسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ٤٥ ، وتقريب التهذيب ، ص ٥٦٦ .

ضروعا وأمدّه خواصر ، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله ، فيصبحون ممحلين ، ليس بأيديهم شيء من أموالهم ، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل " (١) .

ب = حصول الكثير من البلايا والمحن والفتن لآخر هذه الأمة ، يدل على ذلك قوله ﷺ : " وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها ، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها ، وتجيء فتنة فيرقق بعضها بعضا ، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ، ثم تنكشف ، وتجيء الفتنة ، فيقول المؤمن : هذه هذه " (٢) .

وقد وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ في بيان ما يكون من الفتن في آخر هذه الأمة ، من ذلك ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " يتقارب الزمان ، وينقص العمل ، ويلقى الشح ، وتظهر الفتن ، ويكثر الهرْج ، قالوا : يا رسول الله ، أيّما (٣) هو ؟ قال : القتل " (٤) .

وعنه أيضا قال : قال رسول الله ﷺ " ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي ، من تشرّف لها تستشرفه ، فمن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به " (٥) .

وعنه – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ " لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول يا ليتني مكانه " (٦) .

وعن حذيفة قال كنا عند عمر فقال : " أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، ج٤ ، ص٢٢٥١ – ٢٢٥٣ ، ح٢٩٣٧ .

(٢) رواه مسلم ، وقد تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٦٩ .

(٣) أيّما بفتح الهمزة وتشديد الياء بعدها ميم خفيفة وأصله : أي شيء ، وضبطه بعضهم بتخفيف الياء كما قالوا : أيْش . فتح الباري ، جـ ١٣ ، ص ١٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب ظهور الفتن ، ج٨ ، ص٤٢٤ ، ح٧٠٦١ .
وصحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب نزول الفتن كمواقع القطر ، ج٤ ، ص٢٢١٢ ، ح٢٨٨٦ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم ، ج٨ ، ص٤٢٨ ، ح٧٠٨١ .

(٦) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور ، جـ ٨ ، ص ٤٣٨ ، حـ ٧١١٥ . وصحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل ، جـ ٤ ، ص ٢٢٣١ ، حـ ٢٩٠٨ .

في الفتنة ؟ كما قال : قال فقلت أنا . قال : إنك لجريء وكيف قال ؟ قال : قلت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " فتنة الرجل في أهله وماله ونفسه وولده وجاره يكفرها الصيام ، والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقال عمر : ليس هذا أريد ، إنما أريد التي تموج كموج البحر ، قال فقلت : ما لك ولها يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها بابا مغلقا ، قال : أفيكسر الباب ، أم يفتح ؟ قال : قلت لا بل يكسر ، قال : ذلك أحرى أن لا يغلق أبدا ، قال فقلنا لحذيفة هل كان عمر يعلم من الباب ؟ قال نعم ، كما يعلم أن دون غد الليلة ، إني حدثته حديثا ليس بالأغاليط قال : فهبنا أن نسأل حذيفة من الباب ؟ فقلنا لمسروق سله فسأله فقال عمر " (١) .

وقد وقع الكثير من الفتن في عهد الصحابة - ﷺ - وخاصة بعد مقتل عثمان - ﷺ - حيث رأت أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - وطلحة والزبير المبادرة بالقصاص من قتلة عثمان - رضي الله عنهم أجمعين - ورأى علي التربص حتى يتحاكم إليه أولياء دمه ، فيقتل من ثبت عليه القتل ، فبادر القتلة بالقتال لعلمهم أن الصلح سيؤدي إلى قتلهم " (٢) .

وقد أخبر الرسول ﷺ عن كثير من المسائل المتعلقة بهذه الفتنة منها قوله في عثمان - ﷺ - " ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه " (٣) . وقوله في الحسن - ﷺ - " ابني هذا سيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين " (٤) .

وقد أطلع الله رسوله ﷺ على كثير من الفتن التي ستقع في أمته ، يدل على ذلك قوله ﷺ " هل ترون ما أرى ؟ إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر " (٥) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، ج٨ ، ص٤٣٣ ، ح٧٠٩٦ . وصحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب الفتنة التي تموج كموج البحر ، ج٤ ، ص٢٢١٨ ، ح٢٨٩٢ .

(٢) فتح الباري ، ج١٣ ، ص٦١ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب فضائل ، أصحاب النبي ﷺ ، باب فضائل أبي بكر بعد النبي ﷺ ، ج٤ ، ص٥٦٢ - ٥٦٣ ، ح٣٦٧٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل عثمان - ﷺ - جـ ٤ ، ص ١٨٦٨ - ١٨٦٩ ، ح٢٤٠٣ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي " إن ابني هذا لسيد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين ، ج٨ ، ص٤٣٦ ، ح٧١٠٩ .

(٥) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب فضائل المدينة ، باب أطام المدينة ، ج٢ ، ص٥٧٩ ، ح١٨٧٨ . وصحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب نزول الفتن ، ج٤ ، ص٢٢١١ ، ح٢٨٨٥ .

وبيّن رسول الله ﷺ أن هذه الفتن أنواع ؛ فمنها الكبير الذي لا يكاد أحد يسلم منه ، ومنها الصغير – كما بيَّن حذيفة – ﷺ – حيث قال : " والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة ، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أسر إلي في ذلك شيئا لم يحدثه غيري ، ولكن رسول الله ﷺ قال وهو يحدث مجلسا أنا فيه عن الفتن ، فقال رسول الله ﷺ وهو يَعدّ الفتن : " منهن ثلاث لا يكدن يذرن شيئا ، ومنهن فتن كرياح الصيف منها صغار ومنها كبار " (١) .

وقد أمر رسول الله ﷺ بمبادرة هذه الفتن بالأعمال الصالحة ، وشبه الفتن الواقعة آخر الزمن بقطع الليل المظلم ، وبين أن منها ما يشتد على الناس حتى يخرجهم من الإسلام إلى الكفر ، – أعاذنا الله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن – قال ﷺ : " بادروا بالأعمال فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض من الدنيا " (٢) .

وقد وقع ما ذكره الرسول ﷺ في عصرنا الحاضر ، حيث باع الكثير من الناس دينهم بدنياهم فقدموا الوظائف الدنيوية على متطلبات الدين وداهنوا في الحق ، وأعانوا الظلمة على باطلهم ، وصدقوهم في كذبهم نسأل الله التوفيق ، والنجاة من جميع الفتن ما ظهر منها وما بطن .

ج = كثرة الفتوحات ، وبسطة الرزق والتنافس في الدنيا يدل على ذلك قوله ﷺ : " وإني قد أعطيت خزائن الأرض ، أو مفاتيح خزائن الأرض ، وإني – والله – ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها " (٣) .

قال القرطبي في المفهم : " قوله (أعطيت خزائن الأرض) أي بشّر

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة ، ج٤ ، ص٢٢١٦ ، ح١٨٩١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن ، ج١ ، ص١١٠ ، ح١١٨ .

(٣) متفق عليه ، وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٣ .

بفتح البلاد ، وإظهار الدين ، وإعلاء كلمة المسلمين ، وتمليكه جميع ما كان في أيدي ملوكها ، من الصفراء والبيضاء ، والنفائس ، والذخائر ، فقد ملكه الله ديارهم ، ورقا بهم وأرضيهم وأموالهم ، كل ذلك وفاء بمضمون : ﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ [١][٢] .

قال الكرماني : " وفيه معجزة لرسول الله ﷺ حيث ملكت أمته خزائن الأرض ، وأنها لا ترتد جملة ، وقد عصمها من ذلك ، وأن التنافس أي التحاسد والتناحل قد وقع " [٣] .

وفي صحيح مسلم عن ثوبان [٤] – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض " [٥] .

قال النووي – رحمه الله – " أما زوي فمعناه جمع وهذا الحديث فيه معجزات ظاهرة ، وقد وقعت كلها بحمد الله ، كما أخبر به ﷺ قال العلماء المراد بالكنزين الذهب والفضة ، والمراد كنزي كسرى وقيصر ، ملكي العراق والشام ، فيه إشارة إلى أن ملك هذه الأمة ، يكون معظم امتداده في جهتي المشرق والمغرب ، وهكذا وقع ، وأما في جهتي الجنوب والشمال ، فقليل بالنسبة إلى المشرق والمغرب " [٦] .

وجاء في أحاديث ثابتة عن النبي ﷺ أن المال يفيض ويكثر حتى لا يقبله أحد ، وأن الأرض تقيء أفلاذ كبدها أمثال الجبال من الذهب والفضة ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٣٣) .
(٢) المفهم ، ج٦ ، ص ٩٣ .
(٣) شرح الكرماني ، ج٧ ، ص١٢٣ .
(٤) هو : ثوبان بن بجدد أو جحدر أبو عبدالله ، أو أبو عبدالرحمن الهاشمي ، مولى النبي ﷺ سُبي فاشتراه النبي ﷺ وأعتقه ، قيل أصله من اليمن كان ملازما لرسول الله ﷺ في السفر والحضر ، روى عن النبي ﷺ وحديثه في الصحيحين والسنن وعنه أبو أسماء الرحبي ، ومعدان اليعمري ، وراشد بن سعد ، وجبير بن نفير ، وأبو إدريس الخولاني وغيرهم ، انظر ترجمته في أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ ، والإصابة جـ ١ ، ص ٢٠٥ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ٢ ، ص ٣١
(٥) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، ج٤ ، ص٢٢١٥ ، ح٢٨٨٩ .
(٦) شرح النووي لصحيح مسلم ، ج١٨ ، ص ١٣ .

المال ، فيفيض حتى يُهمَّ رب المال من يقبله منه صدقة ، ويُدعى إليه الرجل فيقول لا أرب لي فيه " (١) .

وعن أبي موسى – ﷺ – عن النبي ﷺ قال : " ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ، ثم لا يجد أحدا يأخذها منه " (٢) .

وعن أبي هريرة – ﷺ – قال : قال رسول الله ﷺ " تقيء الأرض أفلاذ كبدها ، أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي ، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي ، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا " (٣) .

وقد وعد رسول الله ﷺ الصحابة – ﷺ – كنوز كسرى وقيصر ، وخزائن ملكهم فشاهدوا ذلك ، وملكهم الله أموالهم ورقابهم .

فعن عدي بن حاتم (٤) – ﷺ – قال بينما أنا عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل ، فقال : " يا عدي ! هل رأيت الحيرة ؟ " قلت : لم أرها ، وقد أنبئت عنها ، قال : " فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله " قلت : فيما بيني وبين نفسي فأين دعار (٥) طيء الذين سعروا البلاد ؟ " ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى " قلت : كسرى بن هرمز ؟ قال كسرى ابن هرمز . ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه ؛ فلا يجد أحدا يقبله منه ... " .

قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب ٢٥ ، ج٨ ، ص٤٤٠ ، ح٧١٢١ ، بلفظ أطول من هذا .
وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ، ج٢ ، ص٧٠١ ، ح١٠١٢ / ٦١ ، واللفظ له .

(٢) صحيح مسلم ، المرجع السابق ، ص٧٧٠ ، ح١٠١٢/٥٩ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها ، ج٢ ، ص٧٠١ ، ح١٠١٣ .

(٤) هو : عدي بن حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، ولد الجواد المشهور ، أبو طريف أسلم في سنة تسع وقيل عشر ، وكان نصرانيا قبل ذلك ، وثبت على إسلامه في الردة ، شهد فتح العراق ثم سكن الكوفة ، شهد صفين مع علي – ﷺ – توفي بعد الستين ، قيل بلغ عشرين ومائة (١٢٠) ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ٣٩٢ – ٣٩٤ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص ٤٦٠ – ٤٦١ .

(٥) دُعَار : جمع داعر ، مثل كفار ، وكافر ، وهو الخبيث المفسد ، والمراد بهم هنا قطاع الطريق ، انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ، ج٢ ، ص١١٩ .

لا تخاف إلا الله ، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ " [١] .

وقد بين رسول الله ﷺ أن الفرات سيحسر عن جبل من ذهب ، فيتنافس الناس عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون .

فعن عبدالله بن الحارث بن نوفل [٢] ، قال : كنت واقفا مع أبي بن كعب[٣] ، فقال : لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب الدنيا ، قلت : أجل ، قال : إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فإذا سمع به الناس ساروا إليه ، فيقول من عنده ، لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله ، قال فيقتتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون " [٤] .

والتنافس في الدنيا والافتتان بها ، والاقتتال بسببها هو الأصل وأدلته كثيرة سأورد أمثلة منها ، وأما ما ورد من أحاديث تدل على أن الناس سيأتي عليهم زمان تخف رغبتهم في الدنيا حتى لا يجد المتصدق من يقبل صدقته من الذهب ؛ فالظاهر أن الرغبة في المال لا تزال جبلة في بني آدم ما داموا يؤملون الحياة ، ويعتقدون أن في الأجل فسحة ، وفي العمر بقية ، ولكن إذا انقطع الأمل ، وتأكد الإنسان أن الدنيا قد أشرفت على النهاية – وقيامة كل إنسان يوم موته – قلت رغبته في الدنيا لأنه يعلم باليقين والمشاهدة ، أن المال

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام ، ج٤ ، ص٥٣٨ ، ح٣٥٩٥ .

(٢) هو : عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي له صحبة ، وقيل إن أباه له صحبة أيضا ، وقد أدرك النبي ﷺ حيث ولد قبل وفاته بعامين ، أتي به رسول الله ﷺ فحنكه ودعا له ، له رواية عن عمر وعثمان وعلي ، والعباس – ﷺ – سكن البصرة وتوفي بعمان سنة ٨٤ ، انظر ترجمته في الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٢٧٢ – ٢٧٣ ، وأسد الغابة ، جـ ٣ ، ص ١٣٩ – ١٤٠ .

(٣) هو : أبي بن كعب بن قيس بن عبيد بن زيد بن معاوية بن عمرو بن مالك بن النجار الأنصاري الخزرجي أبو المنذر الصحابي ، شهد العقبة وبدرا كان عمر يقول فيه أبي سيد المسلمين ، روى عنه عبادة بن الصامت ، وابن عباس وابنه الطفيل ، وهو من أقرأ الصحابة ، اختلف في سنة وفاته فقيل ٢٢ في خلافة عمر ، وقيل ٣٢ في خلافة عثمان ، انظر : أسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٤٩ – ٥٠ ، الاستيعاب ، جـ ١ ، ص ٢٧ – ٣٠ ، والإصابة ، جـ ١ ص ٣١ – ٣٣ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب ، ج٤ ، ص٢٢٢٠ ، ح٢٨٩٥ ، وهو في البخاري عن أبي هريرة بدون ذكر الاقتتال ، كتاب الفتن باب خروج النار ، ج٨ ، ص٤٣٩ ، ح٧١١٩ ، " يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا " .

لا يصحبه إلى القبر ، ولا في عرصات القيامة ، ولا ينفعه منه هناك إلا ما أنفقه ابتغاء مرضاة الله ؛ وبهذا يتبين لنا أن هذه الزهادة في المال التي هي واقعة لا محالة ، ستكون قريبة من نهاية الدنيا ، والغالب أنها بعد ظهور علامات الساعة الكبرى أو بعضها ، والله أعلم .

ويؤكد ذلك ما ثبت في الصحيح أنه بعد خروج يأجوج ومأجوج وهلاكهم ، وبقاء عيسى - عليه السلام - والمؤمنين من هذه الأمة يأتي مطر يغسل الأرض حتى تبقى كالمرآة ، وتنبت الأرض ثمرتها ، وترجع إليها بركتها " فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ، ويستظلون بقحفها ، ويبارك في الرسل ، حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس ... " [١] .

وقد ذكر رسول الله ﷺ أن المال فتنة هذه الأمة ، وأنه مما يخافه عليها ، بل هو أخوف ما يخاف عليها ، ففي الصحيحين عن عمرو بن عوف الأنصاري [٢] - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح - رضي الله عنه - إلى البحرين يأتي بجزيتها ، فقدم بمال من البحرين ، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة ، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال : " أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين ؟ " فقالوا أجل يا رسول الله ، فقال : " أبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم ما أهلكتهم " [٣] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن ، باب ذكر الدجال وصفته ، ج٤ ، ص٢٢٥٤ - ٢٢٥٥ ، ح٢١٣٧ .

(٢) هو : عمرو بن عوف الأنصاري حليف بني عامر بن لؤي شهد بدرا مع رسول الله ﷺ ، روى عن النبي ﷺ حديثا واحدا ، ويقال فيه عمير مولده بمكة ، وتوفي في خلافة عمر وصلى عليه ، والحديث الذي رواه هو حديث قدوم أبي عبيدة بمال من البحرين ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٢٤ - ١٢٥ ، والإصابة ، جـ ٣ ، ص ٩ - ١٠ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا وزينتها ، ج٧ ، ص٢٢١ - ٢٢٢ ، ح٦٤٢٥ .
وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقاق ، ج٤ ، ص ٢٢٧٤ ، ح٢٩٦١ . سبق تخريج جزء منه ص ١٢٨ .

وعن أبي سعيد الخدري - ﷺ - قال : جلس رسول الله ﷺ على المنبر ، وجلسنا حوله ، فقال : " إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها " [١] .

وهذه من الأمور التي تحققت وشوهدت في هذه الأزمنة .

نسأل الله أن يجنبنا فتنة الدنيا وعذاب الآخرة .

(١)سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٢ .

المبحث الثاني

العبادات والأحكام

وفيه مطلبان

المطلب الأول : المسائل المتعلقة بالعبادات .

المطلب الثاني : المسائل المتعلقة بالأحكام والمبادئ .

المبحث الثاني

العبادات والأحكام

وضحت في المبحث السابق أهم ما اشتملت عليه خطب النبي ﷺ من الأمور المتعلقة بالعقائد والغيبيات ، وفي هذا المبحث سأتناول بإذن الله تعالى الأمور المتعلقة بالعبادات والأحكام محاولا استقصاء الألفاظ المتعلقة بهذا الموضوع ، مع الشرح والاستدلال وذلك في مطلبين :

المطلب الأول

المسائل المتعلقة بالعبادات

أولاً : المسائل المتعلقة بالصلاة :

لا يخفى على أحد ما للصلاة من مكانة في الإسلام فهي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادتين ، وهي الصلة بين العبد وربه ، وقد شبهها الرسول ﷺ بالنهر الجاري على باب الشخص يغتسل منه في كل يوم خمس مرات ، فإزالتها ومحوها للخطايا مثل إزالة هذا النهر لدَرَن صاحبه قال ﷺ : " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من دَرَنه شيء ؟ قالوا لا يبقى من درنه شيء . قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " (١) .

وكان الرسول ﷺ يوليها غاية الاهتمام في تعليم أحكامها ، وكيفيتها الصحيحة ، وفضائل أدائها ، والتحذير من تركها أو التهاون بها ، وقد اشتملت الخطب المدروسة على مسائل تتعلق بالصلاة وذلك فيما يلي :

أ = إقامة الصفوف في الصلاة مأمور بها قال : رسول الله ﷺ في خطبة " إذا صليتم فأقيموا صفوفكم " (٢) .

قال الإمام النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا اللفظ " أمر بإقامة الصفوف وهو مأمور به بإجماع الأمة ، وهو أمر ندب ، والمراد تسويتها والاعتدال فيها وتتميم الأول فالأول منها والتراصّ فيها " (٣) .

وقد وردت أحاديث كثيرة في الأمر بإقامة الصفوف والحث عليها والتحذير من تركها ، وبيان أنها من تمام الصلاة من ذلك قوله ﷺ " استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ، ليلني منكم أو لو الأحلام والنهى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم " (٤) .

---

(١) متفق عليه صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة باب الصلوات الخمس كفارة ، جـ ١ ، ص١٦٧ ، ح٥٢٨ ، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تُمحَى به الخطايا وترفع به الدرجات ، جـ١ ، ص٤٦٢ ، ٤٦٣ ح٦٦٧ ، واللفظ لمسلم .

(٢) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٨٢ .

(٣) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ٤ ، ص١١٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف .. الخ ، جـ ١ ص ٣٢٣ ، حديث ٤٣٢ .

وقال أيضا : " سوّوا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة " (١) .

وقال : " لتُسوُّنّ صفوفكم أو ليخالفنّ الله بين وجوهكم " (٢) .

وتسوية الصفوف وإقامتها من محاسن الصلاة تشعر باتحاد القلوب ، واجتماعها وكلما كانت الأمة قائمة بالسنن والواجبات ، تكون أكثر اتحادا وأقوى تماسكا ، وقد هدَّد رسول الله ﷺ المتهاونين بهذا الأمر بأن الله سيخالف بين وجوههم .

وفي روايه " لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين قلوبكم " (٣) .

وهذا دليل على أهمية إقامة الصفوف ، وخطورة عدم إقامتها ، لأن تسويتها سبب في الألفة ، وتركها سبب للتفرق واختلاف القلوب والوجوه ، وكان الصحابة – ﷺ – حريصين على تطبيق هذه السنة لما لاحظوه من اهتمام رسول ﷺ بها ، يدل على ذلك أن أنسا – ﷺ – لما قدم المدينة ، وقيل له :

" ما أنكرت منا منذ يوم عهدتَ رسول الله ﷺ ؟ قال : ما أنكرت شيئا إلا أنكم لا تقيمون الصفوف " (٤) .

ب = الأمر بصلاة الجماعة :

بدليل قوله في خطبة تعليم الصلاة " ثم ليؤمكم أحدكم " (٥) .

قال النووي – رحمه الله – معلقا على هذا اللفظ " فيه الأمر بالجماعة في المكتوبات ولا خلاف في ذلك ولكن اختلفوا في أنه أمر ندب أم إيجاب على أربعة مذاهب " (٦) .

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب إقامتها من تمام الصلاة جـ ١ ص٢١٨ حـ٧٢٣ .
وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف وإقامتها جـ١ ، ص٣٢٤ ، حـ٤٣٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب تسوية الصفوف عند الإقامة وبعدها جـ١ ص٢١٨ ، حـ٧١٧ ، وصحيح مسلم كتاب الصلاة باب إقامة الصفوف ، ج١ ، ص٣٢٤ ، حـ٤٣٦ .

(٣) سنن أبي داود – كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف جـ ١ ، ص ٤٣١ ، ٤٣٢ ، حـ٦٦٢ بلفظ القسم " والله لتقيمن صفوفكم ...)

(٤) صحيح البخاري كتاب الأذان باب إثم من لم يتم الصفوف ، جـ١ ، ص٢١٩ ، حـ٧٢٤ .

(٥) تقدم تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٨٢ .

(٦) شرح النووي لصحيح مسلم جـ٤ ، ص١٢٠ .

وقد أمر رسول الله ﷺ بصلاة الجماعة في كثير من الأحاديث مرغبا فيها ، مبينا فضلها فمن ذلك ما بينه رسول الله ﷺ أنها أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة [١] ، وفي بعض الروايات تفضيلها بخمس وعشرين ضعفا [٢] . ولما سأله ابن أم مكتوم [٣] أن يرخص له في ترك الجماعة معتذرا بكونه أعمى لا قائد له ، رخص له ، فلما ولى دعاه فقال له : " هل تسمع النداء بالصلاة ؟ " قال : نعم : قال : " فأجب " [٤] .

ومن أقوى الأحاديث دلالة على وجوب صلاة الجماعة حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " والذي نفسي بيده ، لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلا فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرّقَ عليهم بيوتَهم . والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عَرقا [٥] سمينا . أو مرماتين [٦] حسنتين لشهد العشاء " [٧] .

وكان الصحابة - رضي الله عنهم - يحافظون على صلاة الجماعة ، ويعتبرون المحافظة عليها من علامات الإيمان يدل على ذلك قول ابن مسعود - رضي الله عنه - " من سرّه أن يلقى الله تعالى غدا مسلما فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادى بهن ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب فضل صلاة الجماعة ، جـ١ ، ص١٩٨ ، حـ٦٤٥ ، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة جـ١ ، ص٤٥٠ ، حـ٦٥٠ .

(٢) متفق عليه صحيح البخاري نفس المرجع حـ٦٤٧ .
وصحيح مسلم كتاب المساجد جـ١ ، ص٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ولفظه " بخمسة وعشرين جزءا " .

(٣) هو : عمرو أو عبدالله بن قيس بن زائدة بن الأصم جندب بن هرم بن رواحة بن حجر بن عدي العامري القرشي ابن أم مكتوم الأعمى مؤذن رسول الله ﷺ استخلفه رسول الله ﷺ على المدينة في كثير من غزواته ، شهد فتح القادسية ومعه اللواء ، قيل استشهد بها ، وقيل بل رجع إلى المدينة فمات بها ، قالوا ولم يسمع له ذكر بعد عمر - رضي الله عنه - ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ١٢٧ ، والإصابة جـ ٢ ، ص ٥١٦ .

(٤) صحيح مسلم كتاب المساجد باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء جـ١ ، ص٤٥٢ ، حـ٦٥٣ .

(٥) العَرق بفتح فسكون العظم إذا أخذ عنه معظم لحمه ، النهاية ، جـ ٣ ، ص٢٢٠ .

(٦) المرماة : طلف الشاة ، وقيل ما بين طلفيها ، وتكسر ميمه وتفتح ، النهاية : جـ ٢ ، ص ٢٦٩ .

(٧) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب وجوب صلاة الجماعة ، جـ١ ، ص١٩٧ ، حـ٦٤٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة ، جـ١ ، ص٤٥١ ، حـ٦٥١ .

نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف [١] .

جـ - متابعة الإمام في الصلاة مطلوبة :

يدل على ذلك قوله ﷺ " فإذا كبر فكبروا " وإذا قال ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ فقولوا آمين : يجبكم الله ، فإذا كبّر وركع فكبروا واركعوا ، فإن الإمام يركع قبلكم ويرفع قبلكم " [٢] .

يدل هذا الحديث على أن المأموم يتابع الإمام ويتأخر عنه قليلا ، ويدل أيضا على عدم سبقه .

وقال ﷺ في حديث آخر " أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني بالركوع ولا بالسجود ، ولا بالقيام ولا بالانصراف ، فإني أراكم أمامي ومن خلفي ... " [٣] .

وبين رسول ﷺ خطورة الرفع قبل الإمام . فقال ﷺ : " أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار " [٤] .

وفي رواية لمسلم " ما يأمن الذي يرفع رأسه في صلاته قبل الإمام أن يحوّل الله صورته صورة حمار " [٥] .

قال ابن حجر - رحمه الله - " واختلف في معنى الوعيد المذكور فقيل : " يحتمل أن يرجع ذلك إلى أمر معنوي فإن الحمار موصوف بالبلادة فاستعير هذا المعنى للجاهل بما يجب عليه من فرض الصلاة ومتابعة الإمام " [٦] .

ثم قال ابن حجر : وحمله آخرون على ظاهره - يَعني تحويلا حقيقيا - معللين ذلك بجواز وقوعه .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب صلاة الجماعة من سنن الهدى جـ١ ، ص٤٥٣ ، حـ ٦٥٤ .

(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٣ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود ، جـ١ ، ص٣٢٠ ، حـ٤٢٦ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام جـ١ ، ص٢١١ حـ٦٩١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب تحريم سبق الإمام بركوع أو سجود جـ١ ، ص٣٢٠ ، حـ٤٢٧ .

(٥) صحيح مسلم ، المرجع نفسه ، ص ٣٢١ .

(٦) فتح الباري ، ج٢ ، ص ٢١٥ .

قال : " ويقوّي حمله على ظاهره أن في رواية ابن حبان [١] من وجه آخر عن محمد بن زياد [٢] " أن يحول الله رأسه رأس كلب " فهذا يبعد المجاز لانتفاء المناسبة التي ذكروها من بلادة الحمار .

ومما يبعده إيراد الوعيد بالأمر المستقبل وباللفظ الدال على تغيير الهيئة الحاصلة ، ولو أريد تشبيهه بالحمار لأجل البلادة لقال مثلا فرأسه رأس حمار ، وإنما قلت ذلك لأن الصفة المذكورة وهي البلادة حاصلة في فاعل ذلك عند فعله المذكور ، فلا يحسن أن يقال له يخشى إذا فعلت ذلك أن تصير بليدا ، مع أن فعله المذكور إنما نشأ عن البلادة " [٣] .

وسواء كان التحويل حقيقيا ، أو على سبيل المجاز فإنه دال على أهمية متابعة الإمام ، وخطورة الرفع قبله . وفيه خطورة مخالفة أمر الله ورسوله ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ [٤] .

د = الأمر بتخفيف الصلاة في تمام لمن يصلي بالناس ، يدل على ذلك قوله ﷺ " يا أيها الناس إنكم منفّرون فمن صلّى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " [٥] .

في هذا الحديث ما يدل على حرصه ﷺ على الرفق بالأمة ، وإرشاده إلى ذلك وتنفيره من ضده .

وقد جاءت أحاديث بهذا المعنى منها قوله ﷺ " إذا صلى أحدكم للناس

---

(١) هو : الإمام العلامة ، الحافظ المُجوّد أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي الدارمي البستي ، ولد سنة بضع وسبعين ومائتين ، سمع من زكريا الساجي ، وأبي عبدالرحمن النسائي ، وتنقل فسمع من شيوخ كثيرين في مختلف البلدان ، وعنه ابن منده ، وأبو عبدالله الحاكم قال أبو بكر الخطيب كان ثقة نبيلا له مؤلفات كثيرة من أشهرها كتاب " الصحيح " توفي سنة ٣٥٤ ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ١٦ ، ص ٩٢ - ١٠٤ ، وتذكرة الحفاظ ، جـ ٣ ، ص ٩٢٠ ، ٩٢٤ ، وشذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ١٦ .

(٢) هو : محمد بن زياد الجمحي مولاهم ، أبوالحارث المدني نزيل البصرة ، يروي عن الفضل بن العباس وأبي هريرة وعائشة ، وعنه ابنه الحارث ، وخالد الحذاء ، والحسين بن واقد المروزي ، وثقه ابن معين ، وأثنى عليه أبو داود ، انظر : ترجمته في تهذيب التهذيب : ج٩ ، ص : ١٦٩ - ١٧٠ ، والتقريب ، ص : ٤٧٩ .

(٣) فتح الباري ، جـ٢ ، ص٢١٥ - ٢١٦ .

(٤) سورة النور جزء من الآية (٦٣) .

(٥) متفق عليه وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٣ .

فليخفف ، فإن منهم الضعيف والسقيم والكبير ، وإذا صلى أحدكم لنفسه فليطوّل ما شاء " (١) .

وكانت سنته العملية موافقة لما أمر به ، فعن أنس - ﷺ - " أن النبي ﷺ كان يوجز في الصلاة " (٢) .

وعنه - ﷺ - قال قال رسول الله ﷺ :" إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها ، فأسمع بكاء الصبي فأخفف من شدة وَجْد أمه به " (٣) .

هـ - فضل انتظار الصلاة :

يدل على ذلك قوله ﷺ : " ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا وإنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة " (٤) .

يدل هذا الحديث على فضل انتظار الصلاة لأن منتظرها يحصل له فضل من هو في صلاة وفي هذا المعنى أحاديث منها قوله ﷺ " لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه ، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة " (٥) .

وورد عنه ﷺ في الصحيح أن الملائكة تدعو لمن قعد ينتظر الصّلاة مالم يحدث أو ينصرف ، فعن أبي هريرة - ﷺ - أن رسول الله ﷺ قال : " لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ، ينتظر الصلاة ، وتقول الملائكة : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه حتى ينصرف أو يحدث " (٦) .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب إذا صلى لنفسه فليطول ما شاء ، جـ ١ ، ص ٢١٤ ، ح٧٠٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام حـ ١ ، ص ٣٤١ ، حـ ٤٦٧ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الإيجاز في الصلاة وإكمالها ، جـ١ ، ص٢١٥ ، ح٧٠٦ ، وصحيح مسلم . كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام جـ١ ، ص٣٤٢ ، حـ٤٦٩ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب من أخفّ الصلاة عند بكاء الصبي ، جـ١ ، ص٢١٥ ، حـ٧٠٩ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام ، جـ١ ، ص٣٤٣ ، حـ٤٧٠ .

(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٠ .

(٥) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة ، وفضل المساجد ، جـ١ ، ص ٢٠٠ ، حـ٦٥٩ ، وفيه عنده زيادة " الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه مالم يحدث : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه لا يزال أحدكم " إلخ واقتصر مالك في الموطأ على ماذكر ، ومن طريقه أخرجه مسلم كتاب المساجد باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة جـ١ ، ص٤٦٠ ، حـ٦٤٩/٢٧٥ ، حديث الباب .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة ، جـ١ ، ص٤٥٩ ، حـ٦٤٩ .

و – التحذير من ترك الجمعة :

يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " [١] .

في هذا الوعيد الشديد والتهديد العظيم دلالة على وجوب صلاة الجمعة وقد أمر الله في كتابه بالسعي إليها عند النداء ، ونهى عما يشغل عنها كالبيع ونحوه ، قال تعالى : ﴿ ياأيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ [٢] .

ويدل هذا الحديث على التحذير من تركها لأن تاركها مهدّد بالختم والطبع على قلبه .

وقد بين رسول الله ﷺ في حديث آخر أن من ترك ثلاث جمع متهاونا بها طبع الله على قلبه . فعن أبي الجعد الضمري [٣] – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه " [٤] .

---

(١) صحيح مسلم وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٣ .

(٢) سورة الجمعة ، الآية (٩) .

(٣) هو : أبو الجعد بن جنادة بن ضمره الضمري من بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة الكناني ، اختلف في اسمه فقيل الأدرع ، وقيل جنادة ، وقيل عمرو ، له صحبة ، روى عن النبي ﷺ ، انظر : الاستيعاب ، جـ ٤ ، ص ٣٨ ، وأسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ١٥٩ ، والإصابة ، جـ ٤ ص١٣٢٠ .

(٤) سنن النسائي كتاب الجمعة ، باب إيجاب الجمعة ، جـ٣ ، ص٩٨ ، حـ ١٣٦٨ ، وسنن ابن ماجة كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب فيمن ترك الجمعة من غير عذر جـ٢ ، ص٣٥٧ ، حـ١١٢٦ .

ثانياً : المسائل المتعلقة بالحج :

معلوم أن الحج أحد أركان الإسلام وقواعده التي ينبني عليها ، وقد اهتم الرسول ﷺ ببيان أحكامه وفضائله ، وعلمه لأصحابه عمليا فقال : " لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه " (١) .

وجاء في الخطب المدروسة مسائل تتعلق بالحج أعرض لها فيما يلي :

أ - وجوبه مرة واحدة ، من غير تكرار .

والدليل قوله ﷺ " أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج فحجوا " فقال رجل أكل عام يا رسول الله . فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله ﷺ " لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم " (٢) .

هذا الحديث يدل على أن الدعاة يجب أن يراعوا أحوال المدعوين ويرفقوا بهم خشية الملل ، وفيه رفقه ﷺ بأمته .

ب - جواز فسخ الحج والتحلل بعمرة لمن لم يسق الهدي ، يدل على ذلك قوله ﷺ : " ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معي الهدي لأحللت " (٣) .

وفي بعض روايات هذا الحديث عن جابر - رضي الله عنه - أنه حج مع النبي ﷺ يوم ساق البدن معه ، وقد أهلوا بالحج مفردا فقال لهم : " أحلوا من إحرامكم بطواف البيت ، وبين الصفا والمروة ، وقصروا ثم أقيموا حلالا حتى إذا كان يوم التروية فأهلوا بالحج واجعلوا التي قدمتم بها متعة " (٤) .

قال ابن حجر - رحمه الله - " قوله : " فقال لهم أحلوا من إحرامكم " أي اجعلوا حجكم عمرة وتحللوا منها بالطواف والسعي .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الحج باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا وبيان قوله ﷺ " لتأخذوا مناسككم " جـ٢ ، ص٩٤٣ ، حـ١٢٩٧ .

(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .

(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب التمتع والقران والافراد بالحج وفسخ الحج لمن لم يكن معه هدي ، جـ٢ ، ص٤٨٦ ، حـ١٥٦٨ ، وصحيح مسلم ، كتاب الحج باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والتمتع والقران ، وجواز إدخال الحج على العمرة ومتى يحل القارن من نسكه ، جـ٢ ، ص٨٨٥ ، حـ٢١٦ (١٤٣) حديث الباب .

– ثم قال أيضا – وقوله : " واجعلوا التي قدمتم بها متعة " أي اجعلوا الحجة المفردة التي أهللتم بها ، عمرة تتحللوا منها فتصيروا متمتعين ، فأطلق على العمرة متعة " (١) .

جـ – مخالفته ﷺ لما كان عليه أهل الشرك من الدفع من عرفة قبل الغروب ، يدل على ذلك قوله ﷺ : في خطبة " أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس ، حين تكون الشمس على رؤوس الجبال ، مثل عمائم الرجال على رؤوسها فهدينا مخالف لهديهم " (٢) .

هكذا قال ﷺ مؤكدا مخالفة أهل الجاهلية في هذه الشعيرة ، وثبت في صفة حجته ﷺ أنه لم يزل واقفا حتى غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا (٣) .

ومن فوائد هذا الإعلان أن الرسول ﷺ وهو القدوة أعلن مخالفته لهدي الكفار في هذه المسألة ليكون المنهج واضحا لأتباعه إلى يوم القيامة ، وقد تقدم أن أهل الجاهلية كانوا يعرفون الحج ، ولكنهم غيّروا فيه تغييرات جاء الإسلام بإبطالها ، وأقر أيضا ما هو صواب مما كان عندهم ، مما يدل على أن الهدف هو الإصلاح وليس التغيير لمجرد التغيير . والله أعلم .

---

(١) فتح الباري ، جـ٣ ، ص٥٠٤ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٥ .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ، جـ٢ ، ص٨٩٠ ، حـ ١٢١٨ .

المطلب الثاني

المسائل المتعلقة بأحكام في غير العبادات

أ - وجوب طاعة الله ورسوله ﷺ يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة الحاجة " من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصمها فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئا " (١) .

وقال ﷺ : " ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه " (٢) .

وقد استدل رسول الله ﷺ في خطبة الحاجة بقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ (٣) .

وطاعة الله ورسوله هي التقوى وقد ورد الأمر بالتقوى أيضا في خطبة الحاجة في قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ﴾ (٤) ، وقوله ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا ﴾ (٥) ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ (٦) . وطاعة الرسول ﷺ هي الطريق إلى الجنة . فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول ﷺ الله قال " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى ، قالوا ومن يأبى يا رسول الله ؟! قال من أطاعني دخل الجنة

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٦ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٣) سورة الأحزاب الآيتان [٧٠ - ٧١] .
(٤) آل عمران [١٠٢] .
(٥) سورة النساء الآية [١] .
(٦) سورة النساء ، الآية [٥٩] .

ومن عصاني فقد أبى " [١] .

وفي حديث جابر - ﷺ - قال : " جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم فقال بعضهم : إنه نائم ، وقال بعضهم : إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا مثله كمثل رجل بنى دارا ، وجعل فيها مأدُبة وبعث داعيا ، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة .

فقالوا أوِّلوهَا له يفقهُها ، فقال بعضهم إنّه نائم ، وقال بعضهم إن العينَ نائمة والقلب يقظانُ ، فقالوا فالدار الجنة ، والداعي محمد ﷺ فمن أطاع محمدا ﷺ فقد أطاع الله ، ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله ومحمد فرَّق [٢] بين الناس " [٣] .

ب - وجوب التمسك بسنة رسول الله ﷺ وسنة خلفائه الراشدين

- ﷺ - ، يدل على ذلك قوله ﷺ : " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ " [٤] .

وقال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ [٥] .

قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسير هذه الآية : " هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله ﷺ في أقواله وأفعاله وأحواله ، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي ﷺ يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل " [٦] .

والرسول ﷺ هو القدوة والداعي إلى الله والسراج المنير ، قال تعالى ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا ﴾ [٧] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي ﷺ بعثت بجوامع الكلم جـ٨ ، ص٤٨٩ ، حـ٧٢٨٠ .
(٢) (فرَّق ، بتشديد الراء فعلا ماضيا ، وروي بسكونها وكلاهما متجه ، فتح الباري ، جـ١٣ ، ص٢٧٠ .
(٣) صحيح البخاري نفس المرجع ص٤٨٩ - ٤٩٠ ، حـ٧٢٨١ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٠ .
(٥) سورة الأحزاب الآية [٢١] .
(٦) تفسير القرآن العظيم جـ٣ ، ص ٦٢١ .
(٧) سورة الأحزاب ، الآيتان [٤٥ - ٤٦] .

جـ - وجوب الحذر من البدعة والإحداث في الدين يدل على ذلك قوله ﷺ " وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة " (١) .

وقال ﷺ أيضا " إن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة " (٢) .

قال ابن رجب (٣) - رحمه الله - في شرحه لقوله : " وإياكم ومحدثات الأمور " . تحذير الأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة ، وأكد ذلك بقوله " كل بدعة ضلالة " ، والمراد بالبدعة : ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه .

أما ماكان له أصل في الشرع يدل عليه ، فليس بدعة شرعا ، وإن كان بدعة لغة " .

ثم قال : قوله " كل بدعة ضلالة " من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وهو شبيه بقوله : " من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد " (٤) .

فكل من أحدث شيئا ونسبه إلى الدين ، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه ، فهو ضلالة ، والدين بريء منه ، وسواء في ذلك الاعتقادات ، أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة " (٥) .

والمقصود بهذا التعميم الذي ذكره الشيخ - رحمه الله - إنما هو الأقوال والأعمال التي لها تعلق بالعبادات ، أما العادات والمعاملات فليست داخلة في البدعة . يدل على ذلك قوله ﷺ " من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد " .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٠ .

(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٨ .

(٣) هو : الحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي ، اشتهر بابن رجب ، قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة ٧٤٤ ، وأجازه ابن النقيب والنووي ، واشتغل بسماع الحديث ، حدث عن محمد بن الخيار ، كانت له مجالس وعظ وتذكير انتفع به كثيرون ، من مؤلفاته شرح الأربعين ، والقواعد الفقهية ، توفى سنة ٧٩٥ ، انظر : شذرات الذهب ، جـ٦ ، ص ٣٣٩ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الصلح ، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود ، جـ٣ ، ص٢٢٩ ، حـ٢٦٩٧ .
صحيح مسلم ، كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ، ورد محدثات الأمور جـ٣ ، ص١٣٤٣ ، حـ١٧١٨ .

(٥) جامع العلوم والحكم، جـ٢ ، ص١٢٧ - ١٢٨ .

وأمثلة هذا النوع كثيرة كالملابس والمراكب ، والمساكن وجميع المباحات التي أنعم الله بها على عباده ، ويدخل في ذلك الكثير من الوسائل الحديثة ، التي يمكن أن تسهل على الدعاة مهمة التبليغ ، كالإذاعة المرئية والمسموعة ، وكالسيارات والطائرات فمن التقصير أن يقول الداعية اليوم لا أريد التحرك للدعوة إلى الله إلا على الجمال لأن الرسول ﷺ في جهاده ودعوته لم يركب سيارة ، ولا طائرة ، وإنما كان يركب الجمال والخيل .

د - وجوب طاعة ولي الأمر :

يدل على ذلك قوله ﷺ " ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع " (١) .

وقوله أيضا : " أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة " (٢) .

قال ابن رجب في شرح قوله ﷺ : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة " ، : " وأما السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين ، ففيها سعادة الدنيا وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم ، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم ، كما قال علي - رضي الله عنه - : إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بر أو فاجر ، إن كان فاجرا عبد المؤمن فيه ربه ، وحمل الفاجر فيه إلى أجله .

وقال الحسن في الأمراء : هم يلون من أمرنا خمسا : الجمعة ، والجماعة ، والعيد والثغور والحدود ، والله ما يستقيم الدين إلا بهم ، وإن جاروا وظلموا ، والله " لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون .. " (٣) .

وقد أخبر رسول الله ﷺ أن طاعته طاعة لله ، وأن طاعة الأمير طاعة له ﷺ . فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال : " من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن يعصني فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعني ، ومن يعصِ الأمير فقد عصاني " (٤) .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال قال رسول ﷺ " عليك السمع والطاعة

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٩ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٠ .
(٣) جامع العلوم والحكم ، جـ٢ ، ص١١٧ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، جـ٣ ، ص١٤٦٦ ، حـ١٨٣٥ ، وصحيح البخاري كتاب الأحكام ، باب قول الله تعالى ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ جـ٨ ، ص٤٤٤ ، حـ٧١٣٧ ، واللفظ لمسلم .

في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك " [١] .

وفي حديث عبادة بن الصامت – ﷺ – قال : " بايعنا رسول الله ﷺ : على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وعلى أثرة علينا وعلى أن لا ننازع الأمر أهله " [٢] .

وعن أبي ذر[٣] – ﷺ – قال إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدا مجدع الأطراف " [٤] .

وعن أم الحصين [٥] – رضي الله عنها – أنها سمعت رسول الله ﷺ يخطب في حجة الوداع وهو يقول " ولو استعمل عليكم عبد حبشي يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا " [٦] .

وعن ابن عمر – ﷺ – عن النبي ﷺ أنه قال : " على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية . فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة " [٧] .

وأمر رسول الله ﷺ بالصبر على أذى الأمراء وحذر من مفارقة الجماعة ، فعن ابن عباس – ﷺ – يرويه قال قال النبي ﷺ " من رأى من

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية ، جـ٣ ، ص١٤٦٧ ، حـ١٨٣٦ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الفتن ، باب قول النبيّ ﷺ " سترون بعدي أمورا تنكرونها " جـ٨ ، ص٤٢٣ ، حـ٧٠٥٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، جـ٣ ، ص١٤٧٠ ، حـ١٧٠٩ – وفيه قال " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " .

(٣) هو : أبو ذر جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حرام بن غفار بن هليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة ، اشتهر بأبى ذر الغفاري من السابقين ، وحديث إسلامه في الصحيحين ، قيل هو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ، أسلم بمكة ورجع فدعا قومه إلى الإسلام ، فهو من دعاة رسول الله ﷺ ، كان رأسا في العلم والزهد ، انظر : الاستيعاب ، جـ ٤ ، ص ٦٢ – ٦٥ ، وأسد الغابة ، جـ ١ ، ص ٣٠١ – ٣٠٣ ، والإصابة ، جـ ٤ ، ص ٦٣ – ٦٥ ، " وتذكرة الحفاظ " ، جـ ١ ، ص ١٧ – ١٩ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، جـ٣ ، ص١٤٦٧ ، حـ١٨٣٧ .

(٥) هي : أم الحصين بنت إسحاق الأحمسية روى عنها العيزار بن حريث ، ويحيى بن حصين شهدت حجة الوداع ، انظر : الاستيعاب ، جـ ٤ ، ص ٤٢٦ ، وأسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ٥٧٥ ، والإصابة ، جـ ٤ ، ص ٤٢٤ .

(٦) صحيح مسلم ، الموضع السابق ، جـ٣ ص١٤٦٨ ، حـ١٨٣٨ .

(٧) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية ، جـ٨ ، ص ٤٤٥ ، ح ٧١٤٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية جـ٣ ، ص١٤٦٩ ،حـ١٨٣٩ ، واللفظ لمسلم .

أميره شيئا يكرهه فليصبر ، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية " (١) .

وقد تواترت هذه الأحاديث على وجوب طاعة ولي الأمر ، ولكنها مقيدة بالمعروف ، فإذا أمر بمعصية فلاتجب طاعته كما يدل على ذلك قوله ﷺ : " لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف " (٢) .

وقال للذين أمرهم أميرهم باقتحام النار " لو دخلوها ما خرجوا منها إنما الطاعة في المعروف " (٣) .

وفي الحديث الذي سبق (٤) ذكره " فإن أمر بمعصية : فلا سمع ولا طاعة " .

هـ – وجوب إقامة الحدود من غير محاباة لذِي شرف أو قرابة :

يدل على ذلك قوله ﷺ : " أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها . ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها " (٥) .

يدل هذا الحديث على خطورة المحاباة في الحدود ، لأنها كانت من بين الأسباب التي أهلك الله بها بني إسرائيل .

قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : " ولفظة (إنما) هاهنا تفيد الحصر ، والظاهر : أنه ليس للحصر المطلق مع احتمال ذلك ، فإن بني إسرائيل كانت فيهم أمور كثيرة تقتضي الإهلاك ، فيحمل ذلك على حصر مخصوص ، وهو الإهلاك بسبب المحاباة في حدود الله ، فلا ينحصر ذلك

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة مالم تكن معصية ، جـ٨ ، ص٤٤٥ ، حـ٧١٤٣ ، وصحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ، جـ٣ ، ص١٤٧٧ ، حـ١٨٤٩ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية ، جـ٣ ، ص١٤٦٩ ، حـ١٨٤٠ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب السمع والطاعة للامام مالم تكن معصية ، جـ٨ ، ص٤٤٦ ، حـ٧١٤٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية جـ٣ ، ص١٤٦٩ ، حـ١٨٤٠/٤٠ .

(٤) سبق تخريجه في ص ٢١١ .

(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .

في هذا الحد المخصوص " [١] .

وقال ابن حجر في الفتح : " وإنما خص ﷺ فاطمة ابنته بالذكر لأنها أعز أهله عنده ، ولأنه لم يبق من بناته حينئذ غيرها ، فأراد المبالغة في إثبات إقامة الحد على كل مكلف وترك المحاباة في ذلك ، ولأن اسم السارقة وافق اسمها عليها السلام فناسب أن يضرب بها المثل " [٢] .

و - وجوب المسارعة في إنكار المنكر :

يدل على ذلك أن الرسول ﷺ : لما كلمه أسامة بن زيد في شأن المخزومية تلون وجهه وأظهر الغضب ثم قال له " أتشفع في حدٍّ من حدود الله " فلما كان من العشي قام رسول الله ﷺ فأثنى على الله بما هو أهله .. " [٣] .

وفي هذا عدة أمور تدل على وجوب المسارعة في الإنكار منها تلوّن وجهه ﷺ ومنها قوله " أتشفع في حد من حدود الله " .

ومنها قيامه في الناس خطيبا في اليوم نفسه مبينا خطورة هذا الموقف .

وقد تكرر هذا الموقف منه ﷺ فسارع في التحذير من هدايا العمال لما قال ابن اللتبية (هذا لكم وهذا أهدي لي) فخطب رسول الله ﷺ في شأن ذلك كما سبق في الخطب [٤] .

وكذلك لما أخبرته عائشة - رضي الله عنها - أن ملاك بريرة يريدون بيعها مع اشتراط أن يكون لهم الولاء قالت : " ثم قام رسول الله ﷺ عشية فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال " أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله " [٥] .

وقد بين الشيخ الدكتور فضل إلهي - حفظه الله - نماذج من احتساب النبي ﷺ تدل على أنه كان لا يتأخر في إنكار المنكر فمن ذلك احتسابه في بيته حيث امتنع من دخول بيت عائشة - رضي الله عنها - وهي أحب

---

(١) إحكام الأحكام ، شرح عمدة الأحكام ، ص ٦٣٢ .
(٢) فتح الباري ، جـ١٢ ، ص٩٧ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩١ .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٣ .

الناس إليه ، لأنه رأى فيه نمرقة فيها تصاوير [١] ، ومنها احتسابه في كيفية السلام [٢] ، وآداب الطعام [٣] . إلى غير ذلك من أمثلة تتضح فيها مسارعته ﷺ في الإنكار [٤] .

ز - الأمر بتبليغ شرائع الإسلام وأحكامه :

يدل على ذلك قوله ﷺ " ألا ليبلغ الشاهد الغائب فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه " [٥] .

وقال ﷺ هذا القول في خطبة جامعة يوم النحر عام حجة الوداع بين فيها الكثير من الأحكام وحث على التبليغ في آخرها كأنه يقول بلغوا عني هذه الأحكام ، وغيرها من أمور الدين ، قال ابن حجر - رحمه الله - " وفي الحديث ... من الفوائد أيضا وجوب تبليغ العلم على الكفاية ، وقد يتعين في حقا بعض الناس " [٦] ، وكان النبي ﷺ يحث أصحابه على تبليغ ما سمعوه منه وقال ﷺ " بلغوا عني ولو آية " [٧] .

وفي حديث وفد عبدالقيس المتفق عليه قال النبي ﷺ في آخره " احفظوه وأخبروه من وراءكم " [٨] .

---

(١) روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - أنها اشترت نمرقة فيها تصاوير ، فقام النبي ﷺ بالباب فلم يدخل ، فقلت أتوب إلى الله مما أذنبت قال : " ما هذه النمرقة " ؟ قلت لتجلس عليها وتوسدها قال " إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم أحيوا ما خلقتم ، والملائكة لا تدخل بيتا فيه الصور " ، صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب من كره القعود على الصور جـ٧ ، ص٨٧ ، حـ٥٩٥٧ .

(٢) روى أبو داود والترمذي أن رجلا سلم على رسول الله ﷺ فقال عليك السلام فقال له : " لا تقل عليك السلام ، فإن عليك السلام تحية الموتى " سنن أبي داود ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في إسبال الإزار ، جـ٤ ، ص٣٤٤ ، حـ٤٠٨٤ ، وسنن الترمذي ، كتاب الاستئذان ، باب كراهية أن يقول عليك السلام مبتدئا ، جـ٥ ، ص٧٢ ، حـ٢٧٢٢ ، وقال الترمذي حسن صحيح .

(٣) وفي آداب الطعام ، حديث عمر بن أبي سلمة " يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك " صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، باب التسمية على الطعام والأكل باليمين ، جـ٦ ، ص٥٣٩ ، حـ٥٣٧٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب آداب الطعام والشراب ، جـ٣ ، ص١٥٩٩ ، حـ٢٠٢٢ .

(٤) انظر الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين ، ص٦ - ١٢ .

(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .

(٦) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ٣ ، ص٦٧٣ .

(٧) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، كتاب العلم ، باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل ، جـ ٥ ص ٤٠ ، حـ٢٦٦٩ .

(٨) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإسلام ، جـ١ ، ص ٢٣ - ٢٤ ، حـ٥٣ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين ، والدعاء إليه ، والسؤال عنه ، وحفظه وتبليغه من لم يبلغه ، جـ١ ، ص٤٦ ، حـ ١٧ .

ح = وجوب إحترام قرابة رسول الله ﷺ :

يدل على ذلك قوله ﷺ : " ألا أيها الناس ، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي " (١) .

فأهل بيت رسول الله ﷺ يجب احترامهم وتوقيرهم . قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى ﴿ قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ (٢) .

" والحق تفسير هذه الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس – ﷺ – كما رواه عنه البخاري (٣) ، ولا ننكر الوصاة بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا وحسبا ونسبا ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل ذريته – ﷺ – " (٤) .

وفي المسند عن العباس – ﷺ – قال : قلت يارسول الله إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ، قال : فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديدا وقال " والذي نفسي بيده لايدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم لله ورسوله " (٥) .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٥ .

(٢) سورة الشورى ، جزء من الآية (٢٣) .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ ، جـ٦ ، ص٣٣٩ ، حـ٤٨١٨ .

ولفظه أنه " سئل عن قوله ﴿ إلا المودة في القربى ﴾ فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس : عجلتَ ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : " إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة " .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، ص١٤١ – ١٤٢ .

(٥) جـ ١ ، ص ٢٥٦ ، حـ ١٧٧١ .

وفي البخاري عن أبي بكر – ﷺ – أنه قال : " والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي " (١) .

وفيه أيضا عن ابن عمر – ﷺ – أن أبا بكر – ﷺ – قال : " ارقبوا محمدا ﷺ في أهل بيته " (٢) .

وقال عمر بن الخطاب للعباس – ﷺ – " والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ، لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب " (٣) .

قال ابن كثير – رحمه الله – بعد ذكر هذه الأحاديث " فحال الشيخين – ﷺ – هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ؛ ولهذا كانا أفضل المؤمنين بعد النبيين والمرسلين – ﷺ – وعن سائر الصحابة أجمعين " (٤) .

ط = وجوب الإنفاق على الزوجات وكسوتهن بالمعروف :

يدل على ذلك قوله ﷺ في شأن النساء : " ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف " (٥) .

قال النووي – رحمه الله – " فيه وجوب نفقة الزوجة وكسوتها وذلك ثابت بالإجماع " (٦) .

وقال القرطبي : في قوله ﷺ " بالمعروف " أي : بما يعرف من حاله وحالها ، وهو حجة لمالك ؛ حيث يقول : إن النفقات على الزوجات غير مقدرات ، وإنما ذلك بالنظر إلى أحوالهم وأحوالهن " (٧) .

وروى أبو داود في سننه عن حكيم بن معاوية القشيري (٨) عن أبيه (٩)

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ جـ٤ ، ص٥٧٩ ، حـ٣٧١٢ .

(٢) صحيح البخاري ، الموضع السابق ، حـ٣٧١٣ .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ، جـ ٤ ، ص ١٤٢ ، ولم ينسبه إلى أحد .

(٤) تفسير القرآن العظيم ، جـ٤ ، ص١٤٢ .

(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٨ .

(٦) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٨ ، ص ١٨٤ .

(٧) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ٣ ، ص٣٣٤ – ٣٣٥ .

(٨) هو : حكيم بن معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري روى عن أبيه ، وعنه بنوه بهز وسعيد ، ومهران ، وسعيد بن أبي اياس ، قال العجلي ثقة ، وقال النسائي ليس به بأس ، وذكره ابن حبان في الثقات ، انظر : تهذيب التهذيب ، جـ ٢ ، ص ٤٥١ ، وتقريب التهذيب ص ١٧٧ .

(٩) هو : معاوية بن حيدة بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة القشيري من أهل البصرة ، غزا خراسان ومات بها ، وهو جدبهز بن حكيم بن معاوية ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٣٨٥ ، والإصابة ، جـ ٣ ، ص ٤١٢ .

قال قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟قال : " أن تطعمها إذا طعمت ، وتكسوها إذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ، ولا تقبح ولا تهجر إلا في البيت " (١) .

قال الخطابي " في هذا إيجاب النفقة والكسوة لها وليس في ذلك حد معلوم ، وإنما هو على المعروف وعلى قدر وسع الزوج وجدته ، وإذا جعله النبي ﷺ حقا لها فهو لازم للزوج حضر أو غاب ، وإن لم يجده في وقته كان دينا عليه إلى أن يؤديه إليها كسائر الحقوق الواجبة " (٢) .

ي = فعل الأوامر مقيد بالاستطاعة :

يدل على ذلك قوله ﷺ " فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم " (٣) .

وقال تعالى ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ (٤) وقال : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (٥) ، وقال : ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾ (٦) .

قال ابن كثير – رحمه الله – قوله تعالى ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ أي لا يكلف أحدا فوق طاقته ، وهذا من لطفه تعالى بخلقه ورأفته بهم وإحسانه إليهم ... " (٧) .

ك = حرمة الشفاعة في الحدود وخطورتها :

يدل على ذلك قوله منكرا على أسامة بن زيد – ﷺ – " أتشفع في حد من حدود الله " ثم قام من العشي خطيبا فقال " أما بعد فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " (٨) .

---

(١) سنن أبي داود كتاب النكاح ، باب في حق المرأة على زوجها جـ٢ ، ص٦٠٦ ، وسنن ابن ماجه ، كتاب النكاح ، باب حق المرأة على الزوج جـ١ ، ص٥٩٣ -٥٩٤ ، حـ١٨٥٠ .

(٢) معالم السنن ، شرح سنن أبي داود ، جـ ٣ ، ص ١٩٠ .

(٣) تقدم تخريجه في نصوص للخطب ص ٨٠ .

(٤) سورة التغابن جزء من الآية (١٦) .

(٥) سورة البقرة جزء من الآية (٢٨٦) .

(٦) سورة الطلاق جزء من الآية (٧) .

(٧) تفسير القرآن العظيم ، جـ١ ، ص٤٤٧ .

(٨) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .

وروي أنه ﷺ قال : من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره " (١) .

وقوله ﷺ " أتشفع في حد من حدود الله " يدل على أن هذا الإنكار خاص بالحدود ، وأما الشفاعة في غير الحدود فإنها مطلوبة بشرط أن تكون حسنة لا تؤدي إلى ظلم ولا تقطع حق مسلم قال تعالى ﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾ (٢) .

نقل ابن كثير عن مجاهد أنه قال : " نزلت هذه الآية في شفاعات الناس بعضهم لبعض " (٣) .

وثبت في الصحيح عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال : كان رسول الله ﷺ إذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه فقال " اشفعوا فلتؤجروا وليقض الله على لسان نبيه ما أحب " (٤) .

قال النووي - رحمه الله - معلقا على هذا الحديث - " فيه استحباب الشفاعة لأصحاب الحوائج المباحة سواء كانت الشفاعة إلى سلطان ووال ونحوهما أم إلى واحد من الناس ، وسواء كانت الشفاعة إلى سلطان في كف ظلم أو إسقاط تعزير ، أو في تخليص عطاء لمحتاج ، أو نحو ذلك ، وأما الشفاعة في الحدود فحرام ، وكذا الشفاعة في تتميم باطل ، أو إبطال حق ونحو ذلك فهي حرام " (٥) .

ل = حرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم :

يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة الوداع يوم النحر " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا " (٦) .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأقضية ، باب فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها ، جـ٤ ، ص٣٣ ، حـ٣٥٩٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية (٨٥) .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم جـ١ ، ص٦٩٤ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب استحباب الشفاعة فيما ليس بحرام ، جـ٤ ، ص٢٠٢٦ ، حـ٢٦٢٧ .

(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ١٦ ، ص١٧٧ - ١٧٨ .

(٦) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .

وفي بعض روايات هذه الخطبة " فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " (١) .

وعن ابن عباس - ﷺ - أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال : " يا أيها الناس أي يوم هذا ؟ " قالوا : يوم حرام . قال " فأي بلد هذا ؟" قالوا : بلد حرام قال : " فأي شهر هذا " قالوا شهر حرام . قال " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في بلدكم هذا في شهركم هذا " (٢) .

قال القرطبي : " و (قوله أي شهر هذا ؟ وأي بلد هذا ؟ وأي يوم هذا ؟ " وسكوته بعد كل واحد منها كان استحضارا لفهومهم وتنبيها لغفلتهم ، وتنويها بما يذكره لهم حتى يقبلوا عليه بكليتهم ، ويستشعروا عظمة حرمة ما يخبرهم عنه ، ولذلك قال بعد هذا : " فإن دماءكم وأموالكم - قال محمد وأحسبه قال - وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا .. " وهذا منه مبالغة في بيان تحريم هذه الأشياء ، وإغياء في التنفير عن الوقوع فيها ؛ لأنهم كانوا قد اعتادوا فعلها ، واعتقدوا حليتها " (٣) .

وقال ابن حجر - رحمه الله - " ومناط التشبيه في قوله : " كحرمة يومكم " وما بعده ظهوره عند السامعين ؛ لأن تحريم البلد والشهر كان ثابتا في نفوسهم مقررا عندهم ، بخلاف الأنفس والأموال والأعراض ، فقد كانوا في الجاهلية يستبيحونها ، فطرأ الشرع عليهم ، بأن تحريم دم المسلم وماله وعرضه أعظم من تحريم البلد والشهر واليوم ، فلا يرد كون المشبه به أخفض رتبة من المشبه ؛ لأن الخطاب إنما وقع بالنسبة لما اعتاده المخاطبون ، قبل تقرير الشرع " (٤) .

وثبت في صحيح مسلم في حديث أبي هريرة - ﷺ - قال : قال رسول الله ﷺ " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يخذله ، ولا يكذبه ، ولا يحقره التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - بحسب امرئ من

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الحج ، باب الخطبة أيام منى ، جـ٢ ، ص٥٣٦ ، حـ١٧٤١ .
(٢) صحيح البخاري الموضع السابق ، ص٥٣٥ ، ح١٧٣٩ .
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ٥ ، ص٤٧ .
(٤) فتح الباري ، جـ١ ، ص١٩١ .

الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " (١) .

قال ابن رجب – رحمه الله – قوله ﷺ " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " هذا مما كان النبي ﷺ يخطب به في المجامع العظيمة ، فإنه خطب به في حجة الوداع يوم النحر ويوم عرفة ، واليوم الثاني من أيام التشريق ، وقال " إن دماءكم ... " (٢) .

ومما تقدم يتضح لنا أن حرمة المسلم عظيمة عند الله حيث يجب احترامه في دمه فلا يسفك دمه بقتل أو ضرب أو أي إيذاء في جسمه وبدنه ، وفي عرضه فلا يجوز التعرض له بغيبة أو سب أو تعيير أو سخرية قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس لاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ (٣) .

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " أتدرون ما المفلس ؟ " قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع فقال : " إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار " (٤) .

---

(١) تقدم تخريجه ص ٦١ .
(٢) جامع العلوم والحكم ، جـ٢ ، ص٢٧٩ .
(٣) سورة الحجرات الآيتان (١١ – ١٢) .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم جـ٤ ، ص١٩٩٧ ، حـ٢٥٨١ .

م = حرمة الشهر الحرام والبلد الحرام :

يدل على ذلك قوله ﷺ في الأشهر الحرم " الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان " (١) .

وقوله في البلد الحرام بعد دخوله مكة عام الفتح : " إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لن تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدي فلا ينفر صيدها ، ولا يختلى شوكها ، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد " (٢) .

وقد تقدم في بيان تحريم الدماء والأموال والأعراض قوله ﷺ : " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحرمة يومكم هذا ، في شهركم هذا في بلدكم هذا " (٣) .

ن = تحريم الغلول وهدايا العمال :

يدل على ذلك قوله ﷺ في الغلول محذرا منه : " لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء ، يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ... " (٤) .

وفي هدايا العمال يقول ﷺ : " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟! والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر " (٥) .

قال النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث : " في الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول ، لأنه خان في ولايته وأمانته ؛ ولهذا ذكر في الحديث في عقوبته وحمله ما أهدي إليه يوم القيامة ، كما ذكر مثله في

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٤ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٩ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٨ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩١ .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩١ .

الغال ، وقد بين ﷺ في نفس الحديث السبب في تحريم الهدية عليه ، وأنها بسبب الولاية " [١] .

وقال الله تعالى ﴿ وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾ [٢] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية " وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد " [٣] .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ففتح الله علينا ، فلم نغنم ذهبا ولا ورقا ، غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي ، ومع رسول الله ﷺ عبد له وهبه له رجل من جذام ، يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب . فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله ، فرمي بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا هنينا له الشهادة يارسول الله ! . قال رسول الله ﷺ : " كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب عليه نارا أخذها من المغانم يوم خيبر لم تصبها المقاسم " قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين ، فقال يارسول الله أصبت يوم خيبر فقال رسول الله ﷺ شراك من نار أو شراكان من نار " [٤] .

وفي صحيح مسلم وسنن أبي داود عن عدي بن عميرة [٥] – رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " من استعملناه منكم على عمل . فكتمنا مخيطا فما فوقه ، كان غلولا يأتي به يوم القيامة " . قال : فقام إليه رجل أسود من الأنصار ، كأني أنظر إليه فقال يارسول الله اقبل عني عملك قال " ومالك ؟ " قال سمعتك تقول كذا وكذا قال : " وأنا أقوله الآن . من استعملناه منكم على عمل فليجئ بقليله وكثيره فما أوتي منه أخذ ، ومانهي عنه انتهى " [٦] .

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ١٢ ، ص٢١٩ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٦١) .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، جـ١ ، ص٥٤٨ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة . إلا المؤمنون ، جـ١ ص١٠٨ ، حـ١١٥ .
(٥) هو : عدي بن عميرة الكندي أبو زرارة ، صحابي معروف ، له رواية في الصحيح ، روى عنه أخوه العرس ، توفي بالكوفة سنة (٤٠) ، وقيل بالجزيرة ، انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، جـ ٢ ، ص ٤٦٣ – ٤٦٤ ، وتقريب التهذيب ٣٨٨ .
(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب تحريم هدايا العمال ، جـ٣ ، ص١٤٦٥ ، حـ١٨٣٣ .

وإذا تأملت معي هذه النصوص تجد أنها اتفقت على تحريم الغلول وبيان خطورته ، ويتضح لك أيضا أن هدايا العمال غلول يستحق صاحبها العقوبة نفسها التي يستحقها الغال ، ومما يدل على خطورة أمرهما أن قليلهما يدخل النار ، فالشملة التي اشتعلت على صاحبها ، ولم ينفعه الجهاد ، ولا كونه مات وهو يخدم رسول الله ﷺ ، والشراك الذي قال فيه " شراك من نار.. " يدل على خطر الأمر .

ص = النهي عن إيذاء أهل الإسلام وتتبع عوراتهم :

يدل على ذلك قوله ﷺ : " يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم يفض الإيمان إلى قلبه ، لا تؤذوا المسلمين ، ولاتعيروهم ، ولاتتبعوا عوراتهم ، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله " (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ (٢) .

قال ابن جرير – رحمه الله – "وقوله ﴿ فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ يقول فقد احتملوا زورا وكذبا وفرية شنيعة ؛ وبهتان أفحش الكذب ﴿ وإثما مبينا ﴾ يقول : وإثما يبين لسامعه أنه إثم وزور " (٣) .

وقال ابن كثير – رحمه الله – " وقوله تعالى ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ﴾ أي ينسبون إليهم ما هم براء منه لم يعملوه ولم يفعلوه ﴿ فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ وهذا هو البهت الكبير أن يحكي أو ينقل عن المؤمنين والمؤمنات مالم يفعلوه على سبيل العيب والتنقص لهم ، ومن أكثر ما يدخل في هذا الوعيد الكفرة بالله ورسوله ، ثم الرافضة الذين يتنقصون الصحابة ويعيبونهم بما قد برأهم الله منه ، ويصفونهم بنقيض ما أخبر الله عنهم ، فإن الله عز وجل قد أخبر أنه رضي عن المهاجرين والأنصار ومدحهم ، وهؤلاء الجهلة الأغبياء يسبونهم ،

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٩٣ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية (٥٨) .
(٣) جامع البيان ، مجلد ١٢ ، جـ٢٢ ، ص٤٥ .

ويتنقصونهم ، ويذكرون عنهم مالم يكن ولا فعلوه أبدا ، فهم في الحقيقة منكسُو القلوب يذمون الممدوحين ويمدحون المذمومين " [١] .

ع = تحريم الربا ووضع وإبطال جميع أمور الجاهلية :

يدل على ذلك قوله ﷺ " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضعه من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث .... وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا ربا عباس ابن عبدالمطلب ، فإنه موضوع كله " [٢] .

وقال في النسيء الذي كان أهل الجاهلية يتحيلون به على تحليل الأشهر الحرم حين يريدون القتال فيها : الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ؛ السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان " [٣] .

وقال – أيضا – في تحديد وقت الدفع من عرفة : " أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس ، حين تكون الشمس على رؤوس الجبال ، مثل عمائم الرجال على رؤوسها ، فهدينا مخالف لهديهم " [٤] .

وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون ﴾ [٥] .

وقال الله تعالى ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ [٦] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ٣ ، ص٦٧٨ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٤ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٥) سورة البقرة الآيتان (٢٧٨ – ٢٧٩) .
(٦) سورة التوبة : الآية (٣٧) .

قال النووي – رحمه الله – معلقا على قوله ﷺ : " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع ... " : في هذه الجملة إبطال أفعال الجاهلية ، وبيوعها التي لم يتصل بها قبض ، وأنه لا قصاص في قتلها ... " (١) .

وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى ﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ... ﴾ : " هذا مما ذم الله تعالى به المشركين في تصرفهم في شرع الله بآرائهم الفاسدة ، وتغييرهم أحكامه بأهوائهم الباردة ، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله ، فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية ، والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء اوطارهم من قتال أعدائهم ، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل المحرّم فأخّرُوه إلى صفر فيحلون الشهر الحرام ، ويحرمون الشهر الحلال ليواطنوا عدة ما حرّم الله الأشهر الأربعة " (٢) .

ف = بيانه ﷺ بطلان الشروط التي ليست في كتاب الله ، وذلك في قوله ﷺ " أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ؟! ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل ، وإن كان مائة شرط ، كتاب الله أحق وشرط الله أوثق ... " (٣) .

قال النووي : – رحمه الله – " قوله ﷺ : " كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائه شرط " صريح في إبطال كل شرط ليس له أصل في كتاب الله تعالى ، ومعنى قوله ﷺ : " وإن كان مائة شرط " أنه لو شرطه مائة مرة توكيدا فهو باطل كما قال ﷺ في الرواية الأولى : " من اشترط شرطا ليس في كتاب الله فليس له وإن شرطه مائة مرة " (٤) .

وذكر أنّ العلماء قسموا الشروط في البيع ونحوه إلى ما يلي :

١ – شرط يقتضيه العقد ، كالرد بالعيب ، وتبقية الثمرة لحين الجذاذ .

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم جـ ٨ ص١٨٢ .
(٢) تفسير القرآن العظيم جـ ٢ ص ٤٦٨ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٣ .
(٤) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٠ ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

٢ – ما فيه مصلحة لمشترطه ، كالرهن والضمان ، وهذان جائزان بلا خلاف .

٣ – اشتراط العتق في العبد المبيع ، وهو جائز أيضا ؛ لتشوف الشارع للعتق .

٤ – ما سوى ذلك ، كاستثناء جزء من منفعة المبيع .

قال : " فهذا شرط باطل مبطل للعقد هكذا قال الجمهور ، وقال أحمد لا يبطله شرط واحد وإنما يبطله شرطان " (١) .

ض = حرمة الدخول على من غاب زوجها :

يدل على ذلك قوله ﷺ : " لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان " (٢) .

وقد حذر رسول الله ﷺ من الدخول على النساء ، فعن عقبة بن عامر – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال : " إياكم والدخول على النساء " فقال رجل من الأنصار : أفرأيت الحمو ؟ قال : " الحمو الموت " (٣) .

وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رسول الله ﷺ قال : " لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم " (٤) .

وروى عنه ﷺ أيضا أنه قال : " لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم " (٥) .

ق = استحباب بدء الخطب بالحمد والثناء على الله تعالى ، يدل على ذلك فعله حيث كان يبدأ خطبه بالحمد والثناء على الله عز وجل كما في

---

(١) انظر : شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٠ ، ص١٤٢ . .

(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٨١ .

(٣) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة الا ذو محرم والدخول على المغيبة ، جـ ٦ ، ص ٤٩٠ ، حـ ٥٢٣٢ ، صحيح مسلم كتاب السلام ، باب تحريم الخلوة بالأجنبية ، جـ ٤ ، ص ١٧١١ ، حـ ٢١٧٢ .

(٤) متفق عليه صحيح البخاري كتاب النكاح ، باب لا يخلون رجل بامرأة ، جـ ٦ ، ص ٤٩٠ ، حـ ٥٢٣٣ ، وصحيح مسلم كتاب الحج باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ، جـ ٢ ، ص ٩٧٨ ، حـ ١٣٤١ ، واللفظ للبخاري .

(٥) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، كتاب الرضاع ، باب ١٧٠ – حـ١١٧٢ ، قال أبو عيسى هذا حديث غريب من هذا الوجه ، وقد تكلم بعضهم في مجالد بن سعيد من قبل حفظه .

خطبة الحاجة [١] ، وخطبة إبطال الشروط التي ليست في كتاب الله [٢] ، وخطبته ﷺ في تحريم الشفاعة في الحدود إلى غير ذلك [٣] ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في السمات ، وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة - ﷺ - قال قال رسول الله ﷺ : " كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله فهو أجذم " [٤] .

قال أبوداود : : رواه يونس وعقيل وشعيب وسعيد ابن عبدالعزيز عن الزهري عن النبي ﷺ مرسلا .

وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال : " كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء " [٥] .

ر = **استحباب الرفق في الإنكار على المخطئ الجاهل** ، يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث البراء بن عازب - ﷺ - قال : خطبنا النبي ﷺ يوم الأضحى بعد الصلاة فقال " من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له " . فقال أبو بردة .. يا رسول الله فإني نسكت شاتي قبل الصلاة ، وعرفت أن اليوم يوم أكل وشرب ، وأحببت أن تكون شاتي أول شاة تذبح في بيتي فذبحت شاتي وتغذيت قبل أن آتي الصلاة . قال : " شاتك شاة لحم " [٦] .

وهذه العبارة مع دلالتها على عدم إجزاء هذه الضحية وعلى خطأ أبي بردة ، لكنها دلت على ذلك برفق وليونة بحيث لم تحمل رائحة التوبيخ ولا التعنيف . ويدل على رفقه به أيضا أنه رخص له أن يضحي بالعناق الجذعة لما سأله : " أفتجزئ عني ؟ قال : " نعم ولن تجزئ عن أحد بعدك " [٧] .

س = **الأصل فيما يرزقه الله عباده أن يكون حلالا** ، يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة : يرويها عن الله عز وجل " كل مال نحلته عبدا حلال ، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم

---

(١) تقدم تخريجها في نصوص الخطب ص٨٦ .
(٢) تقدم تخريجها في نصوص الخطب ٨٣ .
(٣) تقدم تخريجها في نصوص الخطب ص٧٩ .
(٤) سنن أبي داود ، كتاب الأدب باب الهدْي في الكلام ، جـ ٥ ، ص ١٧٢ ، حـ ٤٨٤٠ .
(٥) قال أبو داود رواه يونس .. (مرسلا) ، سنن أبي داود ، كتاب الأدب [باب في الخطبة] ، جـ ٥ ، ص ١٧٣ ، حـ ٤٨٤١ .
(٦) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٨١ .
(٧) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٨١ .

وحرمت عليهم ما أحللت لهم " [١] .

قال النووي – رحمه الله – : " معنى نحلته أعطيته ، وفي الكلام حذف أي قال الله تعالى : كل مال أعطيته عبدا من عبادى فهو له حلال ، والمراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامى وغير ذلك ، وأنها لم تصر حراما بتحريمهم ، وكل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق " [٢] .

وقال القرطبي : " قوله تعالى " كل مال نحلته عبدا حلال ، معنى نحلته أعطيته ، والنحلة العطية – كما تقدم – ويعني بها هنا العطية بطريق شرعي ، فكأنه قال : كل من ملكته شيئا بطريق شرعي قليلا كان أو كثيرا ، خطيرا كان أو حقيرا فالانتفاع به مباح مطلقا ، لا يمنع من شيء منه ، ولا يزاحم عليه ، والمال هنا كل ما يتمول ويتملك من سائر الأشياء ، وفائدة هذه القضية الكلية رفع توهم من يتوهم أن ما يستلذ ويستطاب من رفيع الأطعمة والملابس ، والمناكح ، والمساكن ، محرم أو مكروه ، وإن كان ذلك من الكسب الجائز ، كما قد ذهب إليه غلاة المتزهدة " [٣][٤] .

ت = جواز كتابة الحديث وتدوين العلم .

يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة الفتح : " اكتبوا لأبي شاه " [٥] .

وقد ذكره البخاري في صحيحه كتاب العلم ، وذكر فيه حديث علي – رضي الله عنه – أن أبا جحيفة سأله هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة ، قال : قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر " [٦] .

وخطبة الفتح ، وحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – الذي قال فيه : ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه منى ، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فانه كان يكتب ولا أكتب " [٧] .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم جـ ١٧ ، ص ١٩٨ .
(٣) المفهم ، جـ ٦ ، ص ٧١١ – ٧١٢ .
(٤) انظر شرح الأبي لصحيح مسلم جـ ٩ ، ص ٣٠٧ .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، جـ ١ ، ص ٤٤ ، حـ ١١١ .
(٧) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب كتابة العلم ، جـ ١ ، ص ٤٥ ، حـ ١١٣ .

وهذه الأحاديث دالة على إذنه ﷺ في كتابة الحديث ولكن يعارضها ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : " لا تكتبوا عني ، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه " (١) .

قال النووي : - رحمه الله - نقلا عن القاضي عياض - " كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم فكرهها كثيرون منهم ، وأجازها أكثرهم ، ثم أجمع المسلمون على جوازها ، وزال الخلاف واختلفوا في المراد بهذا الحديث الوارد في النهي ، فقيل : هو في حق من يوثق بحفظه ويخاف اتكاله على الكتابة إذا كتب ، وتُحمل الأحاديث الواردة بالإباحة على من لا يوثق بحفظه كحديث " اكتبوا لأبي شاه (٢) ، وحديث صحيفة علي - رضي الله عنه - ..... (٣) " (٤) .

هذا أحد أوجه الجمع بين أحاديث الإذن بالكتابة ، وحديث النهي عنها .

وذكر وجهين آخرين أحدهما أن النهي عن الكتابة منسوخ بأحاديث الإذن بها ، وكان النهي لئلا يختلط بالقرآن غيرُه .

ثانيهما : أن النهي إنما كان عن كتابة غير القرآن معه في صحيفة واحدة (٥) .

وذكر ابن حجر هذه الأجوبة وزاد أن بعضهم أعل حديث أبي سعيد الوارد في النهي عن الكتابة ، قال : " الصواب وقفه على أبي سعيد " .

وذكر وجها خامسا ، وهو أن النهي خاص بوقت نزول القرآن خشية التباسه بغيره (٦) ، قلت وليس بعيدا من وجه النسخ الذي رجحه ، وقال ابن حجر " قال العلماء كره جماعة من الصحابة والتابعين كتابة الحديث واستحبوا أن يؤخذ عنهم حفظا كما أخذوا حفظا ، لكن لما قصرت الهمم وخشي الأئمة ضياع العلم دونوه " (٧) .

---

(١) صحيح مسلم كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث ، وكتابة العلم ، جـ ٤ ، ص ٢٢٩٨ حـ ٣٠٠٤ .

(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .

(٣) تقدم تخريجه في ص ١٦٣ .

(٤) شرح النووي ، جـ ١٨ ، ص ١٢٩ ، ١٣٠ .

(٥) شرح النووي ، جـ ١٨ ، ص ١٣٠ .

(٦) انظر فتح الباري جـ ١ ، ص ٢٥١ .

(٧) المرجع السابق .

وقال العيني [١] نقلا عن القاضي عياض – رحمهما الله – " وأجازه – يعني كتب الحديث – معظم الصحابة والتابعين ، ووقع عليه بعدُ الاتفاق ، ودعت إليه الضرورة لانتشار الطرق ، وطول الأسانيد ، واشتباه المقالات ، مع قلة الحفظ ، وكلال الفهم " [٢] .

ويستفاد من هذا في عصرنا الحاضر أن الداعية ينبغي أن يدون الأشياء التي يريد الاستفادة منها ، أو الإفادة بها ، حتى يسهل عليه ترتيب أفكار الكلمة ، التي يريد إلقاءها ، لأن الفائدة تكون أكثر إذا كانت الأفكار متناسقة ، وأدّيت أداء متناسبا مع مستويات المدعوّين ، علميا وبيئيا . والله أعلم .

(١) هو : محمود بن أحمد بن القاضي شرف الدين ، موسى بن أحمد بن حسين بن يوسف بن محمود العينتابي الأصل والمولد والمنشأ المصري الدار والوفاة الحنفي المعروف بالعيني ، صاحب عمدة القارئ ، وله مؤلفات أخرى ولد سنة ٧٦٢ ، وتوفى ٨٥٥ ، انظر : شذرات الذهب ، جـ ٧ ، ص ٢٨٦ ، والأعلام ، جـ ٧ ، ص ١٦٣ .

(٢) عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري ، جـ ٢ ، ص ١٦٧ .

المبحث الثالث

الأخـــلاق

وفيه تمهيد ومطلبان

التمهيد بتعريف الأخلاق وبيان مكانتها في الإسلام .

المطلب الأول : الأخلاق الحسنة .

المطلب الثاني : الأخلاق السيئة .

المبحث الثالث

الأخـــلاق

تمهيد بتعريف الأخلاق ، وبيان مكانتها في الاسلام :

أ – تعريف الخلق لغة واصطلاحا :

١ – الخلق لغة : بضم الخاء وسكون اللام ، وبضمهما معا السجية والطبع والمروءة والدين [١] .

٢ – واصطلاحا : يعرفه العلماء بأنه " عبارة عن هيئة في النفس راسخة ، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ، من غير حاجة إلى فكر وروية " [٢] .

وقيل " حقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنة وقبيحة ، والثواب والعقاب مما يتعلقان بأوصاف الصورة الباطنة ، أكثر مما يتعلقان بأوصاف الصورة الظاهرة " [٣] .

وقال الدكتور عبدالكريم زيدان : هي : " مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس ، وفي ضوئها وميزانها ، يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح ، ، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه " [٤] .

وفي ضوء هذه التعريفات يتضح لنا أن الخلق كامن في النفس ، وهو للأفعال والسلوكيات الظاهرة كالمرءاة العاكسة لما يقابلها من الصور ، أو بمثابة العيار الذي تميز به المعادن الثمينة من غيرها ، ولا تسمى الأفعال أخلاقا إذا كانت متكلفة ، أو ناشئة بسبب خارجي كالضغط الاجتماعي ، أو

---

(١) انظر : القاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ٢٢٩ ، مادة خلق ، والنهاية في غريب الحديث ، جـ ٢ ، ص ٧٠ .

(٢) إحياء علوم الدين للغزالي ، جـ ٣ ، ص ٨٦ .

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ٢ ، ص ٧٠ .

(٤) أصول الدعوة ، ص ٧٩ .

الاقتصادي ، لأن هذا النوع من الأفعال لا بد له من فكر ورويـة ، ولا يعكس الصورة الحقيقية للنفس .

وفي نظري أن المركز الأساسي للأخلاق هو القلب ، لأن التحركات الإرادية ، والتصرفات الجسدية ، جميعها تبع لإرادته .

ولذا قال رسول الله ﷺ : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " (١) .

ب – مكانة الخلق في الإسلام :

قد أعطى الإسلام الأخلاق مكانة عظيمة ، واشتملت النصوص القرآنية والنبوية على الكثير من المعاني والدلالات المتعلقة بالأخلاق . أذكر فيما يلي نماذج منها تدل على أهمية الخلق :

١ – أثنى الله على رسوله ﷺ ثناء عظيما فقال في حقه ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ (٢) .

ونقل في تفسير الخلق في هذه الآية أنه الدين أو الأدب (٣) .

٢ – لما سئلت عائشة – رضي الله عنها – عن خلق رسول الله ﷺ قالت : " للسائل ألست تقرأ القرآن ؟ قال : بلى ، قالت : " فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن " (٤) .

وهذا البيان البليغ من أم المؤمنين – رضي الله عنها – يدل على أمرين هامين :

الأول : أن القرآن اشتمل على أصول مكارم الأخلاق وفروعها ، بحيث لم يترك منها حسنا إلا أمر به وحض عليه ، وأثنى على أهله ، ولا سيئا إلا حذر منه ، ونهى عنه ، وبين سوء عاقبة أصحابه .

الثاني : أن الرسول ﷺ بلغ الغاية والنهاية في حسن الخلق وجماله

---

(١) رواه البخاري ، كتاب الإيمان ، باب فضل من استبرأ لدينه ، جـ ١ ، ص ٢٣ ، حـ ٥٢ .
وصحيح مسلم كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات ، جـ ٣ ، ص ١٢١٩ – ١٢٢٠ ، حـ١٥٩٩ .

(٢) سورة القلم ، الآية (٤) .

(٣) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٥١٣ .

(٤) صحيح مسلم ، ، كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، جـ ١ ، ص ٥١٣ ، حـ ٧٤٦ .

وكماله ... ولذا قال الله فيه ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ [١] .

٣ – خير أهل الإيمان ، وأكملهم إيمانا أحسنهم خلقا قال رسول الله ﷺ : " إن من خياركم أحسنكم أخلاقا " [٢] .

وقال ﷺ " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا " [٣] .

٤ – حسن الخلق أثقل شيء في ميزان المؤمن فقد قال رسول الله ﷺ : " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق " [٤] .

٥ – حسن الخلق من أكثر ما يدخل الناس الجنة ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال " تقوى الله وحسن الخلق " [٥] .

وبعد تبيين معنى الخلق ومكانته أتناول – إن شاء الله – المسائل الخلقية التي اشتملت عليها خطب النبي ﷺ، سواء كانت أخلاقا حسنة مأمورا بها ، أو سيئة منهيا عنها ، وذلك في مطلبين على النحو التالي :

---

(١) سورة الأحزاب الآية (٢١) .

(٢) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب صفة النبي ﷺ ، جـ ٤ ، ص ٥٢٧ ، حـ ٣٥٥٩ وصحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب كثرة حيائه ﷺ ، جـ ٤ ، ص ١٨١٠ ، حـ ٢٣٢١ .

(٣) سبق تخريجه ص ٦٢ .

(٤) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، جـ ٤ ، ص : ٣٦٢ ، حـ ٢٠٠٢ وقال حسن صحيح .

(٥) الجامع الصحيح – سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في حسن الخلق ، جـ ٤ ، ص ٣٦٣ حـ ٢٠٠٤ ، وقال حسن صحيح .

المطلب الأول

الأخلاق الحسنة

اشتملت خطبه ﷺ على بيان أسس الأخلاق وأمهاتها ؛ لأنه ﷺ أعطي جوامع الكلم – كما سبق بيان ذلك في سمات الخطب [١] .

وفيما يلي : أذكر أمثلة دالة على ذلك :

أ – معاملة الإنسان غيره بما يحب أن يُعامَل به ، يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبه :

" فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه " [٢] .

قال النووي – رحمه الله – معلقا على هذا اللفظ " هذا من جوامع كلمه ﷺ ، وبديع حكمه ، وهذه قاعدة مهمة ، فينبغي الاعتناء بها ، وأن الإنسان يلزم أن لا يفعل مع الناس ، إلا ما يحب أن يفعلوه معه " [٣] .

وقال القرطبي في المفهم : " أي يجيء إلى الناس بحقوقهم من النصح ، والنية الحسنة ، بمثل الذي يحب أن يجاء إليه به ، – قال – وهذا مثل قوله ﷺ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه " [٤] .

والناس هنا الأئمة والأمراء ، فيجب عليه لهم السمع والطاعة ، والنصرة والنصيحة مثل ما لو كان هو الأمير " [٥] . هكذا قال – رحمه الله – والذي يظهر من دلالة النص العموم لجميع الناس ، فيحمل عليه حتى يرد مخصص ، ويظهر من كلام النووي حمله عليه والله أعلم .

وإذا تأملنا هذا اللفظ الجامع لاحظنا اشتماله على أساس يبنى عليه الكثير من الأخلاق الفاضلة بحيث إذا عمل المؤمن بمقتضى هذا الأمر ، واستجاب لهذا التوجيه ، كان من أحسن الناس خلقا ، لأنه يعامل الناس بما يحب أن

---

(١) تقدم في ص ١٠٣ .
(٢) تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٩ .
(٣) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٢ ، ص ٢٣٣ .
(٤) تقدم تخريجه في ص ٢٥ .
(٥) المفهم ، جـ ٤ ، ص ٥٢ .

يعاملوه به ، فإذا كان يحب أن يتلقاه الناس بالقول اللين والبشر وطلاقة الوجه فليعود نفسه على معاملتهم بذلك ، قال الله تعالى : ﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾ (١) ، وقال رسول الله ﷺ : " لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق " (٢) .

وسيبذل للناس ما تيسر من المعروف ؛ لأنه يفرح إذا واساه إخوانه ؛ ولذلك لن يبخل بما في يده ، ولن ينال الناسَ منه أذى ، لأنه لا يحب أن يؤذيَه أحدٌ ، وقد روى الترمذي أن عبدالله بن المبارك (٣) – رحمه الله – فسَّر حسن الخلق فقال : " هو بسط الوجه ، وبذل المعروف ، وكف الأذى " (٤) .

ب – الرحمة ورقة القلب لذوي القرابة والإسلام :

يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة " وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رَحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم " (٥) .

وقد امتدح الله محمدا ﷺ وأصحابه – ﷺ – بالشدة على الكفار والتراحم بينهم فقال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٦) .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾ (٧) .

---

(١) سورة البقرة الآية ، جزء من الآية (٨٣) .
(٢) تقدم تخريجه في ص ٥٩ .
(٣) هو : عبدالله بن المبارك بن واضح ، الإمام الزاهد ، عالم زمانه ، أبو عبدالرحمن الحنظلي مولاهم ، الحافظ المجاهد ، ولد سنة ١١٨ ، ورحل في طلب العلم وهو في شبابه سمع من الكثيرين ، فممن أخذ عنه سليمان التيمي ، وعاصم الأحول ، وحميد الطويل وغيرهم ، وعنه معمر ، والثوري ، وأبو إسحاق الفزاري ، وأبو داود ، وعبدالرزاق بن همام اجتمعت فيه خصال قل أن تجتمع في غيره – العلم والزهد ، والشجاعة ، والبذل ، والإخلاص ، والورع ، والنصح لأهل الإسلام – رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ٨ ، ص ٣٧٨ – ٤٢١ وتذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ – ٢٧٩ ، وصفة الصفوة ، جـ ٤ ، ص ١٣٤ – ١٤٧ .
(٤) الجامع الصحيح = سنن الترمذي ، جـ ٤ ، ص ٣٦٣ ، حـ ٢٠٠٥ .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٦) سورة الفتح جزء من الآية (٢٩) .
(٧) سورة المائدة ، جزء من الآية (٥٤) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى ﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ " هذه صفات المؤمنين الكمل أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه ، متعززا على خصمه وعدوه " (١) .

وفي معنى الرحمة خفض الجناح وقد أمر الله نبيه ﷺ بخفض الجناح للمؤمنين ، قال تعالى ﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ (٢) .

ووصفه الله بأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فقال تعالى : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (٣) .

يقول سيد قطب – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى : ﴿ أذلة على المؤمنين ﴾ " وهي صفة مأخوذة من الطواعية واليسر والليين ... فالمؤمن ذلول للمؤمن ... غير عصي عليه ولا صعب ... هين لين ... ميسر مستجيب ... سمح ودود ... وهذه هي الذلة للمؤمنين ، وما في الذلة للمؤمنين من مذلة ولا مهانة ، إنما هي الأخوة ، ترفع الحواجز ، وتزيل التكلف ، وتخلط النفس ، فلا يبقى فيها ما يستعصي وما يحتجز دون الآخرين .

إن حساسية الفرد بذاته متحوصلة متميزة هي التي تجعله شموسًا عصيا على أخيه ، فأما حين يخلط نفسه بنفوس العصبة المؤمنة معه ، فلن يجد فيها ما يمنعه وما يستعصى به ، وماذا يبقى له في نفسه دونهم ، وقد اجتمعوا في الله إخوانا يحبهم ويحبونه ، ويشيع هذا الحب العلوي بينهم ويتقاسمونه " (٤) .

والرحمة محلها وأهلها هم ذوو القرابة والإسلام " لكل ذي قربى ومسلم " (٥) .

وأحق الناس بها الوالدان . قال الله تعالى فيهما : ﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إما يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ، واخفض لهما جناح الذل من

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٩٨ .
(٢) سورة الشعراء ، الآية (٢١٥) .
(٣) سورة التوبة ، الآية (١٢٢) .
(٤) في ظلال القرآن ، جـ ٢ ، ص ٩١٩ .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .

الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ﴾ [١] .

فقد أمر الله في هاتين الآيتين بالإحسان إليهما قولا وفعلا ، والتواضع لهما ، والدعاء لهما في حياتهما ، وبعد وفاتهما بالرحمة من الله تعالى [٢] .

وحث رسول الله ﷺ على بر الوالدين فمن ذلك قوله : في جواب من سأله عن أحب الأعمال إلى الله ؟ " الصلاة على وقتها " قلت : ثم أي ؟ قال " بر الوالدين " قلت ثم أي : ؟ قال " الجهاد في سبيل الله " [٣] .

وقال ﷺ : " لا يجزي ولد والدًا إلا أن يجده مملوكا ، فيشتريه فيعتقه " [٤] .

وأمر الله بصلة ذوي الأرحام والقرابة بعد الوالدين . قال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ [٥] .

وأمر رسول الله ﷺ بالإحسان إلى الزوجات ومعاشرتهن بالمعروف [٦] – كما أمر الله بذلك – [٧] .

وقد فصلت القول في ذلك في التمهيد [٨] ، وأشرت إليه أيضا في المبحث السابق [٩] .

وشبه رسول الله ﷺ المؤمنين في توادهم وتراحمهم بالجسد فقال ﷺ : " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل الجسد ، إذا اشتكى منه

---

(١) سورة الإسراء ، الآيتان (٢٣ – ٢٤) .
(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٥٠ .
وفتح القدير ، جـ ٣ ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب البر والصلة جـ ٧ ، ص ٩١ ، حـ ٥٩٧٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب كون الإيمان أفضل الأعمال ، جـ ١ ، ص ٨٨ ، حـ ٨٥ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب العتق ، باب فضل عتق الوالد جـ ٢ ، ص ١١٤٨ ، حـ ١٥١٠ .
(٥) سورة النساء ، (٣٦) .
(٦) من ذلك قوله ﷺ في خطبة الوداع " فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله " .
(٧) في قوله تعالى ﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ ، سورة النساء ، جزء من الآية (١٩) .
(٨) ص ٦٢ .
(٩) ص ٢١٦ – ٢١٧ .

عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى " [١] .

وليست الرحمة ضعفا ولا خنوعا ؛ لأن الرسول ﷺ لم يوجه أهل الإسلام إلى التخلق بالضعف فقد قال ﷺ " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " [٢] ، وعَدَّ من أهل النار " الضعيف الذي لا زَبْر له " [٣] .

يقول الدكتور الشرباصي : " وليست الرحمة خلق ضعف كما يزعم بعض الزاعمين ؛ لأن الرحمة الأصيلة ، هي التي تنبعث عن قدرة ذاتية تستطيع أن تكون حازمة وصارمة ، ولكنها تقدر الظروف ، وتشعر بالمشاركة الوجدانية فتتنازل عن بعض حقها عن طيب خاطر ، وترفق بمن يستحق الترفق واللين ، فهي في الواقع قوتان لا قوة واحدة ، قوة الإقتدار ، ثم قوة التحكم في النفس لحملها على أن ترحم ، وقد كانت قادرة على أن تقسو وتعنف " [٤] .

وهذا الذي ذكره الشرباصي واضح لأن رحمة العاجز لا تسمى رحمة ، ولا يحتاج الناس إليها ، كما أن العفو لا يحتاج إليه إلا ممن هو قادر على الانتقام ، وكلما ازدادت القوة ، ازداد جمال العفو ، وحسنه .

جـ = العفة – وهي في اللغة الكف عما لا يحل ، وما لا يجمل [٥] ، وعرفها الأصفهاني [٦] بأنها " حصول حالة للنفس تمتنع بها عن غلبة الشهوة عليها " [٧] .

وقد نوّه رسول الله ﷺ بها ، وبين أنها من أوصاف أهل الجنة فقال " وأهل الجنة ثلاثة ... وعفيف متعفف ذو عيال " [٨] .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم ، جـ ٤ ، ص ١٩٩٩ ، ٢٠٠٠ حـ٢٥٨٦ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز ، جـ ٤ ، ص ٢٠٥٢ ، حـ ٢٦٦٤ .

(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .

(٤) أخلاق القرآن ، جـ ١ ، ص ١٢٣ .

(٥) القاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ١٧٦ – ١٧٧ ، مادة عف .

(٦) هو الحسين بن محمد بن المفضل ، أبو القاسم الأصفهاني ، المعروف بالراغب ، عالم أديب سكن بغداد من مؤلفاته " محاضرات الأدباء " و " الذريعة إلى مكارم الشريعة " و " المفردات في غريب القرآن " توفي سنة ٥٠٢ ، انظر : الأعلام ، جـ٢ ، ص٢٥٥ ، ومعجم المؤلفين ، جـ١ ، ص٦٤٢ .

(٧) المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٣٩ .

(٨) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .

وامتدح الله فقراء أصحاب محمد ﷺ فقال : ﴿ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ (١) .

وعندما نتأمل التعريفين اللغوي والاصطلاحي ، نجد أن العفة تشمل عدم الطمع فيما عند الناس ، كما تدل عليه هذه الآية ، وهذا أصل عظيم وسبب يؤدي إلى محبة المتخلق به من جميع الناس . يدل على ذلك قوله ﷺ جوابا لمن سأله أن يدله على ما يحببه إلى الله ؟! ويحببه إلى الناس ؟! " ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " (٢) .

وتشمل حفظ الجوارح كلها عن المحرمات والقبائح ؛ لأنها كف عما لا يحل ، وانتصار وتغلب على الشهوات فتشمل غض البصر وحفظ الفرج ، وكف اللسان عن جميع المحارم المتعلقة به مثل الغيبة ، والنميمة والسب ، والتعيير ، والكذب على الله ، أو على رسول الله ﷺ ، وحفظ البطن عن أكل الحرام ، وحفظ اليد من سفك الدم الحرام ، وأخذ المال الحرام والاعتداء على المسلمين بضرب أو أذى ولو بإشارة وحفظ الرجل عن المشي بها إلى ما حرم الله إلى غير ذلك . قال الله تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾ (٣) .

وقال تعالى في تعداد صفات المؤمنين المفلحين ﴿ والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ماملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون ﴾ (٤) .

وقال رسول الله ﷺ لمعاذ – رضي الله عنه – بعد أن بين له أركان الإسلام وأبواب الخير – " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ " – قال معاذ – قلت بلى يا رسول الله ، فأخذ بلسانه ، قال : " كف عليك هذا " قلت يا نبي الله ، وإنا

---

(١) سورة البقرة ، جزء من الآية (٢٧٣) .
(٢) سنن ابن ماجة ، كتاب الزهد ، باب الزهد في الدنيا ، جـ ٢ ، ص ١٣٧٤ ، حـ ٤١٠٢ والحاكم جـ ٤ ، ص ٣٤٨ ، حـ ٧٨٧٣ وصححه ولم يوافقه الذهبي من أجل خالد القرشي ؛ لأنه متهم بالوضع وحسّن النووي إسناده . رياض الصالحين ، ص ١٨٧ ، حـ ٤٧٢ .
(٣) سورة النور الآية (٣٠) .
(٤) سورة المؤمنون ، الآيات (٥ – إلى ٧) .

لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : " ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم " [١] .

قال ابن رجب – رحمه الله – " وظاهر حديث معاذ يدل على أن أكثر ما يدخل به الناس النار النطق بألسنتهم ، فإن معصية النطق يدخل فيها الشرك وهو أعظم الذنوب عند الله عز وجل ، ويدخل فيها القول على الله بغير علم ، وهو قرين الشرك ، ويدخل فيها شهادة الزور التي عدلت الإشراك بالله عز وجل ، ويدخل فيها السحر والقذف ، وغير ذلك من الكبائر والصغائر ، كالكذب والغيبة والنميمة ، وسائر المعاصي الفعلية لا يخلو غالبا من قول يقترن بها يكون معينا عليها " [٢] ، وحرم الله أكل الربا وأعلن الحرب على أكلته ، ومن يتمادى على التعامل به [٣] ، وحرم أكل أموال اليتامى [٤] ، وقال ﷺ : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " [٥] .

وحديث المفلس [٦] من أعظم الزواجر عن الاعتداء على أعراض الناس ، وأموالهم ، وأبدانهم .

وقال ﷺ : " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه " [٧] .

وقال ﷺ في حجة الوداع : " إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا " [٨] .

---

(١) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، جـ٥ ، ص ١٢ حـ ٢٦١٦ ، وقال حسن صحيح ورواه ابن ماجة ، كتاب الفتن ، باب كف اللسان في الفتن جـ ٢ ، ص ١٣١٤ ، حـ ٣٩٧٣ .

(٢) جامع العلوم والحكم ، جـ ٢ ص ١٤٧ .

(٣) قال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ سورة آل عمران (١٣٠) ، وقال : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين ﴾ البقرة (٢٢٨) " .

(٤) قال تعالى ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ سورة النساء الآية (١٠) .

(٥) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، جـ ١ ، ص ١٠ ، حـ ١٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل أهل الإسلام ، جـ ١ ، ص ٦٥ ، حـ ٤١ .

(٦) انظر : صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، جـ ٤ ، ص ١٩٩٧ ، حـ ٢٥٨١ .

(٧) تقدم تخريجه في ص ٦١ .

(٨) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ٧٨ .

وقد سبق بيان حرمتها بتفصيل أكثر في المبحث السابق .

وهذه النصوص تدل على أهمية خلق العفة ، وشموله لمجالات كثيرة ، وسلامة من اتصف به من كثير من الأخلاق السيئة لأن العفيف لا يكون طامعا فيما عند غيره ، ولا يكون طعّانا ولا لعّانا ، ولا ظالما ولا متعديا على غيره ، نسأل الله أن يرزقنا العفة ويجعلنا من أهلها إنه ولي ذلك والقادر عليه .

د = التواضع من الأخلاق الحسنة التي أمر الله بها .

يدل على ذلك قوله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل " وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغى أحد على أحد " [١] .

وقال الله تعالى في وصف عباده الذين يجزون الغرفة : ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾ [٢] .

وقال تعالى مبينا وصية لقمان لابنه ﴿ ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ [٣] .

وقال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ ﴿ ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ﴾ [٤] .

وهذه الآيات فيها مدح وثناء على المتواضعين المتطامنين ، وتقبيح وتهجين للمتكبرين المتطاولين المصعرين خدودهم كبرا وتجبرا واستعلاء على الناس .

يقول ابن جرير في تفسير الآية الأخيرة " يقول تعالى ذكره : ولا تمش في الأرض مختالا مستكبرا ﴿ إنك لن تخرق الأرض ﴾ يقول إنك لن تقطع الأرض باختيالك ... ﴿ ولن تبلغ الجبال طولا ﴾ بفخرك وكبرك ، وإنما هذا نهي من الله عباده عن الكبر والفخر والخيلاء ...) [٥] .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٢) سورة الفرقان ، جزء من الآية (٦٣) .
(٣) سورة لقمان ، الآيتان (١٨ - ١٩) .
(٤) سورة الاسراء الآيتان (٣٧ - ٣٨) .
(٥) جامع البيان ، مرجع سابق ، جـ ١٥ ، ص ٨٨ ، مجلد ٩ .

وقد وردت أحاديث في مدح التواضع وأهله ، وأخرى في ذم الكبر وأهله .

فعن أبي هريرة – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال : " ما نقصت صدقة من مال ، وما زاد الله عبدا بعفوإلا عزا ، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله " (١) .

وقد كان رسول الله ﷺ في سيرته متواضعا فكان يسلم على الصبيان (٢)، ويمازحهم (٣) ، وكانت الأمة من إماء أهل المدينة تأخذ بيده فتنطلق به لحاجتها حيث شاءت (٤) ، وكان يخدم أهله في بيته (٥) ﷺ .

وفي ذم الكبر قال ﷺ " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " (٦) .

وبين ﷺ أن الله تعالى قد يعجِّل عقوبة المتكبر في الدنيا ، وعذاب الآخرة أشد .

فعن أبي هريرة – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال : " بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه ، مرجِّل رأسه يختال في مشيته ، إذ خسف الله به فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة " (٧) .

وليس التواضع في ترك التزين باللباس ، والاستفادة من نعم الله على عباده من المراكب الجميلة والمطاعم اللذيذة ، بل هو معرفة الإنسان ضعفه

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب استحباب العفو والتواضع ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠١ ، حـ ٢٥٨٨ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الاستئذان ، باب التسليم على الصبيان ، جـ ٧ ، ص ١٦٩ – ١٧٠ ، حـ ٦٢٤٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب استحباب السلام على الصبيان ، جـ ٤ ، ص ٢٧٠٨ حـ ٢١٦٨ / ١٥ ، حديث الباب .

(٣) من حديث أنس – ﷺ – قال : إن كان رسول الله ﷺ يخالطناحتى إن كان ليقول لأخ لي صغير " يا أبا عمير ما فعل النغير " سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في المزاح ، جـ ٤ ، ص ٣٥٧ ، حـ ١٩٨٩ ، وقال حديث حسن صحيح .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب الكبر ، جـ ٧ ، ص ١١٨ ، حـ ٦٠٧٢ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب كيف يكون الرجل في أهله ، جـ ٧ ، ص ١٠٩ ، حـ ٦٠٣٩ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، حـ ٩١ .

(٧) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب من جر ثوبه من الخيلاء ، جـ ٦ ، ص ٤٥ ، حـ ٥٧٩٠ . وصحيح مسلم ، كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه ، جـ ٣ ، ص ١٦٥٣ – ١٦٥٤ ، حـ ٢٠٨٨ .

أمام قوة الله العزيز ، وعجزه وقدرة الله عليه ، وأن النعم التي وهبه الله من علم ، أو جمال ، أو حسب ، أو جاه ، أو مال ليست باستحقاقه ، وإنما هي تفضل من الله عليه ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾ (١) .

والله الذي اختصه بهذه النعم قادر على أن يسلبه إياها ، ويهبها لمن تكبر هو عليهم ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ (٢) .

ولما بين رسول الله ﷺ أن قليل الكبر يمنع دخول الجنة فقال رجل مستفهما – إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنة ؟

قال ﷺ " إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس " (٣) .

وفي ضوء ما تقدم من النصوص يتضح لنا أن التواضع من أخلاق المؤمنين ، وسنن أفضل المرسلين ﷺ وأن المتخلقين به محبوبون عند الله وعند الناس ، وأن التكبر خلق الجبارين ، وهو وصف من أوصاف أهل النار ، والله تعالى مهلكهم ومذلهم في الدنيا ويوم الدين ، فالكبر رد الحق والامتناع عن قبوله ، وقد يكون صاحبه من الخالدين في عذاب الله ؛ إذا منعه الكبر من الإيمان به تعالى – كما وقع لفرعون وأبي جهل (٤) ، وقد يكون سببا في دخول النار من غير خلود فيها إذا كان صاحبه من أهل التوحيد لأن من مات على التوحيد لابد من دخوله الجنة " إما أوّلا وإما ثانيا بعد تعذيب أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرّين عليها " (٥) .

وأما قوله ﷺ : " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر "

فقد ذكر النووي عن القاضي عياض وغيره من المحققين " أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه ، وقيل هذا جزاؤه لو جازاه ، وقد يتكرم بأن لا يجازيه ..... وقيل لا يدخلها مع المتقين أول وهلة " (٦) .

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية (٥٣) .
(٢) سورة يس الآية (٨٢) .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه ، جـ ١ ، ص ٩٣ ، حـ ٩١ .
(٤) قال الله تعالى : ﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ... ﴾ ، سورة الأعراف جزء من الآية (١٤٦) .
(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ٩١ .
(٦) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، المرجع نفسه .

وأكثر الناس تواضعا أعلمهم بالله ، وأكثرهم شكرا لنعمه وشعورا بها وهم الأنبياء وأتباعهم ولذا يجب على الدعاة إلى الله أن يحذروا التعالي والتكبر على المدعوين حتى ولو كانوا عصاة لأن الله تعالى قد يغير حالهم من المعصية إلى الطاعة ، ومن الفسق إلى الإنابة والخشوع [١] . فالأعمال بخواتيمها [٢] ، كما يجب عليهم الاقتداء به ﷺ في تواضعه ، ولين جانبه وشفقته ورحمته ... ؛ ليألفهم الناس [٣] ، ويسمعوا منهم طواعية بلا إكراه - وإن كانوا محتسبين - [٤] ، لأن الاستجابة إن كانت طوعا وباقتناع ، استمر العمل بها ، وإلا فقد يعمل بذلك العمل الذي يؤمر به أمام من يدعوه إليه وإذا خلا بنفسه أو مع شياطينه رجع إلى ما كان عليه ، ولا يعني هذا أن التغيير الإلزامي قليل الفائدة ، بل لضيق مجاله ولاسيما في عصر الحريات المزعومة ينبغي للدعاة أن يحاولوا استجابة المدعوين عن طريق الحوار ، وإثارة العواطف ، والترغيب والترهيب .... ونحو ذلك ... والله أعلم .

هـ = القسط والعدل في الرعية :

يدل على ذلك قوله ﷺ : في خطبة : " وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق " [٥] ، والمقسط العادل .

وقال الله تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان ﴾ [٦] .

وقال تعالى ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ [٧] .

وقال رسول الله ﷺ : " إن المقسطين عند الله على منابر من نور الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا " [٨] .

---

(١) انظر : صحيح مسلم ، كتاب القدر ، باب تصريف الله القلوب كيف شاء ، جـ ٤ ، ص ٢٠٤٥ ، حـ ٢٦٥٤ ، وشبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي - ص ٣٢ ، ٣٣ .

(٢) انظر صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب الأعمال بالخواتيم ، جـ ٧ ، ٢٤٠ ، حـ ٦٤٩٣ .

(٣) قال تعالى ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ... ﴾ آل عمران ، جزء من الآية (١٥٩) .

(٤) أعني معيّنين من طرف الحاكم ولهم سلطة .

(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧١ .

(٦) سورة النحل ، جزء من الآية (٩٠) .

(٧) الحجرات ، جزء من الآية (٩) .

(٨) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضل الإمام العادل وعقوبة الجائر ، والحث على الرفق بالرعية ، جـ ٣ ، ص ١٤٥٨ ، حـ ١٨٢٧ .

وبين ﷺ أن الإمام العادل أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله [١] .

ومجالات العدل كثيرة لأن ذا السلطان غير مقصور على صاحب الولاية العامة ، وإن كان من أولى الناس باكتساب هذا الخلق والمحافظة عليه ، وأعظمهم أجرا ، إن اكتسبه ، وأثقلهم وزرا إن اتصف بضده ؛ يدل على أن العدل غير مقصور على الولاية العامة ، قوله ﷺ : " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : الإمام راع ومسؤول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته ، وكلكم راع ومسؤول عن رعيته " [٢] .

أما الأئمة فقد أمرهم بالعدل ، ورغبهم فيه ، ونهاهم عن الجور والغش ، وحذرهم سوء عاقبة ذلك . قال تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا ﴾ [٣] .

وقال ﷺ " مامن عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرّم الله عليه الجنة " [٤] .

وفي رواية لمسلم " ما من أمير يلي أمر المسلمين ، ثم لا يجهد لهم ، وينصح لهم ، إلا لم يدخل معهم الجنة " [٥] .

وروى أنه قال ﷺ : " من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين ، فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة " [٦] .

---

(١) تقدم تخريجه في ص ٥٦ .
(٢) تقدم تخريجه في ص ٦٢
(٣) سورة النساء ، الآية (٥٨) .
(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب من استرعي رعية فلم ينصح ، جـ ٨ ، ص ٤٤٧ ، حـ ٧١٥٠ .
وصحيح مسلم كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل ، جـ ٣ ، ص ١٤٦٠ ، حـ ١٨٢٩ .
(٥) صحيح مسلم ، نفس الإحالة ، (حديث الباب) (٢٢) .
(٦) سنن أبي داود ، كتاب الخراج والإمارة والفيء ، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية ، جـ ٣ ، ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، حـ ٢٩٤٨ . وسنن الترمذي ، كتاب الأحكام ، باب فيما جاء في إمام الرعية ، جـ ٣ ، ص ٦١٠ - ٦١١ ، حـ ١٣٣٢ واللفظ لأبي داود .

وتقدم أن الإمام العادل أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله ، وأن المقسطين على منابر من نور عند الله تعالى .

أما الرجل في بيته فقد أمر الله بالعدل بين الزوجات ، قال تعالى : ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ (١) .

قال ابن كثير – رحمه الله – معلقا على هذه الآية " أي فإن خشيتم من تعداد النساء ألا تعدلوا بينهن كما قال تعالى : ﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾ (٢) . فمن خاف من ذلك فليقتصر على واحدة أو على الجواري السراري فإنه لا يجب قسم بينهن ولكن يستحب ، فمن فعل فحسن ، ومن لا فلا حرج " (٣) .

وقال ﷺ : " من كان له امرأتان يميل لأحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة أحد شقيه ساقط " (٤) .

وأوصى ﷺ بالنساء – كما سبق – في خطبة الوداع حيث قال " فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله " (٥) .

وقال ﷺ : " استوصوا بالنساء فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج " (٦) .

وأمر رسول الله ﷺ بالعدل بين الأولاد ، فعن النعمان بن بشير –رضي الله عنهما– " أن أباه أتى به إلى الرسول ﷺ فقال :إني نحلت ابني هذا غلاما . فقال أكل ولدك نحلت مثله ؟ قال : لا . قال : فارجعه " .

وفي رواية أن رسول الله ﷺ قال له : " أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية (٣) .
(٢) سورة النساء ، جزء من الآية (١٢٩) .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٥٨٨ .
(٤) تقدم تخريجه ، انظر : هامش ص ٨٠ – الهامش (٥) .
(٥) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧٨ .
(٦) تقدم تخريجه ، ص ٨٠ ، هامش (١) .

قال : لا . قال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال فرجع فرد عطيته " (١) .

وممن هم تحت ولاية الرجل - غالبا - المماليك ، وقد أمر الله تعالى بالإحسان إليهم حيث عطفهم على الوالدين ، وذوي القربى .. ﴿ ... وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ (٢) .

وقال ﷺ فيهم : " إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم " (٣) .

وفي ضوء ما تقدم يتبين أن العدل مأمور به من الله ورسوله ﷺ ، وأنه لا يختصّ بصاحب الولاية العامة ، لتعدّد المسؤوليات وتفاوتها ، قال العلماء حتى إذا لم يكن للرجل بيت ولا خادم فإنه مسؤول عن حفظ جوارحه من المنهي واستعمالها في المأمور ، واستفيد ذلك من التعميم في آخر الحديث " ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " (٤) .

ونقل ابن حجر عن الخطابي أنه قال : " اشتركوا أي الإمام والرجل ومن ذكر في التسمية أي في الوصف بالراعي ومعانيهم مختلفة ، فرعاية الإمام الأعظم حياطة الشريعة بإقامة الحدود والعدل في الحكم ، ورعاية الرجل أهله سياسته لأمرهم وإيصالهم حقوقهم ، ورعاية المرأة تدبير أمر البيت والأولاد والخدم ، والنصيحة للزوج في كل ذلك ، ورعاية الخادم حفظ ما تحت يده والقيام بما يجب عليه من خدمته " (٥) .

ويؤكد هذا الكلام ما ذكرته من تعدّد المسؤوليات وتفاوتها نسأله تعالى أن يعيننا على رعاية ما استرعانا ، وشكر جميع نعمه علينا ، فانه لا حول ولا قوة إلا به سبحانه .

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الهبة وفضلها ، باب الإشهاد في الهبة ، جـ ٣ ، ص ١٨٧ ، حـ ٢٥٨٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب الهبات ، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، جـ ٣ ، ص ١٢٤١ - ١٢٤٢ ، حـ١٦٢٣ .

(٢) سورة النساء ، جزء من الآية (٣٦) .

(٣) سبق تخريجه في ص ١٣٢ .

(٤) انظر : فتح الباري ، مرجع سابق ، جـ ١٣ ، ص ١٢١ .

(٥) انظر : فتح الباري ، مرجع سابق ، جـ ١٣ ، ص ١٢١ .

و = الاعتراف بالجميل :

يدل عليه قوله ﷺ : في الخطبة التي لمَّح فيها بقرب أجله حتى بكى أبوبكر " إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبابكر خليلا " (١) .

وقال أيضا في الخطبة التي أعلن فيها رفضه لزواج علي - ﷺ - بابنة أبي جهل عدو الله على فاطمة - رضي الله عنها - ثم أثنى على أبي العاص زوج زينب - ﷺ - فقال " حدثني فصدقني ووعدني فوفى لي " (٢) .

وقال أيضا في الخطبة التي حَاورَ فيها الأنصار وذكَّرهم بنعم الله عليهم حيث كانوا ضلالا فهداهم الله ... ومتفرقين فألف الله .. ثم قال في آخرها : " لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ... " (٣) ، جاء في الصحيحين مبهما ، وقد ذكر ابن حجر تفسيره من حديث أبي سعيد ولفظه : " قال أما والله لو شينتم لقلتم فصدَقتم وصدِقتُمْ : جئتنا مكذباً فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فواسيناك " (٤) .

والاعتراف بالجميل نوع من الشكر ، والشكر مطلوب فقد روى أبوهريرة - ﷺ - عن النبي ﷺ قال : " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " (٥) .

وعن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " (٦) .

قال الشيخ الخطابي - رحمه الله - هذا الكلام يتأول على وجهين أحدهما أن من كان طبعه وعادته ، كفران نعمة الناس وترك الشكر لمعروفهم كان من عادته كفران نعمة الله ، وترك الشكر له سبحانه .

---

(١) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٦ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٨ .
(٤) من فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٦٤٧ ، ٦٤٨ .
(٥) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب شكر المعروف ، جـ ٥ ، ص ١٥٧ - ١٥٨ ، حـ ٤٨١١ ، وسنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك ، جـ ٤ ، ص ٣٣٩ ، حـ ١٩٥٤ ، وقال حسن صحيح .
(٦) سنن الترمذي المرجع نفسه ، حـ ١٩٥٥ ، وقال حسن صحيح .

والوجه الآخر أن الله سبحانه لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس ويكفر معروفهم لاتصال أحد الأمرين بالآخر " (١) .

وقال القرطبي في شرحه لقوله ﷺ : " إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر " (... لكن النبي ﷺ لكرم خلقه وجميل معاشرته اعترف بالفضل لمن صدر منه ، وشكر الصنيعة لمن وجدت منه ، عملا بشكر المنعم ليسن وليعلم " (٢) .

ز = الصدق في الحديث والوفاء بالعهد :

يدل على ذلك قوله ﷺ مثنيا على أبي العاص بن الربيع " حدثني فصدقني ، ووعدني فوفى لي " (٣) .

وهذان خلقان عظيمان جاء الأمر بهما ، والثناء على من اتصف بها ، والنهي عن ضدهما في نصوص كثيرة قرآنية ونبوية قال الله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا وكونوا مع الصادقين ﴾ (٤) .

وجاءت نسبة الصدق إلى الله تعالى في آيات عدة منها قوله تعالى ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا ﴾ (٥) .

وقال تعالى ﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾ (٦) وقال : ﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾ (٧) .

وجاءت نسبته أيضا إلى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم من ذلك قوله تعالى ﴿ قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ﴾ (٨) .

وقال الله تعالى حكاية لقول المؤمنين عند القيام من القبور ﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ (٩) .

---

(١) معالم السنن ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ .
(٢) المفهم ، جـ ٦ ، ص ٢٤١ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٦ .
(٤) سورة التوبة ، الآية (١٩) .
(٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية (٩٥) .
(٦) سورة النساء ، جزء من الآية (٨٧) .
(٧) سورة النساء ، جزء من الآية (١٢٢) .
(٨) سورة الأحزاب ، جزء من الآية (٢٢) .
(٩) سورة يس ، جزء من الآية (٥٢) .

وأثنى الله على بعض أنبيائه بالصدق ونوه بهم ، قال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ﴾ (٢) .

وقال ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ (٣) .

وعرف الرسول ﷺ قبل بعثته بالصادق الأمين ؛ ولذلك لما جاء إلى خديجة – رضي الله عنها – فزعا ، وقال لها : " لقد خشيت على نفسي " قالت " كلا والله لا يخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ... " (٤) .

وأمر رسول الله ﷺ بالصدق ونهى عن الكذب ، فلما سأل هرقل أبا سفيان قائلا " فماذا يأمركم ؟ . أجابه بقوله : يقول : " اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة " (٥) .

وبين رسول الله ﷺ أن الصدق يهدي إلى البر ، والكذب بخلافه قال ﷺ " إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " (٦) .

والصدق يكون في الأقوال والأعمال والأحوال " فالصدق في الأقوال : استواء اللسان على الأقوال ؛ كاستواء السنبلة على ساقها ، والصدق في الأعمال استواء الأفعال على الأمر والمتابعة كاستواء الرأس على الجسد والصدق في الأحوال : استواء أعمال القلب والجوارح على الاخلاص ،

---

(١) سورة مريم ، الآية (٥٤) .
(٢) سورة مريم ، الآية (٥٦) .
(٣) سورة مريم ، الآية (٤١) .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب التفسير – (سورة اقرأ) ، باب ١ ، حـ ٤٩٥٣ ، جـ ٦ ، ص ٤٠١ ، وسبق تخريجه بدون " تصدق الحديث " في ص ١٥ .
(٥) سبق تخريجه ص ٢٦ .
(٦) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب قول الله تعالى { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين } ، جـ ٦ ، ص ١٢٤ ، حـ ٦٠٩٤ ، وصحيح مسلم كتاب البر والصلة ، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ، جـ ٤ ، ص ٢٠١٢ – ٢٠١٣ ، حـ ٢٦٠٧ .

واستفراغ الوسع ، وبذل الطاقة . فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق . وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به : تكون صديقيته ؛ ولذلك كان لأبي بكر الصديق -رضي الله عنه- وأرضاه : ذروة سنام الصديقية ، سمي " الصديق " على الإطلاق و " الصديق" أبلغ من الصدوق ، والصدوق أبلغ من الصادق . فأعلى مراتب الصدق : مرتبة الصديقية ، وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمرسل " [١] .

ويتضح لنا مما تقدم أن مكانة الصدق عظيمة ، وأهميته بالغة ، وهو من الصفات المحمودة ، كما أن الكذب من الأخلاق الذميمة ، وسيأتي الكلام على الكذب ، وبيان قبحه وخطورته ، وأنه من علامات النفاق في المطلب الموالي - إن شاء الله تعالى - .

وأما الوفاء بالوعد فهو نوع من الصدق ؛ ولذا قال الله تعالى في الثناء على إسماعيل عليه الصلاة والسلام ﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ﴾ [٢] ، وقال الله تعالى في بيان أوصاف أهل البر ﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ [٣] ، وقال الله تعالى ﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ﴾ [٤] ، وقال تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ [٥] .

وقد بين رسول الله ﷺ أن إخلاف الوعد من علامات النفاق ، فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان " [٦] .

---

(١) تهذيب مدارج السالكين ، تأليف الإمام ابن القيم ، تهذيب عبدالمنعم صالح العلي العزي ، ص ٣٩٦ .
(٢) سورة مريم ، جزء من الآية (٥٤) .
(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية (١٧٧) .
(٤) سورة الرعد ، جزء من الآية (١٩ والآية ٢٠) بكاملها .
(٥) سورة النحل ، الآية (٩١) .
(٦) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، جـ ١ ، ص ١٧ ، حـ ٣٣ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، جـ ١ ، ص ٧٨ ، حـ ٥٩ .

يقول – سيد قطب – رحمه الله – معلقا على قوله تعالى ﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ﴾ [١] .

" والوفاء بعهد الله يشمل بيعة المسلمين للرسول ﷺ ، ويشمل كل عهد على معروف يأمر به الله ، والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس ، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ، ولا تقوم إنسانية ، والنص يخجل المتعاهدين أن ينقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلوا الله كفيلا عليهم ، وأشهدوه عهدهم ، وجعلوه كافلا للوفاء بها . ثم يهددهم تهديدا خفيا ﴿ إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ .

وقد تشدد الإسلام في مسألة الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبدا ، لأنها قاعدة الثقة التي ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم ... " [٢] .

والوفاء بالعهد وإن كان أخص من الصدق ، فهو شامل لأمور كثيرة ، فقد يكون العهد مع الله بالتزام ما أمر به ، واجتناب ما نهى عنه ، وقد يكون مع الناس في التزامات وعقود عامة أو خاصة ، وعلى كل حال فما ذكرته من نصوص يكفي للدلالة على أهميته ، وحاجة أهل الإيمان إلى الاتصاف به .

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية (٩١) .
(٢) في ظلال القرآن ، جـ ٤ ، ص ٢١٩١ .

المطلب الثاني

الأخلاق السيئة

قد سبق في المطلب الأول تعريف الأخلاق ، وبيان مكانتها في الإسلام وذكرت فيه نماذج للأخلاق الحسنة ، وفي هذا المطلب سأتعرض لنماذج من الأخلاق السيئة قد وردت الإشارة إليها في نصوص الخطب المدروسة وذلك في نقاط .

أ - كفران الإحسان :

بين ﷺ في خطبة له أنه رأى النار ، وأن أكثر أهلها النساء . فقالوا لم يارسول الله ؟ قال لكفرهن قيل أيكفرن بالله ؟ قال ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شينا ، قالت ما رأيت منك خيرا قط " [١] .

قال الزرقاني [٢] : قوله " ويكفرن العشير " أي الزوج أي إحسانه كذا ليحيى [٣] وحده بالواو ، ولم يزدها غيره والمحفوظ عن مالك من رواية سائر الرواة بلا واو قاله بن عبدالبر " [٤] .

وقال الحافظ ابن حجر : " واتفقوا على أن زيادة الواو غلط منه - يعني يحيى - قال - ، فإن كان المراد من تغليطه كونه خالف غيره من الرواة فهو كذلك ، وأطلق على الشذوذ غلطا ، وإن كان المراد من تغليطه فساد المعنى فليس كذلك ؛ لأن الجواب طابق السؤال وزاد ، وذلك أنه أطلق لفظ النساء فعم

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٨ .

(٢) هو : محمد بن عبدالباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني البصري ، الأزهري المالكي ، أبو عبدالله ، ولد بالقاهرة سنة ١٠٥٥ وتوفي سنة ١١٢٢ ، انظر : ترجمته في الأعلام ، جـ ٦ ، ص ١٨٤ ، ومعجم المؤلفين ، جـ ٣ ، ص ٣٨٣ .

(٣) هو : يحيى بن يحيى بن كثير بن وسلاس بن شملال بن منغايا ، الإمام الكبير ، فقيه الأندلس أبو محمد الليثي ، البربري ، القرطبي ، ولد سنة ١٥٢ ، سمع من شبطون ، ويحيى بن مضر ، وارتحل إلى المشرق ، في أواخر أيام الإمام مالك ، فسمع منه الموطأ غير يسير ، وسمع من الليث ابن سعد وابن عيينة ، ورجع إلى بلده فأفتى ، وأفاد من علمه ، انظر : سير أعلام النبلاء ،جـ ١٠ ، ص٥١٩ - ٥٢٥ ، ووفيات الأعيان ، جـ ٦ ، ص١٤٣ - ١٤٦ ، وشذرات الذهب ، جـ ٢ ، ص ٨٢ .

(٤) شرح الزرقاني جـ ١ ، ص ٣٧٨ .

المؤمنة منهن والكافرة فلما قيل " يكفرن بالله ؟ " فأجاب " ويكفرن العشير .. إلخ " وكأنه قال : نعم يقع منهن الكفر بالله وغيره ؛ لأن منهن من يكفر بالله ومنهن من يكفر الإحسان " (١) .

وكفر العشير بيّنه رسول الله ﷺ بقوله : " ويكفرن الإحسان " أي يجحدنه وتقول إحداهن عندما ترى شيئا لا يوافق غرضها من زوجها " ما رأيت منك خيراً قط " (٢) .

ويتضح لنا مما سبق أن الكفر في هذا الحديث قصد به المعنى اللغوي ، وهو الستر والتغطية لإحسان الزوج ، وهو خلق سيئ ، لكنه ليس الكفر الذي يخرج من الملة ، وقد سبق في مطلب الأخلاق الحسنة أن الاعتراف بالجميل من أخلاق النبي ﷺ ، وأن من لم يشكر إحسان المخلوقين ، لا يشكر إحسان الخالق ، قال ابن حجر – يستفاد منه " تحريم كفران الحقوق ، ووجوب شكر المنعم " (٣) .

وهذا هو الغالب عليهن ولا يلزم أن يكون شاملا لجميعهن فمنهن القانتات الوفيات . والله أعلم .

ب – الكذب وهو من أخلاق أهل النار :

يدل على ذلك قوله ﷺ : في تعداد أوصاف أهل النار " والبخل والكذب " .

والكذب خلق سيئ وذميم جاء النهي عنه والتحذير منه في نصوص قرآنية ونبوية أعرض لما تيسر منها فيما يلي – إن شاء الله – في نقاط :

١ – الكذب من أوصاف الكفار . قال تعالى : ﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون ﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾ (٥) .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٢ ، ص ٦٣٠ .
(٢) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٢ ، ص ٦٣١ .
(٣) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، المرجع نفسه .
(٤) سورة النحل ، الآية (١٠٥) .
(٥) سورة الزمر ، جزء من الآية (٣) .

وروى الإمام مالك في الموطأ عن صفوان بن سليم [١] ، أنه قيل لرسول الله ﷺ "أيكون المؤمن جبانا ؟ قال : " نعم " فقيل له : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : " نعم " فقيل : أيكون المؤمن كذابا ؟ قال : " لا " [٢] .

٢ – الكذب من علامات النفاق ، وخصلة من خصاله ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال : " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خان " [٣] .

وعن عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال : " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها ، إذا ائتمن خان ، وإذا حدث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر " [٤] .

٣ – الكذب يهدي إلى الفجور ، والفجور يهدي إلى النار ففي حديث عبدالله بن مسعود الذي سبق في فضل الصدق وفي آخره " وإن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا " [٥] .

وقال مالك في الموطأ بلغني أن عبدالله بن مسعود كان يقول " لا يزال العبد يكذب ، وتنكت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه كله فيكتب عند الله من الكاذبين " [٦] .

---

(١) هو : صفوان بن سليم أبو عبدالله ، أو أبو الحارث الزهري ، مولاهم المدني ، الفقيه يروي عن ابن عمر ، وجابر بن عبدالله ، وأنس ، وسعيد بن المسيب ، وعنه ابن جريج ، ومالك ، والسفيانان كان ثقة حجة من أعلام الهدى ، نقل عن أحمد أنه قال فيه : ثقة من خيار عباد الله ، توفي سنة ١٣٢ انظر تاريخ خليفة بن خياط ، ص٤٠٤ ، وسير أعلام النبلاء ، جـ٥ ، ص٣٦٤ – ٣٦٩ ، وتذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ٣٤ .

(٢) موطأ الإمام مالك بشرح الزرقاني ، جـ ٤ ، ص ٤١٠ ، وقال الزرقاني : " قال أبو عمر : لا أحفظه مسندا من وجه ثابت وهو حديث حسن مرسل " ، شرح الزرقاني لموطأ الإمام مالك ، جـ ٤ ، ص ٤١٠ .

(٣) سبق تخريجه في ص ٢٥٢ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري كتاب الإيمان ، باب علامة المنافق ، جـ ١ ، ص١٧ ، حـ ٣٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب بيان خصال المنافق ، جـ١ ، ص٧٨ ، حـ ٥٨ .

(٥) متفق عليه وتقدم تخريجه ، ص ٢٥١ .

(٦) موطأ الإمام مالك ، باب ما جاء في الصدق والكذب ، جـ ٤ ، ص ٤٠٩ ، حـ ١٩٢٧ ، وهو موقوف له حكم الرفع .

٤ – شدة عقوبة صاحب الكذب تدل على خطورته وقبحه ففي البخاري من حديث سمرة بن جندب [١] – ﷺ – قال كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه : " هل رأى أحد منكم رؤيا " فيقص عليه ما شاء أن يقص ، وإنه قال لنا ذات غداة : " إنه أتاني الليلة آتيان ، وإنهما قالا لي : انطلق ، وإني انطلقت معهما ، وإنا أتينا على رجل مضطجع ، وإذا آخر قائم عليه بصخرة ، وإذا هو يهوي بالصخرة لرأسه ، فيثلغ رأسه ، فيتدهده الحجر هاهنا فيتبع الحجر فيأخذه ، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان ، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل في المرة الأولى " قال : " قلت لهما سبحان الله ما هذان ؟ قالا لي : انطلق انطلق فانطلقنا حتى اتينا على رجل مستلق لقفاه ، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد ، وإذا هو يأتي أحد شقي وجهه ، فيشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول ، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانب كما كان ، ثم يعود عليه ، فيفعل مثل ما فعل في المرة الأولى " وفي آخر هذا الحديث – قالا له ... " أما إنا سنخبرك : " أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة ، وأما الرجل الذي أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه ، وعينه إلى قفاه ، فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق " [٢] .

وهذه الأدلة التي سقتها تدل بمجموعها على أن الكذب والإيمان لا يجتمعان ، فهو من خصائص المنافقين وصفاتهم ؛ حيث يتسترون به في الدنيا وتحقن دماؤهم ، ولكنهم في الآخرة يظهر كذبهم ويبطل خداعهم ومكرهم يدل

---

(١) هو : سمرة بن جندب بن هلال الفزاري ، من علماء الصحابة ، نزل البصرة ، له أحاديث عن النبي ﷺ ، حدث عنه ابنه سليمان ، وأبو قلابة الجرمي ، وعبدالله بن بريده ، وأبو رجاء ، والحسن ، وابن سيرين ، وفيما يرويه الحسن عن سمرة خلاف مشهور ، قيل كان زياد بن أبي سفيان يستعمله على البصرة إذا قدم الكوفة ، وعلى الكوفة إذا قدم البصرة ، توفي سنة ٥٩ ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٦ ، ص ٣٤ ، وأسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٣٥٤ – ٣٥٥ ، وسير أعلام النبلاء ، جـ ٣ ص ١٨٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التعبير ، باب تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح ، جـ ٨ ، ص ٤١٨ ، حـ ٧٠٤٧ .

على ذلك قوله تعالى : ﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ (١) .

جـ - الخيانة والمخادعة من أخلاق أهل النار :

يدل على ذلك قوله ﷺ في خطبة " وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا ، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه ، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك " (٢) .

والخيانة خلق ذميم ، وصفة يبغضها الله ورسوله ﷺ .

قال الله تعالى ﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ، واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما ، ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما ﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿ إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾ (٥) .

والخيانة من علامات النفاق . فقد قال ﷺ في الحديث الصحيح " آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان " (٦) . والخيانة ضدها الأمانة ، وقد أمر الله بأداء الأمانة قال تعالى ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾ (٧) .

ووصف بها رسله فقال في حق جبريل عليه السلام : ﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (٨) ، وقال : ﴿ إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين ﴾ (٩) .

---

(١) سورة المجادلة ، الآية (١٨) .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية (٥٨) .
(٤) سورة النساء من الآية (١٠٥ إلى ١٠٧) .
(٥) سورة الحج ، جزء من الآية (٣٨) .
(٦) تقدم تخريجه في ص ٢٥٢ .
(٧) سورة النساء ، جزء من الآية (٥٨) .
(٨) سورة الشعراء الآية (١٩٣) .
(٩) سورة التكوير ، الآيات (١٩ - ٢١) .

وعن نوح عليه الصلاة والسلام – وهو أول رسول إلى أهل الأرض– يقول تعالى مبينا حواره مع قومه : ﴿ إني لكم رسول أمين ﴾ (١) ، وكذلك هود وصالح ولوط وشعيب (٢) صلوات الله عليهم أجمعين .

وذكر الله تعالى أن من صفات أهل الفردوس رعي الأمانة ، قال تعالى ﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ، والذين هم على صلواتهم يحافظون ، أولئك هم الوارثون ، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ (٣) .

وأخبر رسول الله ﷺ أن الأمانة ستنزع من قلوب الرجال فعن حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين قد رأيت أحدهما ، وأنا أنتظر الآخر : حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ، ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : " ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل الوكت ، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه ، فيظل أثرها مثل المجل ، كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرا وليس فيه شيء " ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله " فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدي الأمانة حتى يقال : إن في بني فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل : ما أجلده ما أظرفه ، ما أعقله ! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان . ولقد أتى علي زمان وما أبالي أيكم بايعتم ؛ لئن كان مسلما ليردنه عليّ دينُه ، ولئن كان يهوديا أو نصرانيا ليردّنه علي ساعيه وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلانا " (٤) .

وهذا الحديث دال على أن الأمانة ترفع من هذه الأمة في آخر الزمان ، وإذا ارتفعت الأمانة خلفتها الخيانة لأنهما متضادان .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (١٠٧) .
(٢) سورة الشعراء ، الآيات (١٢٥ و ١٤٣ و ١٦٢ و ١٧٨) .
(٣) سورة المؤمنون من الآية (٨ إلى ١١) .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب رفع الأمانة ، جـ ٧ ، ص ٢٤١ – ٢٤٢ ، حـ ٦٤٩٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب ، جـ ١ ، ص ١٢٦ – ١٢٧ ، حـ ١٤٣ .

والأمانة من المعانى الشاملة حيث تشمل الأوامر بأسرها ، فالإيمان بالله ورسوله أساس الأمانة والمحافظة على الواجبات من أداء الأمانة ، وترك ما نهى الله عنه وحفظ الجوارح عن الحرام أمانة ، وأداء حقوق العباد أمانة ، وحفظ العهد والوفاء به أمانة ، وكل ما يخدش الأمانة ويخل بها فهو خيانة ، تعظم وتصغر بمقدار ذلك الاخلال والنقص ، والله تعالى أنعم على الانسان نعما كثيرة ، ووهبه مواهب جمة من أعظمها العقل الذي جعله الله مناط التكليف ، وبصلاحه يصلح سائر الجسد ، وشكر المنعم يقتضي أن تصرف هذه النعم حيث أمر مالكها ومعطيها ، وصرفها خلاف أمره خيانة ، ومن فضل الله عليك أيها الإنسان أنه لكرمه لم يكلفك فوق طاقتك ﴿ لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ﴾ (١) .

وعلى هذا الأساس فجميع " ما تحت يد الإنسان مما يستطيع التصرف فيه ودائع وعواري استأمنه عليها مالكها ، ألا وهو خالقها وبارئها ومصورها ، وممدها بالوجود والبقاء ، فعلى الإنسان أن يؤدي حقوق هذه الودائع والعواري وعليه أن يحفظها ، ويستعملها فيما أذن له به من استأمنه عليها " (٢) .

د = **البخل والشح من أخلاق أهل النار وأوصافهم** ، يدل على ذلك قوله ﷺ : " وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له - .. وذكر البخل والكذب " (٣) . والبخل من أسوأ الأخلاق ؛ لأن البخيل محجوب عن الخير ، ميسر للشر ، قال تعالى : ﴿ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغني عنه ماله إذا تردى ﴾ (٤) .

وقال رسول الله ﷺ " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم " (٥) . وجاءت نصوص دالة على أن الإنسان مجبول في طبعه على حب المال ، والحرص عليه فتور لا يرضى بالقليل ولا يشبعه الكثير ، ولكن

---

(١) سورة البقرة جزء من الآية (٢٨٦) .
(٢) الأخلاق الإسلامية وأسسها ، جـ ١ ، ص ٦٥٤ - ٦٥٥ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٤) سورة الليل (٨ - ١١) .
(٥) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظلم ، جـ ٤ ، ص ١٩٩٦ ، حـ ٢٥٧٨ .

الله تعالى يمن على بعض عباده فيقيهم شح أنفسهم ، ويجعل الكرم طبعا في حقهم ، والانفاق سجية لديهم . قال تعالى : ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

وفي بيان حب الإنسان للمال ، وحرصه عليه ، وعدم اكتفائه بالقليل منه قال الله تعالى ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ، وإنه على ذلك لشهيد ، وإنه لحب الخير لشديد ﴾ (٢) .

وقال الله تعالى ﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الانسان قتورا ﴾ (٣) .

وعن أنس بن مالك – ﷺ – أن رسول الله ﷺ قال : " لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان ، ولن يملأ فاه إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب " (٤) .

وقد بين الرسول ﷺ حال المنفق الذي عوَّد نفسه على بذل المعروف ، والتصدق في وجوه الخير ، والبخيل المحروم من فضل الإنفاق برجلين عليهما جُبَّتَان من حديد ، وذكر أن البخيل كلما أراد لبسها اجتمعت في عنقه ، ولم تجاوز ترقوته ، وأنّ المنفق إذا أراد الإنفاق استرسلت عليه حتى تستر جميع بدنه فعن أبي هريرة – ﷺ – أنه سمع رسول ﷺ يقول : " مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما إلى تراقيهما ، فأما المنفق فلا ينفق إلا سبغت – أو وفرت – على جلده حتى تخفي بنانه وتعفوا أثره . وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا ، إلا لزقت كل حلقة مكانها ، فهو يوسعها ولا تتسع " (٥) .

قال ابن حجر " والمراد أن الجواد إذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه فتوسعت في الإنفاق ، والبخيل إذا حدث نفسه بالصدقة شحت

---

(١) سورة التغابن ، الآية (١٦) .
(٢) سورة العاديات من الآية (٦ إلى ٨) .
(٣) سور الإسراء ، الآية (١٠٠) .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق باب ما يتقي من فتنة المال ، جـ ٧ ، ص ٢٢٥ ، حـ ٦٤٣٩ .
(٥) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب مثل البخيل والمتصدق ، جـ ٢ ، ص ٤٤٣ ، حـ ١٤٤٣ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب مثل المنفق والبخيل ، جـ ٢ ، ص ٧٠٨ ، حـ ١٠٢١ .

نفسه فضاق صدره وانقبضت يداه " (١) .

ورغب الله عز وجل في الإنفاق ، ورغب فيه رسول الله ﷺ ، قال تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا ﴾ (٤) .

والآيات التي تبين فضل الإنفاق ، وتحث عليه كثيرة .

وعن ابن مسعود – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال " لا حسد إلا في اثنتين : رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " (٥) .

ومع أمر الله ورسوله ﷺ بالإنفاق ، والحث عليه ، وتحذيره من البخل والشح وتوابعهما . فقد أعطى الإسلام المال القيمة اللائقة به ؛ حيث أمر بالسعي في الأرض والانتشار فيها لطلب الرزق واكتسابه من أوجه الحلال كالتجارة ، والزراعة . قال تعالى ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ (٦) .

وقال تعالى ممتنًا على عباده ﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (٧) .

ونهى الله سبحانه عن تضييع المال بإعطائه السفهاء ، قال تعالى ﴿ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٣ ، ص ٣٦٠ .
(٢) سورة البقرة ، الآية (٢٦١) .
(٣) سورة البقرة ، الآية (٢٧٤) .
(٤) سورة المزمل ، جزء من الآية (٢٠) .
(٥) سبق تخريجه في ص ٦٠ .
(٦) سورة الجمعة ، الآية (١٠) .
(٧) سورة الملك ، الآية (١٥) .

لهم قولا معروفا ﴾ (١) .

وأمر الله بإيتاء ذوي القرابة والمساكين حقوقهم ، وأعقب هذا الأمر مباشرة بالنهي عن التبذير ؛ لأنه فعل إخوان الشياطين ، قال تعالى ﴿ وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ، وإما تعرضن عنهم إبتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ، ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ (٢) .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالمال أنه جاء مقترنا بالنفس في آيات متعددة تحث على الجهاد ، وترغب فيه ، منها قوله تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ (٥) .

ومن مظاهر اهتمام الإسلام بالمال أيضا أنه قرن بالأنفس والأعراض في منع التعدي عليه ، وجعل في سرقة ربع دينار منه قطع يد المسلم إلى غير ذلك .

ولا يكون المال ذا قيمة إلا إذا أديت حقوقه كاملة لأن الله تعالى يقول ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتمْ لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ﴾ (٦) .

---

(١) سورة النساء ، الآية (٥) .
(٢) سورة الإسراء من الآية (٢٦ - ٢٩) .
(٣) سورة التوبة ، جزء من الآية (١١١) .
(٤) سورة الحجرات ، الآية (١٥) .
(٥) سورة الصف الآيتان (١٠ - ١١) .
(٦) سورة التوبة ، جزء من الآية (٣٤ - ٣٥) .

وكان رسول الله ﷺ يحذر أصحابه ومن يأتي بعدهم من فتنة المال ، من ذلك ما ثبت في الصحيحين أنه خطب يوما فقال " إن أكثر ما أخاف عليكم ما يخرج الله لكم من بركات الأرض ؟ قيل وما بركات الأرض ؟ قال : زهرة الدنيا . فقال له رجل هل يأتي الخير بالشر ؟ فسكت النبي ﷺ حينا . ثم قال له : " لا يأتي الخير إلا بالخير ... إلى أن قال : وإن هذا المال خضر حلو ونعم عون المسلم لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل وإن من يأخذه بغير حقه كمن يأكل ولا يشبع " (١) .

قال ابن حجر – رحمه الله – في شرح قوله ﷺ : " لا يأتى الخير إلا بالخير " " يؤخذ منه أن الرزق ولو كثر فهو من جملة الخير ، إنما يعرض له الشر بعارض البخل به عمن يستحقه والإسراف في إنفاقه فيما لم يشرع ، وأن كل شيء قضى الله أن يكون خيرا ، فلا يكون شرا وبالعكس ، ولكن يخشى على من رزق الخير أن يعرض له في تصرفه فيه ما يجلب له الشر " (٢) .

هكذا ذكر في معنى هذه الرواية ، وذكر رواية عند سعيد بن منصور " أو خير هو ؟ ثلاث مرات " قال : " وهو استفهام إنكار ، أي أن المال ليس خيرا حقيقيّا ، وإن سمي خيرا ؛ لأن الخير الحقيقي هو مايعرض له من الإنفاق في الحق ، كما أن الشر الحقيقي فيه ما يعرض له من الامساك عن الحق والإخراج في الباطل " (٣) .

هـ – الفحش وسوء الخلق من أوصاف أهل النار :

يدل على ذلك قوله ﷺ " وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبرله ... وذكر البخل والكذب والشنظير الفحاش " (٤) .

قد سبق في التمهيد بيان بعض الأدلة على أهمية الأخلاق ، ومكانتها في الإسلام (٥) ، وفي ذلك دليل على أن الشخص الذي يحرمه الله حسن الخلق ويبتليه بضده ، يكون بعيدا من الله ورسوله ، بعيدا عن الناس مبغوضا لديهم ،

---

(١) متفق عليه ، وتقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٢ .
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ١١ / ص ٢٥١ .
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ١١ / ص ٢٥١ .
(٤) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص٧٢ .
(٥) انظر الصفحة ٢٣٣ – ٢٣٤ .

ولا سيما إذا كان " فحاشا " متوغلا في سوء الخلق ، بذي اللسان فظا متنطعا في أقواله وأفعاله ، فهذه الأوصاف لا تكون في مؤمن كامل الإيمان ؛ ولذا قال رسول الله ﷺ " ليس المؤمن بالطعان ، ولا اللعان ، ولا الفاحش ولا البذي " (١) .

وقال " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارون ، والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون " (٢) .

و – الضعف والخَوَر وقلة العقل من أخلاق أهل النار :

يدل على ذلك قوله ﷺ : في تعداد أهل النار " والضعيف الذي لازبر له الذين هم فيكم تبعا لا يبتغون أهلا ولا مالا " (٣) .

وقد سبق بيان أن من صفات أصحاب محمد ﷺ الشدة على الكفار والتراحم فيما بينهم . قال تعالى : ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ (٤) .

ومن الصفات المحمودة في أهل الإيمان أن يكونوا أذلة على أهل الإيمان ، أعزة على أهل الكفر والطغيان ، قال تعالى ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ (٥) .

وبين ﷺ أفضلية المؤمن القوي على المؤمن الضعيف حيث قال : " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير " (٦) .

وأمر الله نبينا محمداً ﷺ بالغلظة على الكفار ، وجهادهم ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ﴾ (٧) .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في اللعنة ، جـ ٤ ، ص ٣٥٠ حـ ١٩٧٧ .
(٢) سبق تخريجه ، ص ١١٣ .
(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٤) سورة الفتح ، جزء من الآية (٢٩) .
(٥) سورة المائدة ، جزء من الآية (٥٤) .
(٦) تقدم تخريجه ص ٢٣٩ .
(٧) سورة التحريم ، جزء من الآية (٩) .

وقال تعالى آمرا عباده المؤمنين بقتال من يليهم من الكفار والغلظة عليهم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (١) .

قال ابن كثير – رحمه الله – وقوله تعالى ﴿ وليجدوا فيكم غلظة ﴾ أي وليجد الكفار منكم غلظة في قتالكم لهم ، فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رقيقا لأخيه المؤمن غليظا على عدوه الكافر ... " (٢) .

ولا يخفى أن حمل هذه الأمانة التي قال الله فيها ﴿ إنَّا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا ﴾ (٣) ، يحتاج إلى قوة إرادة وعزيمة يتغلب بها الإنسان على نوازع النفس وما تدعو إليه ﴿ إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي ﴾ (٤) ، ويتغلب بها على وساوس الشيطان وكيده ﴿ وكان الشيطان للإنسان خذولا ﴾ (٥) . وهو بحاجة كذلك إلى قوة إيمان يكون بها صادقاً في توكله على الله ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ (٦) ، ولا يخفى أن الضعف الذي يذم صاحبه ويعتبر متصفا بخلق من أخلاق أهل النار ليس الضعف الجسمي لأن الله تعالى لا ينظر إلى الصور والأجساد ، ولكن ينظر إلى القلوب والأعمال (٧) ، ويدل على ذلك قوله : " الضعيف الذي لا زبر له " (٨) ، ولو كانت القوة والصلابة في الجسم مزيه لكانت الجمال والجبال أعظم وأفضل من الإنسان ؛ لأنها أصلب وأقوى منه جسما ...

والإنسان لم يشرف بجسمه ، وإنما شرف بعقله وروحه ، وبصلاح العقل يصلح سائر الجسد ، وبفساده يفسد ؛ ولذا بين الله في أحوال المشركين

---

(١) سورة التوبة ، الآية (١٢٣) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٥٢٦ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٧٢) .
(٤) سورة يوسف ، جزء من الآية (٥٣) .
(٥) سورة الفرقان ، جزء من الآية (٢٩) .
(٦) سورة الطلاق ، جزء من الآية (٣) .
(٧) في صحيح مسلم " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم ، جـ ٤ ، ص ١٩٨٦ ، حـ ٣٣/٢٥٦٤ .
(٨) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .

أنهم لا يعقلون ولا يهتدون ، ولا يسمعون ولا يبصرون وهم كالأنعام إلى غير ذلك من الأوصاف التي سبق تفصيلها في البيئة الفكرية قبل الهجرة [١] .

وخص الله أهل الإيمان بالتذكر والتفكر قال الله تعالى ﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولاينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ﴾ [٢] .

وقال تعالى ﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾ [٣] .

وقال تعالى بعد بيان آيات ومواعظ ﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾ [٤] .

وقد قسم ابن القيم – رحمه الله – القلوب بالنسبة إلى السماع ثلاثة أقسام :

الأول : المتصف بصفات النفس ، المتبع لشهواتها وحظ هذا القسم من السماع مثل حظ البهائم .

الثاني : المتغلب على النفس ، حتى صارت نفسه قلبًا محضًا ، فغلبت عليها المعرفة ، والمحبة بربوبية خالقها ، وسعدت بعبادته والعبودية الكاملة له سبحانه . وحظ هذا القسم من السماع مثل حظ الملائكةأو مقارب له .

الثالث : من له منزلة بين المنزلتين ؛ بحيث لم يتغلب القلب على النفس حتى يصبغها بصبغته ، كما في القسم الثاني ، ولم تتغلب نفسه على قلبه فتحيله إليها كما في القسم الأول ، فهذا إذا صادف السماع دولة قلبه كان له الأثر وإن صادف دولة نفسه كان لها الأثر [٥] .

وإذا تأملنا حياة رسول الله ﷺ وأصحابه – ﷺ – علمنا أن الإيمان واليقين لا يجتمع معهما الضعف والخور ، فتأمل قول الله تعالى ﴿ ولما رأى

---

(١) في الفصل التمهيدي ص ٨ .
(٢) سورة الرعد ، جزء من الآية (١٩) .
(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٩٠) .
(٤) سورة – ق – الآية (٣٧) .
(٥) انظر تهذيب مدارج السالكين ، ص ٤٦٠ .

المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما ﴾ (١) .

يقول سيد قطب – رحمه الله – في ظلال هذه الآية :

" ثم تأتي صورة الإيمان الواثق المطمئن ، وصورة المؤمنين المشرقة الوضيئة ، في مواجهة الهول ، وفي لقاء الخطر ، الخطر الذي يزلزل القلوب المؤمنة ، فتتخذ من هذه الزلزلة مادة للطمأنينة والثقة والاستبشار واليقين ... " (٢) .

ولما خُوّفوا بعد غزوة أحد باجتماع الأعداء وتفكيرهم في غزوهم ظهرت قوة إيمانهم ويقينهم بنصر الله . قال تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (٣) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية " أي الذين توعدهم الناس بالجموع ، وخوفوهم بكثرة الأعداء ، فما اكترثوا لذلك بل توكلوا على الله واستعانوا به ، ﴿ وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ (٤) .

وقال ابن أبي جمرة (٥) بعد إيراده لهذه الآية والتي بعدها " فانظر لما أن قوي يقينهم بثقتهم بربهم ، زال عنهم رعب ما أخبروا به ، وانقلبوا بعد ذلك بالفضل العميم والنعمة الشاملة في الدنيا والآخرة فربحوا الدارين بتلك اللحظة التي فوضوا الأمر فيها إلى ربهم ، واستندوا إليه بقوة يقينهم " (٦) .

ولما كان الصديق – ﷺ – أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ وأقواهم إيمانا ظهر ذلك في مواقف كثيرة من حياته من ذلك أنه لما وقعت المصيبة الكبرى بوفاة رسول الله ﷺ وأصاب كبار الصحابة ما أصابهم من الدهشة ،

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٢٢) .
(٢) في ظلال القرآن ، جـ ٥ ، ص ٢٨٤٣ .
(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٧٣) .
(٤) تفسير القرآن العظيم، جـ ١ ، ص ٥٦٠ – ٥٦١ .
(٥) هو : محمد بن أحمد بن عبدالملك ابن أبي جمرة الأموي مولاهم القرشي المالكي ، أبو بكر القاضي ولي قضاء مرسية وشاطبة في فترات متفاوتة ، عرض المدونة في الفقه المالكي على والده ، من مؤلفاته شرح مختصر صحيح البخاري . انظر : شذرات الذهب ، جـ ٤ ، ص ٣٤٢ ، والأعلام ، جـ ٥ ، ص ٣١٩ .
(٦) بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها ، جـ ١ ، ص ٨٩ .

والفزع بسبب ذلك ، وقام عمر وهو يقول والله مامات رسول الله ﷺ ... وليبعثنه الله ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم - فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله ، قال : بأبي أنت وأمي ، طبت حيا وميتا ، والذي نفسي بيده لايذيقك الله الموتتين أبدا ، ثم خرج فقال أيها الحالف على رسلك ، فلما تكلم أبوبكر جلس عمر " فحمد الله أبوبكر وأثنى عليه ، وقال : ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فقد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت " [١] .

ز - الفخر من الأخلاق التي يبغضها الله سبحانه ، ورسوله ﷺ :

يدل على ذلك قوله ﷺ " وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد " [٢] ، و " الفخر المباهاة في الأشياء الخارجة عن الإنسان كالمال والجاه " [٣] . أو هو " التفاخر بالآباء الأشراف ، وكثرة الأموال ، والخول ، والجاه ، وغير ذلك من مراتب أهل الدنيا " [٤] ، و " عد المآثر القديمة تعظيما " [٥] ، وقد نفى الله محبته عن كل مختال فخور . قال تعالى ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [٦] . وقال عز وجل ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ [٧] .

ومما يدل على شناعة الفخر ذكره مقرونا بالكفر في قوله ﷺ : " رأس الكفر نحو المشرق ، والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل ، والفدادين أهل الوبر والسكينة في أهل الغنم " [٨] .

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل الصحابة ، باب قول النبي " لو كنت متخذا خليلا " ، جـ ٤ ، ص ٥٦٠ ، حـ ٣٦٦٧ - ٣٦٦٨ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٣) المفردات في غريب القرآن ، ص ٣٧٤ .
(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص ، كتاب مسلم ، جـ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ .
(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٢ ، ص ٣٤ .
(٦) سورة لقمان ، جزء من الآية (١٨) .
(٧) سورة الحديد ، جزء من الآية (٢٣) .
(٨) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال جـ ٤ ، ص٤٣٩ ، حـ ٣٣٠١ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن ، جـ ١ ، ص ٧٢ ، حـ ٨٥/٥١ ، حديث الباب .

وفي ضوء هذه النصوص يظهر أن الفخر ممقوت عند الله ورسوله ﷺ وأنه مستلزم لصفات أخرى مذمومة منها البغي على عباد الله ، والخيلاء ، وقسوة القلب والإعجاب بالنفس ، والتكبر والتعالي ، ونسيان المنعم ، وهو مناف للتواضع ، والسكينة ، ورقة القلب وشكر المنعم .

وبيان ذلك فيما يلي :

قال الله تعالى حكاية لقصة قارون : ﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾ (١) .

وقال ﷺ : " وإن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد " (٢) .

وقد جمع الفخر مع الخيلاء في قوله تعالى ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (٣) ، وقوله ﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (٤) .

وقوله ﷺ : والفخر والخيلاء في أهل الخيل والإبل " (٥) .

والخيلاء . هي التكبر والتعاظم يقال خال عليه إذا تكبر (٦) .

والكبر مناف للتواضع إذ هو ضده – كما سبق – (٧) .

والسكينة ذكرت في مقابل الفخر والخيلاء .

والفخر ينافي شكر المنعم ؛ لأن المآثر التي يذكرها المفتخر سواء كانت راجعة إلى أصله وعنصره الذي منه نشأ ، أو إلى بسطة في مال أو جسم ، أو جاه أو منعة بالعشيرة أو الذرية فجميع هذه نعمٌ وابتلاء من الله لعباده . قال تعالى ﴿ ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾ (٨) .

وقد كان أول الهالكين إبليس – لعنه الله – حيث امتنع من إجابة أمر

---

(١) سورة القصص ، جزء من الآية (٧٦) .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٣) سورة لقمان ، جزء من الآية (١٨) .
(٤) سورة الحديد ، جزء من الآية (٢٣) .
(٥) سبق تخريجه في الصفحة ٢٦٩ .
(٦) انظر المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ .
(٧) في المطلب السابق عند ذكر خلق التواضع .
(٨) سورة الأنبياء ، جزء من الآية (٣٥) .

الله بالسجود لآدم متعللا بأفضلية عنصره على عنصر آدم عليه السلام ﴿ أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (١) ، وعجل الله عقوبته فأبعده من رحمته وأخرجه من جنته ﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين ﴾ (٢) .

وقال الله فيه ﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم ، وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين ﴾ (٣) .

ثم تتابع الغاوون من ذرية آدم فكانت سنة الله فيهم أن يعاجلهم بالعقاب ، فعاد لما استكبروا وقالوا ﴿ من أشد منا قوة ﴾ (٤) . أرسل الله عليهم الريح . قال تعالى ﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴾ (٥) ، وقال تعالى ﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر ﴾ (٦) .

نقل بعض أهل التفسير : أنهم كانوا يصطفون فيأخذ بعضهم بأيدي بعض ، ويدخلون الشعاب ، ويختفون في حفر يحفرونها ، فلم ينفعهم ذلك (٧) ، وكانت الريح تقتلعهم وتدق رقابهم ، فيتساقطون مع كبر أجسامهم وعظمها كأنهم أصول نخل ، منقلع عن مغارسه (٨) .

ومن هؤلاء المتكبرين الذين أبطرتهم النعم ولم يشكروها وفرحوا بما أوتوا قارون الذي أنعم الله عليه بالمال والكنوز فلم يشكر نعمة الله ، ورفض نصح الناصحين ، واستنكر أن يكون ما أعطيه هبة من الله له ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ (٩) . ولما أمعن في الطغيان ، وحاول أن يبهر العقول

---

(١) سورة الأعراف ، جزء من الآية (١٢) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٣) .
(٣) سورة الحجر ، الآيتان (٣٤ - ٣٥) .
(٤) سورة فصلت ، جزء من الآية (١٥) .
(٥) سورة الذاريات ، الآيتان (٤١ - ٤٢) .
(٦) سورة القمر ، الآيتان (١٩ - ٢٠) .
(٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، جـ ٤ ، ص ٣٩ .
(٨) انظر : جامع البيان ، جـ ٢٧ ، مجلد ١٣ ، ص ٩٨ .
وتفسير القرآن العظيم جـ ٤ ، ص ٣٣٧ ، وزاد المسير جـ ٨ ، ص ٩٥ .
(٩) سورة القصص ، جزء من الآية (٧٨) .

بإظهار الزينة عاجله الله بالعقوبة ﴿ فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ [١] .

والله نسأل التوفيق لصالح الأخلاق والأعمال والسلامة من سيئها ومنكرها ، فهو حسبنا ونعم الوكيل .

(١) سورة القصص ، الآية (٨١) .

الفصل الثالث

المدعوون في خطب النبي ﷺ ومراعاة أحوالهم

توطئة :

لقد اختص الله رسولنا محمداً ﷺ بجعل رسالته خاتمة ، وأرسله إلى الناس كافة . قال تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ (١) ، وقال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (٢) .

وقال رسول الله " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود " (٣) .

وقال أيضا : " وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون " (٤) .

وانطلاقا من هذه الحقيقة ، فإن المدعوين في خطبه ﷺ على الحقيقة جميع بني آدم منذ البعثة إلى آخر الدنيا ، ولحكمة الله وعدله خلق الجنة والنار وجعل لكل واحدة منهما أهلا قال تعالى : ﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حق القول منّي لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين ﴾ (٥) .

ولكنه سبحانه لعدله لا يعذب قبل الإنذار قال تعالى : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ (٦) .

وبعد مجيء الرسل ينقسم الناس إلى قسمين مكذب بهم وهم الكفار ، ومصدق وهم المؤمنون ، ولكن الإيمان درجات ، كما أن الكفر دركات .

وفي هذا الفصل أتناول بتوفيق الله أصناف المدعوين ومراعاة أحوالهم في مبحثين :

---

(١) سورة الأحزاب ، جزء من الآية (٤٠) .
(٢) سورة سبأ ، جزء من الآية (٢٨) .
(٣) متفق عليه ، صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، جـ ١ ، ص ٣٧٠ - ٣٧١ ، حـ ٥٢١ ، واللفظ له . وصحيح البخاري ، كتاب التيمم ، باب (١) ، جـ ١ ، ص ١٠٩ ، حـ ٣٣٥ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، جـ ١ ، ص ٣٧١ ، حـ ٥٢٣ .
(٥) سورة السجدة ، الآية (١٣) .
(٦) سورة الإسراء ، جزء من الآية (١٥) .

المبحث الأول

الخارجون عن الإسلام ومراعاة أحوالهم

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : المدعوون من أهل الشرك ومراعاة أحوالهم.

المطلب الثاني : المدعوون من أهل النفاق ومراعاة أحوالهم.

المطلب الثالث : المدعوون من أهل الكتاب ومراعاة أحوالهم.

المبحث الثاني

المدعوون من أهل الإسلام ومراعاة أحوالهم

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : المدعوون على سبيل العموم ومراعاة أحوالهم.

المطلب الثاني : المدعوون على سبيل الخصوص بصفاتهم ....

المطلب الثالث : المدعوون على سبيل الخصوص بأسمائهم ومراعاة أحوالهم.

المبحث الأول

الخارجون عن الإسلام ومراعاة أحوالهم

تمهيد

لقد بُعث رسولُ الله ﷺ والناس في غاية الانحراف عن الجادة ، تانهون في ظلام الجهل والانحراف ، قد نبذوا الميثاق ، وحادوا عن مقتضى الفطرة ، فاستحقوا من الله مقته وعقابه قال رسول الله ﷺ في خطبة جامعة " وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " (١) .

وقد شملت دعوته ﷺ جميع أهل الأرض فقد دعا قريشا وغيرهم من المشركين والمنافقين ، ودعا أهل الكتاب من يهود ونصارى ، وشملت خطبه الجميع .

وفي هذا المبحث أتناول الكلام عن دعوته ﷺ للمشركين ، والمنافقين ، وأهل الكتاب في مطالب ثلاثة على نحو ماسبق .

---

(١) سبق تخريجها في نصوص الخطب ص ٧٢ .

المطلب الأول

المدعوون من أهل الشرك ومراعاة أحوالهم

لقد كان رسول الله ﷺ في أول بعثته ، بل وفي غالب الفترة المكية ، يركز اهتمامه على دعوة المشركين في مكة وما حولها ، فقام بدعوتهم فرادى وجماعات ، وحرص على هدايتهم كل الحرص ، واشتد حزنه وأسَاهُ على رفضهم الحق ، وتعريضهم أنفسهم لسخط الله وعقابه حتى نزل عليه قوله تعالى ﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ (١) ، وقوله ﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ (٢) . فبعد نزول قوله تعالى ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (٣) ، وقوله ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ (٤) .

قام رسول الله ﷺ خطيبا على الصفا معلنا حالة الطوارئ وأنذر قبائل قريش قبيلة قبيلة " يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، يابني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار " (٥) .

والمشركون الذين شملتهم دعوة الرسول ﷺ أصناف ثلاثة (٦) .

وفيما يلي أذكر شواهد دعوة كل صنف ثم أبين مراعاة أحواله انطلاقا من الشواهد المذكورة وغيرها :

أولاً : قرابته ﷺ الخاصة ومراعاة أحوالهم :

لقد أنذر رسول الله ﷺ قرابته ممتثلا أمر الله له بذلك فأسلم بعضهم وهؤلاء سيذكرون في أهل الإسلام وامتنع آخرون مثل أبي لهب الذي كان أشد أهل الشرك إيذاء له وأشنعهم ردا عليه حين خطبهم خطبة الإنذار الأولى (٧) ، ومنهم أبو طالب الذي كان يَحُوط رسول الله ﷺ ويمنعه من إيذاء قريش ، وقد حرص رسول الله ﷺ على هدايته فلم يزل يدعوه إلى الإيمان حتى آخر لحظة

---

(١) سورة فاطر ، جزء من الآية (٨) .
(٢) سورة الشعراء ، الآية (٣) .
(٣) سورة الحجر ، الآية (٩٤) .
(٤) سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) .
(٥) سبق تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٩٤ .
(٦) انظر : زاد المعاد جـ ١ ، ص ٨٦ .
(٧) سبق تخريجها في نصوص الخطب ، ص ٩٤ .

من حياته ، يدل على ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث المسيب بن حزن[١] قال لما حضرت أبا طالب الوفاةُ جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة قال رسول الله ﷺ لأبي طالب " يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله " فقال أبو جهل وعبدالله بن أبى أمية ، يا أبا طالب أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ، ويعودان بتلك المقالة حتى قال آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال رسول الله ﷺ " أما والله لأستغفرن لك مالم أنه عنك " [٢] .

وقد راعى رسول الله ﷺ حاله في سنّه وقرابته ، وإحسانه إليه ، فاجتهد في دعوته مستعطفا إياه بقوله " ياعم قل لا إله إلا الله كلمة أشهد لك بها عند الله "

وأخرج ابن جرير بسنده إلى سعيد بن المسيب قال : " لما حضرت أباطالب الوفاة أتاه رسول الله ﷺ ، وعنده عبدالله بن أبى أمية ، وأبو جهل بن هشام فقال له رسول الله ﷺ : " أي عمّ إنك أعظم الناس عليّ حقا ، وأحسنهم عندي يدا ، ولأنت أعظم علي حقا من والدي ، فقل كلمة تجب لي بها الشفاعة يوم القيامة ... " [٣] .

ويظهر من هذا الحديث أن الرسول ﷺ كان يتعامل مع أبي طالب تعاملا أبويا ، كما كان أبو طالب يجل رسول الله ﷺ ويكرمه ، ويحب مرضاتَه ثبت في رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة – قال قال رسول الله ﷺ لعمه " قل لا إله إلا الله ، أشهد لك بها يوم القيامة " قال : لولا أن تعيّرني قريش . يقولون : إنما حمله على ذلك الجزع ، لأقررت بها عينك فأنزل الله : ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء [٤] ﴾ [٥] .

---

(١) هو : المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي أبو سعيد ، له صحبة ، ولأبيه كذلك وهو ممن بايع تحت الشجرة على الراجح ، له رواية عن الرسول ﷺ ، وروى عنه ابنه قال ابن حجر : " شهد المسيب فتوح الشام ولم يتحرر لي متى مات " انظر : أسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٣٦٦ – ٣٦٧ ، والإصابة ، جـ ٣ ، ص ٤٠٠ – ٤٠١ .

(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ، جـ ٢ ، ص ٤١٣ – ٤١٤ ، حـ ١٣٦٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت مالم يشرع في النزع ، جـ ١ ، ص ٥٤ ، حـ ٢٤ .

(٣) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المجلد ٧ ، جـ ١١ ، ص ٤٢ .

(٤) سورة القصص ، آية (٥٦) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الدليل على صحة إسلام من حضره الموت ، جـ ١ ، ص ٥٥ ، حـ ٤٢/٢٥ .

ثانياً : قومه وهم قريش ومراعاة أحوالهم :

وقد سبق ذكر خطبته ﷺ على الصفا ونداؤه قبائل قريش " يا بني كعب ابن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار .. " (١) .

وفي القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة أدلة كثيرة تدل على أنه ﷺ اجتهد كثيرا في دعوتهم ، وحرص على هدايتهم ، وقد اشتمل القرآن المكي - في غالبه - على خطابهم ودعوتهم إلى التوحيد ، ونبذ كل معبود سوى الله ، ولفت أنظارهم إلى التفكير في مخلوقاته وبيان أسس شرائع الإسلام وقواعده العامة في التعامل الفرديّ والجماعي ، وبيان مصائر المكذبين من الأمم السابقة وما لقُوه من هلاك في الدنيا ، وما ينتظرهم من عذاب أبديّ في الآخرة ، وما أعد الله من نعيم في الآخرة لأوليائه ، وما حبَاهم به من نصر على الأعداء والجبابرة إلى غير ذلك ... فبعد أن نزل عليه قوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ (٢) . قام بإنذارهم ، وتخويفهم عذاب الله جزاء إعراضهم عن الحق الذي جاء به .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه ، وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكواة وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والله يقضي بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء إن الله هو السميع البصير ﴾ (٥) .

وقال تعالى ﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب ، نجب دعوتك ونتبع الرسل أو لم تكونوا أقسمتم من قبل

---

(١) سبق تخريجها في نصوص الخطب ، ص ٩٤ .
(٢) سورة المدثر ، الآيتان (١ - ٢) .
(٣) سورة فصلت ، الآيتان (٦ - ٧) .
(٤) سورة فصلت ، الآية (١٣) .
(٥) سورة غافر ، الآيتان (١٨ - ٢٠) .

مالكم من زوال ﴾ [١] .

وقال تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ [٢] ، والآيات كثيرة في هذا المعنى .

وكان ﷺ يقرأ عليهم القرآن ، ويسمعهم ما انزل عليه يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ [٣] .

وثبت في الصحيح من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : " سجد النبي ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس " [٤] .

وروي أن قريشا أرسلوا إليه ﷺ عتبة بن ربيعة مفاوضا ، فعرض عليه المال ، والنساء ، وسأله هل هو أفضل أم آباؤه؟ فلم يجبه فلما أتم ما عنده قرأ عليه فواتح سورة فصلت فلما وصل قوله تعالى ﴿ فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود ﴾ فقال عتبة حسبك حسبك ما عندك غير هذا فقال رسول الله ﷺ " لا " فرجع إلى قريش فقالوا ما وراءك ؟ ! قال ما تركت شيئا أرى أنكم تكلّمون به إلا كلمته فقالوا هل أجابك ؟ قال لا والذي نصبها بنية ما فهمت شيئا مما قاله غير أنه أنذركم صاعقة عاد وثمود ، قالوا ويلك يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال " [٥] .

وقد قام رسول الله ﷺ بدعوة قريش في مكة وما حولها ، إلى توحيد الله الواحد ، وترك عبادة الأصنام مبينا أنها لا تملك موتا ولا حياة ولا رزقا [٦] ؛ ولذا يجب على كل عاقل أن يترك عبادتها " فقام رسول الله ﷺ يعكّر على خرافات الشرك وترّهاته ، ويذكر حقائق الأصنام وما لها من قيمة في الحقيقة ،

---

(١) سورة إبراهيم ، الآية (٤٤) .
(٢) سورة طه ، الآية (١٢٤) .
(٣) سورة فصلت ، الآية (٢٦) .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ فاسجدوا لله واعبدوا ﴾ ، ج٦ ، ص : ٣٥٦ ، ح٤٨٦٢ .
(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده ، جـ ٣ ، ص ٣٤٩ – ٣٥١ ، حـ ١٨١٨ .
(٦) قال تعالى ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا ﴾ ، سورة الفرقان ، الآية (٣) .

يضرب بعجزها الأمثال ، ويبين بالبيّنات أن من عبدها وجعلها وسيلة بينه وبين الله فهو في ضلال مبين " (١) .

ولمّا أعلن لهم رسول الله ﷺ أن دينَهم ، ودينَ آبائهم باطل وضلال أنكروا ذلك ، واستعدوا للمجابهة والمصادمة بشتى الوسائل والأساليب ، ولكن الله حمى نبيه وعصمه من كيدهم ، وكان أبو طالب يحدِب عليه ويمنعه منهم ، فحاولوا معه عدة مرات ليخلي بينهم ، وبينه ، فلم يجبهم إلى ما أرادوا (٢) .

ولما علموا أن أبا طالب غير مسلم محمدا ﷺ لهم ، بدؤوا التفكير في أنواع الأذى من تشويه لدينه ، وتسفيه لرأيه ، ورميه بالسحر والجنون أو الشعر ، أو الكهانة ، ولم يستقروا على شيء من ذلك لعلمهم بكذب دعواهم وبطلانها (٣) .

من شواهد ذلك خروجه ﷺ إلى الطائف يعرض نفسه عليهم ويدعوهم إلى الإيمان بالله وتوحيده . فعن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت للنبي ﷺ هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد ؟ قال : " لقد لقيت من قومك ، وكان أشد مالقيت منهم يوم العقبة ، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال ، فلم يجبني إلى ما أردت ، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي ، فلم استفق إلا وأنا بقرن الثعالب ، فرفعت رأسي ، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل عليه السلام ، فناداني فقال : إن الله تعالى قد سمع قول قومك لك ، وماردّوا عليك ، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، فناداني ملك الجبال ، فسلم علي ثم قال : يا محمد إن الله قد سمع قول قومك لك ، وأنا ملك الجبال ، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين " فقال النبي ﷺ " بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا " (٤) .

وقد كان رسول ﷺ يراعي أحوال قريش ، متتبعاً في ذلك أمر الله ووحيَه ، وانطلاقا من معرفته الخاصة ، وصلاته ، وقرابته إياهم ، ومعرفتهم

---

(١) الرحيق المختوم في السيرة – ص ٧٠ .
(٢) انظر : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، جـ١ ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ .
(٣) سبق ذكر ما يدل على ذلك في التمهيد ، ص ٢٦ .
(٤) سبق تخريجه في التمهيد ، ص ٢ .

حاله قبل النبوة وبعدها فكان يختار الوسيلة المناسبة لحا لهم والأسلوب المؤثر فيهم ، ويظهر ذلك في النقاط التالية :

١ – اختيار الله له من المعجزات ما يناسب حالهم :

أ = الإعجاز البلاغي والمعنوي في القرآن والسنة النبوية .

توطئة :

عرف العلماء المعجزة بأنها أمر خارق للعادة مقرون بالتحدى سالم عن المعارضة " [١] .

ومعنى الإعجاز القرآني يوضحه قوله تعالى ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ [٢] .

وأما الإعجاز البلاغي في السنة النبوية فقد أشرت إليه في السمات البلاغية للخطب وذكرت بعض شواهده [٣] .

وقد تحدى الله العرب الذين نزل القرآن بلغتهم أن يأتوا بحديث مثله [٤] ، أو بعشر سور مثله [٥] ، أو بسورة مثله [٦] . فعجزوا عن ذلك مع فصاحة ألسنتهم ، وصفاء قرائحهم ، وشدة حرصهم على إطفاء نور الحق انتقاما للآباء والأجداد ، وانتصارا للآلهة ، ولكنهم لم يجدوا لذلك سبيلا ، فكان ذلك دليلا على انقطاعهم وعجزهم ، وفي ذلك الحجة البالغة على أنه منزل من الله ﴿ أفلا يتدبَّرُون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾ [٧] .

وبين رسول الله ﷺ أن جميع الأنبياء قد أعطاهم الله آيات دالة على صدقهم ، وأن القرآن أعظم معجزاته ﷺ [٨] ، وذلك في قوله : عليه الصلاة والسلام " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ،

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .
(٢) سورة الإسراء ، الآية (٨٨) .
(٣) سبق في ص ١٠٣ – ١١٥ .
(٤) كما في الآية (٣٤) من سورة الطور .
(٥) كما في الآية (١٣) من سورة هود .
(٦) كما في الآية (٢٣) من سورة البقرة ، والآية (٣٨) من سورة يونس .
(٧) سورة النساء ، الآية (٨٢) .
(٨) انظر : فتح الباري ، جـ ٨ ، ص ٦٢٣ .

وإنما كان الذي أوتيته وحيا فأرجوا أن أكون أكثرهم تابعا " [١] ، وثبوت الإعجاز للقرآن لا يحتاج إلى بيان للأدلة البينة التي سقت بعضها ، ولكن اختلفوا في موطن الإعجاز ووجهه هل هو اللفظ والمعنى ، أو التأليف والترصيف [٢] .

وممن تعرض لهذا المعنى بأسلوب واضح عبدالقاهر الجرجاني [٣] في دلائل الإعجاز فقال : ' فقيل لنا : قد سمعنا ما قلتم ، فخبّرونا عنهم ؟ عمّاذا عجزوا ؟ أعن معانٍ من دقة معانيه وحسنِها وصحتها في العقول ؟ أم عن ألفاظ مثل ألفاظه ؟ فإن قلتم عن الألفاظ فماذا أعجزهم من اللفظ ؟ أم ما بهرهم منه ؟ فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه ، وخصائص صادفوها في سياق لفظه ، وبدائع راعتهم من مبادئ آيه ومقاطعها ومجارى ألفاظها ومواقعها ، وفي مضرب كل مثل ، ومساق كل خبر ، وصورة كل عظة وتنبيه وإعلام ، وتذكير وترغيب وترهيب ، ومع كل حجة وبُرهان ، وصفة وتبيان وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة ، وعشرا عشرا وآية آية ، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو مكانها ، ولفظة ينكر شأنها ، أو يرى غيرها أصلح هناك أو أشبه ، أو أحرى وأخلق ، بل وجدوا اتساقا بهر العقول ، وأعجز الجمهور ، ونظاما والتئاما ، وإتقانا ، وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم ولو حك بيا فوخه [٤] السماء موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول ، وخلدت القروم [٥] فلم تملك أن تصول " [٦] .

ويظهر من هذا النص أن الجرجاني يرى أن إعجاز القرآن كامن في ترتيبه ، ومتانة سبكه ، ورصانة أسلوبه ولكنه لم يهمل المعنى المؤثر في

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب فضائل القرآن ، باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل ، جـ ٦ ، ص ٤١٣ حـ ٤٩٨١ .

(٢) انظر تفصيل هذه الأقوال في الإتقان ، جـ ٢ من ص ١١٨ إلى ١٢٣ .

(٣) هو : عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني أبو بكر ، واضع أصول البلاغة ، إمام في اللغة من مؤلفاته " أسرار البلاغة "و " دلائل الإعجاز " و " الجمل في النحو " وهو شافعي المذهب ، أشعري العقيدة ، توفي ٤٧١ – وقيل ٤٧٤ . انظر : ترجمته في بغية الوعاة للسيوطي ، جـ ٢ ، ص١٠٦ – ١٠٧ ، ومفتاح السعادة ، جـ ١ ، ص ١٦٥ – ١٦٦ ، وشذرات الذهب ، جـ ٣ ، ص ٣٤٠ ، والأعلام ، جـ ٤ ، ص ٤٨ – ٤٩ .

(٤) اليافوخ فجوة مغطاة بغشاء تكون عند تلاقي عظام الجمجمة ، المعجم الوسيط ، ص ٢١ .

(٥) القروم جمع قرْم وهو الفحل ، أو الذي لم يمسه حبل قاموس مادة قرَم ، حـ٤ ، ص١٦٣ .

(٦) دلائل الاعجاز في علم المعاني ، تأليف الإمام عبدالقاهر الجرجاني ، تصحيح محمد رشيد رضا ، ص ٣٢ ، دار المعرفة ، لبنان .

القلوب ، وعظا ، وتذكيرا وترغيبا وترهيبا ، فمن تأمل كلامه لاحظ عدم اقتصاره على ما اشتملت عليه الألفاظ من روعة وتناسب فقط بل للمعاني عنده مكانة في هذا الإعجاز وليس المجال في هذا الحديث مجال تفصيل لهذه الأقوال التي ذكرها العلماء ، فالإعجاز حاصل يقينا ووجوهه كثيرة وكون القرآن مشتملا عليه تظهر فيه مراعاة أحوال المخاطبين به كما سأوضّحه فيما يلي :

قال الشيخ مناع القطان " ومن عنده إلمام بتاريخ العرب وأدب لغتهم يدرك العوامل السابقة لبعثة رسول الله ﷺ التي رقت بلغة العرب وهذبت لسانها ، وجمعت خير ما في لهجاتها ، من أسواق الأدب والمفاخرة بالشعر والنثر ، حتى انتهى مصب جداول الفصاحة ، وإدارة الكلام بالبيان في لغة قريش التي نزل بها القرآن " [1] .

وفي هذا الكلام تأكيد لعجزهم مع توفر الدواعي وحصول الأسباب الداعية إلى قيامهم بالمعارضة لو كانت ممكنة ، وليس هذا العجز لقلة فصاحتهم وبلاغتهم ؛ لكن فصاحة القرآن وبلاغته ، تجاوزت فصاحة كل فصيح ، وأخرست لسان كلّ لسِنٍ ؛ فكما أن موسى عليه السلام لما بعثه الله إلى فرعون وقومه وهم أصحاب براعة في السحر أيّده بالعَصَا التي التقمت جميع إفكهم ، وأبطل الله بها كيدهم وكذلك عيسى عليه السلام لما كانت بعثته في وقت ازدهار الطب أيّده الله بمعجزة تناسب ذلك فكان يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله ، ولما ازدهرت الفصاحة أيضا عند العرب اختار الله لهم هذا القرآن الذي عجزوا عن معارضته ولو بسورة أو آية .

قال ابن حجر – رحمه الله – في هذا المعنى " وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، كما كان السحر فاشيا عند فرعون فجاءه موسى بالعصا ، على صورة ما يصنع السحرة لكنها تلقفت ما صنعوا ، ولم يقع ذلك بعينه لغيره ، وكذلك إحياء عيسى الأموات ، وإبراء الأكمه والأبرص لكون الأطباء والحكماء كانوا في ذلك الزمان في غاية الظهور ، فأتاهم من جنس عملهم مالم تصل قدرتهم إليه ، ولهذا لمّا كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ

---

(١) مباحث في علوم القرآن ، للشيخ مناع القطان ، ص ٢٥٩ .

في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله فلم يقدروا على ذلك " (١) .

ب – معجزة انشقاق القمر :

لقد أعطى الله رسوله ﷺ الكثير من المعجزات منها إعلامه إياه بغيوب كثيرة لم يكن يعلمها هو ولا قومه مثل إخباره عن بيت المقدس ، وعن وقت قدوم العير (٢) ، وإخباره عن ذي القرنين ، وأهل الكهف وغير ذلك من الأمور الغيبية التي أخبر عنها ﷺ ولكن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا ديانة ، ولذا كانوا يسألون عن مثل هذه الأمور بإيعاز من اليهود – لعنهم الله – ، وسبق قريبا أن معجزة القرآن ناسبت حالهم لما اشتهر زمن نزوله من تفاخر بالشعر والخطابة ، ويرى بعض العلماء أنه ناسبهم أيضا لكونهم أهل ذكاء وفطنة . قال السيوطي : – والمعجزة " إما حسية وإما عقلية ، وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم ، وأكثر معجزات هذه الأمّة عقلية لفرط ذكائهم وكمال أفهامهم " (٣) .

وهذا الذي ذكره السيوطي مخالف لما تقدم في التمهيد من بيان انحطاط أفكارهم قبل الإسلام بل هو مخالف لظاهر كثير من الآيات التي ذكرت منها في التمهيد ما يغني عن إعادته هنا ويمكن الجمع بين الأمرين بأن الذكاء والعقل ، غير متلازمين ، كما يدل على ذلك أن كثيراً من الأذكياء المعاصرين الذين اخترعوا كثيرا من الأجهزة المعقدة ذات الفعالية المدهشة لم يهدهم الله ، ومن لم يؤمن فليس بعاقل ، والله أعلم .

وظاهر كلام السيوطي أن المعجزة الحسية تناسب أصحاب البلادة وقلة الفهم ؛ ولكني أرى إمكان إلحاق أهل الجهل المادّيين ، الذين لا يعلمون شيئا من علم سبقوهم ، ويؤيد ذلك أن الله أمرهم بالتفكر في مخلوقاته المشاهدة ؛ لتكون لهم دليلا على قدرته وعظمته ﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾ (٤) .

---

(١) فتح الباري ، جـ ٨ ، ص ٦٢٣ .

(٢) كان ذلك في حديث الإسراء حيث سألوه أن يصف لهم بيت المقدس ، فرفعه الله له وأخبرهم عنه معاينة .

(٣) الإتقان في علوم القرآن ، جـ ٢ ، ص ١١٦ .

(٤) سورة الغاشية ، الآيات (١٧ – ٢٠) .

وأيضا لو كان فيهم أذكياء وعقلاء وبلغاء ، فإن أكثرهم ليسوا كذلك ﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾ (١) .

ولذا فإن معجزة انشقاق القمر ، تتناسب مع حالهم ؛ لأنها محسوسة يشاهدها كل ذي بصر ، ولا يستطيع أيّ مكابر ادعاء كونها في مقدور البشر ؛ ولذا لمّارَأوْهَا قالوا سحرنا محمد (٢) ، وهي الكلمة التي يعتادها المبطلون ، الجاحدون للحق ﴿ وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ﴾ (٣) .

ومعجزة انشقاق القمر قد دلّ على ثبوتها القرآن والسنة النبوية قال تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ (٤) .

وفي الصحيحين من حديث أنس – رضي الله عنه – قال : " سأل أهل مكة أن يريَهم آية فأراهم انشقاق القمر " (٥) .

ومن حديث عبدالله – رضي الله عنه – قال " انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه " (٦) .

٢ – اختياره ﷺ المكان واللفظ المناسبين لأول خطبة فاصلة ينذرهم فيها عذاب الله عز وجل سبقت الإشارة إلى أنه ﷺ كان يَعلَم حال قومه ، لمعايشته لهم أربعين سنة ، وهم أيضا يعرفونه كذلك ، ومعلوم أن العرب كانوا أهل غارات وحروب ، وكانوا يتخذون لإعلان حالات الطوارئ وسائل عدة منها النداء المشعر بطلب الغوث " واصباحاه " ومنها الصعود على الأماكن المرتفعة ومنها تمزيق الثياب (٧) ، ومنها نداء القبائل بأسمائها " " يا بني فلان " وقد جمع الرسول ﷺ في هذه الخطبة بين أهم هذه الوسائل وإليك بيان ذلك :

---

(١) سورة العنكبوت ، جزء من الآية (٦٣) .
(٢) انظر : تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٣٣٤ .
(٣) سورة القمر ، الآية (٢) .
(٤) سورة القمر ، الآية (١) .
(٥) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ﴾ جـ ٦ ، ص ٣٥٨ ، حـ ٤٨٦٧ . وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، وأحكامهم ، جـ ٤ ، ص ٢١٥٩ ، حـ ٢٨٠٢ .
(٦) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب ﴿ وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ﴾ جـ ٦ ، ص ٣٥٧ ، حـ ٤٨٦٤ . وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين ، وأحكامهم ، جـ ٤ ، ص ٢١٥٨ ، حـ ٢٨٠٠ ، واللفظ للبخاري .
(٧) في قصة ضمضم الغفاري صريخ قريش في غزوة بدر شاهد لذلك ، انظر : عيون الأثر ، جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

أ – الوقت ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال في بداية النداء " واصباحاه "[١] .

وثبت عنه ﷺ أنه " كان إذا خطب احمرت عيناه ، وعلا صوته ، واشتد غضبه كأنه منذر جيش يقول صبّحكم ومسّاكم "[٢] .

ب – المكان الذي وجَّه رسول الله ﷺ منه هذه الخطبة تظهر فيه مراعاة أحوالهم ؛ حيث اتفقت الرّوايات على أن مكان هذه الخطبة كان جبل الصفا ، وثبت أيضا أنه اختار أعلى حجَر في الجبل كما سبق في نصوص الخطب[٣] .

وتظهر مناسبة جبل الصفا في أمور منها :

١ – أنه مكان مرتفع وكانوا يرون أن الصعود على الأماكن المرتفعة لا يلجأ إليه إلا في حالات الطوارئ والأمور المهمة ، والأخطار المحدقة ، التي يخشى منها الضرر الشامل للجميع .

٢ – أنه مكان مقدس له مكانته في نفوسهم وتذكير لهم بشرع إبراهيم الذي يزعمون أنهم على ملته عليه السلام .

٣ – كونه في وسط مكة وهو قريب جدا من أماكن أنديتهم ، ومجالسهم – كما هو معلوم – .

جـ – الألفاظ المناسبة لحال المدعوّين :

إذا تأكد الخطيب من صلاحية الزمان والمكان ، وأهمية الأمر الذي يدعو إليه ، فإن ذلك لا يغني عن اختيار الألفاظ المناسبة للمدعوّين في شد الانتباه وتهيئة النفوس لسماع الخطاب ؛ ولذلك اختار ﷺ لهذه الخطبة الفاصلة الألفاظ المناسبة لحال المخاطبين في إثارة الانتباه ، وتوجيه الهمم لسماع الخطاب .

فقوله ﷺ " يا صباحاه " ، ونداؤه القبائل بأسماء آبائهم متنزّلا في التخصيص " يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار ، يا بني مرة ابن كعب أنقذوا أنفسكم من النار " تظهر فيهما مراعاة أحوال مجتمع القبائل

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٥ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٨ .
(٣) سبق ذكر الحديث الدال على ذلك في نصوص الخطب ص ٩٤ .

والحروب والعصبيات والفخر بالأنساب ، وإيضاح ذلك فيما يلي – إن شاء الله – فلفظه " يا صباحاه " تعبير صارخ عن خطر محدق وشيك الوقوع قال النووي – رحمه الله – وقولهم " يا صباحاه " كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم ، فيقولونها ليجتمعوا ويتأهبوا له " (١) .

وقال الدكتور سعيد بن ثابت : " وهذا الهاتف له دلالته في مجتمع القبائل والعشائر التي يغير بعضها على بعض لأتفه الأسباب ، هذه الكلمة تعني الجيش صبحكم أو مساكم " (٢) .

وقوله ﷺ " يا بني ... فلان " كلمة تحمل أكثر من مدلول في مجتمع الاعتزاز بالآباء والتفاخر بالأنساب ، فهم الذين كانوا يشيدون بذكر آبائهم حتى طلب الله منهم أن يذكروه كذكرهم آباءهم . قال تعالى ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ (٣) .

وفيها تذكير لهم بقرابته ﷺ لهم وحرصه عليهم فقوله " يابني كعب " و " يا بني مرة بن كعب " تساوي ما لو قال " يا أبناء الأجداد " لأنه ﷺ يشاركهم في الانتساب إلى هؤلاء المذكورين إما لكونهم أجدادا أو أعماما – كما هو معلوم – فإن بني هاشم من مرة ، ومرة من كعب وأما بنو عبد شمس فهم أبناء عمه ، وفي هذا النداء استعطاف واضح ، وإشعار بالاهتمام ومعرفة الأصول للمخاطبين ، والله أعلم .

٣ – مكانته ﷺ وصلته بقومه :

لقد اختار الله محمدا ﷺ من أوسط بيوت مكة ويكفي في ذلك قول أبي سفيان وهو على شركه " هو فينا ذونسب " (٤) .

وجعل الله الرحمة والشفقة على عباد الله من صفاته (٥) ، وكان لذوي القرابة النصيب الكافي من هذه الشفقة ، وتظهر مراعاته ﷺ للقرابة والصلة مع قريش في الأمور التالية :

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٣ ، ص ٨٢ .

(٢) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ ، ص ٢١ .

(٣) سورة البقرة ، جزء من الآية (٢٠٠) .

(٤) سبق تخريجه في التمهيد ، ص ٢٦ .

(٥) قال تعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ التوبة ، الآية (١٢٨) .

أ – معرفتهم صدقه :

كان الرسول ﷺ أصدق الناس حديثا ، وكانت قريش تعلم ذلك ، فلم يتّهموه قط بكذب ولا خيانة وقد سبق بيان ذلك في التمهيد وذكر الدليل عليه من حوار أبي سفيان مع هرقل [١] ، وحديث خديجة – رضي الله عنها – في بدء الوحي [٢] ، ولذا لما أراد رسول الله ﷺ أن ينذرهم عذاب الله ذكرهم بمعرفتهم صدقه فقال : " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بهذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي قالوا ما جرّبنا عليك كذبا " [٣] .

ب – إظهاره الشفقة عليهم من عذاب الله :

إن موقف رسول الله ﷺ ونداءَه قبائل قريش لكي ينقذوا أنفسهم من النار يذكّرنا بموقف آخر على نفس الجبل مليءٍ بالإشفاق ، والحنوّ والرحمة والحذر ألا وهو موقف أم إسماعيل حين تركها الخليل بواد غير ذي زرع ، ونفِد ما لديها من ماء فخشيت على ابنها الهلاك عطشا فجعلت تسعى بين الجبلين علّها تجد غوثا [٤] ، وعلى *ذلك* الجبل وقف نبينا محمد ﷺ وهو يحذر قومه وعشيرته أمرا لا يقل خطرا عما تخشاه أم إسماعيل على ابنها ونفسها من الهلاك فأطلق رسول الله ﷺ نداءه حتى سمعوه (أنقذوا أنفسكم من النار) ﴿ إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ﴾ ، " لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبُلّها ببَلالها " [٥] .

ولا يخفى ما تحمله هذه الألفاظ من شفقة ، وتلهُّف وحرص على هدايتهم وإنقاذهم من النار ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين ﴾ [٦] .

---

(١) سبق تخريجه في التمهيد ، ص (٢٦) .
(٢) سبق تخريجه في التمهيد ، ص (٢٧) .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٤ .
(٤) انظر هذه القصة في صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب (يزفون) النسلان : المشي ، جـ ٤ ص ٤٦٠ – ٤٦٣ ، حـ ٣٣٦٤ .
(٥) سبق تخريج هذه الألفاظ في نصوص الخطب ص ٩٤ .
(٦) سورة القصص ، الآية (٥٦) .

ثالثاً : جميع العرب الأميين ومراعاة أحوالهم :

قال الله تعالى ﴿ هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ أ لم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربّك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون ﴾ (٢) .

قال الشوكاني : – رحمه الله – " وهم العرب وكانوا أمة أمية لم يأتهم رسول ، وقيل قريش خاصة ... وقيل المراد بالقوم أهل الفترة ما بين عيسى عليه السلام ومحمد ﷺ " (٣) .

وأشار ابن القيم – رحمه الله – إلى أن المراد بالقوم هنا العرب حيث قال معدّدا مراتب الدعوة " الرابعة إنذار قوم ما أتاهم من نذير من قبله وهم العرب قاطبة " (٤) .

وقد استجاب الرسول ﷺ لأمر الله تعالى فقام بدعوة العرب إلى توحيد الله ونبذما يعبده آباؤهم ، وأوضح في خطبه بطلان كثير من الأمور التي كان عليها أهل الشرك بالتصريح أحيانا ، وبالتلويح آونة .

من ذلك قوله ﷺ في خطبة " وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " (٥) .

وقال وهو يخطب في أصحابه بعرفة " أمّا بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس " (٦) . وقال ملوّحا بما كانوا يقومون به من تحريم وتحليل للأشهر الحرم ، وبعض ما رزقهم الله من المال

---

(١) سورة الجمعة ، الآية (٢) .
(٢) سورة السجدة ، الآيات من (١ – ٣) .
(٣) فتح القدير ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ .
(٤) زاد المعاد ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٨٦ ، وقد جعل المراتب خمسة :
أ – النبوة .
ب – إنذار الأقربين .
جـ – إنذار قومه وهم قريش .
د – إنذار العرب عامة .
هـ – جميع من بلغته دعوته ﷺ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .

" الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم " (١) .

وقال " كل مال نحلته عبدا حلال ، وإنى خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم من دينهم ، وحرّمتْ عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بى مالم أنزل به سلطانا " (٢) .

وروي من حديث ربيعة بن عباد الدؤلي (٣) - رضي الله عنه - قال " رأيت رسول الله ﷺ بمِنَى في منازلهم قبل أن يهاجر إلى المدينة يقول .. يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا " قال ووراءه رجل يقول : " يا أيها الناس إن هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم فسألت من هذا الرجل ؟ فقيل أبو لهب (٤) .

وروى أنه كان يخاطبهم في الموقف فيقول : " هل من رجل يحملني إلى قومه فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي عز وجل ؟؟ فأتاه رجل من همدان فقال " من أنت ؟ " فقال الرجل من همدان . قال : " هل عند قومك من منعة ؟ قال : نعم .

ثم إن الرجل خشي أن يخفره قومه ، فأتى رسول الله ﷺ فقال : ءاتيهم فأخبرهم ، ثم آتيك من عام قابل قال " نعم " . فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب " (٥) .

وكان لقيامه بدعوة العرب أفرادا وجماعات في المواسم ، والمواقف ، واجتهاد قريش في تحذير الناس من الإيمان به ، بل ومن سماع كلامه - أثرهما البالغ في شيوع خبره فطارت الركبان بأخباره في جميع نواحي بلاد العرب وقبائلها .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص٨٤ .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .

(٣) هو ربيعة بن عباد الدؤلي من بني الدئل ، عداده في أهل المدينة ، وهو من المعمّرين قال ابن عبدالبرّ في الاستيعاب " لم أقف على وفاته ولا سنه " الاستيعاب بهامش الإصابة ، جـ ١ ، ص٤٩٦ أبو عمر بن عبدالبر .

(٤) رواه الحاكم في المستدرك ، جـ ١ ، ص ١٥ ، وقال على شرط الشيخين وأقره الذهبي ، وأخرجه أحمد في المسند ، جـ ٣ ، ص ٤٩٢ .

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك ، جـ ٢ ، ص ٦١٢ - ٦١٣ ، وقال على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي ، وهو عند الترمذي دون ذكر (صاحب) كتاب فضائل القرآن ، باب (٢٤) ، جـ ٥ ، ص ١٨٤ حـ ٢٩٢٥ ، وأحمد في مسنده ، جـ ٣ ، ص ٣٩٠ .

من شواهد ذلك حديث أبـي ذر الغفـاري – ﷺ – ففـي البخـاري ومسـلم عن ابن عباس – ﷺ – قال : قال أبوذر : كنـت رجـلا مـن غفـار ، فبلغنـا أن رجلا قد خرج بمكة يزعم أنه نبي ، فقلت لأخي انطلق إلى هذا الرجل وكلمه ، وأتني بخبره ، فانطلق فلقيـه ، ثـم رجـع فقلـت : مـا عنـدك ؟ فقـال : واللـه لقـد رأيت رجلا يأمر بالخير ، وينهى عن الشر ، فقلت له : لم تشفني مـن الخـبر ، فأخذت جرابا وعصا ، ثم أقبلت إلى مكة ، فجعلت لا أعرفه ، وأكـره أن أسـأل عنه ، وأشرب من ماء زمزم وأكون في المسـجد قـال : فمـرَّ بـي علـي . فقـال كأن الرجل غريب ؟ قال : قلت : نعم فقال : فانطلق إلى المنزل فـانطلقت معـه لا يسألني عن شيء ولا أسأله ولا أخبره ، فلما أصبحت غدوت إلـى المسـجد ؛ لأسأل عنه ، وليس أحد يخبرني عنه بشيء ، قال فمرّ بـي علـي فقـال: أمـا آن للرجل أن يعرف منزلـه بعـد ؟ قـال : قلـت " لا " قـال فـانطلق معـي ، قـال مـا أمرك ؟ وما أقدمك هذه البلدة ؟ قـال : قلـت لـه إن كتمـت علـي أخـبرتك ، قـال فإني أفعل ، قال قلت له : بلغنا أنه قد خرج هاهنا رجـل يزعـم أنـه نبـي اللـه ، فأرسلت أخي ولم يشفني من الخبر ، فأردت أن ألقاه . فقـال لـه : أمـا إنـك قـد رشدت هذا وجهي إليه ، ادخل حيث أدخل ، فإنني إن رأيت أحـدا أخافـه عليـك قمت إلى الحائط كأني أصلح نعلي ، وامْض أنت ، فمضى ومضيت معـه حتـى دخل ، ودخلت معه على النبي ﷺ فقلت له : اعرض علـي الإسـلام ، فعرضـه فأسلمت مكاني ، فقال لي يا أبـاذر ، اكتـم هـذا وارجـع إلـى بلـدك ، فـإذا بلغـك ظهورنا فأقبل . فقلت والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم " [1] .

وقد ذكرت هذا الحديث مع طولـه لمـا فيـه مـن دروس مهمـة فـي مجـال الدعوة منها التأني في الأمور ، وعدم الاستعجال ، وجواز إخفـاء الأمـور التـي يترتب علـى إظهارهـا ضـرر بجماعـة المسـلمين ، وفيـه مراعـاة الظـروف والأحوال ، ولزوم اتخاذ الحذر والحيطة من الأعداء ، وفيـه فضيلـة الأذى فـي سبيل الله ؛ لأن الرسول ﷺ لـم يوجـب علـى أبـي ذر كتـم إيمانـه ؛ إذ لـو كتـم

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام أبي ذر الغفاري – ﷺ – جـ ٤ ص ٦١٩ ، حـ ٣٨٦١ . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي ذر – ﷺ – جـ ٤ ، ص ١٩٢٣ ، حـ ٢٤٧٤ .

إيمانه لم يُصبه الأذى ، ورجح ابن حجر أن حصول الأجر في هذا النوع بحسب حال الشخص – في قوة صبره على الأذى – وصلاح قصده [١] .

وفي رواية عند مسلم أن رسول الله ﷺ قال لأبي ذر – رضي الله عنه – " إنه قد وجّهت لي أرض ذات نخل لا أراها إلاّ يثرب فهل أنت مبلغ عني قومك ؟ عسى الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم " وفيه أنه دعا أخاه وأمه فأسلما – ودعا قومه فأسلم نصفهم ، ووعده الباقون أن يسلموا إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة ففعلوا " ، وكانوا قدوة لإخوانهم أسلمَ ولذا استحقت القبيلتان الدعاء من رسول الله ﷺ فقال " غفار غفر الله لها وأسلم سالمها الله " [٢] .

ومن شواهد دعوته لغير قريش من مشركي العرب دعوته لضماد الأزدي ، وقد تقدم حديث إسلامه في سمات الخطب [٣] .

ومنها دعوته للطفيل بن عمرو الدوسي [٤] – رضي الله عنه – ذكر علماء السيرة أنه قدم مكة فحذّرته قريش من سماع كلام محمد ﷺ حتى سدّ أذنيه بالقطن خشية سماع كلام محمد ﷺ ، ولكن الله أراد أن يسمعه فقال " قلت في نفسي : واثكل أمي ، والله إني رجل لبيب شاعر ، ما يخفى عليَّ الحسنُ من القبيح ، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول ؟ فإن كان حسنا قبلته ، وإن كان قبيحا تركته ، فمكثت حتى انصرف إلى بيته ، فاتبعته ، حتى إذا دخل بيته ، دخلت عليه فعرضت عليه قصة مقدمي ، وتخويف الناس إياي وسد الأذن بالكرسف ، ثم سماع بعض كلامه ، وقلت له : اعرض علي أمرك ، فعرض علي الإسلام وتلا عليَّ القرآن ، فوالله ما سمعت قولا قطُّ أحسن منه ، ولا أمرا

---

(١) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ٢١٣ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي ذر – رضي الله عنه – جـ ٤ ، ص ١٩٢٢ ، حـ٢٤٧٣ .

(٣) انظر : ص ١٠٣ – ١٠٤ من هذا البحث .

(٤) هو : الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي ذو النور ، أسلم قبل الهجرة ورجع إلى قومه ودعاهم إلى الإسلام فأسلم أبوه وزوجته ، وأبطأ عليه الباقون فأتى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يدعو عليهم فقال " اللهم اهد دوسا " ورجع إلى قومه فلم يزل يدعوهم إلى الإسلام حتى جاء بهم ، والنبي ﷺ بخيبر نحوا من سبعين أو ثمانين بيتا ، وقتل شهيدا باليمامة ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٤ ، ص ٢٣٧ – ٢٤٠ ، والاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٢٢١ – ٢٢٦ والاصابة ، جـ ٢ ، ص ٢١٦ – ٢١٨ ، والسير جـ ١ ، ص ٣٤٤ – ٣٤٧ .

أعدل منه ، فأسلمت وشهدت شهادة الحق ، وقلت له إني مطاع في قومي ، وراجع إليهم ، وداعيهم إلى الإسلام ... " (١) .

ومن شواهد دعوته للعرب غير القرشيين دعوته للأوس والخزرج ، وكان أول اتصال بهم عن طريق جماعة من الخزرج لقيهم رسول الله ﷺ أثناء تجواله على القبائل " فقال : لهم : من أنتم ؟ قالوا نفر من الخزرج ، قال أمن موالي يهود ؟ قالوا : نعم . قال أفلا تجلسون أكلمكم ؟ قالوا : بلى فجلسوا معه فدعاهم إلى الله ، وعرض عليهم الإسلام .... ، قال بعضهم لبعض تعلموا والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود ، فلا يسبقنكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الإسلام ... " (٢) .

والشواهد في هذا المعنى كثيرة أقتصر على المذكور منها خشية الإطالة

وأما مراعاة أحوالهم فتتجلى في أمور كثيرة أهمها ما يلي :

١ – إشعارهم بعظمة الله سبحانه وانفراده بالخلق والأمر يشهد لذلك قوله ﷺ : في خطبة " وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " (٣) .

وقوله ﷺ مبينا بطلان النسيء الذي هو من أمور الجاهلية " الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم " (٤) .

والشواهد من القرآن والسنة على هذا المعنى كثيرة منها قوله تعالى ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ (٥) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسيره : " أي ما قدر المشركون الله حق قدره حين عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه القادر على كل شيء المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته " (٦) .

---

(١) انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٤ ، ص ٢٣٧ ، وما بعدها ، والسيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٣٨٢ – ٣٨٣ .

(٢) عيون الأثر ، جـ ١ ، ص ٢٦٢ بحذف واختصار يسير .

(٣) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .

(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٤ .

(٥) سورة الزمر ، الآية (٦٧) .

(٦) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٧٩ .

٢ – استخدامه ﷺ الترهيب أكثر من غيره :

لما كان الشرك مهلكة ، والواقع فيه بمثابة الغريق الهالك ناسب أن يكون التركيز في دعاء أهل الشرك على الترهيب يشهد لذلك قوله تعالى ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ (١) .

قال ابن كثير قوله ﴿ ومبشرا ونذيرا ﴾ أي مبشرا للمؤمنين بجزيل الثواب ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب " (٢) .

وقوله تعالى ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ (٣) .

ولذا فإن رسول الله ﷺ قال في خطبته على الصفا وهو ينادي قبائل قريش يا بني فلان " أنقذوا أنفسكم من النار " (٤) ، وفي هذا ترهيب شديد وهو وإن كان خاصا بقريش إلا أنّ غيرهم من أهل الشرك مثلهم في كونهم بالشرك يهلكون أنفسهم ، وبالإيمان ينقذونها من النار .

٣ – التركيز على الأمور الأساسية مثل عبادة الله وحده وترك عبادة الأوثان :

إذا تأملنا الخطاب الذى كان رسول الله ﷺ يوجّهه إلى المشركين لاحظنا فيه التركيز على الأمور الهامة من غير خوض في تفاصيلها ، يشهد لذلك ما يلي :

أ – جواب أبي سفيان لهرقل لما سأله عن الأوامر التي يوجهها إليهم رسول الله ﷺ قال . يقول " اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة " (٥) .

ب – جواب جعفر بن أبي طالب (٦) – رضي الله عنه – للنجاشي لما سأله عن

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية (٤٥) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٦٥٥ ، وانظر : زاد المسير ، جـ ٦ ، ص ٤٠٠ .
(٣) سورة المدثر ، الآيتان (١ – ٢) .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٤ .
(٥) تقدم تخريجه في التمهيد ، ص ٢٧ .
(٦) هو : جعفر بن أبى طالب ابن عبدالمطلب ، وأمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم أبو عبدالله ، هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ، قدم على النبي ﷺ وهو بخيبر ، وكان من أمراء جيش مؤتة واحتضن الراية حتى قطعت جناحاه ، وأخبر رسول الله ﷺ أنه رآه في ملإ من الملائكة له جناحان مضرجان بالدماء أبيض القوادم ، انظر : الطبقات الكبرى ، ج٤ ، ص (٣٤ – ٤١) وحلية الأولياء ، ج١ ، ص١١٤ – ١١٨ ، والاصابة ، ج١ ، ص٢٣٩ – ٢٤٠ .

الدين قال : " أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيئ الجوار ، ويأكل القويُّ منا الضعيفَ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحّده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة والصيام " [١] .

٤ – الاستفادة من الفوضى المتمثلة في استقلال كل قبيلة برأيها .

قد سبق في التمهيد بيان ما كان عليه العرب من فوضى في السياسة ، حيث كان النظام القبلي هو السائد في حياتهم [٢] ، وتظهر مراعاة رسول الله ﷺ لأحوالهم في هذا الجانب أنه كان يسألهم ويتعرّف على أحوالهم قبل أن يدعوهم ، يشهد لذلك حديث الرجل الهمداني الذي سبق قريبا حيث قال له " ممن أنت ؟ " فلما أجابه سأله عن حال قومه " هل عند قومك من منعة ؟ " ومعلوم أن العرب كانوا يتفاخرون بالقوّة والمنعة ، ولذا لم يكن من صاحب همدان إلا أن أجاب بقوله " نعم " ولكنه خشي من إخفار قومه إياه كما سبق [٣] . وكذلك سأل رسول الله ﷺ وفد الخزرج المباركين فقال لهم " من أنتم ؟ " قالوا نفر من الخزرج . قال : " أمن موالي يهود " . قالوا : " نعم " – كما سبق – أيضا [٤] .

وفي قوله لهم " أمن موالي يهود " دليل على أنه ﷺ كان يهتم بمعرفة أحوال المدعوّين وعلاقاتهم [٥] .

وفي حديث ربيعة بن عباد المتقدم ما يدل على أنه كان يغشى الناس في منازلهم ويدعوهم إلى توحيد الله ، ونبذ كل ما يعبد من دونه ، وذلك لما يعلمه الرسول من حالهم ، وأن كل قبيلة يمكن أن تتخذ القرار لنفسها مهما كانت

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ١ ، ص ٣٥٦ – ٣٥٧ .
(٢) انظر التمهيد ، ص (٣٨) .
(٣) انظر : ص ٢٩٠ .
(٤) انظر : ص ٢٩٣ .
(٥) انظر : مراعاة أحوال المدعوين ص ٣٥ – ٣٩ .

خطورة ذلك القرار ، ومخالفته لرأي غيرها من القبائل بل وحتى الأفراد إذا كان أحدهم واثقا من مكانته عند قومه يمكن أن يتخذ المبادرة بما يشاء على قومه كما فعل الطفيل بن عمرو الدوسي - رضي الله عنه - فإنه لما أسلم قال للرسول ﷺ " إني مطاع في قومي ، وراجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام " (١) .

٥ - إشعارهم ببطلان الكثير من عاداتهم وما وجدوا عليه آباءهم .

قد سبق في التمهيد بيان الحالة الدينية للعرب قبل الإسلام ، وبينت اتباعهم للهوى ، وافتراءهم على الله في العبادة - حيث كانوا يعبدون ما استحسنوا عبادته من حجر أو غيره ، وفي التشريع أيضا حيث كانوا يحلون ما شاءوا ويحرمون ما شاءوا لمجرد الهوى (٢) .

وقد أعلن رسول الله ﷺ في خطبة جامعة إبطال جميع أمور الجاهلية " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع " (٣) .

وقال في خطبة أخرى " كل مال نحلته عبدا حلال " (٤) .

وقال في تحديد وقت الدفع من عرفة " أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا عند غروب الشمس ، حين تكون الشمس على رؤوس الجبال ... فهدينا مخالف لهديهم " (٥) .

وذكر إبطال النسيء في خطبة أيضا (٦) .

---

(١) سبق تخريجه قريبا ص ٢٩٣ .
(٢) انظر : ص ٩ - ١٤ .
(٣) سبق في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٤) سبق في نصوص الخطب ص ٧٠ .
(٥) سبق في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٦) سبق في نصوص الخطب ص ٨٤ .

المطلب الثاني

المدعوون من أهل النفاق ومراعاة أحوالهم

" النفاق الدخول في الإسلام من وجه ، والخروج عنه من آخر مشتق من نافقاء واليربوع " (١) .

والنفاق إسم إسلامي لم يعرفه العرب بالمعنى المخصوص به ، وهو الذي يستر كفره ويظهر إيمانه ... وهو مأخوذ من النافقاء : أحد جحَرة اليربوع ، إذا طلب من واحد هرب إلى الآخر وخرج منه ، وقيل هو من النَّفق : وهو السرب الذي يستتر فيه لستر كفره " (٢) .

وقد ظهر النفاق بعد قيام دولة الإسلام في المدينة المنورة لما دخل الناس في دين الله أفواجا ؛ حيث أعلن المنافقون الدخول في الإسلام مجاراة لأقوامهم وخشية العزل الإجتماعي قال تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾ (٣) .

وقد خاطبهم رسول الله ﷺ بصفاتهم في نصوص كثيرة منها قوله ﷺ في خطبة : " يا معشر من أسلم بلسانه ، ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيّروهم " (٤) .

وقال في خطبة أخرى ملوّحا بعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين " يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهل بيتي " (٥) .

وكان منهج رسول الله ﷺ في الدعوة أن يكف عن كل من أعلن الإسلام بلسانه وقام بفعل أركانه ولو في الظاهر ، قال ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم " (٦) .

---

(١) لسان العرب ، جـ ١٠ ، ص ٣٥٩ .
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ، جـ ٥ ، ص ٩٨ .
(٣) سورة المجادلة ، جزء من الآية (٢٢) .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٣ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٧ .
(٦) سبق تخريجه في ص ٢٨ .

وقد اشتد إنكاره على أسامة بن زيد -رضي الله عنه- حين أعلمه أنه قتل رجلا بعد النطق بلا إله إلا الله ، مع أنه لم يقلها إلا بعد التمكن منه ، وخوفه السلاح فعن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال بعثنا رسول الله ﷺ فصبَّحنا الحرقات من جهينة ، فأدركت رجلا . فقال لا إله إلا الله . فطعنته فوقع في نفسي من ذلك ، فذكرته للنبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ " أقال لا إله إلا الله وقتلته ؟ " قال . قلت : يا رسول الله ! إنما قالها خوفا من السلاح . قال " أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا ؟! " فما زال يكررها حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ [١] .

وقد كان رسول الله يراعي أحوال أهل النفاق في أمور كثيرة من أهمها ما يلي :

١ - **الكف عن قتل المنافقين خشية أن يقال إن محمداً ﷺ يقتل أصحابه حتى ولو ظهر نفاقهم وافتضحوا** ، لقد كان في الإمكان أن يتخلص رسول ﷺ من المنافقين لأنه يعرفهم بأسمائهم ، وأسماء آبائهم بالوحي ، بل كانت تبدر منهم البوادر السيئة التي يتضح من خلالها نفاقهم وكفرهم لكل من سمع أو شاهد ما وقع منهم .

ومن أمثلة ذلك قول كبيرهم ﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾ [٢] .

ولما قال عمر - رضي الله عنه - لرسول الله ﷺ بعد قولته هذه - " دعني أضرب عنق هذا المنافق " لم يقل له " هلا شققت عن قلبه " كما قال لأسامة : بل قال له " دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه " [٣] .

وفي هذا الحديث نص على السبب الذي من أجله ترك رسول الله ﷺ قتل المنافقين ، وأنه من أجل مراعاة حالتهم التي يزعمون ، ويحلفون عليها من

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الديات ، باب قول الله تعالى ﴿ ومن أحياها ﴾ ، جـ ٨ ، ص ٣٥٤ ، حـ ٦٨٧٢ . وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ، جـ ١ ، ص ٩٦ حـ ١٥٨/٩٦ ، واللفظ لمسلم .

(٢) سورة المنافقون ، جزء من الآية (٨) .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله ﴿ سواء عليهم أستغفرت لهم ... ﴾ جـ ١ ، ص ٣٧٣ ، حـ ٤٩٠٥ . وصحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما ، جـ ٤ ، ص ١٩٩٩ ، حـ ٦٣/٢٥٨٤ .

ادعاء الإيمان والصحبة لرسول الله ﷺ فلو عمل فيهم رسول الله ﷺ بمقتضى ما يعلمه من كفرهم في الباطن لادعى المبطلون أنه قتل أصحابه ، ولا يخفى ما في ذلك من التنفير من الإسلام ، واتباع محمد ﷺ [١] .

٢ - **التركيز على إبراز صفاتهم دون ذكر أسمائهم** لقد كان رسول الله ﷺ يستخدم أسلوب التلميح كثيرا في خطبه ، وأحاديثه وكان يهتم بإيضاح الصفات غير المحمودة ، والعيوب التي يسعى لإزالتها وإبعادها عن المجتمع المسلم ومن فوائد عدم توجيه النقد للأشخاص المعينين شموله لكل من اتصف بالصفات التي وجه النقد من أجلها ، ولما كان النفاق ظاهرة مرضية خبيثة ، يمكن أن يستمر وجودها في المجتمع المسلم - نسأل الله العصمة منها - كان التركيز في الخطب ، والنصوص القرآنية والنبوية على إبراز صفات المنافقين وسماتهم من ذلك قوله ﷺ في الخطبة التي ذكرتها " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ، ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم " [٢] .

فإذا تأملنا هذه الخطبة وجدنا فيها الصفات التالية :

الصفة الأولى : الكذب وهو من صفاتهم الأساسية ، قال الله تعالى ﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون ﴾ [٣] .

وقال ﷺ " آية المنافق ثلاث إذا حدّث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان " [٤] .

الصفة الثانية : المخادعة ، لأن من صرح بأمر وأضمر خلافه كان مخادعا ، والخداع وصف أصيل أيضا في أهل النفاق .

قال الله تعالى ﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ [٥] .

---

(١) انظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٦ ، ص ٥٦٢ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٣ .
(٣) سورة المنافقون من الآية (١) .
(٤) سبق تخريجه في ص ٢٥٢ .
(٥) سورة النساء ، جزء من الآية (١٤٢) .

الصفة الثالثة : التفنُنُ في إيذاء أهل الإسلام لقوله ﷺ " لا تؤذوا المسلمين " [١] .

وقوله ﷺ في ابن أبي " من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي " [٢] .

وقد أخبر الله أن من اذى المسلمين يتحمل بهتانا وإثما عظيما ، قال تعالى ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا ﴾ [٣] .

الصفة الرابعة : التجسس والبحث عن عورات المسلمين لقوله ﷺ " ولا تتبعوا عوراتهم " ، ويشهد لذلك ما قام به عبدالله بن أبيّ من دور خبيث في إشاعة حديث الإفك ولذا وصفه الله بأنه المتولي كبره قال تعالى ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾ [٤] .

قيل في تفسيره " فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه " [٥] ، وقد نهى الله عن التجسس فقال ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ [٦] ، ونهى عنه رسول الله ﷺ فقال " لا تحسسوا ولا تجسسوا " [٧] .

الصفة الخامسة تعيير أهل الإسلام ، والسخرية منهم لقوله ﷺ " ولا تعيروهم " ، وقال الله في حقهم ﴿ الذين يلمزون المطّوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم ﴾ [٨] .

والحديث عن صفات أهل النفاق مستفيض في كلام الله وكلام رسوله ﷺ وقد فضحهم الله وأظهر الكثير من صفاتهم في سورة التوبة ، والمنافقون

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٣ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ٩٧ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٥٨) .
(٤) سورة النور ، جزء من الآية (١١) .
(٥) في صحيح مسلم " وأما المنافق عبدالله بن أبي فهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره " صحيح مسلم ، كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف جـ٤ ، ص٢١٣٨ ، حـ ٥٨/٢٧٧٠ .
(٦) سورة الحجرات ، جزء من الآية (١٢) .
(٧) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب تحريم الظن والتجسس ، جـ٤ ، ص١٩٨٥ ، حـ٢٥٦٣ .
(٨) سورة التوبة ، الآية (٧٩) .

وسورة البقرة وغير ذلك من سور القرآن العظيم ، وفي صحيح مسلم ، كتاب بعنوان صفات المنافقين وأحكامهم .

٣ - الرفق بهم والصبر على أذاهم ، والاستغفار لهم مواساة لذويهم .

لقد كان رسول الله ﷺ يصبر على أذى المنافقين ، ويقبل منهم الأعذار ويرفق بهم ، ويستغفر لهم والشواهد كثيرة على ذلك :

من أبرزها أن ابن أبيّ لما مات ، وجاء ابنه عبدالله - رضي الله عنه - إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفّن فيه أباه . فأعطاه . ثم سأله أن يصلي عليه . فقام رسول الله ﷺ يصلي عليه فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أتصلي عليه وقد نهاك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله ﷺ " إنما خيرني الله فقال : " استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرةً وسأزيد علي سبعين " قال إنه منافق . فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنزل الله ﴿ ولا تُصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾ [١] .

وفي رواية " فترك الصلاة عليهم " [٢] .

وفي حديث آخر أنه ﷺ " أخرجه من قبره فوضعه على ركبتيه ، ونفث عليه من ريقه وألبسه قميصه " [٣] .

قال النووي - رحمه الله - " وأما حديث صلاة النبي ﷺ على عبدالله بن أبي المنافق وإلباسه قميصه ، واستغفاره له ، ونفثه عليه من ريقه ... فقد - فعل هذا كله إكراما لابنه وكان صالحا وقد صرح مسلم في روايته بأن ابنه سأل ذلك ، ولأنه أيضا من مكارم أخلاقه ﷺ وحسن معاشرته لمن انتسب إلى صحبته وكانت هذه الصلاة قبل نزول قوله تعالى سبحانه ﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ﴾ [٤] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية (٨٤) .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، جـ ٤ ، ص ٢١٤١ ، حـ ٣/٢٧٧٤ ، حديث الباب .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب (١) ، جـ ٤ ، ص ٢١٤٠ ، حـ ٢/٢٧٧٣ ، حديث الباب .

(٤) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٧ ، ص ١٢٠ - ١٢١ .

المطلب الثالث

المدعوّون من أهل الكتاب ومراعاة أحوالهم

يطلق هذا الإسم – أهل الكتاب – على اليهود وهم الذين آمنوا برسالة موسى عليه السلام وكتابهم التوراة ، والنصارى وهم الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام وكتابهم الإنجيل .

وقد كان الرسول ﷺ يدعوهم جميعا ويحرص على هدايتهم ، قياما بواجب البلاغ ، ورغبة في اتباعهم الحق ليسلموا من مقت الله وعقابه ، وينغمسوا في رحمته ونعيمه ، وقد قال ﷺ في خطبة جامعة " إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب " (١) .

واتخذ الرسول ﷺ لدعوتهم أساليب ومناهج متعدّدة فخطبهم وحاورهم وجادلهم ، وحاجّهم ودعاهم إلى المباهلة ، وراسلهم ، وكتب إلى ملوكهم ، ورهبانهم ، ومن لم يشافهه رسول الله ﷺ منهم ، أو لم تبلغه رسالة مكتوبة ، فقد بلغته الدعوة ، وسمع بها وبصفات حاملها ، ولذا قال رسول الله ﷺ " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ، ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " (٢) .

وعند تأمل الخطاب الموجّه إليهم في القرآن والسنة نجد أنهم يتفقون في أمور كثيرة ، ولكنهم يتمايزون في أشياء قد تقتضي مع الالتزام بتوحيد المنهج أن نفرد كل واحدة من الطائفتين بحديث يدور حول شواهد دعوتها ومراعاة أحوالها :

أولاً : اليهود :

لقد كان اليهود أحلافا للأوس والخزرج ، وكانت بعض قبائلهم تسكن بالمدينة ، وقد أشركهم رسول الله ﷺ في الوثيقة ، الموضحة للعلاقة بين أهل

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، جـ ١ ، ص ١٣٤ ، حـ ١٥٣ .

المدينة فمن بنود تلك الوثيقة " أن من تبع أهل الإسلام من اليهود ، فإن له النصر ، والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم " (١) .

ونقل ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق " وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم " (٢) .

وكانت القبائل الموجودة بالمدينة قينقاع ، والنضير وقريظة ، وكلهم نقضوا العهد ، فمنّ رسول الله ﷺ على قينقاع ، وأجلى النضير ، واستأصل قريظة (٣) .

وقد كان رسول الله ﷺ شديد الحرص على هدايتهم وثبت عنه في الصحيحين أنه قال : " لو آمن بي عشرة من اليهود لآمن بى اليهود " (٤) .

وثبت عنه ﷺ من حديث أنس - رضي الله عنه - قال كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه النبي ﷺ يعوده ، فقعد عند رأسه فقال له " أسلم " فنظر إلى أبيه وهو عنده ، فقال : أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فخرج النبي ﷺ وهو يقول " الحمد لله الذي أنقذه من النار " (٥) .

وتظهر في هذا رحمته ﷺ بهذه الأمة جمعاء ، وفرحه بسلامتهم من النار ، فيجب على جميع أتباعه أن يقتدوا به ، في الحرص على هداية الناس ، أسأل الله أن يجعلنا منهم .

وروى البخاري عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : بينما نحن في المسجد إذ خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : " انطلقوا إلى يهود " فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم " يا معشر يهود أسلموا تسلموا " فقالوا : قد بلغت يا أبا القاسم فقال " ذلك أريد " (٦) .

---

(١) السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٠٢ .
(٢) السيرة النبوية ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .
(٣) انظر فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٣٢٢ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة ، جـ ٤ ، ص ٦٥٣ ، حـ ١٩٤١ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجنائز ، باب إذا أسلم الصبي فمات . هل يصلى عليه ، وهل يعرض على الصبي الإسلام ، جـ ٢ ، ص٤١٠ ، حـ ١٣٥٦ .
(٦) صحيح البخاري ، كتاب الإكراه ، باب في بيع المكره ونحوه في الحق وغيره ، جـ ٨ ، ص ٣٨٠ ، حـ ٦٩٤٤ .

وقد قام رسول الله ﷺ بدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته ، وتصديق رسالته ﷺ ، والإيمان به وبما جاء به .

قال تعالى آمرا رسوله ﷺ ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ (١) .

وقال تعالى ﴿ يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون ﴾ (٢) .

وقال تعالى ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقٌ لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ (٣) .

وبحكم جوارهم المدينة فقد دعاهم رسول الله ﷺ مباشرة وسمعوا القرآن وعرفوا أن محمداً ﷺ هو الذي جاء وصفه في كتبهم فمن هداه الله منهم كان إسلامه سريعا مثل عبدالله بن سلام (٤) - رضي الله عنه - فقد ثبت في الصحيح - أنه أتى رسول الله ﷺ فسأله عن ثلاثة أشياء فأجابه عنها فأسلم في وقته ثم قال له : " يا رسول الله ، إن اليهود قوم بُهْت ، فاسألهم عني قبل أن يعلموا بإسلامي . فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ : أي رجل عبدالله بن سلام فيكم ؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا فقال النبي ﷺ أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام ؟ قالوا أعاذه الله من ذلك . فأعاد عليهم . فقالوا مثل ذلك . فخرج إليهم عبدالله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . قالوا شرّنا وابن شرنا وتنقصوه . قال هذا كنت أخاف يا رسول الله " (٥) .

---

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية (٦٤) .
(٢) سورة آل عمران ، الآيتان (٧٠ - ٧١) .
(٣) سورة البقرة ، الآية (٨٩) .
(٤) هو : عبدالله بن سلام بن الحارث الامام الحبر المشهود له بالجنة أبو الحارث الاسرائيلي حليف الأنصار ، من خواص أصحاب النبي ﷺ حدث عنه أبو هريرة ، وأنس بن مالك ، وابناه يوسف ، ومحمد ، قيل كان اسمه الحصين فسماه رسول ﷺ عبدالله ، يرجع نسبه إلى يوسف عليه السلام ، توفي رضي الله عنه بالمدينة سنة (٤٣هـ) ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٢ ، ص ٣٥٢ - ٣٥٣ ، والاستيعاب ، جـ ٣ ص ٣٧٤ - ٣٧٥ ، والاصابة ، جـ ٣ ، ص ٣١٣ - ٣١٤ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب (٥١) ، جـ ٤ ، ص ٦٥٢ ، حـ ٣٩٣٨ .

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة ، منها وهي التي أوردته من أجلها أن الرسول ﷺ بلغت دعوته اليهود ودعاهم إلى الإسلام بدليل إسلام عبدالله بن سلام وهو من أحبارهم – رضي الله عنه – وأن جماعة منهم أتوه وأخبرهم عن إسلام عبدالله – رضي الله عنه – مع ماله من مكانة فيهم ، وفيه دعوة ضمنية لهم إلى متابعته وفيه جرأة اليهود على الكذب وسرعة تلونهم ، ورجوعهم عن المواقف التي لا توافق هواهم – عليهم لعنة الله – .

ولا عجب في ذلك فقد قال الله عنهم ﴿ وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ﴾ (١) .

ولا يخفى ما تشتمل عليه هذه الآية من دلالة على مكر اليهود وخداعهم وسعيهم الدائب في صد المسلمين عن دينهم وما تشتمل عليه صدورهم من حقد وعداء للإسلام وأهله ، وقال تعالى مبينا تأصل العداء في نفوسهم ﴿ لتجدن أشدّ الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ﴾ (٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – " ما ذاك إلا لأن كفر اليهود كفر عناد ، وجحود ومباهتة للحق وغمط للناس وتنقص بحملة العلم ، ولهذا قتلوا كثيرا من الأنبياء حتى هموا بقتل رسول الله ﷺ غير مرة وسَمُّوه ، وسحروه ، وألّبوا عليه أشباههم من المشركين " (٣) .

وقال سيد قطب – رحمه الله – في ظلال هذه الآية " لقد واجه اليهود الإسلام بالعداء منذ اللحظة الأولى التي قامت فيها دولة الإسلام بالمدينة وكادوا للأمة المسلمة منذ اليوم الأول الذي أصبحت فيه أمة ، وتضمّن القرآن الكريم من التقريرات والإشارات عن هذا العداء وهذا الكيد ، ما يكفي وحده لتصوير تلك الحرب المريرة التي شنها اليهود على الإسلام وعلى رسول الله ﷺ وعلى الأمة المسلمة في تاريخها الطويل والتي لم تخب لحظة واحدة قرابة أربعة عشر قرنا وما تزال حتى اللحظة يتسعر أوارها في أرجاء الأرض جميعا " (٤) .

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (٧٢) .
(٢) سورة المائدة ، جزء من الآية (٨٢) .
(٣) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ١١٩ .
(٤) في ظلال القرآن ، جـ ٢ ، ص ٩٦٠ .

وهذه النصوص كافية في التدليل على أن الرسول ﷺ قام بدعوتهم حق القيام وهو أمر جلي لا يحتاج إلى بيان لكن يلزم أن أتعرض له ليكون مدخلا لمراعاة أحوالهم .

وتظهر مراعاة الرسول ﷺ لأحوالهم في أمور كثيرة أعرض لأهمها فيما يلي :

١ - **إخبارهم بشمول رسالته ﷺ** لهم وأنهم من أمة الدعوة يدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الذي سبق قريبا " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ، ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار " (١) .

قال النووي رحمه الله " وقوله : ﷺ " لا يسمع بي أحد من هذه الأمة " أي ممن هو موجود في زمني ، وبعدي إلى يوم القيامة ، فكلهم يجب عليه الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما ، وذلك لأن اليهود والنصارى لهم كتاب ، فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا ، فغيرهم ممن لا كتاب له أولى " (٢) .

٢ - **إشعارهم بأن دعوة محمد ﷺ** متفقة مع دعوات الأنبياء قبله في الأصول ، والدعوة إلى التوحيد يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ﴾ (٣) .

قال ابن كثير - رحمه الله - قوله تعالى ﴿ سواء بيننا وبينكم ﴾ أي عدل ونصف نستوي نحن وأنتم فيها ثم فسرها بقوله ﴿ ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ﴾ وثناً ولا صليبا ولا صنماً ، ولا طاغوتا ولا نارا ولا شيئا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الرسل قال الله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (٤) .

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٠٢ .
(٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم جـ ٢ ، ص ١٨٨ .
(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية (٦٤) .
(٤) سورة الأنبياء ، الآية (٢٥) .

وقال تعالى ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾ [١][٢] .

٣ - التدرج في دعوتهم والبدء بالأهم فالأهم يدل على ذلك حديث معاذ لما بعثه رسول الله ﷺ على اليمن قال له " إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ، فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم ، فإذا فعلوا الصلاة فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم زكاة تؤخذ من أموالهم ، وترد على فقرائهم فإذا أطاعوا بها فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس " [٣] .

قال ابن حجر - رحمه الله - " قوله (ستأتي قوما أهل كتاب) هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان " [٤] .

ويدل هذا الكلام على أن خطاب العالم ليس مثل خطاب العامي أو الجاهل ؛ ولذلك نبه رسول الله ﷺ معاذاً على أنه يأتي قوما أهل كتاب وفيه دليل على أهمية معرفة الداعية أحوال مدعويه ، ليتمكن من مراعاتها في الخطاب الذي يوجّهُه إليهم .

٤ - استخدام أسلوب الترغيب في دعوتهم :

يدل على ذلك قوله ﷺ " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه ، فله أجران .. " [٥] .

قال النووي - رحمه الله - " فيه فضيلة من آمن من أهل الكتاب ، بنبينا ﷺ وأن له أجرين لإيمانه بنبيه قبل النسخ ، والثاني لإيمانه بنبينا ﷺ " [٦] .

---

(١) سورة النحل ، جزء من الآية (٣٦) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٤٨٤ .
(٣) سبق تخريجه في التمهيد ص ٢٨ .
(٤) فتح الباري ، جـ ٣ ، ص ٤١٩ .
(٥) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب تعليم الرجل أمته وأهله ، جـ١ ، ص٤٠ ، حـ٩٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ ، حـ ١٥٤ .
(٦) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١ ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .

ولا يخفى أن المقصود بهذا الفضل العظيم ، إنما هو من بقي متمسكا بدين نبيه فلم يبدل ولم يغير ، وهو المراد بالاستثناء من المقت الذي بين رسول الله ﷺ في الخطبة التي رواها عياض بن حمار - رضي الله عنه - (وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب) [١] .

وقوله ﷺ (إلا بقايا من أهل الكتاب) يدل على قلة المتمسكين من أهل الكتاب عند بعثة رسول الله ﷺ .

وقال تعالى ﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون ﴾ [٢] .

وقال تعالى ﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون ﴾ [٣] .

وقصة إسلام سلمان [٤] وتنقله من عابد إلى عابد تدل على ندرة الصالحين منهم أوان بعثة رسول الله ﷺ فقد ثبت " عن سلمان الفارسي - رضي الله عنه - أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب " [٥] .

٥ - استخدام أسلوب الترهيب في دعوتهم :

قال تعالى ﴿ يأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧١ .

(٢) سورة الحديد ، الآية (٢٧) .

(٣) سورة المائدة ، الآيتان (٦٥ - ٦٦) .

(٤) هو : سلمان ابن الإسلام ، أبو عبدالله ، الفارسي ، صحب النبي ﷺ ، وخدمه ، وحدث عنه ، وروى عنه ابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبو الطفيل ، كان لبيبا حازما ، عابدا ، وقصة إسلامه وتنقله بين أساقفة النصارى بحثا عن الدين الصحيح مشهورة تدل على علو همته ، وتوفيق الله له ، أسلم بعد مقدم رسول الله ﷺ المدينة بقليل ، وأول مشاهده الخندق ، ولم يفته غزو بعدها ذكر بعضهم أنه عمر طويلا وتوفى في خلافة عثمان رضي الله عنه . انظر : ترجمته في " الطبقات الكبرى " ، جـ٤ ، ص٧٥ - ٩٣ ، والتاريخ الكبير جـ٤ ، ص ١٣٥ - ١٣٦ ، وحلية الأولياء ، جـ ١ ، ص ١٨٥ - ٢٠٨ ، وسير أعلام النبلاء ، جـ ١ ، ص ٥٠٥ - ٥٥٧ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب إسلام سلمان الفارسي - رضي الله عنه - جـ٤ ، ص٦٥٤ ، حـ٣٩٤٦ .

من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنّا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ﴾ (١) .

يقول ابن جرير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : " يعني جل ثناؤه بقوله : ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب ﴾ اليهود من بني إسرائيل الذين كانوا حوالي مهاجر رسول الله ﷺ قال الله لهم : يا أيها الذين أنزل إليهم الكتاب فأعطوا العلم به ؛ آمنوا : يقول صدقوا بما أنزلنا على محمد من الفرقان ، مصدقا لما معكم ، يعني : محققا للذي معكم من التوراة التي أنزلتها إلى موسى ابن عمران ﴿ من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها ﴾ (٢) .

ولا يخفى ما تشتمل عليه هذه الآية من تهديد شديد ولذا روي أن كعبا لما سمعها قال أسلمت فور سماعه إياها (٣) .

ويقول سيد قطب – رحمه الله – حول هذه الآية " ... يتجه الخطاب إلى الذين أوتوا الكتاب – اليهود – دعوة إلى الكتاب المصدق لما بين أيديهم ، وتهديدا لهم بالمسخ واللعن المتوقعين من وراء عنادهم وأفاعيلهم ، ودمْغا لهم بالشرك والانحراف عن التوحيد الخالص " (٤) .

٦ – إقامة الحجة عليهم بما يعلمونه من صدق محمد ﷺ :

يدل على ذلك ما أورده ابن جرير في تفسيره بسند متصل إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه قال : " كلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود ، منهم عبدالله بن صوريا ، وكعب بن أسد ، فقال لهم : يا معشر يهود : اتقوا الله وأسلموا ، فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق ، فقالوا : ما نعرف ذلك يا محمد ، وجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر ، فأنزل الله فيهم ﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا ... ﴾ (٥) .

وقال تعالى ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله

---

(١) سورة النساء ، الآية (٤٧) .
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مجلد ٤ ، جـ ٥ ، ص ١٢١ .
(٣) انظر : جامع البيان ، مجلد ٤ ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ .
(٤) في ظلال القرآن ، جـ ٢ ، ص ٦٧٦ .
(٥) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، مجلد ٤ ، جـ ٥ ، ص ١٢٤ .

على الكافرين ﴾ [١] .

وقال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ﴾ [٢] .

قال القرطبي : " ويروى عن عمر أنه قال لعبدالله بن سلام : أتعرف محمدا كما تعرف ولدك ؟ قال نعم وأكثر ، نزل الأمين من السماء على الأمين في الأرض بنعته فعرفته ، وإني لا أدري ما كان من أمه " [٣] .

٧ – إخبارهم بما جرى لآبائهم مما يعلمون صدقه :

قال الله تعالى ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ [٤] .

وقد جاء في كتاب الله عز وجل تفصيل وإيضاح الكثير من قصص بني إسرائيل ، كان أول هذه القصص رؤيا يوسف عليه السلام ، وكيد إخوته له ، وتوليه ملك مصر بعد ذلك ، واستعباد فرعون لهم وإنجائهم منه وإهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض ، وما قاموا به من عبادة عجل السامري وسؤالهم رؤية الله عيانا ، وتبرّمهم من نعمة الله عليهم بالمن والسلوى ، وتلكئهم وتباطئهم عن تنفيذ أمر الله بذبح البقرة ، ورفضهم الأخذ بما أنزل إليهم حتى رفع الله الجبل فوق رؤوسهم ، فاستجابوا لله قهرا ، ولكنهم كانوا أهل عناد وكفر ، ونقض للعهود والمواثيق التي يأخذونها على أنفسهم .

قال الله تعالى ﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ﴾ [٥] .

٨ – تذكيرهم بنعم الله عليهم وتفضيله إياهم :

قال تعالى ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين ﴾ [٦] .

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٨٩) .
(٢) سورة البقرة ، الآية (١٤٦) .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٢ ، ص ١١٠ .
(٤) سورة النمل ، الآية (٧٦) .
(٥) سورة البقرة ، الآيتان (١٠٠ – ١٠١) .
(٦) سورة البقرة ، الآية (٤٧) .

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية : " يذكرهم تعالى بسالف نعمه إلى آبائهم وأسلافهم ، وما كان فضّلهم به من إرسال الرسل منهم وإنزال الكتب عليهم ، وعلى سائر الأمم من أهل زمانهم " [١] . قال تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ [٢] .

وقال تعالى ﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم مالم يؤت أحدا من العالمين ﴾ [٣] .

وهذا التفضيل الذي ورد في هذه الآيات يحمل على أن المقصود به أهل زمانهم . [٤] ؛ لأن أمة محمد ﷺ قد دلت أدلة كثيرة على أنها أفضل الأمم منها قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ [٥] .

وروى عنه ﷺ أنه قال : (وأنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها ، وأكرمها على الله عز وجل) [٦] .

ثانياً : النصارى جمع نصراني ، قال الفيومي :

" ورجلٌ نصراني " بفتح النون ، وامرأة " نصرانية " وربما قيل " نصران " و " نصرانة " ويقال نسبة إلى قرية اسمها " نصرة " ولهذا قيل في الواحد : " نصري " على القياس " والنصارى " جمعه مثل مهري ومهارى ، ثم أطلق النصراني على كل من تعبد بهذا الدين " [٧] .

والنصارى في عرف الشرع هم الذين آمنوا برسالة عيسى عليه السلام كما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ﴾ [٨] .

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .
(٢) سورة الدخان ، الآية (٣٢) .
(٣) سورة المائدة ، الآية (٢٠) .
(٤) انظر : جامع البيان ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .
(٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية (١١٠) .
(٦) مسند أحمد ، جـ ٤ ، ص ٥٩٥ ، حـ ١٩٩٥٨ ، وسنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن ، باب ومن سورة آل عمران ، جـ ٥ ، ص ٢٢٦ ، حـ٣٠٠١ ، وحسّنه الألباني ، صحيح سنن الترمذي ، جـ٣ ، ص ٣٢ ، حـ ٢٣٩٩ .
(٧) المصباح المنير ، ص ٣١٣ .
(٨) سورة المائدة ، جزء من الآية (٨٢) .

وقوله تعالى ﴿ قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ (١) .

وهم في الأصل من بني إسرائيل كما يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ (٢) .

ولكن اسم النصارى توسع حتى صار علما على كل من اتبع دين عيسى عليه السلام ولذا كان الروم في عداد النصارى ، وليسوا من بني إسرائيل ، وكذلك كان في العرب نصارى ومنهم نصارى نجران .

والخطاب الموجه إلى أهل الكتاب يشمل النصارى ؛ لأنهم أهل كتاب وهو الإنجيل قال الله تعالى ﴿ وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ﴾ (٣) .

وعليه فغالب ما تقدم من شواهد دعوة أهل الكتاب ، وما ذكرته من مراعاة أحوالهم يشمل النصارى ويتميزون بكونهم كانوا أقرب إلى المؤمنين في عواطفهم ومودتهم كما قال تعالى ﴿ ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسّسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ (٤) .

وأيضا يختلفون عن اليهود في عدم المجاورة والقرب من المدينة ومع ذلك فقد أبلغهم رسول الله ﷺ الدعوة عن طريق الكتابة حيث راسل ملوكهم ، ورغبهم في الإسلام والطاعة ، وحذرهم من الكفر والمعصية وعن طريق الوفادة إذ جاءه وفد نصارى نجران بالمدينة ودعاهم إلى الإسلام ، وبعد رفضهم وجدالهم دعاهم إلى المباهلة – كما سيأتي (٥) .

فمن شواهد دعوة رسول الله ﷺ للنصارى خاصة الرسائل التي وجهها إلى ملوكهم .

---

(١) سورة الصف ، جزء من الآية (١٤) .
(٢) سورة الصف ، جزء من الآية (٦) .
(٣) سورة المائدة ، جزء من الآية (٤٧) .
(٤) سورة المائدة ، جزء من الآية (٨٢) ، والآية (٨٣) بكاملها .
(٥) ص ٣١٤ .

فقد روى مسلم عن أنس - رضي الله عنه - أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى ، وإلى قيصر ، وإلى النجاشي ، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى " [١] .

أ - كتابه إلى هرقل ثبت في الصحيحين من حديث عبدالله ابن عباس عن أبي سفيان - رضي الله عنه - ... أن هرقل " دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم ، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدو بأنا مسلمون [٢]) [٣] .

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : " لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم قيل له : " إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوما " فاتخذ خاتما من فضة ، ونقشه : " محمد رسول الله " [٤] .

ب - كتابه ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة ، وهو أصحمه بن أبجر وعظم كتاب النبي ﷺ ، وذكر جماعة من أهل السير أنه أسلم ، وأنه هو الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ يوم مات بالمدينة [٥] .

وأنكر ابن القيم - رحمه الله - هذا القول واعتبر المكتوب إليه غير معروف الإسلام ، بخلاف المصلى عليه [٦] .

والذي يهمنا هنا أن النجاشي ثبتت مراسلته ووصله كتاب رسول الله ﷺ كما ثبت في حديث مسلم المتقدم .

جـ - كتابه ﷺ إلى المقوقس جريج بن ميناء ملك الإسكندرية عظيم القبط ، وقد قارب الإسلام لكنه لم يسلم ، وأهدى لرسول الله ﷺ جاريتين هما

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب كتب النبي ﷺ إلى الكفار ويدعوهم إلى الله عز وجل ، جـ ٣ ، ص ١٣٩٧، حـ ٧٥/١٧٧٤ .
(٢) سورة آل عمران جزء من الآية (٦٤) .
(٣) تقدم تخريج جزء منه في ص ٢٦ ، وهو حديث أبي سفيان .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب اللباس ، باب اتخاذ الخاتم منفضة ، جـ ٧ ، ص ٦٩ ، حـ ٥٨٧٥ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب موت النجاشي ، جـ ٤ ، ص ٦٢٥ ، حـ ٣٨٧٧ .
(٦) انظر زاد المعاد في هدي خير العباد ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

مارية أم إبراهيم ، وسيرين ، وبغلة ، وحمارا ، وغلاما خصيا [١] .

د – من شواهد دعوة رسول الله ﷺ للنصارى أيضا مباهلته لنصارى نجران ، وهذه المباهلة هي التي ذكرها الله عز وجل في قوله ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين ﴾ [٢] .

ففي الصحيح عن حذيفة – ﷺ – قال : جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه قال : فقال احدهما لصاحبه : لا تفعل فوالله لئن كان نبيا فلاعناه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : إنا نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلا أمينا ولا تبعث معنا إلا أمينا ، فقال " لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين " فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال " قم يا أبا عبيدة بن الجراح " فلما قام قال رسول الله ﷺ " هذا أمين هذه الأمة " [٣] .

وذكر علماء التفسير أن سبب نزول آيات المباهلة أن وفدا من نصارى نجران قدموا على رسول الله ﷺ وجادلوه بدعاواهم الباطلة في عيسى عليه السلام [٤] فدعاهم رسول الله ﷺ إلى المباهلة ، فامتنعوا وصالحوا رسول الله ﷺ على الجزية ، وفي سياق حوار رسول الله ﷺ معهم – أنه قال لحبريهما – " أسلما " قالا قد أسلمنا ، قال : " إنكما لم تسلما فأسلما " قالا : بلى قد أسلمنا قبلك .

---

(١) زاد المعاد ، جـ ١ ، ص ١٢٠ .

(٢) سورة آل عمران ، الآيات (٥٩ – ٦١) .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب قصة أهل نجران ، جـ ٥ ، ص ١٤٢ ، حـ ٤٣٨٠ . وصحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي عبيدة ، جـ ٤ ، ص ١٨٨٢ حـ ٢٤٢٠ وليس في مسلم ذكر الملاعنة ، ولفظه : عن حذيفة – ﷺ – قال جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ابعث إلينا رجلا أمينا . فقال " لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين حق أمين .

(٤) انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، جـ ٣ ، ص ٢٩٥ ، وتفسير القرآن العظيم – الإمام ابن كثير ، جـ ذ ، ص ٤٨٠ ، وفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٤٧ .

قال كذبتما يمنعكما من الإسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب ، وأكلكما الخنزير " [١] . وهذا ما يتعلق بشواهد دعوة النصارى .

وأما مراعاة أحوالهم فتبرز في أمور كثيرة ، تعرضت لأكثرها في مراعاة أحوال اليهود ، لا شتراكهم في كونهم أهل كتاب وذلك مثل إخبارهم بشمول الرسالة المحمدية لهم بل ولجميع الناس ، واتحادها مع الرسالات السماوية في الأصول ، والتدرج في دعوتهم والبدء بالأهم فالأهم ، واستخدام أسلوب الترغيب والترهيب في دعوتهم ، وقد سبق بيان هذه النقاط ، فلا داعي لتكريرها هنا [٢] .

ولكن سأركز على أهم الأمور التي اختص بها النصارى وظهرت فيها مراعاة أحوالهم وذلك فيما يلي :

١ - تجلية حقيقة عيسى عليه السلام وأمه :

لقد اشتبه أمر عيسى عليه السلام وأمه على النصارى وتحيروا في شأنهما ؛ إذ خلق الله عيسى من غير أب وأيده بمعجزات لا يقدر عليها البشر مثل إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ، كل ذلك بإذن الله ، وتقديره سبحانه لا إله إلا هو ، وقد جاء في كتاب الله عز وجل ، وسنة رسول الله ﷺ البيان الواضح الفاصل في شأن عيسى وأمه ودار الكلام حولهما في النقاط التالية :

أ - أنهما عبدان مخلوقان لله عز وجل وهو نبي وأمه صديقة ، قال الله تعالى ﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام ﴾ [٣] .

وذكر الله عنه اعترافه بالعبودية في أول كلمة سمعوها منه وهو في مهده حيث قال لهم ﴿ إني عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴾ [٤] .

وقال رسول الله ﷺ في الحديث المتفق على صحته " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٤٨١ .
(٢) انظر الصفحات من ٣٠٦ - ٣١١ .
(٣) سورة المائدة ، جزء من الآية (٧٥) .
(٤) سورة مريم ، الآية (٣٠) .

ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق أدخله الله الجنة على ماكان من العمل " [١] .

ب – عدم ألوهية عيسى لا تدل على نقص مكانته عند الله فهو رسول من الله جعله الله آية على قدرته ؛ حيث خلقه من غير أب بنفخة الأمين ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ [٢] .

وقال تعالى مبينا حوار الملك مع أم عيسى عليه السلام ﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيًا قال كذلك قال ربك هو علي هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمرا مقضيا ﴾ [٣] .

جـ – ولادة عيسى من دون أب لا تقتضي ألوهيته ؛ إذ لو كانت مقتضية ذلك لكان آدم أولى لأنه خلق من غير أم ولا أب قال الله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [٤] .

د – أوضح القرآن الكثير من تناقض النصارى في عيسى وأمه حيث نفى إدعاءهم قتله وصلبه ، ووصف قولهم في مريم بأنه بهتان عظيم ، قال تعالى ﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما ﴾ [٥] .

قال ابن كثير – رحمه الله – بعد أن بين اختلافهم وحيرتهم في أمر عيسى عليه السلام " وقد أوضح الله الأمر وجلاه وبينه ، وأظهره في القرآن العظيم الذي أنزله على رسوله الكريم ، المؤيّد بالمعجزات والبينات والدلائل الواضحات ، فقال تعالى : وهو أصدق القائلين ورب العالمين ، والمطلع على السرائر والضمائر الذي يعلم السر في السماوات والأرض ، العالم بما كان

---

(١) سبق تخريجه ص ١٧٦ برواية مسلم وهذا لفظ البخاري .
(٢) سورة يس ، الآية (٨٢) .
(٣) سورة مريم ، الآيات من (١٨ إلى ٢١) .
(٤) سورة آل عمران ، الآية (٥٩) .
(٥) سورة النساء ، الآيات (١٥٦ – ١٥٨) .

وما يكون ، ومالم يكن لو كان كيف يكون ﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ [١][٢] .

٢ – **تركيزه ﷺ في دعوتهم على الكبراء وذوي المكانة** حيث خاطبهم وحمّلهم مسؤولية من وراءهم ففي كتابه ﷺ إلى هرقل " من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم : أسلم تسلم ... أسلم يؤتك الله أجرك مرتين وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿ ويا أهل الكتاب ﴾ الآية [٣] .

وتظهر مراعاة الحال في هذا الخطاب في أمور منها وصفه بكونه عظيم الروم مع سقوط ولايته عليهم ببعثة رسول الله ؛ ولذا لم يخاطبه بالملك والإمارة وقد تألفه بهذا الوصف [٤] ، ومنها ترغيبه في الإسلام بأن يؤتيه الله أجره مرتين ، وترهيبه من التولي عنه بتحمله إثم أتباعه وخصه بالخطاب لأنه أكثر تمكنا من الإبلاغ لمكان السلطة والسيطرة وقد تحقق ما أراده رسول الله ﷺ حيث ثبت أن هرقل أذن لعظماء الروم " في دسكرة له بحمص ثم أمر بأبوابها ، فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي ؟ ... " [٥] .

وقد بين الدكتور محمد الحبيب الشنقيطي هذا المعنى فقال : " لما كان الرسول ﷺ مرسلا إلى عامة الخلق ، وكان مهتما غاية الإهتمام بالتبليغ ، كان منهجه ﷺ في دعوة أهل الكتاب أنه أرسل إلى رؤسائهم وملوكهم ، ثم بعد ذلك أرسل إلى عبّادهم وعلمائهم ، فإن الرؤساء والعلماء إذا استجابوا لأمر استجابت له بقية الرعية " [٦] .

٣ – **قطع الطريق أمام جدالهم بالباطل بالدعاء إلى المباهلة** ، قد سبق الحديث عن المباهلة ، وذكرت شواهدها القرآنية والحديثية [٧] ، ويظهر من

---

(١) سورة النساء ، جزء من الآية (١٥٧) .
(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص ٧٥٢ .
(٣) سبق تخريجه في التمهيد ص ٢٦ ، وهو جزء من حديث أبي سفيان .
(٤) انظر فتح الباري ، جـ ١ ، ص ٥٠ .
وعمدة القارئ بشرح صحيح البخاري ، جـ ١ ، ص ٩٩ ، ومراعاة أحوال المخاطبين ، ص ١١٦ .
(٥) سبق تخريج أول هذا الحديث في ص ٢٦ ، حديث أبي سفيان وهذه الجملة الأخيرة عند البخاري فقط .
(٦) منهج الرسول في دعوة أهل الكتاب ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ .
(٧) ص ٣١٣ – ٣١٤ .

سياق تلك الشواهد أن سبب دعائه ﷺ لهم إلى المباهلة ، هو المحاجّة التي قاموا بها من غير اعتماد على نقل ولا عقل ولذا قال تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ... ﴾ (١) .

وثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ " دعا فاطمة وحسنا حسينا ، فقال " اللهم هؤلاء أهلي " (٢) .

وثبت أنهم قالوا " فوالله لئن كان نبيا فلاعنّاه لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا " (٣) .

قال الدكتور احمود الرحيلي معلقا على هذه الأدلة : " وبهذا نرى أن المباهلة أسلوب من أساليب الدعوة ، التي استعملها النبي ﷺ بوحي من الله عز وجل – وأن النصارى امتنعوا عن هذه المباهلة لمعرفتهم المسبقة بصدق النبي ﷺ ، وبذلك لزمتهم الحجة وعليهم الرجوع إلى الحق والإيمان بما جاء به النبي الخاتم ، محمد ﷺ " (٤) .

٤ – **ختمه ﷺ للكتب التي أرسلها إليهم ، وأتخاذه الخاتم لذلك** ، وقد تقدم حديث أنس عند البخاري وفيه لما أراد الكتابة إليهم ، قيل له : " إنهم لن يقرؤوا كتابك إذا لم يكن مختوما " فاتخذ خاتما من فضة " (٥) .

قال الدكتور الحبيب الشنقيطي معلقا على هذا الحديث : وما في معناه من روايات أخرى " فتراه ﷺ لشدة حرصه على استجابة أهل الكتاب لدعوته لهم اتخذ الخاتم فور إخباره بأنهم لا يقبلون إلا كتابا مختوما ، فهذا من جزئيات تطبيقه ﷺ لأوامر ربه ، فإنه أمره أن يدعو إلى الله بالحكمة ، وهذا النوع من الحكمة بلا شك ، فإن اليهود والنصارى إذا قدمت عليهم كتب على غير عادتهم المعروفة لديهم من كونهم لا يقرؤون إلا كتبا مختومة ، ربما رموها قبل أن

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات من (٥٩ – إلى ٦١) .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل – باب فضائل علي بن أبي طالب – – ، جـ ٤ ، ص ١٨٧١ ، حـ ٣٢/٢٤٠٤ ، حديث الباب .
(٣) سبق تخريجه ص ٣١٤ .
(٤) أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم ص ٤٧ .
(٥) سبق تخريجه ص ٣١٣ .

يبحثوا عما تضمنته من الدعوة إلى الله عز وجل ، أما إذا جاءتهم الكتب على الطريقة التي ألفوها تقبلوها وقرؤوها " [١] .

وفي هذا الحديث دليل على أن الوسيلة الدعوية إذا لم تكن ممنوعة بشرع وأدت إلى مصلحة دعوية تصير مطلوبة بحسب مؤداها من باب " مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب " [٢] . والله أعلم .

(١) منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب ، مرجع سابق ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ .
(٢) قاعدة أصولية انظر : البرهان في أصول الفقه ، جـ ١ ، ص ١٨٣ ، والمحصول في علم أصول الفقه ، جـ ١ ، ص ١٨٩ .

المبحث الثاني

المدعوون من أهل الإسلام ومراعاة أحوالهم

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : المدعوّون من أهل الإسلام على سبيل العموم ومراعاة أحوالهم.

المطلب الثاني : المدعوّون من أهل الإسلام على سبيل الخصوص بصفة ومراعاة أحوالهم.

المطلب الثالث : المدعوّون من أهل الإسلام على سبيل الخصوص بأسمائهم ومراعاة أحوالهم.

المبحث الثاني

المدعوون من أهل الإسلام ومراعاة أحوالهم

وضحت فيما سبق شمول رسالة نبينا محمد ﷺ للناس عامة ، منذ بعثته إلى أن تقوم الساعة .

ثم ذكرت أصناف المدعوين من غير المسلمين وبينت مراعاته ﷺ لأحوالهم .

وفي هذا المبحث أعرض – إن شاء الله – لأصناف المدعوين من المسلمين في ثلاثة مطالب بحسب الخطاب ، ومن يوجه إليهم ، وذلك أن الخطاب إما أن يكون لغير معين ، وهو الخطاب العام ، أو لمعين وهو الخطاب الخاصّ ، والتعيين قد يكون بالصفة وقد يكون بالاسم وعلى هذا يكون هذا المبحث على نحو ما سبق :

المطلب الأول

المدعوون من أهل الإسلام على سبيل العموم ومراعاة أحوالهم

لقد كان الرسول ﷺ يدعو المجتمع المسلم بجميع أفراده ، وطبقاته القادة والمقودين ، ويخاطب المُلاّك والمملوكين ، يخاطب الرجال باعتبارهم أصحاب مسؤوليات في بيوتهم ، يخاطب النساء باعتبارهن مسؤولات أمام الله عن أعمالهن ، وعليهن واجبات تجاه أزواجهن وبيوتهن ، يخاطب الصغار ليغرس في قلوبهم الآداب العالية ، والكبار ليكونوا على مستوى المسؤولية ، وأهلا للاقتداء بهم يخاطب الأغنياء ليكونوا رحمة للفقراء ، ويخاطب الفقراء ليصبروا ولا يجزعوا ، وإذا تأملنا الخطاب النبوي وجدنا الشمول فيه أكثر من الاختصاص لأنه يخاطب من يأتي ، مثل خطاب الحاضر ، وجاءت خطبه ﷺ في أكثرها شاملة وفيما يلي شواهد على ذلك :

أ – من ذلك قوله ﷺ في خطبة الكسوف " يا أمة محمد إن مَن أحد أغير من الله أن يزني عبده أو تزني أمته يا أمة محمد ، والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ، ولضحكتم قليلا ألا هل بلغت " [١] .

ب – وقال أيضا في خطبة أخرى " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم .

وإن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها إلى أن قال .. " فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه " [٢] .

جـ – قوله ﷺ في خطبة أيضا :

" ألا لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة اللهم هل بلغت ؟ اللهم اشهد ، أتحبون أنكم ربع أهل الجنة ؟ . فقلنا : نعم يا رسول الله . فقال : أتحبون أن تكونوا ثلث أهل الجنة ؟ . قالوا : نعم يارسول الله ، قال إني لأرجو أن

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٦٧ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٦٩ .

تكونوا شطر أهل الجنة ما أنتم في سواكم من الأمم إلا كالشعرة السوداء في الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " (١) .

والشواهد كثيرة أكتفي بما ذكر خشية الإطالة .

وعندما تتأمل هذه النصوص يتبين لك شمولها لجميع الأمة ، وممن يشملهم هذا الخطاب الحكّام وأولي الأمر والمحكومين من الرعية والأتباع ، كما يشمل الرجال أيضا باعتبارهم أصحاب سلطة في بيوتهم ، والنساء باعتبارهن محكومات بسلطة الأزواج ، ومسؤولات عن التصرفات الخاصة بهن ، يشمل الكبار في السن والصغار ، يشمل الأغنياء ، والفقراء ، وفيما يلي أذكر الشواهد الخاصة بكل صنف من هؤلاء مع بيان مراعاة أحوالهم حسب ترتيبهم :

أولاً : ينقسم المدعوّون باعتبار السلطة إلى قادة ومقودين :

أ – **القادة** : لقد كان رسول الله ﷺ يرسل البعوث والسرايا ويؤمر عليهم الأمراء ، وكان ينزل الناس منازلهم ، ولما طلب رسول الله ﷺ من المسلمين أن يردّوا إلى وفد هوازان سبيهم في خطبة قال فيها : " أما بعد فإن إخوانكم قد جاؤوا تائبين ، وإني رأيت أن أردّ إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفئ الله علينا فليفعل " فقال الناس قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ " إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم (٢) أمركم " (٣) .

ففي هذه الخطبة قرَّر رسولُ الله ﷺ الاعترافَ بهؤلاء العرفاء . وأمرهم بممارسة عملهم في استجلاء آراء الناس ، والتأكد من طيبة نفوسهم بما عندهم من السبي الذي طلب إرجاعه لهوازن ، وكان رسول الله ﷺ يشعر أمراءه بجسامة المسؤولية وخطرها ، ويختار للإمارة أهل القوة والأمانة ، ولما سأله أبو ذر – رضي الله عنه – أن يستعمله ضرب بيده على منكبه ثم

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٧ .

(٢) العرفاء جمع عريف وهو رئيس القوم أو النقيب وهو دون الرئيس ، انظر : القاموس ، جـ ٣ ، ص١٧٤ ، مادة عرف .

(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ١٠٠ – ١٠٢ .

قال " يا أباذر إنك ضعيف ، وإنها أمانة ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة ، إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها " (١) .

ونهى عن سؤال الإمارة حيث قال لعبدالرحمن بن سمرة " يا عبدالرحمن بن سمرة (٢) : لا تسأل الإمارة ، فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها ، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها ، وإذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فكفر عن يمينك وأت الذي هو خير" (٣) .

ومنع ﷺ منها أصحاب الحرص عليها فقال : " إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحداً حرص عليه " (٤) .

وأمرَ رسول الله ﷺ بالعدل وأثنى على المقسطين وأخبر أنهم على منابر من نور عند الله تعالى ، وفي الخطبة التي رواها عياض بن حمار رضي الله عنه يقول ﷺ " وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق " (٥) .

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل .. " (٦) .

وأخبر ﷺ أن الجنة حرام على من غش رعيته فقال " ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته ، إلا حرم الله عليه الجنة " (٧) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ، جـ ٣ ، ص ١٤٥٧ ، حـ ١٨٢٥ .

(٢) عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب العبشمي صحابي أسلم في الفتح ، وهو من قادة الفتوح الإسلامية ، افتتح سجستان ، وسكن البصرة (ت ٥١هـ) . انظر : الاستيعاب جـ ٢ ، ص ٣٩٤ ، والإصابة جـ ٢ ، ص ٣٩٣ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الإمارة ، باب من لم يسأل الإمارة أعانه الله ، جـ ٨ ، ص ٤٤٦ ، حـ ٧١٤٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الأيمان ، باب ندب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها أن يأتي الذي هو خير ، جـ ٣ ، ص ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، حـ ١٦٥٢ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب ما يكره من الحرص على الإمارة ، جـ ٨ ، ص ٤٤٧ ، حـ ٧١٤٩ .
وصحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها ، جـ ٣ ، ص ١٤٥٦ ، حـ ١٧٣٣ ، واللفظ لمسلم .

(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧١ .

(٦) سبق تخريجه في ص ٢٤٦ .

(٧) سبق تخريجه في ص ٢٤٦ .

وطلب من الله أن يشق على من تولى أمْراً من أمور المسلمين فشق عليهم : فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا ، فشق عليهم فاشقق عليه ، ومن ولي من أمر أمتي شيئا فرفق فارفق به " (١) .

وكان رسول الله ﷺ يراعي أحوال الأمراء فيختار للقيادة ذا الكفاية والإيمان ، ولا يهتم بشرف العنصر أحيانا فقد أمّر زيد بن حارثة على جيش مؤتة (٢) ، وأمّر أسامة بن زيد على البعث الذين توفي رسول الله ﷺ قبل مسيرهم ، ولما طعن الناس في إمرة أسامة خطبهم فقال : " إن تطعنوا في إمارته – يريد أسامة بن زيد – فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ، وأيمُ الله ! إن كان لخليقاً لها – وأيم الله إنْ كان لأحب الناس إليّ ، وأيم الله إن هذا لها لخليقٌ – يريد أسامة – وأيم الله ! إن كان لأحبهم إليّ من بعده ، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم " (٣) .

١ – ومن شواهد مراعاته ﷺ لأحوال الأمراء عند تأميرهم اختياره ﷺ من له صلة بالمرسل إليهم .

يدل على ذلك تأميره عمراً بن العاص على البعث الذين أرسلوا إلى بليّ لأنهم أخواله (٤) .

فقد ذكر الحافظ الذهبي – رحمه الله – قال (بعث رسول الله ﷺ عمرو بن العاص – رضي الله عنه – ليستنفر العرب إلى الإسلام ، وذلك لأن أم العاص ابن وائل كانت من بلي ، فبعثه إليهم رسول الله ﷺ يتألفهم بذلك) (٥) .

٢ – واختار معاذاً – رضي الله عنه – مبعوثا إلى اليمن وفيهم أهل الكتاب ؛ لأنه كان من أعلم الصحابة بالحلال والحرام ، ففي سنن الترمذي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال قال رسول ﷺ " أرحم أمتي بأمتي أبو بكر ، وأشدهم في

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر ، جـ ٣ ، ص ١٨٥٨ ، حـ ١٨٢٨ .

(٢) انظر : صحيح البخاري ، كتاب المغازي ، باب غزوة مؤتة من أرض الشام ، جـ ٥ ، ص ١٠٤ حـ ٤٢٦١ .

(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ١٠١ .

(٤) مراعاة أحوال المدعوّين في ضوء الكتاب والسنة ، ص ١١٥ .

(٥) تاريخ الإسلام (المغازي) ص٥١٤ .

أمر الله عمر ، وأصدقهم حياءً عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل ... " (١) .

٣ – رغب رسول الله ﷺ الأمراء في العدل وحذرهم من الجور فالإمام العادل أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " (٢) ، و " المقسطون عند الله على منابر من نور " (٣) ، ومن أهل الجنة " ذو سلطان مقسط " (٤) .

وعلى النقيض من ذلك بين رسول الله ﷺ أن الجنة حرام على من مات غاشا لرعيته (٥) ، ومن دعائه : ﷺ " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه " (٦) ، وفي هذه النصوص تحذير وترهيب من غش الرعية وخيانتهم ، وترغيب عظيم في العدل والإنصاف .

٤ – عظم رسول الله ﷺ شأن الإمارة وحذر من المسارعة في طلبها " إنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها " (٧) .

وقال " يا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة " (٨) .

وكذلك منع منها من طلبها (٩) ، وذلك لأن الحرص على الإمارة يدل على عدم الشعور بخطرها وأنها " نعم المرضعة وبئست (١٠) الفاطمة " (١١) .

٥ – بين رسول الله ﷺ أن الناس يتفاوتون في الأفضلية ، وقد يختص بعضهم بمزية يمتاز بها عن غيره ، وقد أوضح ﷺ الأحق بإمامة الصلاة فقال

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب مناقب معاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، وأبي عبيدة بن الجراح – ﷺ – ، جـ ٥ ، ص ٦٦٤ ، حـ ٣٧٩٠ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٥٦ .
(٣) سبق تخريجه ، ص ٢٤٥ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧١
(٥) سبق تخريجه في ص ٢٤٦ .
(٦) سبق تخريجه ، ص ٣٢٥ .
(٧) سبق تخريجه ، ص ٣٢٤ .
(٨) سبق تخريجه ، ص ٣٢٤ .
(٩) سبق الحديث الدال على ذلك في ص ٣٢٤ .
(١٠) قال ابن الأثير : " ضرب المرضعة مثلا للإمارة وما توصله إلى صاحبها من المنافع ، وضرب الفاطمة مثلا للموت الذي يهدم عليه لذاته ويقطع منافعها دونه " النهاية ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ .
(١١) صحيح البخاري ، كتاب الأحكام ، باب ما يكره من الحرص على الإمارة ، جـ ٨ ، ص ٤٤٧ ، حـ ٧١٤٨ .

" يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة ، فإن كانوا في الهجرة سواء فأقدمهم سنا " (١) .

وإمامة الصلاة مسؤولية والأحق بها هو الأولى أيضا في الإمامة الكبرى ، ولذا كان اختيار الرسول ﷺ لأبي بكر في إمامة الصلاة ، حجة على أنه ينبغي اختياره للخلافة (٢) .

واختلاف الناس في المزايا يدل عليه حديث أنس عند الترمذي " أرحم أمتي بأمتي أبوبكر ، وأشدهم في أمر الله عمر ، وأصدقهم حياء عثمان ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقرؤهم أبي ، ولكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح " (٣) .

ب – المَقودون : الرعية :

بين رسول الله في خطبة لزوم طاعة ولاة الأمر ، وحث عليها من ذلك قوله : " ومن بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه .. " (٤) .

وقرنها في خطبة أخرى أيضا بالوصية بتقوى الله سبحانه فقال : " أوصيكم بتقوى الله (عز وجل) والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا " (٥) .

وقد تعرضت لأدلة وجوب الطاعة في مبحث موضوعات الخطب (٦) ولا داعي لتكرارها هنا .

وأما مراعاة أحوالهم فتظهر في أمور كثيرة منها قوله : " وإن عبدا حبشيا " وذكر الحبشي لأن العرب كانوا يأنفون من قيادة من يرونهم دونهم في النسب أو الجاه ، ولا سيما من يخالفونهم في العنصر واللون .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، جـ ١ ، ص ٤٦٥ ، حـ ٢٩١/٦٧٣ – حديث الباب .

(٢) يدل على ذلك ما أخرجه النسائي من حديث عبدالله بن عمر قال : (لما قبض رسول الله ﷺ قالت الأنصار منا أمير ومنكم أمير فأتاهم عمر فقال : ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ، فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ، فقالوا : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر) كتاب الإمامة : ذكر الإمامة والجماعة ، إمامة أهل العلم والفضل ، جـ٢ ، ص٤٠٩ ، حـ : ٧٧٦ .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٣٢٦

(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٩ .

(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص٩٠ .

(٦) من ص ٢١٠ – ٢١٢ .

ومنها أمره ﷺ بالصبر على أذى الأمراء وتجنب الخروج عليهم ، وإن ظهر تقصيرهم بفعل منهيّ أو ترك واجب .

ففي الأمر بالصبر قال ﷺ : " من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرا ، فمات ، فميتته جاهلية " (١) .

وقال رسول الله ﷺ لرجل من الأنصار طلب منه أن يستعمله " إنكم ستلقون بعدي أثرةً فاصبروا حتى تلقوني على الحوض " (٢) .

ولم يرخّص رسول الله ﷺ في الخروج على أهل التقصير من الأئمة ما دامت معصيتهم لم تصل إلى الكفر الصريح يدل على ذلك قوله ﷺ " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، ويصلون عليكم ، وتصلون عليهم ، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم " .

قيل يا رسول الله ! أفلا ننابذهم بالسيف ؟ " . قال : " لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة . وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه ، فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدا من طاعة " (٣) .

ومع اهتمامه ﷺ بأداء الصلاة في أوقاتها امتثالا لما يرشد إليه قوله سبحانه وتعالى ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾ (٤) .

فإنه ﷺ لم يجعل تأخير الصلاة عن وقتها موجبا للخروج على الأئمة ففي صحيح مسلم عن أبي ذر – رضي الله عنه – قال : قال : لي رسول الله ﷺ " كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ، أو يميتون الصلاة عن وقتها ؟ " قال . قلت فما تأمرني ؟ . قال : " صل الصلاة لوقتها . فإن أدركتها معهم فصل فإنّهَا لك نافلة " (٥) .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢١١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب الأمر بالصبر عند ظلم الولاة واستئثارهم ، جـ ٣ ، ص ١٤٧٤ ، حـ ٤٨/١٨٤٥ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وشرارهم ، جـ ٤ ، ص ١٤٨١ ، حـ ٦٥/١٨٥٥ .

(٤) سورة النساء ، جزء من الآية (١٠٣) .

(٥) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها المختار ، جـ ١ ، ص ٤٤٨ ، حـ ٢٣٨/٦٤٨ .

قال النووي – رحمه الله – (فيه الحث على موافقة الأمراء في غير معصية لئلا تتفرق الكلمة وتقع الفتنة) [١] .

وقال الإمام البغوي معلقا على هذا الحديث : (وفي هذا الحديث دليل على أن الخروج على السلطان لا يجوز ما دام يقيم الصلاة ؛ لأنه لم يرخص في ذلك مع تأخيرهم الصلاة عن الوقت ، وكيف يجوز على من يصليها لوقتها ؟ " [٢] .

ومن شواهد مراعاته ﷺ لأحوال الرعية إخباره إياهم بأن الواجب عليهم أن يؤدّوا إلى الأمراء ما أوجب الله لهم من الطاعة والنصح ، وأن الله سيسألهم عن حقوق رعيتهم ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وستكون خلفاء فتكثر " قالوا فما تأمرنا ؟ قال " فوا ببيعة الأول ، وأعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم " [٣] .

وفي حديث عبادة بن الصامت في المبايعة قال : " دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه . فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله ، قال : " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " [٤] .

ولا يخفى ما تشتمل عليه هذه النصوص من توجيهات رُوعيَتْ فيها أحوال المدعوين ، من الرعية والأتباع وما قد يعرض لهم من أمور تجعلهم بين أحد أمرين إما أن يصبروا على أذى أمرائهم ويلزموا طاعتهم فيما لا معصية فيه أو يخالفوا الأمر ، وفي ترك طاعة ولي الأمر شرور وفتن ، هي التي حذر منها نبينا ﷺ .

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٥ ، ص ١٤٨ .

(٢) شرح السنة ، جـ ٢ ، ص ٢٣٩ ، وانظر : مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة ، مرجع سابق ، ص ٩٨ – ٩٩ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول ، جـ ٣ ، ص ١٤٧١ حـ ٤٤/١٨٤٢ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، جـ ٣ ، ص ١٤٧٠ – ١٤٧١ ، حـ ٤١/١٧٠٩ ، حديث الباب .

ثانياً : ينقسم المدعوون باعتبار الجنس إلى رجال ونساء :

أ – **الرجال** : وقد خاطبهم الرسول ﷺ وحمّلهم مسؤولية بيوتهم ، وحثهم على أداء حقوق زوجاتهم والعدل بينهن ، وأوجب عليهم العدل بين الأولاد في الهبات والعطايا ، وقد سبق بيان الكثير من ذلك في التمهيد ومما ورد في خطبه ﷺ من ذلك قوله ﷺ " فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح " (١) .

ومنه قوله : مستنكرا الشدة في ضرب النساء " يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ، فلعله يضاجعها من آخر يومه " (٢) .

ومن ذلك قوله في النهي عن الدخول على الغائب زوجها " لا يدخلنّ رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا ومعه رجل أو اثنان " (٣) .

وأما مراعاة أحوال الرجال المخاطبين بما ذكر ، فتظهر في أمور :

١ – لما كان الرجال هم أصحاب السلطة والقوامة على النساء وقد يكون لأصحاب السلطة تجبُّر يتجاوَزون فيه حدود ما شرعه الله لهم ومن اجتاز الحدود دخل في الظلم قال تعالى : ﴿ ومن يتعدَّ حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٤) .

فلذا أمر الله الرجال أن يتقوا الله المالك في نسائهم ، فإنه سبحانه أقدر عليهم ، منهم على نسائهم " ، " فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمان الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله " (٥) .

٢ – حدّد رسول الله مسؤولية كل من الزوجين تحديدا واضحا " ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه " ، " ولهنّ عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف " (٦) .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨١ .
(٤) سورة البقرة ، جزء من الآية (٢٢٩) .
(٥) سبق في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .

وإذا عرف الشخص ماله وما عليه ، كان ذلك أنفى للظلم ، وأدعى للانصاف ، وأقطع للخصومة .

٣ – حذر رسول الله ﷺ الأزواج من التجاوز في العقاب المشروع " فاضربوهن ضربا غير مبرح " (١) .

وبين أن ضجيعة الرجل يجب ألا تكون موضع إهانة فيستقبح في خُلق الكريم العاقل أن يجلد امرأته ، جلد المملوك ، ثم يضاجعها لتكون أنيسته ، يفضي إليها وتفضي إليه " يعمد أحدكم إلى امرأته فيجلدها جلد العبد فلعله يضاجعها من آخر يومه " (٢) .

٤ – حذر رسول الله ﷺ من كل ما يخدش طهر البيوت فمنع المرأة أن توطئ فراش الزوجية ، من لا يرضاه زوجها وأول من يأبى الزوج دخوله هم الرجال الأجانب ونهى نهيا قطعيا أبديا (٣) عن دخول الرجل الواحد على من غاب زوجها ، وقد ذكرت النصوص في ذلك وعلة النهي التي وردت فيها وهي أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم (٤) .

ب – **النساء** : وقد شملهنّ خطابه ﷺ لعموم الأمة وجاءت نصوص في الخطب وغيرها خاصة بهن وفيما يلي أذكر بعضها :

من ذلك قوله ﷺ في خطبة الكسوف : " ورأيت النار ، فلم أر كاليوم منظراً قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء . قالوا لم يا رسول الله ؟ . قال : لكفرهن ، قيل أيكفرن بالله ؟ . قال : ويكفرن الإحسان ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط " (٥) .

ومن ذلك قوله ﷺ " ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه " (٦) .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .
(٣) في قوله : " لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة " في نصوص الخطب ، ص ٨١ .
(٤) في موضوعات الخطب ، ص ٢٢٦ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨١ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .

ومن ذلك قوله ﷺ " يا معشر النساء تصدقن ، وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار " فقالت امرأة منهن جزلة وما لنا يارسول الله أكثر أهل النار قال " تكثرن اللعن وتكفرن الإحسان " (١) .

وقال ﷺ " يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن (٢) شاة " (٣) .

وأما مراعاة حال النساء في الخطاب الموجه إليهن خاصة فتظهر في النقاط التالية :

١ – إشعارهن بخطورة الموقف بالنسبة لهن ، حيث أخبر ﷺ أنه شاهد النار ، فرآهن أكثر أهلها ، وهذا أمر يقتضي الانتباه ويتطلب بذل الجهد والاستعداد بالمسارعة في أعمال الخير ، ولذا أمرهن بالصدقة ، وكثرة الاستغفار " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار " (٤) .

وقد بين ﷺ المعنى نفسه في حديث آخر فقال " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء " (٥) .

٢ – حذر رسول الله ﷺ النساء من العمل بمقتضى العواطف التي هي سريعة التقلب لديهن " لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط " (٦) .

وبين لهن خطورة إنكار الجميل ، وأنه من أعظم أسباب دخولهن النار ، وسمّاه " كفرا " تشنيعا له وترهيبا منه ، ولا يخفى ما في هذا الخطاب من إثارة للعواطف وقوة في التأثير ، تحزّ في نفس كل مسلمة ، حين توقن أن

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٧ .

(٢) الفرسن عظم قليل اللحم ، وهو خف البعير ، كالحافر للدابة ، وقد يستعار للشاة فيقال : فرسن شاة والذي للشاة هو الظلف ، والنون زائدة وقيل أصلية) ، انظر النهاية في غريب الحديث ، جـ ٣ ، ص ٤٢٩ .

(٣) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الهبة ، باب (١) ، جـ ٣ ، ص ١٨٠ ، حـ ٢٥٦٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الصدقة ولو بالقليل ، جـ٢ ، ص ٧١٤ ، حـ ١٠٣٠ .

(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٨ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ، باب (٨٧) ، جـ ٦ ، ص ٤٨٠ ، حـ ٥١٩٦ .
وصحيح مسلم ، كتاب الرقاق ، باب أكثر أهل الجنة الفقراء ، وأكثر أهل النار النساء ، حـ ٤ ، ص ٢٠٩٦ ، حـ ٢٧٣٧ ، واللفظ لمسلم .

(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٨ .

إنكار حق زوجها ونعمته عليها ، تؤدي إلى دخولها النار ، عند ذلك تحفظ لسانها ، فلا تكون لعّانة ولا طعّانة ، " تكثرن اللعن وتكفرن العشير " (١) .

٣ – بين الرسول ﷺ للنساء الحلول المناسبة ، والعلاج الناجع الذي يُتفادَى به الوقوعُ في المهالك ؛ حيث أمرهن بالصدقة ورغّبهن فيها وإن قلّت " ولو فرسن شاة " " والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار " (٢) .

وحثهن على الإكثار من الآستغفار " وأكثرن من الاستغفار " (٣) .

وعند تأمل هذين العلاجين ، تجد أنهما يتناسبان مع حال النساء وهما في مقدورهن ، ؛ بحيث لا يتطلبان قوة جسمية مثل الجهاد في سبيل الله ومبارزة الأعداء ، ولما قالت عائشة – رضي الله عنها – لرسول الله ﷺ " يا رسول الله ألا نغزو ونجاهد معكم ؟ . قال : " لكنَّ أحسن الجهاد وأجملُه الحجُّ حج مبرور " (٤) .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٧ .

(٢) سنن الترمذي ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء في حرمة الصلاة ، جـ ٥ ، ص ١١ – ١٢ ، حـ ١٦١٦ ، وقال حديث حسن صحيح .

(٣) سبق تخريجه ص ٨٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب جزاء الصيد ، باب حج النساء ، ج٢ ، ص : ٥٧٤ ، ح ١٨٦١ .

ثالثاً : ينقسم المدعوون باعتبار السن إلى كبار وصغار :

أ - **الكبار** : ويشملهم الخطاب الموجه إلى جميع الأمة لأنهم من أفرادها وقد كان رسول الله ﷺ يحترم كبار السن ، ويوجّه المسلمين إلى احترامهم وتوقيرهم بأقواله وأفعاله ، وكان يوجّه الكبار أيضا أن يرحموا صغارهم ، ويعدلوا بينهم في الهبات والعطايا ، ليكون ذلك عونا على برّهم ، فقد قال ﷺ " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شرف كبيرنا " (١) .

وقال أيضا فيما يرويه عمرو بن شعيب (٢) عن أبيه عن جده " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها ، وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم في المضاجع " (٣) .

وأوجب رسول الله ﷺ على الآباء العدل بين الأولاد في الهبة ففي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير - ﷺ - قال " أعطاني أبي عطية ، فقالت عمرة بنت رواحة : لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ . فأتى رسول الله ﷺ . فقال إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية ، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله . قال : " أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ قال : لا . قال فاتقوا الله واعدلوا بين أولادكم . قال : فرجع فردّ عطيته " (٤) .

---

(١) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في الرحمة ، جـ ٥ ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، حـ ٤٩٤٣ .
وسنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في رحمة الصبيان ، جـ ٤ ، ص ٣٢٢ ، حـ ١٩٢٠ ، وقال حسن صحيح .

(٢) هو : عمرو بن شعيب بن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص ، الإمام المحدث أبو إبراهيم أو أبو عبدالله ، القرشي السهمي الحجازي ، فقيه أهل الطائف ، ومحدثهم ، حدث عن أبيه كثيرا ، وعن سعيد بن المسيب وطاووس وسليمان بن يسار ، وحدث عن الربيع بنت معوّذ ، وزينب بنت أبي سلمة رضي الله عنهما ، وعنه الزهري ، وقتادة ، وعطاء بن أبي رباح ، قال أحمد له مناكير يعتبر بحديثه وروى مالك عنه بواسطة ، وحديثه في السنن ، توفي سنة (١١٨هـ) ، انظر : سير أعلام النبلاء ، جـ ٥ ، ص ١٦٥ - ١٨٠ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ٨ ، ص ٤٨ - ٥٥ ، وشذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ١٥٥ .

(٣) سنن أبي داود وكتاب الصلاة ، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة ، جـ ١ ص ٣٣٤ ، حـ ٤٩٥ .

(٤) سبق تخريجه في ص ٢٤٨ .

وفي رواية لمسلم أن رسول الله ﷺ قال له " .. أيسرّك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ " قال بلى . قال : فلا ، إذا " [١] .

وهذا الحديث واضح الدلالة على وجوب التسوية بين الأولاد في العطية ، وحمله بعض أهل العلم على الندب [٢] .

قال العلامة محمد بن سالم البيحاني : في إصلاح المجتمع " ومن أراد برّ أبنائه ، وأن يترحموا عليه إذا مات ، ولا تكون بعده خصومة ، فليتق الله وليسوّ بينهم ، وليجعلهم عنده بمنزلة واحدة ، لايفضل أحدا على أحد إلا بعلم أو عمل صالح ... " [٣] .

وأما مراعاة أحوال كبار السن فتظهر في أمور أذكر ما تيسّر منها :

١ – حث رسول الله ﷺ على توقيرهم ، ومعرفة شرفهم حيث جعل الأدب في توقيرهم ، قال الترمذي في سننه " قال بعض أهل العلم : معنى قول النبي ﷺ : " ليس منا " يقول ليس من سنتنا ليس من أدبنا .

وقال علي بن المديني [٤] : قال يحي بن سعيد [٥] : كان سفيان الثوري ينكر هذا التفسير ليس منا يقول ليس من ملتنا " [٦] .

٢ – كان رسول الله ﷺ يهتم بتقديم الكبار على الصغار عند التساوي ، ويأمر بذلك فمن ذلك قوله في إمامة الصلاة " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الهبة ، باب كراهية تفضيل بعض الأولاد في الهبة ، جـ ٣ ، ص ١٢٤٤ ، حـ ١٧/١٦٢٣ ، حديث الباب .

(٢) انظر فتح الباري ، مرجع سابق ، جـ ٥ ، ص ٢٥٣ – ٢٥٥ .

(٣) إصلاح المجتمع ، شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم ، ص ٣٣٢ .

(٤) هو : علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم المديني ثم البصري ، أبو الحسن ، حافظ عصره ، ولد سنة ١٦١ ، سمع من أبيه ، وحماد بن زيد ، وهشيم ، وعنه الذهلي ، والبخاري ، وأبو داود ، وإسماعيل القاضي ، وأبو يعلى ، والبغوي ،وغيرهم ، نقل الذهبي عن ابن مهدي أنه قال فيه ابن المديني أعلم الناس بحديث رسول الله ﷺ ، وقال فيه البخاري : " ما استصغرت نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني " توفي سنة ٢٣٤ ، انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء ، جـ ١١ ، ص٤١ – ٦٠ ، وتذكرة الحفاظ ، جـ ٢ ، ص ٤٢٨ – ٤٢٩ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ٧ ، ص ٣٤٩ – ٣٥٧ .

(٥) هو : يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص ، المحدث الثقة ، أبو أيوب القرشي الأموي الكوفي ، حدث عن يحيى بن سعيد الأنصاري ، وهشام بن عروة ، وعنه أحمد بن حنبل ، وحميد بن الربيع ، وخلق ، توفي سنة ١٩٤ ، انظر : تذكرة الحفاظ ، جـ ١ ، ص ٣٢٥ – ٣٢٦ .

(٦) سنن الترمذي ، مرجع سابق ، جـ ٤ ، ص ٣٢٢ .

كانوا في القراءة سواء ، فأعلمهم بالسنة ، فإن كانوا في السنة سواء ، فأقدمهم هجرة فإن كانوا في الهجرة سواء ، فأقدمهم سنا ... " (١) .

وقال في ترتيب الصفوف : " ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم " (٢) .

وفي صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي ﷺ قال : " أراني في المنام أتسوك بسواك ، فجاءني رجلان ، أحدهما أكبر من الآخر ، فناولت السواك الأصغر ، فقيل لي كبّر ، فدفعته إلى الأكبر منهما " (٣) .

وفي الصحيحين من حديث سهل بن أبي حثمة (٤) الأنصاري - رضي الله عنه - قال : " انطلق عبدالله بن سهل (٥) ، ومحيصة بن مسعود (٦) إلى خيبر وهي يومئذ صلح ، فتفرقا ، فأتى مُحيّصَةُ إلى عبدالله بن سهل وهو يتشحط في دمه قتيلا فدفنه ، ثم قدم المدينة فانطلق عبدالرحمن بن سهل (٧) ، ومحيّصة وحُويصَةُ (٨) ابنا مسعود إلى النبي ﷺ ، فذهب عبدالرحمن يتكلم فقال : " كبّر كبّر " وهو أحدث القوم ، فسكت فتكلما " (٩) .

---

(١) سبق تخريجه في ص ٣٢٧ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب تسوية الصفوف ، جـ ١ ، ص ٣٢٣ ، حـ ٤٣٢ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الرؤيا ، باب رؤيا النبي ﷺ ، جـ ٤ ، ص ١٧٧٩ ، حـ ٢٢٧١ .

(٤) هو : سهل بن أبي حثمة بن ساعدة بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحرث بن عمرو بن مالك بن الأوس ، الأنصاري الأوسي ، من صغار الصحابة ، قيل توفي رسول الله ﷺ وهو ابن سبع أو ثمان ، وقد حدث عن رسول الله ﷺ بأحاديث ، وعن زيد بن ثابت ، ومحمد بن سلمة ، وروى عنه ابنه محمد ، وابن أخيه محمد بن سليمان ، وبشير بن يسار ، وصالح بن خوات ، توفي في أول خلافة معاوية ، انظر : ترجمته في الاستيعاب ، جـ٢ ، ص ٩٦ ، وأسد الغابة ، جـ٢ ، ، ص٣٦٣ - ٣٦٤ ، والاصابة ، جـ ٢ ، ص ٨٥ .

(٥) هو : عبدالله بن سهل بن زيد الأنصاري هو الذي قتل بخيبر فجاء عبدالرحمن بن سهل يتكلم فقال النبي ﷺ " كبر كبر " ، انظر الإصابة ، جـ ٢ ، ص ٣١٤ .

(٦) هو محيصة بن مسعود أخو حويصة ، وهو أصغر منه ، وأسلم قبله ، انظر : الاصابة ، جـ٣ ، ص٣٦٨ .

(٧) هو : عبدالرحمن بن سهل بن زيد بن كعب ، أخو عبدالله المقتول بخيبر ، وابن عم حويصة ومحيصة ، وكان أصغر منهما ، فلما جاء يطالب بدم أخيه قال له رسول الله ﷺ " كبر كبر " ، انظر : الإصابة ، جـ ٢ ، ص٣٩٤ - ٣٩٥ .

(٨) هو : حويصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج الأنصاري - شهد أحدا والخندق وسائر المشاهد ، أسلم قبل أخيه محيصة ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٦٦ ، والإصابة ، جـ ١ ، ص ٣٦٢ - ٣٦٣ .

(٩) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب الجزية والموادعة ، باب الموادعة والمصالحة مع المشركين بالمال وغيره وإثم من لم يف بالعهد ، جـ ٤ ، ص ٤٠٢ ، حـ ٣١٧٣ . وصحيح مسلم ، كتاب القسامة والمحاربين باب القسامة ، جـ ٣ ، ص ١٢٩١ - ١٢٩٥ ، حـ ١٦٦٩ / ١ - ٦ أحاديث الباب .

٣ - رغب رسول الله ﷺ في إجلال ذوي الشيبة في الإسلام وإكرامهم فعند الترمذي من حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال : رسول الله ﷺ " ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه " (١) .

وعند أبي داود من حديث أبي موسى - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ " إن من إجلال الله تعالى إكرام ذي الشيبة المسلم ، وحامل القرآن غير الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرامَ ذي السلطان المقسط " (٢) .

٤ - حمَّل رسول الله ﷺ الكبار مسؤولية تربية أبنائهم وتعويدهم الطاعة وفعل الخير ، والشفقة عليهم ومعاملتهم بالعدل في الهبات والعطايا ، كما سبق بيان ذلك ، وفي قوله ﷺ " كلكم راع ومسؤول عن رعيته .. الرجل راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته " (٣) ، دليل لما ذكر . والله أعلم .

ب - الصغار أو الشباب ويشملهم الخطاب الموجه للأمة ، وقد كان رسول الله ﷺ يخاطبهم ويوجههم والشواهد كثيرة أعرض نماذج منها فيما يلي :

منها حديث عمر بن أبي سلمة (٤) قال : " كنت غلاما في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة ، فقال لي رسول الله ﷺ " يا غلام سم الله تعالى ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك " فما زالت تلك طعمتي بعد (٥) .

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في إجلال الكبير ، جـ ٤ ، ص ٣٧٢ ، حـ ٢٠٢٢ وقال فيه " هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ يزيد بن بيان وأبو الرجال الأنصاري " وضعفهما شعيب الأرنؤوط في تعليقه على رياض الصالحين ، هامش ص١٤٩ .

(٢) سنن أبي داود ، كتاب الأدب ، باب في تنزيل الناس منازلهم ، جـ ٥ ، ص ١٧٤ ، حـ ٤٨٤٣ ، وحسنه النووي في رياض الصالحين والعراقي ، وابن حجر .

(٣) سبق تخريجه ، ص ٦٢ .

(٤) هو : عمر بن أبي سلمة بن عبدالأسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ربيب رسول الله ﷺ أمه أم سلمة المخزومية أم المؤمنين ، يكنى ، أبا حفص ولد في السنة الثانية من الهجرة بأرض الحبشة وقيل كان ابن تسع سنين عند وفاة رسول الله ﷺ ، شهد وقعة الجمل مع علي رضي الله عنه واستعمله على فارس والبحرين ، توفي سنة ٨٣ في خلافة عبدالملك له رواية عن رسول الله ﷺ ، انظر ترجمته في الاستيعاب ، جـ ٢ ، ص ٤٦٧ ، وأسد الغابة ، جـ ٤ ، ص٧٩ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص٥١٢ - ٥١٣ .

(٥) سبق تخريجه في ص ٢١٤ هامش (٣) .

ومنها قوله لابن عباس – رضي الله عنهما – " يا غلام إني أعلمك كلمات : " احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف " (١) .

ومن ذلك قوله ﷺ " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " (٢) .

ومن شواهد حسن تعامله ﷺ مع الشباب حديث أنس خادمه – وفيه يقول : " ما مسست ديباجا ولا حريرا ألين من كف رسول الله ﷺ ، ولا شممت رائحة قط أطيب من رائحة رسول الله ﷺ ، ولقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين ، فما قال لي قط أفّ ، ولا قال لشيء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشيء لم أفعله ألا فعلت كذا ؟ " (٣) .

وهذه أمثلة من توجيهات المصطفى ﷺ للشباب .

وتظهر مراعاة أحوالهم في الأمور التالية :

١ – الحرص على تعليمهم العقيدة السليمة والأحكام العملية ، والآداب الرفيعة .

يتجلى ذلك في قوله ﷺ لابن عباس – رضي الله عنهما " إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم بأن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ... " .

وفي هذا التوجيه النبوي يأمر الرسول ﷺ ابن عباس أن يخص الله بدعائه ، واستعانته ، موقنا بأنه لن يصل إليه نفع لا يريد الله أن يصل إليه ،

---

(١) سنن الترمذي ، كتاب القيامة ، باب (٥٩) ، جـ ٤ ، ص ٦٦٧ ، حـ ٢٥١٦ .
(٢) سبق تخريجه ص ٦١ .
(٣) متفق عليه وسبق تخريجه ص ٦١ .

كما لا يصل إليه من الضر إلا ما شاءه وقدره ، كل شيء بقضائه وقدره سبحانه لا إله إلا هو .

وفي صحيح البخاري من حديث مالك بن الحويرث [١] - رضي الله عنه - قال : " أتينا النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون فأقمنا عنده عشرين ليلة ، وكان رسول الله ﷺ رفيقا ، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمن تركنا بعدنا ، فأخبرناه قال : " ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم ، وعلموهم ومروهم - وذكر أشياء أحفظها أولا أحفظها - وصلوا كما رأيتموني أصلي ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم ، وليؤمكم أكبركم " [٢] .

وفي هذا الحديث تعليم لهؤلاء الشباب بالقول والعمل حيث أمرهم أن يصلوا مثل صلاته التي شاهدوها طيلة عشرين يوما ، وبيَّن لهم أن الأذان مطلوب عند حضور الصلاة ، وأن الإمام ينبغي أن يكون أكبرهم وهذه أحكام عملية كما هو واضح .

وفي حديث عمر بن أبي سلمة [٣] إرشاد إلى آداب الطعام ، وتوضيح لها ، مع لفت النظر إلى ذكر الله عند ابتداء الأكل والشرب ، وفي ذلك إشعار بأنهما من نعمه سبحانه على عباده .

٢ - رحمته ﷺ بهم وشفقته عليهم يدل على ذلك سؤال مالك ابن الحويرث وصحبه عن حال من وراءهم من أهليهم ، وأمره إياهم بالرجوع إلى أهليهم حين علم اشتياقهم إلى ذلك .

ويدل عليه حديث أنس - رضي الله عنه - وعدم معاتبته ﷺ له في أي أمر من

---

(١) هو : مالك بن الحويرث بن أشيم بن زياد بن خشيش بن عبدياليل ، بن ناشب بن غيرة ، بن سعد بن ثابت الليثي ، وقيل فيه مالك بن الحويرثة نقله ابن حجر عن البغوي سكن البصرة ، روى عن النبي ﷺ ، وحديثه في الصحيحين توفي بالبصرة سنة ٧٤ ، انظر : الاستيعاب ، جـ ٣ ، ص ٣٥٤ - ٣٥٥ ، وأسد الغابة ، جـ ٤ ، ص ٢٧٧ ، والاصابة ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب خبر الآحاد ، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض ، جـ ٨ ، ص ٤٨١ ، حـ ٧٢٤٦ .

(٣) سبق تخريجه ص ٢١٤ .

الأمور ، وكذلك قوله لعمر بن أبي سلمة " يا غلام " [١] ولابن عباس مثله [٢] فإنها لفظة تنبعث منها الشفقة والرحمة ، وقد حث أيضا على رحمة الصغار بقوله : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا " [٣] .

٣ – الاهتمام بحاجاتهم النفسية يدل على ذلك قوله ﷺ " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " [٤] .

ويدل على ذلك أيضا رفقه بذلك الشاب الذي جاء يستأذنه في الزنا حيث لم يعنفه ولم يزجره بل قال له " ادنه " فدنا منه قريبا فجلس ، قال " أتحبه لأمك " قال " لا والله جعلني الله فداءك " قال " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم " قال : " أفتحبه لابنتك " ؟ ، قال " لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك " قال : " ولا الناس يحبّونه لبناتهم " ثم تابع ﷺ الأسئلة عن القريبات الأخت ثم العمة ، ثم الخالة والشاب يجيب بنفس الجواب ، وفي آخر الحديث يقول الراوي : فوضع يده عليه ، وقال " اللهم اغفر ذنبه ، وطهر قلبه ، وحصن فرجه " فلم يكن بعد ذلك يلتفت إلى شيء " [٥] .

ولعل من حكم هذا الرفق العظيم بهذا الشاب مراعاة حالته النفسية ، وقوة الشهوة لدى الشباب عادة ، كما أذن للشيخ في التقبيل في حال الصوم ولم يأذن للشاب . والله أعلم .

رابعاً : ينقسم المدعوّون باعتبار حالهم إلى أغنياء وفقراء :

أ – الأغنياء وقد شملهم الخطاب الموجّه إلى الأمة لأنهم من جملة أفرادها .

وفي الخطبة التي كان سببها قدوم جماعة من مضر تبدو عليهم آثار الفقر والحاجة ، حث رسول الله ﷺ على الصدقة فتلا آيات منها قوله تعالى :

---

(١) سبق تخريجه ص ٢١٤ هامش ٣
(٢) سبق تخريجه ص ٣٣٨ .
(٣) سبق تخريجه ص ٣٣٥ .
(٤) سبق تخريجه ص ٣٣٨ .
(٥) مسند الإمام أحمد ، جـ ٥ ، ص ٣٢٣ ، حـ ٢٢٢٠٧ .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ (١) ، قال " تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره " حتى قال " ولو بشق تمرة " (٢) .

وهذا الخطاب وإن كان عاما للأغنياء وغيرهم إلا أنهم أولى الناس به ؛ لما أعطاهم الله من اليسار وسهولة الانفاق .

وجاءت آيات كثيرة وأحاديث في الحث على الانفاق في سبيل الله ، قال تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ (٣) ، وقال تعالى ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾ (٤) .

وبين رسول الله ﷺ أنه لا ينبغي أن يغتبط غير اثنين : الغني الذي ينفق ماله في سبيل الله ، وصاحب الحكمة الذي يقضي بها ويعلمها وذلك في قوله ﷺ " لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " (٥) .

وقال ﷺ : " من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب ، وإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها ، كما يربي أحدكم فلوَّه حتى تكون مثل الجبل " (٦) .

وقد سبق في التمهيد ، وفي موضوعات الخطب بيان فضل الإنفاق والتهادى ، ومكانة ذلك في تنمية العلاقة الأخوية بين أهل الإسلام (٧) ، وأكتفي بهذه الشواهد فيما يتعلق بأهل الغنى .

---

(١) سورة الحشر ، الآية (١٨) .
(٢) سبق تخريج هذه الخطبة في نصوص الخطب ص ٨٩ .
(٣) سورة المنافقون ، الآية (١٠) .
(٤) سورة الطلاق ، جزء من الآية (٧) .
(٥) سبق تخريجه في ص ٦٠ .
(٦) سبق تخريجه في ص ٦٠ .
(٧) انظر ص ٥٩ - ٦٠ .

وأما مراعاة أحوالهم فتظهر في أمور أعرض لها فيما يلي :

١ – لقد جعل الله حب المال غريزة في بني آدم يدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ (١) ، وقوله ﴿ وتحبون المال حبا جما ﴾ (٢) وقوله ﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (٣) .

ولذا اشتملت التوجيهات الآمرة بالإنفاق ترغيبا فيه وحثا عليه ، من أجل أن يتغلب الإنسان على هذه الغريزة الفطرية إذا أيقن بالخلف في الدنيا والآخرة وبأضعاف ، وأنه يقبل منه القليل وينمي له ، ولن يظلم مثقال ذرة ، وسيجد ذلك كله في الوقت الذي تشتد حاجته إليه ، إذا تأكدت هذه الحقائق عند المؤمن سهل عليه الإنفاق _ بإذن الله تعالى –

٢ – تضمنت التوجيهات والأوامر بالإنفاق لفت نظر المنفق إلى أنه ليس مالكا في الحقيقة ، وإنما هو مستخلف ممن أمره بالإنفاق ، وأجزل له المثوبة عليه ﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم اجر كبير ﴾ (٤) ، وقال تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم ﴾ (٥) . فيالله ما أعظمها من منة يعطينا بلا حساب ، ويطلب منا أن نقرضه فيضاعف لنا القرض ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبصُط وإليه ترجعون ﴾ (٦) .

فوالله لو تأمل المنفقون منّا هذه الحقائق لسخت نفوسهم بإنفاق المال ليكون لهم ذخرا عند الله عز وجل – قال ﷺ " ما نقصت صدقة من مال " (٧) ولسارعوا بالإنفاق ولو من القليل " تصدق رجل من دينار من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ، من صاع تمره ، ولو بشق تمره " (٨) .

---

(١) سورة العاديات ، الآية (٨) .
(٢) سورة الفجر ، الآية (٢٠) .
(٣) سورة الحشر ، جزء من الآية (٩) ، وسورة التغابن ، جزء من الآية (١٦) .
(٤) سورة الحديد ، الآية (٧) .
(٥) سورة المنافقون ، جزء من الآية (١٠) .
(٦) سورة البقرة ، الآية (٢٤٥) .
(٧) سبق تخريجه في ص ٢٤٣ .
(٨) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٩ .

٣ – بين رسول الله ﷺ أن المال قد يكون نعمة لأقوام ، وقد يكون نقمة ومهلكة لآخرين دل على ذلك قوله ﷺ في خطبة " إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها " ... ثم قال في جواب السائل " أو يأتي الخير بالشر ؟ ! " " إنه لا يأتي الخير بالشر ، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا أو يلم ، إلا آكلة الخضرة فإنها أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها ، فاستقبلت عين الشمس ، فثلطت ، وبالت ثم رتعت ، وإن هذا المال خضر حلو ونعم عون المسلم لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل ، وإن من يأخذه بغير حقه كمن يأكل ولا يشبع ، ويكون عليه شهيدا يوم القيامة " [١] .

وقال ﷺ في حديث آخر مخاطبا أصحابه " فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها ، كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم " [٢] .

وفي بعض روايات حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال في إجابة السؤال " إن الخير لا يأتي إلا بخير أو خير هو ؟ ! "

قال النووي – رحمه الله – في شرحه لهذا الحديث " معناه أنه ﷺ حذرهم من زهرة الدنيا وخاف عليهم منها ، فقال هذا الرجل إنما يحصل ذلك لنا من جهة مباحة كغنيمة وغيرها وذلك خير ، وهل يأتى الخير بالشر ؟ وهو استفهام إنكار واستبعاد أي يبعد أن يكون الشيء خيرا ثم يترتب عليه شر ، فقال له النبي ﷺ أما الخير الحقيقي فلا يأتي إلا بخير ، أي لا يترتب عليه إلا خير ، ثم قال أو خير هو ؟ معناه أن هذا الذي يحصل لكم من زهرة الدنيا ليس بخير ، وإنما هو فتنة ، وتقديره الخير لا يأتي إلا بخير ولكن ليست هذه الزهرة بخير لما تؤدي إليه من الفتنة والمنافسة والاشتغال بها عن كمال الاقبال على الآخرة " [٣] .

وقال ابن حجر في شرح حديث " فوالله ما الفقر أخشى عليكم " نقلا عن ابن بطال " فيه أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فتحت عليه أن يحذر من سوء

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٢ .
(٢) سبق تخريجه ص ١٢٨ .
(٣) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٧ ، ص ١٤٢ ، ١٤٣ .

عاقبتها وشر فتنتها ، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها ، ويستدل به على أن الفقر أفضل من الغنى لأن فتنة الدنيا مقرونة بالغنى ، والغنى مظنة الوقوع في الفتنة التي قد تجر إلى هلاك النفس غالبا والفقير آمن من ذلك " [١] .

ب – الفقراء ويشملهم الخطاب الموجّه لعموم الأمة لأنهم من أفرادها.

وفي قوله ﷺ في الخطبة التي رواها أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – يقول الرسول الأمين ﷺ " إن مما أخاف عليكم ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها " [٢] . خطاب توجيهي يتضمن تسلية للفقراء لئلا يأسوا على ما فاتهم من الدنيا لأنها قد تكون سبب هلاك لمن بسطت عليهم ، كما يتضمن تحذيرا للأغنياء من أن تبطرهم نعمة المال وقد سبق ذكر ذلك قريبا .

وفي قوله ﷺ " فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم ... " [٣] . تسلية أيضا لمن لم يبسط الله له المال لاحتمال أن يهلكه المال ، ومن توجيهاته ﷺ لأمته قوله " انظروا إلى من أسفلَ منكم ، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله " [٤] .

وفي رواية " " إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخَلْق فلينظر إلى من هو أسفل منه " [٥] .

وحاله ﷺ ومقاله يؤكدان أن المال والغنى يجب أن لا ينشغل بهما المسلم عن طاعة الله ، والاستعداد للحياة الأبدية في دار القرار ، من شواهد ذلك قوله ﷺ لأبي ذر ، وقد استقبلا أُحُداً " ما يسرّني أن عندي مثل أحد هذا ذهبا تمضي علي ثلاثة أيام وعندي منه دينار ، إلا شيء أرصده لدين ، إلا أن أقول به في عباد الله هكذا ، وهكذا وهكذا " عن يمينه ، وعن شماله ، وعن

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ١١ ، ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .
(٢) سبق تخريجه ص ٩٢ .
(٣) سبق تخريجه ص ٣٤٣ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، جـ٤ ، ص٢٢٧٥ ، حـ٩/٢٩٦٣ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب لينظر إلى من هو أسفل منه ، جـ ٧ ، ص ٢٣٩ ، حـ ٦٤٩٠ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، جـ ٤ ، ص ٢٢٧٥ ، حـ ٢٩٦٣ ، ولفظ الرواية الأولى لمسلم .

خلفه ، ثم سار فقال " إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا " (١) .

وعن عثمان - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قال : " ليس لابن آدم حقّ في سوى هذه الخصال ، بيت يسكنه ، وثوب يواري عورته ، وجلف الخبز والماء " (٢) .

وتظهر مراعاة حال الفقراء من طرفه ﷺ في أمور :

١ - إخبارهم بأن المال قد يكون سبب شقاء لصاحبه ، قال ﷺ " إن لكل أمة فتنة وفتنة أمتي المال " (٣) .

وقال تعالى ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ (٤) .

٢ - بين رسول الله ﷺ أن الفضل الذي ينال بالصدقة ليس مختصا بالأغنياء بدليل قوله : " تصدق رجل من دينار من درهمه ... حتى قال ولو بشق تمرة " (٥) .

٣ - بين رسول الله ﷺ أن مسمَّى الصدقة وثوابها ليس قاصرا على المال ففي الصحيح عن أبي ذر - رضي الله عنه - أن ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا للنبي ﷺ يارسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال أو ليس قد جعل الله ما تصدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وكل تهليلة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ، ونهي عن منكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة " (٦) .

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب قول النبي ﷺ " ما أحب أن لي مثل أحد ذهبا " جـ ٧ ، ص ٢٢٨ ، حـ ٦٤٤٤ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب الترغيب في الصدقة ، جـ ٢ ، ص ٦٨٧ ، حـ ٣٢/٩٤ .

(٢) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب (٣٠) ، جـ ٤ ، ص ٥٧١ - ٥٧٢ ، حـ ٢٣٤١ ، وقال حسن صحيح .

(٣) الجامع الصحيح ، سنن الترمذي ، كتاب الزهد ، باب ما جاء أن فتنة هذه الأمة في المال ، جـ ٤ ، ص ٥٦٩ ، حـ ٢٣٣٦ ، وقال حسن صحيح غريب .

(٤) سورة الشورى ، الآية (٢٧) .

(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٩ .

(٦) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل معروف ، جـ ٢ ، ص ٦٩٧ حـ ١٠٠٥ / ٥٢ .

وفي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن فقراء المهاجرين أتوا النبي ﷺ فقالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم ، فقال : " وما ذاك " قالوا يصلون كما نصلي ، ويصومون كما نصوم ، ويتصدقون ولا نتصدق ، ويعتقون ولا نعتق ، فقال رسول الله ﷺ " أفلا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ، وتسبقون به من بعدكم ، ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم ؟ " قالوا بلى يا رسول الله ، قال : " تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة " (١) .

٤ – جاءت نصوص كثيرة تحث على التعفف وتثني على أصحاب العفة منها قوله ﷺ في خطبة بين فيها أوصاف أهل الجنة " وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيفٌ متعففٌ ذو عيال " (٢) .

وقد تعرضت في مبحث الأخلاق لخلق العفة وبينت فضلها ، وشمولها لعدم الطمع فيما عند الناس ، والكف عن كل ما يسخط الله ، ومن جوامع كلمه ﷺ " ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " .

وعن أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه – أن ناسا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ فأعطاهم ثم سألوه فأعطاهم حتى نفد ما عنده فقال لهم حين أنفق كل شيء بيده " ما يكن عندي من خير فلن أدّخره عنكم ، ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ، ومن يتصبر يصبّره الله ، وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر " (٣) .

وعن حكيم بن حزام (٤) – رضي الله عنه – قال : سألت رسول الله ﷺ فأعطاني ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الذكر بعد الصلاة ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ – ٢٥٤ ، حـ ٨٤٣ . وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته جـ ١ ، ص ٤١٦ – ٤١٧ ، حـ ٥٩٥ ، واللفظ لمسلم .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، جـ ٢ ، ص ٤٥٤ ، حـ١٤٦٩ وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب فضل التعفف والصبر ، جـ ٢ ، ص ٧٢٩ ، حـ ١٠٥٣ .

(٤) هو : حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي الأسدي ابن أخي خديجة زوج النبي ﷺ ، أبو خالد ، له حديث في الكتب الستة ، يروى عنه ابنه حزام وعبدالله بن الحارث بن نوفل ، وسعيد بن المسيب ، قيل إنه ولد قبل الفيل بثلاثة عشر عاما ، أسلم في الفتح ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، قيل عاش مائة وعشرين سنة شطرها في الجاهلية ، وشطرها في الإسلام ، توفى سنة ٦٠ أو ٥٨ ، انظر : الاستيعاب ، جـ ١ ، ص ٣١٩ – ٣٢٠ ، والاصابة ، جـ ١ ، ص ٣٤٨ .

ثم سألته فأعطاني ، ثم سألته فأعطاني ثم قال " يا حكيم ، إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذي يأكل ولا يشبع ؛ واليد العليا خير من اليد السفلى " قال حكيم فقلت والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحدا بعدك شيئا حتى أفارق الدنيا " (١) .

وقد بايع رسول الله ﷺ جمعا من أصحابه على ترك المسألة ، فعن عوف بن مالك الأشجعي (٢) – رضي الله عنه – قال كنا عند رسول الله ﷺ تسعة أو ثمانية أو سبعة فقال " ألا تبايعون رسول الله ﷺ "وكنا حديث عهد ببيعة ، فقلنا قد بايعناك يا رسول الله . ثم قال " ألا تبايعون رسول الله ﷺ فقلنا قد بايعناك يارسول الله . ثم قال تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبسطنا أيدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نبايعك ؟ قال : " على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، والصلوات الخمس وتطيعوا " وأسر كلمة خفية : " ولا تسألوا الناس شيئا " فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه " (٣) .

ورهب رسول الله ﷺ من المسألة فقال : " لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم " (٤) .

٥ – رغب رسول الله ﷺ في العمل الذي يغني عن مسألة الناس ففي البخاري عن أبي عبدالله الزبير بن العوام – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله ﷺ " لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة من الحطب على ظهره فيبيعها ، فيكف الله بها وجهه ، خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه " (٥) .

وفيه عن المقدام بن معد يكرب (٦) – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال " ما أكل

---

(١) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، جـ ٢ ، ص ٤٥٤ ، حـ ١٤٧٢ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب بيان أن اليد العليا خير .. ، جـ ٢ ، ص ٧١٧ ، حـ١٠٣٥ .

(٢) " عوف بن مالك الأشجعي ، أبو حماد ويقال غير ذلك صحابي مشهور من مسلمة الفتح سكن دمشق ، ومات سنة ثلاث وسبعين التقريب ، ص ٤٣٣ /٥٢١٧ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، جـ ٢ ، ص ٧٢١ ، حـ ١٠٤٣ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب من سأل الناس تكثرا ، جـ ٢ ، ص ٤٥٥ ، حـ١٤٧٤ . وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب كراهة المسألة للناس ، جـ ٢ ، ص ٧٢٠ ، حـ ١٠٤٠ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب الاستعفاف عن المسألة ، جـ ٢ ، ص ٤٥٤ ، حـ ١٤٧١ .

(٦) هو : المقدام بن معد يكرب بن عمرو بن يزيد ، أبوكريمة ، أو أبو يزيد ، نزيل حمص ، صاحب رسول الله ﷺ ، روى عدة أحاديث ، حدث عنه جبير بن نفير ، والشعبي ، توفى سنة سبع وثمانين في خلافة عبدالملك بن مروان ، وعمره إحدى وتسعون سنة ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ٤١٥ ، وأسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ٢٥٤ ، وسير أعلام النبلاء ، جـ ٣ ، ص ٤٢٧ – ٤٢٨ .

أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده " (١) .

قال ابن حجر – رحمه الله – معلقا على حديث أبي هريرة ، الذي أورده البخاري بمعنى حديث الزبير الذي ذكرته " فيه الحض على التعفف عن المسألة والتنزه عنها ، ولو امتهن المرء نفسه في طلب الرزق وارتكب المشقة في ذلك ، ولولا قبح المسألة في نظر الشرع لم يفضل ذلك عليها ، وذلك لما يدخل على السائل من ذل السؤال ومن ذل الردّ إذا لم يعط ، ولما يدخل على المسؤول من الضيق في ماله إن أعطى كل سائل " (٢) .

(١) صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب كسب الرجل وعمله بيده ، جـ ٣ ، ص ١٢ ، حـ ٢٠٧٢ .
(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٣ ، ص ٣٩٤ .

المطلب الثاني

المدعوون على سبيل الفصوص بصفاتهم ومراعاة أحوالهم

قد يكون الخطاب لمعين بصفة ، فيشمل من اتصف بتلك الصفة ، دون غيرها من الصفات ، ومن حكم الله في خلقه أنه لم يجعلهم سواسية في صفاتهم الفطرية مثل الذكاء والفطنة ، ولا في المكتسبة كالعلم ، والاستقامة ومن هذا المنطلق ، ومراعاة للفوارق ، تنوعت الأساليب وتعددت الطرق ، في توصيل المعلومات ؛ ليكون لكل ذي صفة نصيبه على قدر حاجته وفهمه ، على قدر استعداده وبذله ، على قدر شروده وانحرافه ، وفي ضوء هذا التنوع المشار إليه من تعدد صفات المخاطبين ، وانطلاقا من النصوص التي سأوردها يتبين لك – إن شاء الله – الأسلوب الذي كان الرسول ﷺ يعامل به المدعوين ، فيعطى كل ذي حاجة بقدر حاجته ، ويعالج كل ذي علة حتى يزيل علته وشبهته ، وإليك الأصناف مع الشواهد ، ومراعاة الأحوال في النقاط التالية :

أ – أهل الذكاء والفطنة :

قد يكون لمضمون الخطاب خاصية تقتضي عدم إشاعته بين العامة وإنما يكفى العلم به من طرف الخاصة وذوي الأدوار فيه فيلقى إليهم بلحن يفهمونه ، ولذا كان رسول الله ﷺ يستعمل أسلوب التلميح في خطبه ، وأحاديثه ، وقد يسر إلى بعض الخاصه بأمر ويطويه عن غيرهم والأمثلة كثيره أذكر بعضها فيما يلي :

١ – خطبته ﷺ التي أشار فيها إلى قرب أجله فقال : فيها " إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله " [١] .

قد نص راوي هذا الحديث وهو أبو سعيد الخدري – رضي الله عنه – على أن الرسول ﷺ خطب به ، مما يقتضي أنه ألقاه في جمع من أصحابه ، وصرّح أيضا بأن المقصود من هذا الخطاب لم يفطن له غير أبي بكر – رضي الله عنه – لأنه قال في حديثه " فبكى أبوكر الصديق – رضي الله عنه – "

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .

وقال عن نفسه إنه لم ير لبكاء أبي بكر موجبا : " فقلت في نفسي ما يبكي هذا الشيخ ؟ إن يكن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عند الله " (١) .

وأبو سعيد وغيره من الصحابة – ﷺ – لو فهموا من هذا الخطاب ما فهمه أبو بكر ، وأنه نعي لرسول الله ﷺ لبكوا جميعا ؛ كيف لا وهو إعلان لقرب رحيل أحب الناس إليهم ، وانتقاله إلى الدار الآخرة ولهم العذر في عدم ملاحظة المقصود من هذا الخطاب لأن صياغته لم يرد منها أن يفهمه كل من سمعه فالرسول ﷺ لو كان موجها هذا الخطاب إلى العامة لأوضحه مثل إيضاحه لحرمة الأشهر الحرم " ثلاث متواليات ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان " (٢) أو مثل إيضاحه لحرمة دماء المسلمين وأموالهم " فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا " (٣) .

ولكنه ﷺ قصد من هذا الخطاب أبا بكر وأمثاله ممن يتصفون بهذه الصفة من ذوي الفهم ، وقوة الصلة به ﷺ .

وتظهر مراعاة حال المخاطبين بهذا الخطاب في أمور :

١ – اختبار أفهام المخاطبين : –

وقد كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك ومن أدلته ما ثبت في الصحيح عن ابن عمر – ﷺ – عن النبي ﷺ " إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، حدثوني ما هي ؟ " قال فوقع الناس في شجر البوادي ، قال عبدالله : فوقع في نفسي أنها النخلة ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : " هي النخلة " (٤) .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم جـ ١ ، ص ٤٦ ، حـ ٦٢ .
وصحيح مسلم ، كتاب صفات المنافقين واحكامهم ، باب مثل المؤمن مثل النخلة ، جـ ٤ ، ص ١٧١٧ ، حـ ٢٨١١ .

وقال القرطبي : في المفهم معلقا على حديث أبي سعيد " عبد خيره الله تعالى بين أن يؤتيه زهرة الدنيا ، وبين ما عنده فاختار ما عنده " - " هذا قول فيه إبهام ، قصد به النبي ﷺ اختبار أفهام أصحابه ، وكيفية تعلق قلوبهم به " (١) .

٢ - إظهار مكانة أبي بكر - رضي الله عنه - وقوة صلته برسول الله ﷺ يدل على ذلك قوله ﷺ " إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر " (٢) .

ويدل على ذلك اعتراف الصحابة بأنه أعلمهم " فكان رسول الله ﷺ هو العبد ، وكان أبو بكر أعلمنا " (٣) .

قال القرطبي : " وهذا يدل من أبي بكر - رضي الله عنه - على أن قلبه ، ممتلئ من محبة رسول الله ﷺ ومستغرق عنه (٤) ، وشديد الاعتناء بأموره كلها من أقواله وأحواله بحيث لا يشاركه أحد منهم في ذلك . ولما علم النبي ﷺ ذلك منه ، وصدر منه في ذلك الوقت ذلك الفهم عنه اختصه بالخصوصية العظمى التي لم يظفر بمثلها بشري في الأولى ولا في الآخرة فقال : " إن أمنَّ الناس علي في صحبته " (٥) .

٣ - في هذه الخطبة إشارة إلى ترشيح أبي بكر - رضي الله عنه - للخلافة ويفهم ذلك من قوله ﷺ فيها " لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر " .

ومن قوله : " إن أمن الناس عليّ في صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لا تخذت أبا بكر .. " (٦) .

نقل ابن حجر - رحمه الله - عن ابن بطال أنه قال : " فيه أن المرشح للإمامة يخص بكرامة تدل عليه كما وقع في حق الصديق في هذه القصة " (٧) .

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، حـ ٦ ، ص ٢٤٠ ، وانظر إكمال المعلم للإمام الأبي ، جـ ٨ ، ص ١٧٤ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٤) هكذا في المطبوعة (عنه) والسياق يقتضي أن تكون فيه .
(٥) المفهم ، مرجع سابق ، جـ ٦ ، ص ٢٤٠ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ١٩ .

ونقل عن الخطابي وابن بطال أنهما قالا " في هذا الحديث اختصاص ظاهر لأبي بكر ، وفيه إشارة قوية إلى استحقاقه للخلافة ولا سيما وقد ثبت أن ذلك كان في آخر حياة النبي ﷺ في الوقت الذي أمرهم فيه أن لا يؤمهم إلا أبو بكر .

وقد ادعى بعضهم أن الباب كناية عن الخلافة ، والأمر بالسد كناية عن طلبها ، كأنه قال : " لا يطلبن أحد الخلافة إلا أبا بكر فإنه لا حرج عليه في طلبها .. " (١) .

ب – أصحاب العفة وكمال الإيمان وأصحاب الحرص والهلع قد جبل الناس في الغالب على حب المال والحرص عليه ولكن الإيمان كلما قوي ازداد تعلق صاحبه بإيثار الباقي على الفاني ، وتخلص من صفة الحرص ؛ ومن ثم يكون عفيفا ، وهذا ما بينه رسولنا ﷺ في خطبه وأحاديثه ، ومن ذلك قوله ﷺ في خطبة " أما بعد فوالله إني لأعطي الرجل ، وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إلي من الذي أعطي ، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكِلُ أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير فيهم عمرو ابن تغلب " (٢) .

وبين رسول الله ﷺ للأنصار في الخطبة التي استرضاهم بها بعد توزيعه غنائم حنين في غيرهم أن إعطاء غيرهم ليس لأفضليته عنده ولا لمحبته إياه " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ " (٣) .

وفي صحيح البخاري من حديث سعد – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ أعطى رهطا – وسعد جالس – فترك رسول الله ﷺ رجلا هو أعجبهم إلي فقلت : " يا رسول الله مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا " فقال " أو مسلما " فسكت قليلا ، ثم غلبني ما أعلم منه ، فعدت لمقالتي ، فقلت : " مالك عن فلان ؟ فوالله إني لأراه مؤمنا " فقال : " أو مسلما " ثم غلبني ما أعلم منه فعدت لمقالتي ، وعاد رسول الله ﷺ . ثم قال : " يا سعد إني لأعطي الرجل

---

(١) فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ١٨ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠٠ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .

وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبّه الله في النار " [١] .

وهذه الشواهد التي أوضح فيها رسولنا ﷺ انقسام الناس إلى أصحاب عقة وكمال إيمان ، وأصحاب حرص وهلع على الدنيا .

وأما مراعاة أحوالهم فتتضح في أمور كثيره أذكر أهمها فيما يلي :

١ – تأليفه ﷺ لمن هم حديثو عهد بكفر ، وتركه للأنصار ، ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ وزع الغنائم التي أصابها من هوازن في قريش ولم يعط الأنصار منها شيئا ، ولمّا علم رسول الله ﷺ أنهم وجدوا عليه بسبب ذلك ، جمعهم وخطبهم الخطبة التي قال فيها " فإني أعطي رجالاً حديثى عهد بكفر أتألفهم " [٢] .

يقول شيخنا الدكتور فضل إلهي " بين النبيّ الكريم ﷺ أن سبب إعطائه من أعطاهم هو تأليف قلوبهم ، كي تقوى رغبتهم في الإسلام وتطمئن وتستقر قلوبهم على الإيمان " [٣] .

٢ – تصريحه ﷺ بأنه يعطي المال مراعاة لحال أهل الحرص عليه ، ويمنعه أهل العفاف اتكالا على ما في قلوبهم وذلك في قوله : " والله إني لأعطي الرجل وأدع الرجل ، والذي أدع أحب إليّ من الذي أعطي ، ولكن أعطي أقواما لما أرى في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير " [٤] .

٣ – تفريقه ﷺ بين الراغبين في الإنفاق حيث قبل من بعضهم ثلث ماله فقط ، ومن غيره النصف ومن آخرين كل مالهم .

يقول شيخنا الدكتور فضل إلهي : " لم يكن – عليه الصلاة والسلام – يتعامل مع الراغبين في الإنفاق على وتيرة واحدة ، فمنع عليه الصلاة والسلام صحابيا من التصدق بأحد الثوبين الذين قد تصدق بهما عليه ، وأخبر ﷺ أحد الراغبين في الانخلاع من ماله كله صدقة إلى الله ورسوله ، أخبره أنه يجزيه الثلث ، كما أمر ﷺ غيره الذي أبدى مثل رغبته ، أمره بإمساك بعض ماله ،

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة ، وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل ، جـ ١ ، ص ١٥ ، حـ ٢٧ .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .

(٣) مراعاة أحوال المخاطبين ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ .

(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠٠ .

ولكنه ﷺ قد وافق على تصدق الفاروق - رضي الله عنه - بنصف ماله ، (بل) ولم يعترض على إتيان الصديق - رضي الله عنه - بكل ما كان عنده للانفاق في سبيل الله تعالى " [١] .

وهذه شواهد دالة على ماذكر :

١ - إخباره ﷺ لأبي لبابة أن التصدق بالثلث يجزنه وذلك أن أبا لبابة - رضي الله عنه - لما تاب الله عليه قال : " يا رسول الله إن من توبتي أن أهجر دار قومي وأساكنك ، وإني أنخلع من مالي صدقة لله ورسوله " فقال رسول الله ﷺ " يجزئ عنك الثلث " [٢] .

٢ - أمره ﷺ لكعب بن مالك - رضي الله عنه - بإمساك بعض ماله من غير تحديد ، وإعلامه أن ذلك خير له .

ثبت في الصحيح في حديث توبة كعب بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : " قلت يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله " قال : " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك " [٣] .

٣ - قبوله ﷺ من أبي بكر أن يتصدق بجميع ماله ، ومن عمر أن يتصدق بنصف ماله - رضي الله عنهما - يدل على ذلك ما رواه الأئمة أبو داود ، والترمذي ، والحاكم عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : " أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق ، فوافق ذلك مالا عندي ، فقلت " اليوم أسبق أبا بكر - رضي الله عنه - إن سبقته يوما " فجئت بنصف مالي ، فقال رسول الله ﷺ " ما أبقيت لأهلك ؟ " فقلت " مثله " قال فأتى أبو بكر - رضي الله عنه - بكل ما عنده ، فقال رسول الله ﷺ " ما أبقيت لأهلك ؟ " قال : " أبقيت لهم الله ورسوله " [٤] .

---

(١) مراعاة أحوال المخاطبين ، ص ١٠٧ .

(٢) انظر موطأ الإمام مالك بشرح الزرقاني ، جـ ٢ ، ص ٦٨ - ٦٩ ، حـ ١٠٥٨ من رواية ابن شهاب مرسلا كتاب النذور والإيمان ، باب جامع الإيمان ومسند أحمد ، جـ ٣ ، ص ٤٥٢ - ٤٥٣ وسنن الدارمي ، كتاب الزكاة ، باب النهي عن الصدقة بجميع ما عند الرجل ، جـ ١ ، ص ٣٢٨ ، حـ ١٦٦٥ ، وقال عنه الشيخان عبدالقادر وشعيب " رجاله ثقات " هامش زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص٥٨٧ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى ﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين .... ﴾ جـ ٥ ، ص ٢٥٣ ، حـ ٤٦٧٦ .

(٤) سنن أبي داود ، كتاب الزكاة ، باب الرخصة في ذلك ، جـ ٢ ، ص ٣١٢ - ٣١٣ ، حـ ١٦٧٨ . وسنن الترمذي ، كتاب المناقب ، باب في مناقب أبي بكر وعمر - ﷺ - جـ٥ ، ص٦١٤ - ٦١٥ حـ ٣٦٧٥ ، وقال هذا حديث حسن صحيح ، والحاكم في المستدرك ، جـ١ ، ص٥٧٤ ، حـ١٥١٠ وقال صحيح على شرط مسلم ، ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

وهذا التنوع في الاكتفاء بالثلث من أبي لبابة ، وأمر كعب بإمساك بعض ماله ، وقبول جميع ما عند أبي بكر ونصف مال عمر - رضي الله عنهم - أجمعين ، يدل على مراعاة أحوالهم كما بين العلماء والأئمة ذلك وسأذكر أقوالهم فيما يلي :

وقد تعرض شيخنا الدكتور فضل إلهي لهذه الشواهد كلها وبين أن هذا التنوع في تعامله ﷺ مع المذكورين إنما كان مراعاة لأحوالهم [١] .

وذكر الشيخ الدكتور - زيد بن عبدالكريم الزيد الشاهدين الأخيرين مستشهدا بهما على تطبيق الحكمة في الدعوة إلى الله بمراعاة أحوال المدعوين فقال : " هذه ثلاثة مواقف في قضية واحدة وهي الصدقة [٢] بالمال ، لكن اختلفت الإجابة ، واختلف التعامل ، فهل يفهم من هذا تناقضا أو تحيزا ؟ أو هي الحكمة والفهم والوعي لطبيعة المتصدق ؟ فإن من يتصدق اليوم ويخشى عليه أن يندم غدا ، أو تسبب له صدقته مضرة راجحة ، فإن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح .. " [٣] .

وقد أشار جماعة من أئمة السلف إلى أن الإنفاق ينبغي أن تراعى فيه حال المنفق من سعة وصبر ، وما يتبع ذلك من الحقوق اللازمة ، ومن هؤلاء البخاري - رحمه الله - حيث ذكر ترجمة في صحيحه قال فيها " باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ، ومن تصدق وهو محتاج ، أو أهله محتاج أو عليه دين فالدين أحق أن يقضى من الصدقة والعتق والهبة .. إلى قوله إلا أن يكون معروفا بالصبر فيؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة .. كفعل أبي بكر - رضي الله عنه - حين تصدق بماله " [٤] .

ومنهم الخطابي ، حيث قال : " .. الاختيار للمرء أن يستبقي لنفسه قوتا ، وأن لا ينخلع عن ملكه أجمع ، مرة واحدة لما يخاف عليه من فتنة

---

(١) انظر مراعاة أحوال المخاطبين ص ١٠٧ - ١١٠ .

(٢) الشاهد الثالث ، حديث صاحب الصرة الذي جاء بها إلى رسول الله ﷺ فلم يقبلها منه ولم أذكره لضعفه .

(٣) الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق ، ص ٥٤ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى ، ترجمة الباب ٢٠ ، جـ ٢ ، ص ٤٣٨ - ٤٣٩ قبل حديث ١٤٢٦ .

الفقر وشدة نزاع النفس إلى ما خرج من يده فيندم فيذهب ماله ويبطل أجره ويصير كلاً على الناس قلت ولم ينكر على أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - خروجه من ماله أجمع ؛ لما علمه من صحة نيته وقوة يقينه ولم يخف عليه الفتنة " (١) .

ومنهم الإمام النووي حيث قال معلقا على قوله ﷺ " وخير الصدقة عن ظهر غنى " " معناه أن أفضل الصدقة ما بقي صاحبها بعدها مستغنيا بما بقي معه وتقديره أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غنىً يعتمده صاحبها ويستظهر به على مصالحه وحوائجه ، وإنما كانت هذه أفضل الصدقة بالنسبة لمن تصدق بجميع ماله ؛ لأن من تصدق بالجميع يندم غالبا ، أو قد يندم إذا احتاج ، ويَودُّ أن لم يتصدق بخلا ف من بقي بعدها مستغنيا ، فإنه لا يندم عليها بل يسرّ بها .

وقد اختلف العلماء في الصدقة بجميع ماله ، فمذهبنا أنه مستحب لمن لا دَين عليه ، ولا له عيال لا يصبرون بشرط أن يكون ممن يصبر على الإضاقة والفقر فإن لم تجتمع هذه الشروط فهو مكروه " (٢) .

وقال ابن القيم - رحمه الله - معلقا على قوله ﷺ لكعب بن مالك - رضي الله عنه - " أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك " (فيه) " دليل على أن من نذر الصدقة بكل ماله ، لم يلزمه إخراج جميعه ، بل يجوز له أن يبقي له منه بقية وقد اختلفت الرواية في ذلك ، ففي " الصحيحين " أن النبي ﷺ قال له : " امسك عليك بعض مالك " ولم يعين له قدرا بل أطلق ووكله إلى اجتهاده في قدر الكفاية ، وهذا هو الصحيح ، فإن ما نقص عن كفايته ، وكفاية أهله لا يجوز له التصدق به ، فنذره لايكون طاعة فلا يجب الوفاء به ، وما زاد على قدر كفايته وحاجته فإخراجه والصدقة به أفضل ، فيجب إخراجه إذا نذره هذا قياس المذهب ، ومقتضى قواعد الشريعة ... " (٣) .

وقد ذكر - رحمه الله - حديث أبي لبابة مبينا احتجاج الإمام أحمد به على اقتصار صاحب الدين على الثلث إذا نذر جميع ماله ، وإذنه ﷺ لسعد في

---

(١) معالم السنن ، شرح سنن أبي داود ، ص ٦٦ ، جـ ٢/٧٨ .
(٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٧ ، ص ١٢٥ .
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد ، جـ ٣ ، ص ٥٨٦ .

الوصية بالثلث فقط [١] . ثم قال في مناقشة هذه الأدلة : " .. وقد يقال وهو أرجح – إن شاء الله تعالى – ان النبي ﷺ عامل كل واحد ممن أراد الصدقة بماله بما يعلم من حاله ، فمكّن أبا بكر الصديق من إخراج ماله كله ، وقال " ما أبقيت لأهلك " فقال : أبقيت لهم الله ورسوله فلم ينكر عليه ، وأقر عمر على الصدقة بشطر ماله ، ومنع صاحب الصرة من التصدق بها " [٢][٣] .

وهذه أدلة وشواهد تؤكد أن الرسول ﷺ كان يراعي أحوال الناس واختلافهم في الحرص على الدنيا ، والعفة والقناعة وقوة الإيمان والتوكل على الله عز وجل فيحرص على تأليف قلوب ذوي الحرص على المال بإعطانهم ما يتطلعون إليه ويستشرفون له ، ويكل ذوي العفة والإيمان إلى عفتهم ، وإيمانهم والله أعلم بالصواب .

جـ – المسلمون الجدد وذوو العادات والشبه ، ومراعاة أحوالهم :

لقد كان رسول الله ﷺ حريصا على إزالة كل مرض وشبهة من نفوس المدعوين ، أيا كان نوع ذلك المرض ، ومهما كان مصدره وسببه ، ولكنه كان يعتمد أسلوب التدرج ، الذي هو سنة كونية وشرعية فيعطي كل ذي داء ما يناسبه من علاج ، وممن كان يخاطبهم ويوجّههم من هم حديثو عهد بجاهلية ، أوْ لهم عادات وشبه يعتمدون عليها في إثبات بعض الأمور أو نفيها وفيما يلي أذكر الشواهد الدالة على خطاب هؤلاء وأبين مراعاة أحوالهم من خلالها مستشهدا بما تيسر من غيرها .

١ – خطبته ﷺ يوم فتح مكة مخاطبا أهلها " إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنها لن تحل لأحد كان قبلي ، وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، وإنها لن تحل لأحد بعدي فلا ينفَر صيدها ، ولا يختلى شوكها ، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد " [٤] .

٢ – قوله ﷺ فيما يرويه عن الله عز وجل " ألا إن ربي أمرني أن

---

(١) انظر : زاد المعاد ، جـ٣ ، ص ٥٨٧ – ٥٨٨ .
(٢) حديث صاحب الصرة عند أبي داود ، جـ٢ ص٣١٠ ، ص٣١٠ ، حـ١٦٧٣ ، وتركت ذكره لضعفه .
(٣) زاد المعاد ، جـ ٣ ، ص ٥٨٩ – ٥٩٠ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٩ .

أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبدا حلال " [١] .

٣ – خطبته ﷺ مبينا جواز التمتع في الحج فعن ابن عباس – رضي الله عنه – قال قدم النبي ﷺ وأصحابه صبح رابعة من ذي الحجة مهلين بالحج لا يخلطهم شيء فلما قدمنا أمرنا رسول الله ﷺ فجعلناها عمرة وأن نحل إلى نسائنا ، ففشت في ذلك القالة قال عطاء فقال جابر فيروح أحدَنا إلى منى وذكره يقطر منيا فقال جابر بكفه فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام خطيبا فقال " بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبرُّ وأتقى لله منهم ، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معي الهدي لأحللت " [٢] .

٤ – خطبته ﷺ في إبطال النسيء وتحريم دماء أهل الإسلام وأموالهم فقال : " الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض ، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ... " [٣] .

وتظهر مراعاته ﷺ لأحوال هؤلاء المذكورين في الأمور التالية :

١ – اهتمامه ﷺ بإبعاد التصورات الخاطئة وإزالتها من قلوب المدعوين يدل على ذلك قوله في المثال الثاني " كل مال نحلته عبدا حلال " [٤] ففي هذا اللفظ إشارة إلى ما كان عليه العرب قبل الإسلام من تفنن في تحريم ما أحل الله اتباعا لأهوائهم بغير علم وقد بينت ذلك في التمهيد بما فيه الكفاية ومن ذلك قوله ﷺ في خطبة الكسوف " إن الشمس والقمر من آيات الله وإنهما لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته " [٥] .

فقد ورد أنهم كانوا يرون أن الكسوف يكون عند موت العظماء ، وقد وافق ذلك الكسوف موت إبراهيم ابنه ﷺ [٦] فبين ﷺ خطأ ذلك التصور الذي كان مستقرا عندهم مؤكدا أنه لا علاقة لكسوف الشمس والقمر بموت أحد من الناس ولا بحياته وقد تعرضت لهذا المعنى في سمات الخطب [٧] .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ . .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٨ .
(٦) سبق بيان ما يدل على ذلك ص ١٠٥ .
(٧) انظر مبحث سمات الخطب ، ص ١٠٥ .

ومن ذلك قوله ﷺ في الخطبة التي بين فيها جواز فسخ إحرام الحج والتحلل بعمرة " بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا والله لأنا أبر وأتقى لله منهم ، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معي الهدي لأحللت " (١) .

وفي هذه الخطبة أزال ﷺ الشبهة التي كانت عالقة بأذهانهم من أن العمرة في أشهر الحج غير جائزة ، ومن فعلها ففعله منكر قال النووي نقلا عن القاضي عياض – رحمهما الله – في جمعه بين الروايات المختلفة في إحرامه ﷺ في حجة الوداع " ... وأما الروايات بأنه كان قارنا ، فإخبار عن حالته الثانية لا عن ابتداء إحرامه ، بل اخبار عن حاله حين أمر أصحابه بالتحلل من حجهم وقلبه إلى عمرة لمخالفة الجاهلية إلا من كان معه هدي وكان هو ﷺ ومن معه هدي في آخر إحرامهم قارنين بمعنى أنهم أدخلوا العمرة على الحج ، وفعل ذلك مواساة لأصحابه وتأنيسا لهم في فعلها في أشهر الحج ؛ لكونها كانت منكرة عندهم في أشهر الحج ، ولم يمكنه التحلل معهم بسبب الهدي ، واعتذر إليهم بذلك في ترك مواساتهم ... " (٢) .

٢ – الرفق بهم في تغيير ما ارتكبوه من منكر :

يدل على ذلك نهيه ﷺ أصحابه – رضي الله عنهم – أن يقطعوا الأعرابي الذي بال في المسجد ففي الصحيح عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : " بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد فقال أصحاب رسول الله ﷺ " مه مه " قال : قال رسول الله ﷺ " لا تزرموه (٣) دعوه " فتركوه حتى بال ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له : " إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر ، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن " (٤) .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .

(٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٨ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .

(٣) أزرمه قطع بوله ومعنى لا تزرموه أي : لا تقطعوا عليه بوله ، انظر القاموس المحيط ، ج٤ ، ص ١٢٤ ، والنهاية في غريب الحديث ، ج٢ ، ص ٣٠١ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الطهارة ، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد ، جـ ١ ، ص ٢٣٦ – ٢٣٧ ، حـ ٢٨٥/١٠٠ ، وصحيح البخاري ، كتاب الوضوء ، باب يُهَريق الماء على البول ، جـ ١ ، ص ٧٦ ، حـ ٢٢١ ، واللفظ لمسلم .

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على تعامله ﷺ بالرفق مع الجاهل مراعاة لحاله قال العيني – رحمه الله " فيه مراعاة التيسير على الجاهل والتألف للقلوب " (١) .

ومن شواهد تعامله ﷺ بالرفق مع المسلمين الجدد حديث معاوية بن الحكم السُّلمي – ﷺ – ففي الصحيح عنه – قال : بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ إذ عطس رجل من القوم ، فقلت : " يرحمك الله " فرماني القوم بأبصارهم فقلت : واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم ، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت ، فلما صلى النبي ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه فوالله ما كهرني ، ولا ضربني ولا شتمني قال : " إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس ، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن " أو كما قال رسول الله ﷺ (٢) .

قال الإمام النووي معلقا على هذا الحديث " فيه بيان ما كان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به ورفقه بالجاهل ورأفته بأمته وشفقته عليهم " (٣) .

٣ – المسارعة إلى تعليمهم والإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم :

يدل على ذلك قوله في الخطبة التي رواها عياض بن حمار – ﷺ – " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا " (٤) .

فقيامه ﷺ بالخطبة في نفس اليوم الذي جاءه الوحي فيه بمضمونها يدل على مسارعته في تعليم الأمة ما تجهله ، ويدل عليه ما ثبت في صحيح مسلم

---

(١) عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ ، وانظر فتح الباري بشرح البخاري ، جـ ١ ، ص ٣٨٨ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته ، جـ ١ ، ص ٣٨١ – ٣٨٢ ، حـ ٣٣/٥٣٧ .

(٣) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٥ ، ص ٢٠ .

(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .

من حديث حميد [١] بن هلال قال : قال أبو رفاعة [٢] : انتهيت إلى النبي وهو يخطب . قال فقلت : يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه . لا يدري ما دينه قال فأقبل علي رسول الله وترك خطبته حتى انتهى إلي فأتي بكرسي ، حسبت قوائمه حديدا ، قال فقعد عليه رسول الله ﷺ . وجعل يعلمني مما علمه الله ثم أتى خطبته فأتم آخرها [٣] .

ومما يدل على اهتمامه ﷺ بتعليم من هم حديثو عهد بجاهلية مسارعته في إجابة أسئلة الوافدين عليه من أمثلة ذلك ما ثبت في الصحيح من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال : " بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ في المسجد دخل رجل على جمل فأناخه في المسجد ، ثم عقله ، ثم قال لهم أيكم محمد والنبي ﷺ متكئ بين ظهرانيهم فقلنا هذا الرجل الأبيض المتكئ " فقال له الرجل : " ابن عبدالمطلب " . فقال له النبي ﷺ " قد أجبتك " . فقال الرجل للنبي ﷺ " إني سائلك فمشدّد عليك في المسألة ، فلا تجد علي في نفسك " . فقال : " سل عما بدا لك " . فقال : " أسألك بربك ورب من قبلك آلله أرسلك إلى الناس كلهم .فقال : " اللهم نعم " . قال : " أنشدك بالله ، آلله أمرك أن نصلي الصلوات الخمس في اليوم والليلة ؟ " . قال " اللهم نعم " . قال : " أنشدك بالله آلله أمرك أن نصوم هذا الشهر من السنة ؟ " . قال : " اللهم نعم " قال : " أنشدك بالله آلله أمرك أن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فتقسمها على فقرائنا ؟ " . فقال النبي ﷺ " اللهم نعم " . فقال الرجل : " آمنت بما جئت به

---

(١) هو : حميد بن هلال بن سويد بن هبيرة الإمام الحافظ الفقيه ، أبو نصر ، النصري ، حدث عن عبدالله بن مغفل المزني ، وعبدالرحمن بن سمرة ، وأنس بن مالك ، وعنه أيوب وعاصم الأحول ، وخالد الحذاء ، وعمرو بن مرة ،وثقه ابن معين والنسائي ، وذكر عن ابن سيرين أنه كان لا يرضاه قيل لأنه دخل في شيء من عمل السلطان ، توفى في حدود ١٢٠ ، انظر : الطبقات الكبرى ، جـ٧ ، ص ٢٣١ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ٣ ، ص ٥١- ٥٢ ، وسير أعلام النبلاء ، جـ٥ ، ص٣٠٩ – ٣١٠ .

(٢) هو : أبو رفاعة العدوي ، من بنى عدي بن عبد مناة ، قيل اسمه عبدالله بن الحارث بن أسد بن عدي وقيل تميم بن أسد ، أحد فضلاء الصحابة ، روى عن النبي ﷺ ، وعنه حميد بن هلال وصلة بن أشيم العدويان ، وحديثه في صحيح مسلم ، انظر : ترجمته في الاستيعاب ، جـ ٤ ، ص ٦٨ – ٦٩ ، وأسد الغابة ، جـ ٥ ، ص ١٩٣ ، والاصابة جـ ٤ ، ص ٧٠ – ٧١ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجمعة ، باب حديث التعليم في الخطبة ، جـ ٢ ، ص ٥٩٧ ، حـ ٨٧٦ .

وأنا رسول من وراني من قومي ، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر " (١) .

ومن ذلك أيضا حديث وفد عبدالقيس ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباس قال " إن وفد عبدالقيس لما أتوا النبي ﷺ قال : " من القوم أو من الوفد ؟ " قالوا : ربيعة .قال : " مرحبا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى " فقالوا يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر فمرنا بأمر فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع ، أمرهم بالإيمان بالله وحده . قال أتدرُون مَاالإيمان الإيمان بالله وحده " قالوا الله ورسوله أعلم قال : " شهادة أن لا إله الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وصيام رمضان وأن تعطوا في المغنم الخمس ... " (٢) .

٤ – ترك بعض الأمور المختارة مراعاة لحالهم خشية نفورهم عن الإسلام .

فقد صرح النبي ﷺ بأنه يرغب في إعادة بناء الكعبة إلى قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، ففي البخاري من حديث عائشة – ﷺ – قالت : قال النبي ﷺ " يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم – قال ابن الزبير بكفر – لنقضت الكعبة فجعلت لها بابين ، باب يدخل الناس ، وباب يخرجون " (٣) .

د – " المقصرون في حق الله تعالى أو في حقوق العباد " :

لقد جاءت شريعة الإسلام ببيان ما للانسان من حقوق وما عليه من واجبات تجاه الخالق سبحانه ، وتجاه – عباد الله – ولكن الله تعالى لم يشأ أن يجعل الناس أمة واحدة قال تعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾ (٤) . ورغم

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب القراءة والعرض على المحدث ، جـ١ ، ص٢٨ – ٢٩ ، حـ٦٣ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الإيمان ، باب أداء الخمس من الإيمان ، جـ ١ ، ص ٢٣ – ٢٤ ، حـ ٥٣ وصحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه والسؤال عنه وتبليغه من لم يبلغه ، جـ ١ ، ص ٤٦ ، حـ ٢٣/١٧ ، ٢٤ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب العلم ، باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشر منه ، جـ ١ ، ص ٥٠ ، حـ ١٢٦ .
(٤) سورة النحل ، الآية (٩٣) .

وضوح المحَجة وقيام الحجة ، فإن الناس لم يستقيموا في سلوكهم إياها ، فكان الرسول ﷺ يوجه المنحرفين ، ويرشد الحيارى والمقصرين سواء كان التقصير فيما يتعلق بحق الله من تقصير فيما فرضه ، أو فعل ما نهى عنه ، أو في حقوق العباد العامة أو الخاصة ، وفيما يلي أعرض نماذج من خطبه ﷺ الموجهة لأناس قصروا في فعل واجب أو ترك محرم ، أو خالفوا سنة .

١ – فمن أمثلة الخطاب الموجه إلى المقصرين في أداء الواجب قوله ﷺ : " لينتهينّ أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " [١] .

٢ – ومن أمثلة الخطاب الموجه إلى المقصرين بفعل ما لا يجوز قوله ﷺ : مبينا حرمة الغلول وخطورته " لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ... "[٢].

٣ – وقوله معرضا بابن اللتبية الذي استعمله على الصدقة فجاء بهدايا خاصة به : " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ... " [٣] .

٤ – ومن أمثلة هذا النوع أيضا قوله لأسامة بن زيد لما شفع في المخزومية التي سرقت " أتشفع في حد من حدود الله ... " [٤] .

٥ – ومنها قوله في النهي عن الدخول على النساء اللتي غاب أزواجهن " ألا لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة إلا معه رجل أو اثنان " [٥] .

٦ – ومن ذلك قوله منكرا على من اشترطوا أن يكون لهم الولاء مع أخذ الثمن " ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل ... " [٦] .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٣ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٢ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩١ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨١ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٤ .

٧ – ومن ذلك قوله منكرا على الإمام الذي يطيل في صلاته : " يا أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة " (١) .

٨ – ومن ذلك قوله لمن ذبح أضحيته قبل الصلاة وهو جاهل بالحكم " شاتك شاة لحم " (٢) .

وهذه شواهد احتسابه ﷺ على ذوي التقصير بترك ما يجب فعله ، أو فعل ما لا يجوز فعله ، وإذا تأملنا هذه الشواهد وجدناها متفاوته في اللين والشدة وذلك مراعاة لحال المدعوين ، وتفاوت المخالفات الواقعة منهم وفيما يلي أعرض لمراعاة أحوالهم .

١ – " عدم التصريح والاكتفاء بتحديد العمل دون العامل " من حسن تعامل الداعية مع المدعوين أن لا يحرجهم بتعيين أسمائهم ، ولا سيما في الحالات غير المحمودة ولذا تكرر في خطابه ﷺ التلميح ' ما بال عامل أبعثه ؟! " " ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ؟ " " لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء " (٣) .

وقال ﷺ " إني لأعطي أقواما لما جعل الله في قلوبهم من الجزع والهلع ، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير منهم عمرو بن تغلب " (٤) . فالرسول ﷺ لم يحدد أسماء ذوي الجزع والهلع ، ولكنه ذكر مثالا محددا من ذوي العفة وهو عمرو بن تغلب وذلك لأن عمرا سرّ بذكر اسمه في هذا الموضع حيث ثبت عنه أنه قال : " فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم " (٥) .

وأما ذوو الجزع والهلع فلو ذكروا بأسمائهم لساءهم ذلك ؛ لما يلحقهم به من عار تتناقله الأجيال بعد الأجيال ، والرسول ﷺ ذو الخلق العظيم ، يتألف الناس ويتحاشى كل ما يسيء إليهم ، ويسعى في تخليصهم من الأمراض والعلل بأنجع الأساليب ، وإذا عرف المرض وحدد علاجه ، فلا جدوى من

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٤ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨١ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٢ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠٠ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠٠ .

تعيين المريض ؛ لأنه لو حدد باسمه لظن الناس اختصاصه بهذا الداء ، وعلاجه وليس الأمر كذلك ، قال النووي - رحمه الله - معلقا على حديث المشترطين فيه " استعمال الأدب وحسن العشرة وجميل الموعظة كقوله : " ما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله " ولم يواجه صاحب الشرط بعينه ؛ لأن المقصود يحصل له ولغيره ، من غير فضيحة وشناعة عليه " (١) .

٢ - استخدام الشدة في الإنكار على بعض المخالفين دون البعض

إذا تأملت هذه الشواهد التي أوردتها لاحظت استعمال أسلوب الشدة في أغلبها مع أن الميزة الغالبة في دعوته ﷺ هي الرفق ؛ حيث كان يطبقه في أمور كثيرة ، ويأمر به من يرسلهم لدعوة الناس ، وقد قال الله في حقه ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (٢) .

وأمره الله تعالى بالمجادلة بالتي هي أحسن فقال عز وجل ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (٣) . أي بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولاتعنيف " (٤) .

وإذا كان الغالب في دعوته ﷺ هو اللين والرفق ، فإن ذلك لا يعني إهمال الشدة إذا اقتضاها الحال ، بأن كانت المخالفة ممن لا يتوقع صدورها من مثله ، أو ظهر منه ما يدل على التمادي والإصرار ، أو كان متأولا يرى أنه لم يقم بأمر منكر ، أو سبق نهيه عن الأمر المذكور ، أو تعلق الأمر بحق العامة وكانت فيه خيانة للأمانة ، وتقصير في المسؤولية ، وهذا ما اشتملت عليه هذه الشواهد وإيضاح ذلك كالتالي :

١ - صدور المخالفة ممن لا يتوقع صدورها منه .

يدل على ذلك شدة إنكاره ﷺ على الأئمة الذين يطيلون الصلاة بإظهاره الغضب الشديد في موعظتهم وبقوله : " يا أيها الناس إنكم منفرون " (٥) .

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٠ ، ص ١٤٤ .
(٢) سورة آل عمران جزء من الآية (١٥٩) .
(٣) سورة النحل ، جزء من الآية (١٢٥) .
(٤) الكشاف ، جـ ٢ ، ص ٤٣٥ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٣ .

وقوله لمعاذ – ﷺ – " أفتان أنت يا معاذ أفتان أنت " (١) .

٢ – إذا ظهر من المدعوّ التمادي على ترك واجب أو فعل محرم .

يدل عليه اشتداده ﷺ في الإنكار على من يتركون الجمعة ، وتهديده إياهم بقوله : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " (٢) .

ففي سياق هذا الحديث دلالة واضحة على سبق إنذارهم وتكرر الأمر منهم ، وقد ذكر ابن حجر – رحمه الله – ذلك في شرح حديث الهمّ بالتحريق لبيوت المتخلفين عن الجماعة فقال " وفي السياق إشعار بأنه تقدم منه زجرهم عن التخلف بالقول حتى استحقوا التهديد بالفعل " (٣) .

٣ – إذا كان القائم بالمخالفة يرى بتأويل أنه على الحق .

يدل على ذلك اشتداده ﷺ في الإنكار على ابن اللتبية قال : " أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟ ! " (٤) .

ويظهر من قول ابن اللتبية " هذا لكم ، وهذا أهدي لي " أنه كان يرى أن الهدية خاصة به ولا علاقة لها بالصدقة قال ابن حجر – رحمه الله – في شرحه لحديث ابن اللتبية " وفيه أن من رأى متأولا أخطأ في تأويل يضر من أخذ به أن يشهر القول للناس ويبين خطأه ليحذر من الاغترار به ، وفيه جواز توبيخ المخطئ " (٥) .

٤ – إذا كان المدعو قد سبق نهيه عن ذلك الفعل يدل على ذلك اشتداده ﷺ في الإنكار على أسامة بن زيد – ﷺ – حيث أظهر الغضب من الفعل الذي قام به وواجهه بالإنكار مخاطبا إياه بقوله " أتشفع في حد من حدود الله " (٦) ، وهذا التحديد قليل في إنكاره ﷺ كما سبق بيان ذلك .

قال ابن حجر – رحمه الله – " قوله فقال " أتشفع في حد من حدود الله " بهمزة الاستفهام الإنكاري لأنه كان سبق له منع الشفاعة في الحد قبل

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب من لم ير إكفار ذلك متأولا أوجاهلا ، جـ ٧ ، ص ٢٢٧ ، ح٦١٠٦ ، وصحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في العشاء ، جـ ١ ، ص ٣٣٩ ، ح ٤٦٥ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٣ .
(٣) فتح الباري ، جـ ٢ ، ص ١٥٣ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩١ .
(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ١٣ ، ص ١٧٩ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .

ذلك " [١] . نقل ابن سعد بسنده في رواية جعفر بن محمد عن أبيه قال " كان أسامة يأتي النبي ﷺ في الشيء فيشفعه فيه فأتاه مرة في حد فقال " يا أسامة لا تشفع في حد وكان إذا شفع شفعه " [٢] .

٥ – إذا تعلقت المخالفة بحقوق العامة مثل الغلول من الغنيمة ، وأخذ العامل الهدية فقد اشتد إنكاره ﷺ على من غل من الغنيمة وعلى العامل الذي توسل بعمله إلى أخذ الهدايا ، فالغنائم والصدقات ، ليست خاصة بأحد ولكل المسلمين فيهما حق ، فمحاولة الاختصاص بشئ منهما خيانة ، قال النووي – رحمه الله – معلقا على حديث ابن اللتبية " وفي هذا الحديث بيان أن هدايا العمال حرام وغلول ؛ لأنه خان في ولايته وأمانته " [٣] .

وقد قال ﷺ في كل منهما أن صاحبه يجيء به يوم القيامة حاملا إياه " بعيراً له رغاء ، أو بقرة لها خوار " [٤] .

٣ – الرفق في الإنكار على المخطئ الجاهل بالحكم ، لقد ظهر الرفق في الانكار على من أخطأ في تقديم ذبح ضحيته على الصلاة والرسول ﷺ يقول : " ومن نسك قبل الصلاة فإنه قبل الصلاة ولا نسك له " [٥] .

ولكن أبا بردة أخبر الرسول ﷺ بأنه ذبح قبل الصلاة رغبة في أن تكون شاته أول شاة تذبح في بيته . قال له : " تلك شاة لحم " . قال النووي : " معناه أي ليست ضحية ولا ثواب فيها ، بل هي لحم لك تنتفع به " [٦] .

وفي هذا الجواب سهولة ورفق واضح ؛ وذلك لظهور الصدق في مسألته ، وأنه إنما كان مخطئاً في اجتهاده ، قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث . " و " فيه " أن المفتي إذا ظهرت له من المستفتي أمارة الصدق كان له أن يسهل عليه ، حتى لو استفتاه اثنان في قضية واحدة جاز أن يفتي كلا منهما بما يناسب حاله " [٧] .

---

(١) فتح الباري ، جـ ١٢ ، ص ٩٦ .
(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ، جـ ٤ ، ص ٦٨ .
(٣) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٢ ، ص ٢١٩ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ٩١ – ٩٢ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص٨١ .
(٦) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٣ ، ص ١١٢ .
(٧) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٢ ، ص ٥٢٠ .

المطلب الثالث

المدعوون على سبيل الخصوص بأسمائهم ومراعاة أحوالهم

قد سبق بيان أن الغالب في خطابه ﷺ التعميم لأنه يخاطب الأمة جمعاء ولكنه قد يخصص إذا اقتضى الأمر ذلك ، وقد يقع التخصيص بالصفة أحيانا ، وبالاسم تارة وقد تعرضت في المطلبين السابقين لأصناف المدعوين على سبيل العموم ، وعلى سبيل الخصوص بصفاتهم ، وفي هذا المطلب سأعْرض لأصناف المدعوين على سبيل الخصوص بأعيانهم وأسمائهم وذلك في ضوء الخطب المدروسة على النحو التالي :

أ – قرابة رسول الله ﷺ وأهل بيته – ﷺ – لقد قام رسول الله بدعوة الأقربين امتثالا لقوله تعالى ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [١] ، ففي خطبته على الصفا قال : " يا بني عبدالمطلب لا أغني عنكم من الله شيئا ، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله ﷺ لا أغني عنك من الله شيئا ، يا فاطمة بنت رسول الله ﷺ سليني بما شئت لا أغني عنك من الله شيئا " [٢] .

وفي رواية أنه قال " يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلُّها ببلالها " [٣] .

وفي لفظ " يا فاطمة بنت محمد ، يا صفية بنت عبدالمطلب يا بني عبدالمطلب لا أملك لكم من الله شيئا سلوني من مالي ما شئتم " [٤] .

قال ابن حجر – رحمه الله – " والسر في إنذار الأقربين أوّلا أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم ، وإلا فكانوا علة للأبعدين في الامتناع ، وأن لا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من العطف ، والرأفة فيما بينهم في

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٥ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٤ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٤ .

الدعوة والتخويف ؛ فلذلك نص له عليهم " (١) .

وكان رسول الله ﷺ يوجه أهل بيته وقرابته التوجيه العملي والقولي من ذلك ما ثبت عن علي – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ طرقه وفاطمة ليلا فقال : " ألا تصليان " (٢) .

ولما جاءته فاطمة – رضي الله عنها – تشتكي أثر الرحى ، وتطلب خادما أرشدها وزوجها – رضي الله عنه – إلى ما يقتضي إيثار الآخرة ، ففي الصحيحين من حديث علي – رضي الله عنه – أن فاطمة عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى ، فأتى النبيَّ ﷺ سبيٌ ، فانطلقت ، فلم تجده ، فوجدت عائشة فأخبرتها . فلما جاء النبي ﷺ أخبرته عائشة بمجيء فاطمة ، فجاء النبي ﷺ إلينا – وقد أخذنا مضاجعنا – فذهبت لأقوم فقال : " على مكانكما " فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدري ، وقال : " ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني ؟ . إذا أخذتما مضاجعكما تكبرا أربعا وثلاثين ، وتسبحا ثلاثا وثلاثين ، وتحمدا ثلاثا وثلاثين ، فهو خير لكما من خادم " (٣) .

وقد احتسب رسول الله ﷺ على ابنه الحسن – رضي الله عنه – فنزع تمرة من فيه لأنها من تمر الصدقة ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : أخذ الحسن بن علي – رضي الله عنه – تمرة من تمر الصدقة فجعلها في فيه فقال رسول الله ﷺ :" كخ كخ ، ارم بها ، أما علمت أنا لا نأكل الصدقة " (٤) .

ولما طلب العباس – رضي الله عنه – من رسول الله ﷺ أن يعلمه شيئا يسأله الله وجّهَه أن يسأل الله العافية ، ففي الترمذي عنه – رضي الله عنه – قال : قلت يا رسول الله : علمني شيئا أسأله الله تعالى ، قال : " سل الله العافية " فمكثت أياما ،

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٨ ، ص ٣٦٢ .

(٢) متفق عليه صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب تحريض النبي ﷺ على النوافل من غير إيجاب ، جـ ٢ ، ص ٣٤٢ ، حـ ١١٢٧ ، وصحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح ، جـ ١ ، ص ٥٣٧ – ٥٣٨ ، حـ ٢٠٦/٧٧٥ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ، باب مناقب علي – رضي الله عنه – جـ ٤ ، ص ٥٧٦ – ٥٧٧ ، حـ ٣٧٠٥ ، وصحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء .. باب التسبيح أول النهار وعند النوم جـ ٤ ، ص ٢٠٩١ ، حـ ٨٠/٢٧٢٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب الزكاة ، باب ما يذكر في الصدقة للنبي ﷺ ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ ، حـ ١٤٩١ ، وصحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، باب تحريم الزكاة على رسول الله ﷺ وعلى آله .. جـ ٢ ص ٧٥١ ، حـ ١٦١/١٠٦٩ .

ثم جئت فقلت : يا رسول الله : علمني شيئا أسأله الله تعالى ، قال لي : " يا عباس يا عم رسول الله ، سلوا الله العافية في الدنيا والآخرة " (١) .

وقد بين رسول الله ﷺ في خطبه مكانة أهل بيته وأوصى الأمة بهم فقال " أذكركم الله في أهل بيتي " (٢) .

وخص فاطمة – رضي الله عنها – بقوله " إن فاطمة مني وأتخوف أن تفتن في دينها " وبقوله " إن ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها " ، وأنكر على عليّ – رضي الله عنه – الجمع بينها وبين بنت أبي جهل (٣) ، وقال في الحسن " إن ابني هذا سيد ... " (٤) .

وهذه شواهد دعوة الرسول ﷺ لقرابته ، وأما مراعاة أحوالهم فتظهر في الأمور التالية :

١ – إظهار الشفقة عليهم :

لقد كان رسول الله ﷺ رحيما بالمؤمنين ، وشفيقا على عباد الله أجمعين ، وأولى الناس بذلك هم قرابته ولذا كان يحرص على صلاحهم يدل على ذلك خطابه إياهم بقوله : " يا بني عبدالمطلب أنقذوا أنفسكم من النار ، يا فاطمة أنقذي نفسك من النار ، فإني لا أملك لكم من الله شيئا غير أن لكم رحما سأبلها ببلالها " .

ومن ذلك نصه على القرابة " يا صفية عمة رسول الله ﷺ ، وكذلك في فاطمة " يا فاطمة بنت رسول الله ﷺ " (٥) .

وكذلك العباس في قوله " يا عباس يا عم رسول الله سلوا الله العافية " .

٢ – عدم التحفظ في نصحهم وتوجيههم :

---

(١) سنن الترمذي ،كتاب الدعوات ، باب ٨٥ ، جـ ٥ ، ص ٥٣٤ ، حـ ٣٥١٤ ، قال أبو عيسى هذا حديث صحيح .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٥ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٦ .
(٤) سبق تخريجه وهو في صحيح البخاري ص ١٨٩ .
(٥) سبق تخريج كل هذه الأمثلة في نصوص الخطب ص ٩٥ .

يدل على ذلك طروقه ﷺ لعلي وفاطمة – رضي الله عنهما – وهما في فراش النوم كما في حديث الأمر بالصلاة من الليل ، وجلوسه معهما على فراشهما ليعلمهما التسبيح الذي يقولانه عند النوم ، بدلا عن الخادم الذي كانت فاطمة – رضي الله عنها – تطلبه [١] .

وكذلك قوله للحسن – رضي الله عنه – " كخ كخ ارم بها " [٢] .

٣ – **إشعارهم بأن ثواب الله خير من نعيم الدنيا** ، لقد جاءت فاطمة – رضي الله عنها – إلى أبيها الرحيم تشكو أثر الرحى في يديها الشريفتين ، وذلك بعد أن علمت أنه جاءه سبي ، والرسول لم يضنّ عليها بالخادم إلا ليوجّهها لما هو خير منه " ألا أعلمكما خيرا مما سألتماني " .

قال ابن حجر – رحمه الله – معلقا على هذا الحديث ومبينا الوجه الذي من أجله أورده البخاري في مناقب علي – رضي الله عنه – " ووجه دخوله في مناقب علي – رضي الله عنه – من جهة منزلته من النبي ﷺ .... ومن جهة اختيار النبي ﷺ له ما اختار لابنته من إيثار أمر الآخرة على أمر الدنيا ورضاهما بذلك " [٣] .

٤ – **إبراز مكانتهم للأمة :**

يتجلى ذلك في قوله ﷺ " وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله وتمسكوا به ، وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي " [٤] . وقوله أيضا في شأن فاطمة – رضي الله عنها –" ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله مكانا واحدا أبدا " قال النووي – رحمه الله – " قال العلماء سميا ثقلين لعظمهما وكبير شأنهما ، وقيل لثقل العمل بهما " [٥] .

وقال ابن الأثير " سماهما ثقلين إعظاما لقدرهما وتفخيما لشأنهما " [٦] .

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٦٩ .
(٢) سبق تخريجه ص ٣٦٩ .
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ٩١ ، بحذف يسير .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٥ .
(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٥ ، ص ١٨٠ .
(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ، جـ ١ ، ص ٢١٦ .

ب – خاصة أصحابه ﷺ مثل أبي بكر الصديق ، وأسامة ابن زيد – رضي الله عنهم – أجممعين :

١ – أما أبو بكر – رضي الله عنه – فقد سماه في قوله " يا أبا بكر لا تَبْكِ إن أمنّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته لايبقينّ في المسجد باب إلا سد إلا باب أبي بكر " (١) .

٢ – وأما أسامة – رضي الله عنه – فقد قال فيه لما طعن الناس في إمارته " إن تطعنوا في إمارته – يريد أسامة بن زيد – فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله ، وأيم الله إن كان لخليقا لها وأيم الله إن كان لأحب الناس إلي ، وإيم الله إن هذا لها لخليق – يريد أسامة بن زيد – وأيم الله إن كان لأحبهم إليّ من بعده ، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم " (٢) .

وهذه شواهد دعوة بعض الخاصة من أصحابه ﷺ ، وأما مراعاة أحوال المخاطبين بهاتين الخطبتين فتظهر في الأمور التالية :

١ – **إبراز مكانة أبي بكر الصديق ، وأسامة بن زيد** – رضي الله عنهما – يدل على ذلك قوله ﷺ في أبي بكر – رضي الله عنه – " إن أمن الناس علي في صحبته وماله أبوبكر ولو كنت متخذا خليلا من أمتي لاتخذت أبا بكر " (٣) .

وقوله في أسامة – رضي الله عنه – " وأيم الله إن كان لأحبهم إلي من بعده ، فأوصيكم به فإنه من صالحيكم " (٤) .

وفي الصحيح أنه ﷺ سئل عن أحب الناس إليه فقال " عائشة " قيل من الرجال قال : " أبوها ... " .

قال النووي – رحمه الله – " في هذا الحديث " تصريح بعظيم فضائل أبي بكر ... " (٥) .

وأسامة – رضي الله عنه – يعرف بالحِبّ ابن الحب – كما في حديث الشفاعة في

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠١ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠١ .
(٥) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٥ ، ص ١٥٣ ، بتصرف بسيط .

المخزومية حيث قالوا " ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ " (١) .

وفي هذه الخطبة التي أوردتها شاهدا هنا ، نصَّ رسول الله ﷺ على أن أباه زيدا من أحب الناس إليه ﷺ وأنه - يعني أسامة - من أحب الناس إليه بعده - فهو حبيب ابن حبيب (٢) .

قال النووي - رحمه الله - معلقا على روايات حديث إمارته - رضي الله عنه - " وفي هذه الأحاديث فضائل ظاهرة لزيد ولأسامة - رضي الله عنهما - " (٣) .

٢ - **الإيماء إلى خلافة أبي بكر** - رضي الله عنه - بقوله : " لا يبقين في المسجد باب إلا سد إلا باب إلا أبى بكر " وقد تعرضت لبيان ذلك في المدعوين من أهل الذكاء والفطنة (٤) فلا أعيده .

٣ - تأكيده ﷺ صلاحية زيد وابنه أسامة - رضي الله عنهما - للإمارة قد كان تأمير أسامة - رضي الله عنه - على صغر سنه ، وكونه مولى سببا لطعن بعض الناس في إمارته ، ولما علم رسول الله ﷺ بذلك قام فيهم بهذه الخطبة ، وأقسم بالله أن أسامة وأباه خليقان للإمارة ؛ فالطعن في إمارتهما ليس في محله " وأيم الله إن كان لخليقا لها ... " " وأيم الله إن هذا لها لخليق " (٥) ، وإذا تأملت هذه الجملة الأخيرة وجدتها مشتملة على مؤكدات عدة ، منها القسم و (إنَّ) واللام واسمية الجملة ، وهذا ما تقتضيه الحال - من زيادة المؤكدات كلما ظهرت لدى المخاطب أمارات الإنكار .

جـ - الأنصار - رضي الله عنهم -

قال شيخنا الدكتور فضل إلهي - حفظه الله - " ومما يدل على تخصيص النبي الكريم ببعض الأحاديث والخطب بعض الناس دون غيرهم ما

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠١ .
(٣) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ١٥ ، ص ١٩٦ .
(٤) انظر ص ٣٥١ - ٣٥٢
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ١٠١ .

ثبت من أمره عليه الصلاة والسلام أبا هريرة - رضي الله عنه - بمناداة الأنصار بموافاته بالصفا دُون غيرهم زمن فتح مكة كي يتحدث معهم .. " (١) .

ومن شواهد دعوته ﷺ للأنصار خاصة ما يلي :

١ - قوله ﷺ في خطبة " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي " كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن ...

وفيها يقول " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وتذهبون بالنبي ﷺ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار " (٢) .

٢ - من ذلك قوله ﷺ لهم - حين قالوا عام الفتح فيما بينهم - " أما الرجل فقد أدركته رغبة في قريته ورأفة بعشيرته " فنزل عليه الوحي بذلك فدعاهم فقال " يا معشر الأنصار " . قالوا " لبيك يا رسول الله " . قال قلتم : " أما الرجل فأدركته رغبة في قريته " قالوا : " قد كان ذاك " . قال : " كلا إني عبدالله ورسوله ، هاجرت إلى الله وإليكم . والمحيا محياكم ، والممات مماتكم " ، فأقبلوا إليه يبكون ويقولون " والله ما قلنا الذي قلنا إلا الضن بالله ورسوله " . فقال رسول الله ﷺ " إن الله ورسوله يصدقانكم ويعذرانكم " (٣) .

وقد بين رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة حبه للأنصار وأوصى بهم خيرا ، وجعل حبهم علامة الإيمان ، وكان من آخر خطبه ﷺ كما في البخاري عن أنس - رضي الله عنه - قال مر أبو بكر والعباس - رضي الله عنهما - بمجلس من مجالس الأنصار وهم يبكون ، فقال ما يبكيكم ؟ قالوا : ذكرنا مجلس النبي ﷺ منا . فدخل على النبي فأخبره بذلك ، قال فخرج النبي ﷺ ، وقد عصب على رأسه حاشية برد ، قال فصعد المنبر ، ولم يصعده بعد ذلك اليوم ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : " أوصيكم بالأنصار ، فإنهم كرشي وعيبتي ، وقد

---

(١) مراعاة أحوال المخاطبين ، ص ٦٦ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجهاد والسير ، باب فتح مكة ، جـ ٣ ، ص ١٤٠٦ ، حـ ٨٤/١٧٨٠ .

قضوا الذي عليهم ، وبقي الذي لهم ، فاقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم " (١) .

وفي خطبة أخرى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال " خرج رسول الله ﷺ وعليه ملحفة متعطفا بها على منكبيه ، وعليه عصابة دسماء ، حتى جلس على المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " أما بعد أيها الناس ، فإن الناس يكثرون ، وتقل الأنصار حتى يكونوا كالملح في الطعام ، فمن ولي منكم أمرا يضر فيه أحدا أو ينفعه ، فليقبل من محسنهم ، ويتجاوز عن مسيئهم " (٢) .

وعن أنس - رضي الله عنه - قال : جاءت امرأة من الأنصار إلى رسول الله ﷺ ومعها صبي لها فكلمها رسول الله ﷺ فقال : " والذي نفسي بيده ، إنكم أحب الناس إلي " (٣) .

وعنه أيضا عن النبي ﷺ قال " آية الإيمان حب الأنصار ، وآية النفاق بغض الأنصار " (٤) .

وهذه شواهد تخصيص رسول الله ﷺ للأنصار - رضي الله عنهم - ببعض الخطب والأحاديث .

وأما مراعاة أحوالهم فتظهر في الأمور التالية :

١ - إظهار مكانتهم وشرفهم :

يدل على ذلك قوله ﷺ " لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار ولو سلك الناس واديا وشعبا ، لسلكت وادي الأنصار وشعبها ، الأنصار شعار والناس دثار(٥) " قال ابن حجر نقلا عن الخطابي أنه قال : " أراد بهذا الكلام تألف

---

(١) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي ﷺ " اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم " جـ ٤ ، ص ٦٠٠ - ٦٠١ ، حـ ٣٧٩٩ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي ﷺ " اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم " ، جـ ٤ ، ص ٦٠١ ، حـ ٣٨٠٠ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب قول النبي ﷺ للأنصار " أنتم أحب الناس إلي " ، جـ ٤ ، ص ٥٩٧ ، حـ ٣٧٨٦ . .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب حب الأنصار من الإيمان ، جـ ٤ ، ص ٥٩٦ ، حـ ٣٧٨٣ .

(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٩ .

الأنصار ، واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم حتى رضي أن يكون واحدا منهم لولا ما يمنعه من الهجرة التي لا يجوز تبديلها ... " (١) .

وفي قوله " الأنصار شعار والناس دثار " يقول العيني – رحمه الله – " وهو كناية عن فرط قربهم منه ، وأنهم بطانته وخاصته ، وأنهم ألصق به وأقرب إليه من غيرهم " (٢) .

وقوله ﷺ " أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي وعيبتي وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم " (٣) .

وقوله فيهم " والذي نفسي بيده إنكم لأحب الناس إلي " (٤) .

قال ابن حجر – رحمه الله – قوله " كرشي وعيبتي " أي بطانتي وخاصتي ... " (٥) .

وقال : قوله " وقد قضوا الذي عليهم وبقي الذي لهم " يشير إلى ما وقع لهم ليلة العقبة من المبايعة ، فإنهم بايعوا على أن يؤوا النبي ﷺ وينصروه على أن لهم الجنة فوفوا بذلك " (٦) .

٢ – تذكيرهم بنعمة الله عليهم بمجيئه ﷺ إليهم :

يدل على ذلك قوله ﷺ " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي " (٧) .

قال ابن حجر – رحمه الله – في شرح الحديث " وقد رتب ﷺ ما من الله عليهم على يده من النعم ترتيبا بالغا فبدأ بنعمة الإيمان التي لا يوازيها شيء من أمر الدنيا ، وثنّى بنعمة الألفة وهي أعظم من نعمة المال ، لأنّ الأموال تبذل في تحصيلها وقد لا تحصل ، وقد كانت الأنصار قبل الهجرة في غاية التنافر والتقاطع لما وقع بينهم من حرب بعاث وغيرها " (٨) .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ٦٤٨ ، وانظر عمدة القارئ ، شرح صحيح البخاري ، جـ ١٧ ، ص ٣٠٨ .
(٢) عمدة القارئ ، جـ ١٧ ، ص ٣٠٩ .
(٣) سبق تخريجه قريبا ص ٣٧٥ .
(٤) سبق تخريجه قريبا ص ٣٧٥ .
(٥) فتح الباري ، مرجع سابق ، جـ ٧ ، ص ١٥٢ .
(٦) فتح الباري ، نفس المرجع أعلاه .
(٧) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .
(٨) فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٦٤٧ .

وقال العيني – رحمه الله – في قوله : جئتنا كذا وكذا – " وإنما قال ذلك رسول الله ﷺ تواضعا منه وإنصافا ، وإلا ففي الحقيقة الحجة البالغة والمنة الظاهرة في جميع ذلك له عليهم ، فإنه لولا هجرته إليهم ، وسكناه عندهم لما كان بينهم وبين غيرهم فرق " (١) .

٣ – إشعارهم وتنبيههم إلى أن ثواب الله خير من حظوظ الدنيا يدل على ذلك قوله ﷺ " أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم ، فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به " (٢) ، وفي لفظ آخر " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ " (٣) .

قال ابن حجر – رحمه الله – " ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع ، رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ، ما حصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلى بلادهم ، فسلوا عن الشاة والبعير ، والسبايا من الأنثى والصغير ، بما حازوه من الفوز العظيم ومجاورة النبي الكريم لهم حيا وميتا وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه " (٤) .

وهكذا كان الرسول ﷺ يراعي أحوال المدعوين فيعمم ويخصص ، ويصرح أحيانا ، ويرفق ويشتد ، يعطي المال لتأليف أناس ، ويختار لآخرين ما هو أبقى من المال ، ولذا يجب على الدعاة أن يقتدوا به في إنزال الناس منازلهم وإعطاء كل حال وظرف ما يناسب لتكون جهودهم موفقة وناجحة والله أسأل أن يجعلنا من حزب محمد ﷺ وأنصار دينه العاملين الداعين إلى الخير .

---

(١) عمدة القارئ ، جـ ١٧ ، ص ٣٠٨ .
(٢) تقدم تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٩ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٨
(٤) فتح الباري ، بشرح صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ٦٤٦ .

الفصل الرابع

الوسائل والأساليب في خطب النبي ﷺ

قد تعرضت في الفصل الماضي لأصناف المدعوّين ، وبينت شمول دعوته ﷺ لجميع أفراد الأمة ، على اختلاف طبقاتهم وتعدّد مشاربهم ؛ حيث شمل خطابه ﷺ أهل الإنكار والكفر ، وأصحاب الشك والريب ، وأهل التصديق والإيمان ؛ وهذا التنوع في أصناف المدعوين ، اقتضى تعدد الوسائل وتنوع الأساليب : وذلك ما سأبينه في هذا الفصل – إن شاء الله – في مبحثين :

المبحث الأول : الوسائل الدعوية في خطب النبي ﷺ .

المبحث الثاني : الأساليب الدعوية في خطب النبي ﷺ .

المبحث الأول

الوسائل الدعوية في خطب النبي ﷺ

في هذا المبحث سوف أعرف معنى كلمة الوسائل في اللغة الاصطلاح ، ثم بعد ذلك أوضح علاقتها بالأساليب ، ثم أذكر الوسائل التي لها ذكر في خطب النبي ﷺ فأقول :

١ – معنى كلمة وسيلة في اللغة :

الوسيلة في اللغة : القربة ووَسَل فلان إلى الله وسيلة إذا عمل عملا تقرب به إليه .

والوسيلة الوُصلة والقربى ، وجمعها الوسائل [١] ، أو هي ما يتوصل به إلى الغير [٢] ، أو إلى المقصود [٣] ، وقد وردت الوسيلة في القرآن والسنة قال الله تعالى : ﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾ [٤] .

وفي الدعاء الذي يقال عند سماع الأذان : " اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمد الوسيلة والفضيلة ... " [٥] .

والوسيلة في الآية الكريمة هي التقرب إليه سبحانه بطاعته أو هي : القربة [٦] ، أو هي : " مراعاة سبيله ، بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهي كالقربة " [٧] .

والوسيلة في الحديث منزلة في الجنة قال ﷺ " .. ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو " [٨] .

---

(١) انظر لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ٧٢٤ – ٧٢٥ ، والقاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ٦٤ ، مادة وسل .
(٢) انظر لسان العرب ، نفس المرجع ، ص ٧٢٥ ، والتعريفات للجرجاني ، ص ٣٢٦ .
(٣) انظر : تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .
(٤) سورة المائدة ، جزء من الآية (٣٥) .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الدعاء عند النداء ، جـ ١ ، ص ١٩٠ ، حـ ٦١٤ .
(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .
(٧) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، ص ٥٢٤ .
(٨) صحيح مسلم ، كتاب الصلاة ، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ ، حـ ٣٨٤ .

قال ابن كثير – رحمه الله – " .. والوسيلة أيضا علَم على أعلى منزلة في الجنة ، وهي منزلة رسول الله ﷺ وداره في الجنة ، وهي أقرب أمكنة الجنة إلى العرش " (١) .

٢ – **الوسيلة في اصطلاح علماء الدعوة :**

قد عرّف المتخصصون الذين كتبوا في أصول الدعوة الوسيلة بتعريفات متعددة منها :

أ – عرفها الدكتور عبدالكريم زيدان بأنها " ما يستعين به الداعية على تبليغ الدعوة إلى الله تعالى على نحو نافع مثمر " (٢) .

ب – وعرفها الشيخ الدكتور / محمد أبو الفتح البيانوني فقال هي " ما يتوصل به إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية ومادية " (٣) .

جـ – وعرفها الشيخ الدكتور / سيد محمد ساداتي الشنقيطي بأنها القناة الموصلة للغاية ، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس " (٤) .

د – وعرفها الدكتور / عبدالله الحوشاني : بأنها " ما يستعمله الداعية من إمكانات يوصل بها الدعوة إلى المدعوين ، وغالبا تكون حسية " (٥) .

علاقة الوسيلة بالأسلوب :

الوسيلة تختلف عن الأسلوب في كونها قد تنفصل عن الخطاب ، مثل الإعلان الذي يدعو الناس إلى الاجتماع لسماع حديث أو خطبة ، أما لأسلوب فلا يمكن انفصاله عن الخطاب ، مثل تكرار بعض الكلمات لتستقر في النفس .

قال الدكتور أبو المجد السيد نوفل : " والأسلوب هنا غير الوسيلة : فالأسلوب عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار ومبادئ وأحكام في

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٥٥ .
(٢) أصول الدعوة ، تأليف الدكتور عبدالكريم زيدان ، ص ٤٤٧ .
(٣) المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٤٩ .
(٤) ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ، ص ٤٣ ، هامش (٦) .
(٥) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الدعوة إلى الله ، حـ ٢ ، ص ٥٤٢ ،

عبارات وصيغ ذات شروط معينة ، أما الوسيلة فهي الطريقة التي يصل بها هذا الأسلوب إلى المدعوّ .. " [١] .

وفي نظري أن الوسيلة بمثابة الشرط عند الفقهاء ، في كونها خارجة عن ماهية الخطاب ، أما الأسلوب فهو بمثابة الركن في دخوله في الماهية ، وعدم إمكانية استقلاله عن الخطاب .

وفي ضوء هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية لكلمة " الوسيلة " يتضح لنا أن الوسيلة هي " الموصلة إلى المقاصد والأهداف أو المقربة منها ، وتتنوع الوسائل حسب المقاصد ، فالخطاب قد يكون الهدف منه مجرد البلاغ ، فيستعمل المخاطب لذلك ما يناسبه من وسائل ، وقد يحتاج المخاطب إلى إيضاح بعض الأمور التي تضمنها الخطاب ، فيستعين المتكلم على إيضاح خطابه بالوسيلة المناسبة ، وقد يكون الهدف من الخطاب إقناع المخاطبين به ، فيستخدم أقوى الوسائل وأوضحها في الدلالة على المقصود ، وانطلاقا من هذا التنوع سأقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب ، على النحو التالي :

---

(١) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ، مناهجها ، دراسة مقارنة ، ص ١٨٩ ، وانظر فقه الدعوة إلى الله - الدكتور / علي عبدالحليم محمود ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

المطلب الأول : وسائل الإعلام في خطب الرسول ﷺ.

المطلب الثاني : وسائل الإيضاح في خطب الرسول ﷺ.

المطلب الثالث : وسائل الإقناع في خطب الرسول ﷺ.

المطلب الأول

وسائل الإعلام في خطب النبي ﷺ

تختلف وسيلة الإعلام حسب المخاطبين ، وتتطور بتطور الأحوال وتغيرها ، فيكون الدعاة مطالبين باستخدام الوسائل المناسبة لمجتمعهم ، والمستخدمة في العصر الذي هم فيه ، وإذا كان الهدف هو الإعلام ، فإن نجاح الوسيلة يكون بمقدار من يصلهم الخطاب بسببها ، وقد كان رسول الله ﷺ يستخدم من الوسائل أكثرها تأثيرا ، وأنسبها للمدعوين ، وذلك ما سأوضحه في النقاط التالية :

أ – المكان المتميز :

قد كان الرسول ﷺ يختار المكان المناسب للخطاب الجماهيري ، ففي أول خطبة علنية في مكة " انطلق نبي الله ﷺ إلى رضمة من جبل ، فعلا أعلاها حجرا ، ثم نادى يا بني عبد مناف " [١] . وهذه أعلى وسيلة في ذلك العصر .

يقول الدكتور سعيد بن ثابت " ... إذا كانت المقاصد حسنة والغايات سامية فإن ذلك يتطلب اختيار الوسيلة المناسبة ، والأكثر فاعلية في عملية الإقناع ، ولعل ذلك هو سبب اختيار الرسول ﷺ أعلى وسيلة في عصره ومجتمعه ، وهو الصعود إلى الصفا ، عندما قال خطبة الصفا ، وذلك طلبا لتوسيع دائرة الاتصال لمخاطبة أكثر عدد ممكن من الناس ، ولفت انتباههم " [٢] .

وقد سبق أن ذكرت في مراعاة أحوال المدعوين ، أن اختيار جبل الصفا لهذه الخطبة كان مناسبا لقربه من منتدياتهم وقدسيته عندهم [٣] .

وقد تحقق لرسول الله ﷺ ما أراده من إبلاغهم أمر الله ، يدل على ذلك ما ثبت في البخاري من حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : " لما نزلت

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٥ .

(٢) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ ص ١٥٧ .

(٣) انظر : ص ٢٨٦ .

﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [١] . صعد النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي : يابني فهر ، يابني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا ، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو " [٢] .

ففي هذا الحديث دليل واضح على تحقق ما قصده ﷺ من اجتماعهم ، وإبلاغهم الإنذار الذي أمره الله أن يبلغهم إياه .

وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة وبناء المسجد اتخذ رسول الله ﷺ مكانا خاصاً لإلقاء الخطب والمواعظ العامة ، وهو المنبر ، وكان الرسول ﷺ يقف على المنبر في غالب خطبه ، وكان يجلس عليه أحيانا بل ثبت في الصحيحين أنه صلّى عليه مرة ليعلّمهم . فعن أبي حازم [٣] قال : سألوا سهل [٤] بن سعد من أي شيء المنبر ؟ فقال : ما بقي في الناس أعلم مني ، هو من أثلْ الغابة ، عمله فلان مولى فلانة لرسول الله ﷺ ، وقام عليه رسول الله ﷺ حين عمل ووضع فاستقبل القبلة ، كبر وقام الناس خلفه ، فقرأ وركع وركع الناس خلفه ، ثم رفع رأسه ، ثم رجع القهقرى فسجد على الأرض ، ثم عاد إلى المنبر ، ثم ركع ثم رفع رأسه ، ثم رجع القهقرى حتى سجد بالأرض فهذا شأنه " [٥] .

---

(١) سورة الشعراء ، الآية (٢١٤) .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، باب { وأنذر عشيرتك الأقربين } جـ ٦ ، ص ٣١٤ ، حـ ٤٧٧٠ .

(٣) هو : سلمة بن دينار ، الإمام القدوة ، الواعظ شيخ المدينة أبو حازم المخزومي ، مولاهم الأعرج ، ولد في أيام بن الزبير ، روى عن سهل بن سعد ، وأبي أمامة بن سهل ، وسعيد بن المسيب ، وروى عنه ابن شهاب ، ويزيد بن عبدالله بن الهاد ، والحمادان ، والسفيانان ومالك ، وثقه ابن معين وأحمد ، وأبو حاتم ، وقال ابن خريمة ثقة لم يكن في زمانه مثله ، انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء ، جـ ٦٠ ، ص ٩٦ – ١٠٤ ، توفي ١٤٠هـ ، وتهذيب التهذيب ، جـ ١٤ ، ص ٤٣ – ١٤٤ ، وشذرات الذهب ، جـ ١ ، ص ٢٠٨ .

(٤) هو : سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة بن عمرو بن الخزرج بن ساعدة الأنصاري الساعدي ، من مشاهير الصحابة قيل كان اسمه حزنا فغيره النبي ﷺ روى عن النبي ﷺ ، وعن أبي عاصم بن عدي ، وعن مروان وهو أصغر منه قيل مات رسول الله ﷺ وهو ابن خمس عشرة سنة (١٥) سنة ، وهو آخر من مات بالمدينة من الصحابة قيل سنة ٩١ وعمره نحو المائة بل يزيد ، انظر : أسد الغابة ، جـ ٢ ، ص ٣٦٦ ، والإصابة ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب الصلاة في السطوح والمنبر والخشب ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، حـ ٣٧٧ .
وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ، جـ١ ، ص ٣٨٦ – ٣٨٧ ، حـ ٥٤٤ ، واللفظ للبخاري .

وفي رواية أنه لما فرغ من صلاته أقبل على الناس فقال : " يا أيها الناس ، إني صنعت هذا لتأتموا بي ، ولتَعلَّموا صلاتي " (١) .

قال القاضي عياض : " ... والأشبه ما علل به - عليه السلام - في الحديث من أنه إنما فعله ليعلمهم الصلاة ... " (٢) .

ثم قال : " وفي صلاته - عليه السلام - بهم تمام تعليمه بالفعل والعمل - عليه السلام - إذ كان لا يرى ذلك من عمله إلا من اكتنفه في الصلاة ، قيل : فلما صعد المنبر ، لم يخف على أحد ممن خلفه شيء من هيئاته وآدابه في الصلاة " (٣) .

قال ابن حجر : في شرح هذا الحديث " وفيه استحباب اتخاذ المنبر لكونه أبلغ في مشاهدة الخطيب والسماع منه " (٤) .

وقبل أن يتخذ ﷺ المنبر - كان يقوم على جذع ، ففي البخاري من حديث جابر - رضي الله عنه - قال : " كان جذع يقوم إليه النبي ﷺ ، فلما وضع له المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشار ، حتى نزل النبي ﷺ فوضع يده عليه " (٥) .

يقول الدكتور سعيد بن ثابت : " .. ثم اتخذ صلوات ربي وسلامه عليه المنبر في المسجد لنفس الغاية .. " (٦) . يعني لتوسيع دائرة الاتصال ، كما سبق في كلامه على الصعود على جبل الصفا .

وكان الرسول ﷺ إذا خطب في مكان ليس فيه منبر خطب قائما ، وذلك مثل خطبة العيد ، لأنه يخرج إلى المصلى ، وكذلك الاستسقاء ، وخطب الطوارئ التي تكون في حال السفر أحيانا (٧) .

---

(١) صحيح مسلم ، المرجع السابق ، وصحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الخطبة على المنبر جـ ١ ، ص ٢٧٤ ، حـ ٩١٧ .

(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم لأبي الفضل عياض بن موسى ، جـ ٢ ، ص ٤٧٧ ، وانظر : فتح الباري ، جـ٢ ، ص٤٦٤ ، إكمال إكمال المعلم للإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأبي ، جـ ٢ ، ص ٤٤٩ فتح الباري ، جـ٢ ، ص٤٦٤ .

(٣) إكمال المعلم ، جـ ٢ ، ص ٤٧٨ .

(٤) فتح الباري ، جـ ٢ ، ص ٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٥) صحيح البخاري ، كتاب الجمعة ، باب الحطبة على المنبر ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ ، حـ ٩١٨ .

(٦) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ ، ص ١٥٧ .

(٧) كما في خطبته ﷺ في الوصية بأهل بيته ص ٩٥ .

ومن الوسائل التي استخدمها رسولنا ﷺ لتوسيع دائرة الاتصال ركوب الدابة ، حيث كان إلقاؤه خطبة عرفة عام حجة الوداع من على ظهر الناقة ، ففي صحيح مسلم من حديث جابر ، وهو يصف حجة النبي ﷺ قال : " .. فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة ، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها ، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء فرحلت له ، فأتى بطن الوادي ، فخطب الناس وقال : " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا .. " (١) .

وفي سنن ابن ماجة من حديث عبدالله بن مسعود قال : قال : رسول الله ﷺ ، وهو على ناقته المخضرمة (٢) بعرفات " أتدرون أي يوم هذا ، وأي شهر هذا ، وأي بلد هذا ؟ " . قالوا : هذا بلد حرام ، وشهر حرام ، ويوم حرام . قال : " ألا وإن أموالكم ودماءكم عليكم حرام كحرمة شهركم هذا ، في بلدكم هذا ، في يومكم هذا " (٣) .

وقد كان رسول الله ﷺ حين أراد أن يحج أعلم الناس بذلك ، فرغبوا في الحج معه ، قال جابر – رضي الله عنه – " إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين لم يحج ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول ﷺ حاج ، فقدم المدينة بشر كثير ، كلهم يلتمس أن يأتمّ برسول الله ﷺ ، ويعمل مثل عمله ... ثم قال – مبينا كثرة الناس – حتى إذا استوت به ناقته في البيداء نظرت إلى مدّ بصري بين يديه من راكب وماش ، وعن يمينه مثل ذلك ، وعن يساره مثل ذلك ، ومن خلفه مثل ذلك " (٤) .

قال النووي – رحمه الله – قوله " ثم أذن في الناس في العاشرة أن رسول الله ﷺ حاج " معناه أعلمهم بذلك وأشاعه بينهم ليتأهبوا للحج معه ، ويتعلموا المناسك والأحكام ، ويشهدوا أقواله وأفعاله ، ويوصيهم ليبلغ الشاهد الغائب ، وتشيع دعوة الإسلام ، وتبلغ الرسالة القريب والبعيد ، وفيه أنه

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٢) المخضرمة هي التي قطع طرف أذنها ، انظر : النهاية في غريب الحديث ، جـ ٢ ، ص ٤٢ .
(٣) سنن ابن ماجه ، كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر ، جـ ٢ ، ص ١٠١٦ ، حـ ٣٠٥٧ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ، جـ ٢ ، ص ٨٨٨ ، حـ ١٢١٨ .

يستحب للإمام إيذان الناس بالأمور المهمة ليتأهبوا لها " (١) .

وفي آخر هذه الخطبة سأل رسول الله ﷺ الحاضرين فشهدوا له بالبلاغ ، وذلك في قوله : " .. وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ قالو نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال بأصبعه يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد " (٢) .

وفي خطبة يوم النحر حمّل رسول الله ﷺ الحاضرين مسؤولية البلاغ فقال : " ألا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه " . ثم قال : " ألا هل بلغت " (٣) . والظاهر أن خطبة يوم النحر كانت على الراحلة أيضا ، نص على ذلك القاضي عياض – رحمه الله – حيث قال في كلامه عليها : " وفي كلامه هذا وهو على بعيره ، حجة لاتخاذ المنابر للخطب ، لأن المقصود ارتفاع الخطيب على جماعة الناس ليستمعوا كلامه ولا يخفى عليهم " (٤) .

ب – <u>الصوت المتميز المتضمن للمعنى المناسب</u> :

ثبت في الصحيح أنه ﷺ " انطلق .. إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى " يا بني عبد مناف ، إني نذير ، إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدوّ فانطلق يربأ أهله ، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه " (٥) .

وفي رواية : " خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف " يا صباحاه ! " (٦) .

يقول الدكتور عبدالباري " فالتعبير عن الموقف بكلمة " يربأ " تعبير دقيق مصيب ، ثم اختياره ﷺ لكلمة " يهتف " ومعناها يصيح ويصرخ ؛ لأنه خشي أن يسبقه العدو فيدهم قومه ، وهو يهتف بهذه الكلمة المعبرة " يا صباحاه " وهي كلمة يعتادونها عند وقوع أمر عظيم فيقولونها ليجتمعوا

---

(١) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٨ ، ص ١٧٢ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٨ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ٨٥ .
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٥ ، ص ٤٨٣ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ٩٥ .
(٦) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب { وأنذر عشيرتكم الأقربين } ، جـ ١ ، ص١٩٣ – ١٩٤ ، حـ ٢٠٨/٣٥٥ .

ويتأهبوا له ، ومن هنا تظهر الدقة في اختيار الألفاظ ووضعها في مكانها المناسب " [١] .

وهذه الروايات تدل بوضوح على أن الرسول ﷺ رفع صوته لأنه نادى وهتف وكلا اللفظين يدل على رفع الصوت ، قال ابن منظور : " النداء ممدود الدعاء بأرفع الصوت ، وقد ناديته نداء " [٢] .

وكان النداء عند العرب وسيلة لطلب الغوث ، يدل على ذلك قول الشاعر :

تقول خليلتي لما اشتكينا * سَيُدْ ركُنا بنوا القرم الهجان

فقلت ادْعِي وَأَدْعُ * فإن أندى لصوت أن يّناديَ داعيان[٣]

وقد اختار رسول الله ﷺ اللفظ المناسب المتضمن للمعنى الذي يسترعى انتباه المخاطبين – كما سبق بيانه في مراعاة أحوال المدعوين – [٤]

يقول الدكتور سعيد بن ثابت : " لقد كانت كلمة " يا صباحاه " التي استهل بها الرسول ﷺ خطبة الصفا غاية البدايات الجيّدة ، والاستهلال الحسن والمدخل المثير للانتباه والاهتمام ، والمحرك للوعي ، والملفت للنظر في مجتمع ديدنه الحروب ، التي كانت تنشب بين قبائله لأتفه الأسباب ؛ لذا كان حسن الابتداء هذا مفتاحا لعقول القوم ، فجاءو زرافات ووحدانا ، حتى أن الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا ، حتى امتلأت ساحة الصفا " [٥] .

ولما استقر رسول الله ﷺ في المدينة استعمل صيغة أخرى تناسب مجتمع المدينة الذي " أذهب الله عنه عُبّيَة الجاهلية " [٦] . فكان يأمر المنادي أن يقول : " الصلاة جامعة " فكان المسلمون بمجرّد سماعهم هذا النداء يجتمعون إلى رسول الله ﷺ ، من أمثلة ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عبدالله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال : " كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً ، فمنا من يصلح خباءه ، ومنا من ينتضل ، ومنا من هو في

(١) أثر التشبيه في تصوير المعنى " قراءة في صحيح مسلم " ، ص ٦٨ .
(٢) لسان العرب ، جـ ١٥ ، ص ٣١٥ ، مادة ندى .
(٣) لسان العرب ، نفس المرجع ، ص ٣١٦ .
(٤) انظر : ص ٢٨٦ – ٢٨٧ .
(٥) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ مرجع سابق ، ص ١٨ .
(٦) سبق تخريجه في التمهيد ، ص ٢٥ .

جشره ، إذ نادى منادي رسول الله ﷺ الصلاة جامعة ، فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال : " إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم " (١) .

قال الأبّي : " قوله : " الصلاة جامعة " بنصب الصلاة على الإغراء وجامعة على الحال ، قلت : الأظهر أن المراد بالصلاة الصلاة لغة ، أي الدعوة جامعة ، وهو كلام جرى العرف فيه في نداء القوم لأمر مهم " (٢) .

ومن أمثلته أيضا حديث فاطمة بنت قيس في قصة الجساسة حيث قالت: سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي " الصلاة جامعة " فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم ، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال لِيَلْزَم كل إنسان مصلاه ... " (٣) .

وفي هذا الحديث دليل على أن الناس اجتمعوا بدليل قولها : " فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم " فحضور النساء وصلاتهنّ مع الرسول ﷺ يقتضي أن يكون الرجال قد حضروا جميعا ومن أمثلة هذا النوع ما ثبت في الصحيح من حديث جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – في الوفد الذين جاءوا في هيئة تشعر بفاقتهم " فأمر بلالا فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب " (٤) .

ولاشك أن الأذان كان من أهم الوسائل لاجتماع الناس في العهد المدني ، ولكن الأذان مرتبط بأوقات محددة ، وذلك ما اقتضى استعمال غيره من وسائل الإبلاغ أحيانا . والله أعلم .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٩ .
(٢) إكمال المعلم ، جـ ٦ ، ص ٥٤٠ ، وانظر مكمل إكمال الاكمال بهامشه .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٩ .

المطلب الثاني

وسائل الإيضاح في خطبه ﷺ

قد كان رسول الله ﷺ يتحاشى العبارات الغامضة والأساليب المعقدة ؛ لأن ذلك هو ما تقتضيه مسؤولية البلاغ ، فكان يكرّر الألفاظ ، ويستعمل الإشارة مع اللفظ ، وتعبّر قسمات وجهه عن كرهه للشيء أو محبته إياه ، ويستعمل الخطوط لايضاح المعاني وتقريبها للأذهان ، يقول الدكتور فضل إلهي في هذا المعنى : " ومن مظاهر اهتمام النبي الكريم ﷺ بتقريب المعاني إلى أفهام السامعين ما كان يستخدمه – عليه الصلاة والسلام – من وسائل الإيضاح أثناء قيامه بالدعوة والإرشاد والتوجيه والتعليم " [١] ، ومن أهم الوسائل التي استخدمها رسولنا ﷺ في خطبه لإيضاح المعاني وتقريبها ما يلي :

أ – الإشارة والحركة :

يقول شيخنا الدكتور فضل إلهي " ومن وسائل الإيضاح التي كان يستعملها رسول الله ﷺ الإشارات " [٢] .

وقال الشيخ عبدالفتاح أبو غدة " وتارة كان ﷺ يجمع في تعليمه بين البيان بالعبارة ، والإشارة باليدين الكريمتين ، توضيحا للمرام وتنبيها على أهمية ما يذكره للسامعين أو يعلمهم إياه " [٣] ، ومن ذلك قوله ﷺ " بعثت أنا والساعة كهاتين " ، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى " [٤] .

وفي هذه الإشارة إيضاح لقرب وقت الساعة ؛ من حيث إنها ملاصقة لبعثته ﷺ ومتصلة بها كاتصال الإصبعين ، أو أن التفاوت بين بعثته ﷺ ، والساعة كالتفاوت بين الإصبعين في الطول [٥] .

---

(١) مراعاة أحوال المخاطبين في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٤٨ .
(٢) المرجع السابق .
(٣) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، ص١٢٠ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٨ .
(٥) انظر إكمال المعلم للقاضي عياض ، جـ ٣ ، ص ٢٦٨ ، وانظر : المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ ، وانظر : إكمال إكمال المعلم – جـ ٣ ، ص ٢٣٣ .

" وفي ضمه السبابة والوسطى من تصوير المعنى وتقريره مالا يكون مع غيره " (١) .

وقد استخدم الرسول ﷺ هذه الإشارة نفسها لبيان منزلة كافل اليتيم عند الله – عز وجل – حيث قال : " أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا " وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى وفرج بينهما " (٢) .

ومن أمثلة استخدامه ﷺ للإشارة التوضيحية إشارته بيده إلى فمه مبينا هول يوم القيامة ، واختلاف الناس في ذلك اليوم ، وتفاوتهم في العرق ، حيث قال : " تُدنى الشمسُ يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ... فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ؛ فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يلجمه العرق إلجاما " قال : فأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه (٣) .

ومن الوسائل الإيضاحية التي استخدمها رسولنا ﷺ الحركة وتغيير الهيئة ، " وكان يفعل ذلك إذا أراد أن يؤكد أهمية الموضوع الذي يتحدث فيه ، فيغير جلسته ... " (٤) .

من أمثلة ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر قال : قال : رسول الله ﷺ : " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ " قلنا بلى يا رسول الله . قال : " الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين " وكان متكئا فجلس ، فقال : " ألا وقول الزور " فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت (٥) .

ب – تلوُّن الوجه وإظهار الغضب :

سبقت الإشارة إلى أن رسول الله ﷺ كان أحسن الناس خلقا ، وأصبرهم على الأذى (٦) ، ورغم ذلك كانت تعرض له مواقف تستدعي

---

(١) أثر التشبيه في تصوير المعنى " قراءة في صحيح مسلم " ، ص ٣٢١ .
(٢) سبق تخريجه في التمهيد ص ٦٣
(٣) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ، باب صفة يوم القيامة ، جـ ٤ ، ص ٢١٩٦ ، حـ ٢٨٦٤ .
(٤) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص ٥٣١ .
(٥) صحيح البخاري ، كتاب الشهادات ، باب ما قيل في شهادة الزور ، جـ ٣ ، ص ٢١٠ ، حـ ٢٦٥٤ – ٢٦٥٤ .
(٦) سبق بيان ذلك في ص ٢٣٣ .

الإنكار ، وإظهار الغضب ، أو إظهار الشفقة والحزن ، وقد تعرض له مواقف أخرى تقتضي إظهار الرضا والسرور ، فيتلوّن وجهه ﷺ حسب ما يقتضيه المقام ، ولذا كان رواة الأحاديث يحرصون على بيان هيئته ﷺ ، كما يحرصون على أداء ألفاظه ، وإليك أمثلة لذلك :-

١ - في قصة المخزومية التي سرقت على عهد رسول ﷺ فالتمسوا من أسامة أن يكلم رسول الله ﷺ في شأنها ، قالت عائشة - رضي الله عنها - " فأتي بها رسول الله ﷺ فكلمه فيها أسامة بن زيد فتلوّن وجه رسول الله ﷺ فقال : " أتشفع في حد من حدود الله " (١) .

٢ - من أمثلة ذلك حديث جرير بن عبدالله - ﷺ - في خبر وفد مضر الذين قدموا على رسول الله ﷺ في حالة رثة قال جرير - ﷺ - : " كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار قال : فجاء قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء ، متقلدي السيوف ، عامتهم من مضر ، بل كلهم من مضر ، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم في الفاقة " (٢) .

قال القرطبي في المفهم " وتمعر وجه رسول الله ﷺ تغير لما شق عليه من فاقتهم " (٣) .

فتغير وجهه ﷺ عند رؤية هؤلاء القوم يوضح لكل من رءاه أنه تأثر بحالهم ، ورقّ لهم ، وقد كان لما استخدمه ﷺ من وسائل الإيضاح ، والإعلام في هذه الواقعة الأثر البالغ ، كما دل على ذلك قوله : " فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها ، بل قد عجزت ، قال : ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب ، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة " (٤) .

وتهلل وجهه ﷺ واستنارته توضح رضاه وفرحه بما قام به أصحابه - ﷺ - من مسارعة في فعل الخير ، وبذل المال ، لمن هم في أمسّ الحاجة

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٩ .
(٣) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٣ ، ص ٦٢ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٩ .

إليه ، ولزوال فاقة هؤلاء المحتاجين [١] الذين كانت رؤيتهم بحالتهم الأولى سببا في تغير وجهه ﷺ .

٣ – من ذلك أيضا حديث أبي مسعود الأنصاري – رضي الله عنه – " قال : قال رجل يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطوّل بنافلان ، قال فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضبا من يومئذ فقال : " يا أيها الناس إنكم منفرون ... " [٢] .

ولا يخفى ما في إظهار الغضب الشديد من إيضاح لإنكار ذلك الفعل الذي يُنَفِّر الناس ، ويؤدي إلى افتتانهم وتأخرهم عن الصلاة التي هي عماد الدين .

(١) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٣ ، ص ٥٤٠ ، والمفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٣ ، ص ٦٣ .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص٩٣ .

المطلب الثالث

وسائل الإقناع في خطب النبي ﷺ

قد سبقت الإشارة إلى أن الوسيلة ينبغي أن تكون بحسب الهدف من الخطاب ، وفي المطلبين الماضيين تعرضت لوسائل الإعلام والإبلاغ ، ووسائل الإيضاح في ضوء الخطب النبوية ، وتركت الوسائل التي لم أجد لها شاهدا في الخطب وفي هذا المطلب سأعرض – إن شاء الله – لوسائل الإقناع في ضوء خطب النبي ﷺ على النحو التالي :

أ – استعمال القياس العقلي وإلحاق المجهول بالمعلوم :

" تختلف عقول الناس ومدركاتهم من حيث الفهم وسرعة الاستجابة ، ويختلف الناس أيضا من حيث الانقياد والتسليم لشرع الله أمره ونهيه فمنهم من لا يقنع بالدليل إلا إذا ظهرت له الحكمة من ذلك التشريع ، ومنهم من يكفيه الدليل ويقف عنده " (١) .

وقد كان رسولنا ﷺ يراعي أحوال المخاطبين في استخدام الوسائل المناسبة لعقولهم ومعرفتهم السابقة .

أ – ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ في حواره التاريخي مع قريش " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ " قالوا ما جربنا عليك كذبا ، قال : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " (٢) .

ففي هذا الخطاب استدرج الرسول ﷺ قريشا حتى انتزع منهم إقرارا جماعيا بصدقه ، وإذا توفرت لدى المخاطب الثقة بمن يخاطبه فإن ذلك " من أهم عوامل الإقناع في الإتصال ، وهذا يعني ثقة القائم بالاتصال بما عنده ، وبقيمه ، وأهدافه ، وغاياته الساميةِ ، وثقة الناس في صدقه ، وأمانته وعدله ، وهذه الدلالة تؤكد على أهم مؤهلات القائم بالاتصال .

---

(١) المعلم الأول قدوة لكل معلم ومعلمة ، ص ٩٤ .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٤ .

والقائم بالاتصال في هذه الخطبة هو الرسول ﷺ الذي انتزع الله له إجماعا عاما من قريش بأنه الحكم العدل ، والصادق الأمين ، كلمة قالوها ، وشاء الله أن تكون عليهم حجة إلى يوم القيامة " (١) .

ومما يدل على تأثير هذا الحوار في نفوس المخاطبين أنهم لم يكذّبوا رسول الله ﷺ بعد قوله لهم " إني نذير لكم بين يديْ عذاب شديد " ؛ إذ لو فعلوا ذلك لظهر تناقضهم ، فهو كما قال هرقل : " لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله " (٢) .

وما ثبت من رد سيئ صدر من أبي لهب يشعر بانقطاعهم فهو مشابه لرد عبّاد الأصنام من قوم إبراهيم عليه السلام حين قالوا بعد إقرارهم بعجز أصنامهم عن النطق ، وردّ إبراهيم عليهم بقوله ﴿ أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ، قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾ (٣) .

وكقول فرعون لما أفحمه موسى عليه السلام ﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ (٤) .

هكذا قال أبو لهب : " تبا لك أما جمعتنا إلا لهذا " (٥) .

ب – من أمثلة إلحاق المجهول بالمعلوم قوله ﷺ في جواب النساء حين قلن : " وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى ، فقال فذلك من نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم قلن : بلى ، قال : فذلك من نقصان دينها " (٦) .

فاستعماله ﷺ لهذا الحوار مع النساء مع إيمانهن وتصديقهن يرسخ هذا الأمر في قلوبهن ، ويزيدهن اقتناعا (٧) ويقينا بمكانتهن المقتضية أن يشمرن

---

(١) الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ ، ص ١٩ .
(٢) سبق تخريجه في التمهيد ، ص ٢٦ حديث أبي سفيان .
(٣) سورة الأنبياء ، الآيات (٦٦ – ٦٨) .
(٤) سورة الشعراء ، الآية (٢٧) .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٤ .
(٦) سبق تخريجه ص ٨٧ .
(٧) انظر الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، ص ١٠٠ .

لتخليص أنفسهن من عذاب الله ، وقد سبق تفصيل هذا في أصناف المدعوين [١] .

جـ – من أمثلة الإقناع عن طريق الحوار أيضا ما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ولد لي غلام أسود ، فقال " هل لك من إبل ؟ " قال نعم ، قال " ما ألوانها ؟ " قال حمر قال : " هل فيها من أورق ؟ " قال نعم ، قال " فأنى ذلك ؟ " قال نزعه عرق ، قال : " فلعل ابنك هذا نزعه " [٢] .

وفي هذا الحوار استطاع رسول الله ﷺ أن يقنع هذا الرجل ويزيل عنه الشبهة والاستغراب الذين كان واقعا فيهما ، حيث بيّن له أنه ما دامت الإبل ذات الألوان الحمر ، يولد فيها الأورق ، ويكون ذلك بسب عرق نزعَه ، فإنه قد يكون السواد الذي استنكره من ابنه بسبب عرق نزعه ، وعليه فإن " استخدام الأسلوب العقلي في الإقناع وسيلة جيدة ، تضمن وصول المعلومة إلى ذهن السامع ، على ما أراده المتحدث " [٣] .

ب – القسم وأدوات التأكيد :

قد كان رسول الله ﷺ يخاطب الناس حسب مشاعرهم ، ويراعي ، أحوالهم وفي خطابه لأهل الإسلام الذين يصدقونه بدون قسم ولا تأكيد كان ﷺ يستخدم التوكيد والقسم لزيادة إيمان المؤمن ، وإقناع المصدقين ، وقد سبقت الإشارة إلى المواطن التي كان رسول الله ﷺ يكثر فيها من استخدام المؤكدات [٤] ، وسأذكر هنا أمثلة استخدم فيها رسول الله ﷺ القسم لزيادة إيمان أهل الإيمان ، أو إزالة شبهة عالقة بالنفوس ، وللدلالة على أهمية الأمر المقسم عليه ، ليستشرف السامعون له [٥] .

---

(١) انظر ص ٣٣٣ .
(٢) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الطلاق ، باب إذا عرض بنفي الولد ، جـ ٦ ، ص٥١٥ ، حـ ٥٣٠٥ ، صحيح مسلم ، كتاب اللعان ، جـ ٢ ، ص١١٣٧ ، حـ ١٥٠٠ .
(٣) المعلم الأول قدوة لكل معلم ومعلمة ، ص ٩٧ .
(٤) انظر ص ١٠٤ – ١٠٩ .
(٥) انظر الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص ١٠٦ .

أ – قوله ﷺ في خطبة الكسوف : " والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا " (١) .

يقول الدكتور عز الدين السيد معلقا على هذا الحديث : " يقسم –عليه السلام– بالله ليؤكد لأصحابه غيبا يعلمه ولا يعلمونه ، يستوجب أن يجف القلب ، ويقل الضحك ، وتكثر الدموع ، حتى ينتبهوا فلا يركنوا إلى الدنيا ، ويجتهدون ، فلا يخدعهم الأمن " (٢) .

ب – من ذلك أيضا قوله ﷺ في الخطبة التي كان سببها شفاعة أسامة – رضي الله عنه – في المخزومية التي سرقت : " وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٣) . قال ابن حجر " أراد المبالغة في إثبات إقامة الحد على كل مكلف ، وترك المحاباة في ذلك " (٤) .

قال الدكتور عز الدين السيد معلقا على هذا الحديث : " يوكد فيه الرسول ﷺ نزاهة الإسلام وعدالة نبيه ، التي لا يستقيم أمر المجتمع إلا بها ، فلا شفاعة في حدود الله ، لجاه أو مال أو شرف كذوب ، فالشرف للسير على الجادّة ، ولا شرف ولا كرامة للمنحرف الضار دينه ، والمعتدي على الناس ، ولا نظر إلى صلة دنيوية مهما تأصلت وعمقت – يطغى على إقامة ما أوجب الله أن يقام لسلامة دينه ولكرامة المؤمنين وصيانة حقهم ، فصلة البنوة بين محمد ﷺ وبين فاطمة ابنته لا تحرك رأفة النبي ﷺ فيرحمها من قطع اليد ، حين يوجب الإسلام قطعها ، ولا أكرم من محمد حاكما ، ولا من فاطمة بنت محمد محكوما عليه ، فسواهما أولى بالحذر من المخالفة " (٥) .

جـ – من ذلك أيضا قوله – لما استغرب الصحابة – رضي الله عنهم – التحلل من إحرامهم في حجة الوداع وقال بعضهم " فيروح أحدنا إلى منى وذكره يقطر منيا " – : " بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبرّ أتقى لله منهم " (٦) .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٧ .
(٢) الحديث النبوي ، مرجع سابق ، ص ١٠٧ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٤) فتح الباري ، جـ ١٢ ، ص ٩٧ .
(٥) الحديث النبوي الشريف ، ص ١٠٦ – ١٠٧ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .

في هذه الجملة الأخيرة استخدم الصادق الأمين القسم ولام التوكيد ليبعد هذا الشك أو التحرّج الذي وقع من أصحابه ، اعتماد على ما كانوا يعتقدونه من عدم جواز العمرة في أشهر الحج [١] ، وقد أقسم ، وأتى بلام التوكيد ، وأفعل التفضيل كل ذلك لإزاحة هذه الشبهة العالقة بنفوس المخاطبين ، وليطمئنوا إلى أن الخير وصلاح الأمور في المسارعة إلى الاستجابة لأمره ﷺ والعمل بمقتضاه " والقسم طريقة من طرائق الإقناع والوصول إلى إرضاء المخاطب والدخول إلى نفسه ، وجلاء الشكر فيه ، وقد سلك رسول ﷺ هذه الطريقة لإقناع المسلمين " [٢] ، والأمثلة السابقة توضح ذلك وتؤكده . والله أعلم .

(١) سبق بيان ذلك في سمات الخطب ص ١٣١ .
(٢) التربية النبوية ، ص ١٥٠ .

المبحث الثاني

الأساليب الدعوية في خطب النبي ﷺ

وفيه تمهيد وثلاثة مطالب

التمهيد : في تعريف الأساليب لغة واصطلاحاً .

المطلب الأول : أسلوب الحكمة وما يناسبه من أساليب فرعية .

المطلب الثاني : أسلوب الموعظة الحسنة وما يناسبه من أساليب فرعية .

المطلب الثالث : أسلوب المجادلة بالحسنى وما يناسبه من أساليب فرعية .

تمهيد

في معنى الأسلوب لغة واصطلاحاً

١ – معنى كلمة "أسلوب في اللغة :

الأسلوب لغة الطريق [١] .

والوجه والمذهب والفن ؛ يقال أخذ فلان في أساليب من القول أيّ أفانين منه [٢] .

" ويقال للسطر من النخيل أسلوب " [٣] .

" والأساليب من الفنون المختلفة " [٤] .

٢ – معنى كلمة الأسلوب في الاصطلاح :

قد عرف العلماء الأسلوب بعدة تعريفات حسب اختصاص كل واحد منهم .

١ – عرّفه الشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني : فقال : " هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه أو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه ، أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم " [٥] .

٢ – وعرّفه بعض الأدباء بأنه " طريقة التعبير ، أو طريقة الكتابة ، أو طريقة الإنشاء ، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعاني ، قصد الإيضاح والتأثير " [٦] .

---

(١) انظر القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص ٨٣ ، ولسان العرب ، جـ ١ ، ص٤٧٣ ، والمصباح المنير ، ص ١٤٦ .

(٢) انظر لسان العرب ، نفس الموقع أعلاه ، والمصباح المنير ، المرجع السابق .

(٣) لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٧٣ .

(٤) المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٣٨ .

(٥) مَناهل العرفان في علوم القرآن ، جـ ٢ ، ص ٢٧٧ .

(٦) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية ، ص ٤٤ .

٣ – وعرفه بعض المتخصصين في مجال الدعوة بأنه : " عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار ومبادئ وأحكام في عبارات وصيغ ذات شروط معينة " (١) .

٤ – وقيل : هو : " الطريقة أو المذهب الذي يلجأ إليه الداعي إلى الله ليحقق بذلك أهداف الدعوة " (٢) .

٥ – وقيل : الأساليب : " فنون الدعوة " (٣) .

٦ – وقيل : الأساليب : " الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته " أو هي " كيفيات تطبيق مناهج الدعوة " (٤) .

٧ – وقيل : الأسلوب " هو عرض ما يراد عرضه من معان وأفكار وقضايا في عبارات وجمل مختارة لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم ، وما يجب لكل مقام من المقال " (٥) .

وهذه التعريفات وإن اختلفت عباراتها وصيغها فإنها ترجع إلى المعنى اللغوي ، في جعل الأسلوب طريقا أو فنا يختاره المتكلم لتوضيح معاني كلامه مع مراعاة مستوى المخاطبين ، وقد عرفها بعضهم باعتبار الجمع وبعضهم باعتبار الإفراد – كما لا يخفى – وقد سبق أن ذكرت في توطئة هذا الفصل أن شمول الدعوة واختلاف أصناف المدعوّين اقتضى تنوّع الأساليب ؛ إذ من المدعوّين من تناسبه الحكمة فيستجيب إذا اتضح له الحق من غير عناد ، ومنهم من تناسبه الموعظة الحسنة ، ليتنبه من غفلته ، ويصْحُو من رقدته ، ومنهم من يحتاج إلى مجادلة وإقناع لإقامة الحجة ، وإيضاح المحجة ، وهذه أمهات الأساليب (٦) ، وتحت كل أصل منها فروع تناسبه ، وتدخل في إطاره وقد قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب كما سبق :

---

(١) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها ، ص ١٨٩ .
(٢) فقه الدعوة إلى الله ، الدكتور علي عبدالحليم محمود ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .
(٣) مناهج الدعوة وأساليبها ، ص ١٦ .
(٤) المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٤٦ – ٤٧ .
(٥) المرأة المسلمة المعاصرة ، إعدادها ومسؤوليتها في الدعوة إلى الله ، ص ٥٢٣ .
(٦) انظر : المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٢٤٢ .

وقبل أن أبدأ الكلام المتعلق بهذه المطالب حسب ترتيبها أوَدُّ أن أبرر هذا التقسيم وأجيب على سؤال قد يدور في ذهن من يطلع على هذا المبحث وهو لماذا جعلت هذه الأساليب الثلاثة أصولا لغيرها ؟ وهل هذا اختراع من الباحث أو استفاده من غيره ؟

والجواب عن ذلك فيما يلي :

أ – مما يدل على أهمية هذه الأساليب الثلاثة أن الله أرشد رسوله ﷺ إلى استخدامها ، قال تعالى ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (١) .

ب – شمولها حيث تشمل الحكمة استخدام الأسلوب المناسب ، والوسيلة المناسبة ، ومراعاة أحوال المدعوين (٢) .

جـ – نص غير واحد من أصحاب الاختصاص على كونها أسساً لغيرها من الأساليب ، قال الدكتور أبو المجد : " ويقوم أسلوب الدعوة إلى الله – كما قرّره القرآن الكريم – على " الحكمة " و " الموعظة الحسنة " و " المجادلة بالتي هي أحسن " (٣) .

وقال الشيخ الدكتور محمد أبوالفتح البيانوني : " وسنتناول في هذا الفصل أمهات الأساليب الدعوية " وذكر هذه الثلاثة وزاد عليها القدوة فقط (٤) .

وقال الدكتور أحمد محمد أبابطين : " وعندما تأمل الباحث في هذه الأساليب ، وجدها تنطوي تحت ثلاثة أساليب رئيسة جاءت بالنص في كتاب الله سبحانه حيث أمر الله عز وجل رسوله محمدا ﷺ بالأسلوبين الأولين منها كما أمره باستخدام الأسلوب الثالث أثناء الدعوة إذا كان المدعو من المجادلين " (٥) .

---

(١) سورة النحل ، الآية (١٢٥) .
(٢) انظر الحكمة في الدعوة إلى الله ، ص ٤٧ .
(٣) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ، مقوماتها ، ص ١٨٩ .
(٤) المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٢٤٢ .
(٥) المرأة المسلمة المعاصرة ، ص ٥٢١ .

وقال الدكتور حمد بن ناصر العمار : " فمن أساليب الدعوة الرئيسية والتي نص عليها القرآن الكريم :

أسلوب الدعوة بالحكمة ، أسلوب الدعوة بالموعظة الحسنة ، أسلوب الدعوة بالمجادلة بالحسنى " [١] .

(١) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ، ص ٣١ .

المطلب الأول

أسلوب الحكمة

توطئة بتعريف الحكمة لغة ، واصطلاحا :

١ – **الحكمة لغة** : من معانيها " العدل ، والعلم ، والحلم والنبوة ، والقرآن ، والإنجيل " (١) .

وقيل : " الحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم " (٢) . والإحكام الإتقان والمنع (٣) .

فمن الأول قول الأعشى يصف قصيدة له بالإحكام :

وغريبةٍ تأتى الملوك حكيمةٍ * قد قلتها ليقال : من ذا قالها ؟ (٤)

ومن الثاني حكمة الدابة قال الفيوميّ : " والحكمة " وزان قصبة للدابة سميت بذلك لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها من الجماح ونحوه ، ومنه الحكمة لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال " (٥) .

٢ – **الحكمة في القرآن والحديث** :

وردت الحكمة في القرآن بمعان عدة :

منها : النبوّة قال الله تعالى في حق عيسى عليه السلام ﴿ ويعلمه الكتاب والحكمة ﴾ (٦) ، وفي حق داود عليه السلام ﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ (٧) .

ومنها : مواعظ القرآن ، قال تعالى ﴿ وما أنزلَ عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ﴾ (٨) .

---

(١) القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٩٨ .
(٢) لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ١٤٠ .
(٣) القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٩٨ .
(٤) لسان العرب ، جـ ١٢ ، ص ١٤١ .
(٥) المبصاح المنير ، ص ٧٩ .
(٦) سورة آل عمران ، الآية (٤٨) .
(٧) سورة ص ، الآية (٢٠) .
(٨) سورة البقرة ، جزء من الآية (٢٣١) .

ومنها : الفهم والعلم ، قال تعالى في شأن يحيى عليه السلام ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ (١) .

ومنها : القرآن وعجائبه وأسراره ، قال تعالى مخاطبا نبيه ﷺ ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ﴾ (٢)(٣) .

وجاءت الحكمة في السنة في أحاديث متعدّدة وبمعان مختلفة أذكر أهمها فيما يلي :

أ – ففي دعائه ﷺ لابن عباس – رضي الله عنهما – " اللهم علمه الحكمة " .

وفسرها البخاري : بأنها " الإصابة في غير النبوّة " (٤) .

وقال ابن حجر – رحمه الله – " واختلف في المراد بالحكمة هنا ، فقيل : الإصابة في القول . وقيل الفهم عن الله . وقيل ما يشهد العقل بصحته وقيل نور يفرق به بين الإلهام والوسواس . وقيل : سرعة الجواب بالصواب ، وقيل غير ذلك " (٥) .

ب – وقال أيضا في الثناء على أهل اليمن " .. والإيمان يمان والحكمة يمانية " (٦) .

وفسرت بأنها العلم المشتمل على المعرفة بالله (٧) .

جـ – وقال في حديث عبدالله بن مسعود : " لا حسد إلا في اثنتين ، رجل آتاه الله مالا فسلّط على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها " (٨) .

---

(١) سورة مريم ، جزء من الآية (١٢) .
(٢) سورة النحل ، جزء من الآية (١٢٥) .
(٣) التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، جـ ٧ ، ص ٥٩ ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز جـ ٢ ، ص ٤٩٠ – ٤٩١ .
(٤) صحيح البخاري ، كتاب الفضائل ، باب ذكر ابن عباس – رضي الله عنهما – جـ ٤ ، ص ٥٨٩ ، ح٣٧٥٦ .
(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ٧ ، ص ١٢٦ .
(٦) سبق تخريجه في ص ٢٦٩ بإحدى رواياته " رأس الكفر نحو المشرق " الحديث .
(٧) انظر : شرح الأبي لصحيح مسلم ، جـ ٣ ، ص ١٦١ ، والسنوسي بهامشه ، جـ ٣ ، ص ١٦١ .
(٨) سبق تخريجه في ص ٦٠ .

فالحكمة المراد بها هنا القرآن ، وقيل : كل ما منع من الجهل وزجر عن القبيح [١] .

د – قوله ﷺ " إن من الشعر حكمة " [٢] .

قال ابن حجر – رحمه الله – " قوله : " إن من الشعر حكمة " أي قولا صادقا مطابقا للحق ، وقيل أصل الحكمة المنع ، فالمعنى أن من الشعر كلا ما نافعا يمنع من السفه " [٣] .

٣ – الحكمة اصطلاحا :

قد تعرضت لمعنى الحكمة في اللغة ، وأهم إطلاقاتها في الكتاب والسنة .

وأتبع ذلك فيما يلي بذكر بعض التعريفات التي ذكرها علماؤنا – أجزل الله مثوبتهم – لتقريب معنى الحكمة .

قد ذكر علماء التفسير أقوالا كثيرة في معنى الحكمة تزيد على العشرين [٤] ، ولكن هذه الأقوال متقاربة في أغلبها .

قال القرطبي – رحمه الله – بعد أن ذكر أحد عشر قولا – " قلت وهذه الأقوال كلها ما عدا السدي [٥] ، والربيع [٦] ، والحسن [٧] ، قريب بعضها من بعض ؛ لأن الحكمة مصدر من الإحكام وهو الإتقان في قول أو فعل ، فكتاب الله حكمة ، وسنة نبيه حكمة ... " [٨] .

وما قاله القرطبي له وجاهة ، لأنهم قالوا هي القرآن أو معرفة علومه ، أو الفهم فيه ، أو الفقه فيه أو معرفة الدين واتباعه ، أو الفقه في الدين والعمل به أو هي الإصابة في القول والفعل [٩] .

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأدب ، باب مايجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه ، جـ ٧ ، ص ١٣٩ ، حـ ٦١٤٥ .
(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، جـ ١٠ ، ص ٥٥٦ .
(٤) انظر : زاد المسير في علم التفسير ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ ، والجامع لأحكام القرآن ، جـ٣ ، ص٢١٣ – ٢١٤ ، وتفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ص ٤٢٠ .
(٥) وهو قوله إنها النبوة .
(٦) وهو قوله إنها الخشية .
(٧) وهو قوله إنها الورع .
(٨) الجامع لأحكام القرآن ، جـ ٣ ، ص ٢١٤ .
(٩) ذكر هذه الأقوال كلها القرطبي في تفسيره ، جـ ٣ ، ص ٢١٣ – ٢١٤ ، وذكر ابن الجوزي أغلبها ، جـ ١ ، ص ٣٢٤ .

قال ابن القيم – رحمه الله – " وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك إنها معرفة الحق والعمل به ، والإصابة في القول والعمل ، وهذا لايكون إلا بفهم القرآن ، والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان " (١) .

وممن عرّفها الجرجاني (٢) فقال : " هي العلم بحقائق الأشياء على ماهي عليه والعمل بمقتضاه " (٣) .

وقيل : " هي توخّي القصد والاعتدال ، وإدراك العلل والغايات ، ووضع الأمور في نصابها ، في تبصّر وروية وإدْراك " (٤) .

وعرّفهاالدكتور البيانوني بأنها " الأسلوب الذي يضع الشيء موضعه " (٥) .

وأما الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد فيرى صعوبة تحديد مفهوم الحكمة ؛ لأنها تعتمد على أشياء متعدّدة منها المحيط الذي توجّه منه وإليه الدعوة ، والظروف والأحوال والبينات ، وأصناف المدعوين ، فعلى الداعية أن يقدر الأمور ، ويتعامل معها بما يناسب ، والعلم الشرعي يسترشد به لإنارة الطريق فحسب (٦) .

وهذا الرأي له وجاهة في نظري ومما يؤكده قوله تعالى آمرا رسوله ﷺ ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾ (٧) ، ولكنه يعني به ما هو أعم من موضوعنا الذي هو الحكمة من خلال خطب النبي ﷺ.

وفي ضوء هذه التعريفات والمناقشات يمكننا أن نحدّد مفهوم الحكمة في خطب النبي ﷺ بأنها " اختيار الأساليب المناسبة للمدعوين حسب حالتهم

---

(١) التفسير القيم ، الإمام ابن القيم ، ص ٢٢٦ – ٢٢٧ .
(٢) هو : علي بن محمد بن محمد بن علي ، المعروف بالشريف الجرجاني ، عالم بالعربية ، ولد سنة ٧٤٠ ، ودرس بشيراز ، وذهب إلى سمرقند فرارا من تيمور ، ثم عاد عليها بعد موته ، له مؤلفات كثيرة من أشهرها " التعريفات " و " شرح السيراجية " وغير ذلك ، توفى بشيراز سنة ٨١٦ ، انظر : بغية الوعاة ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ – ١٩٧ ، والأعلام ، جـ ٥ ، ص ٧ ، ومفتاح السعادة ، جـ ١ ، ص ١٩٢ – ١٩٣ .
(٣) التعريفات ، ص ١٢٤ .
(٤) في ظلال القرآن ، جـ ١ ، ص ٣١٢ .
(٥) المدخل إلى علم الدعوة ، ص ٢٤٥ .
(٦) انظر الحكمة في الدعوة إلى الله ، ص ٣١ – ٣٣ .
(٧) سورة يوسف ، جزء من الآية (١٠٨) .

المعرفية والدينية ومكانتهم الاجتماعية مع ملاحظة الزمان والمكان المناسِبَيْن " .

وفيما يلي بيان الأساليب التي اقتضتها حكمة النبي ﷺ في خطبه .

أ – الرفق واللين :

الرفق اللطف [١] ، ولين الجانب ، ولطافة الفعل [٢] ، وخلاف العنف [٣] و" الرفق في كل أمر أخذُه بأحسن وجوهه وأقربها " [٤] ، واللين ضد الخشونة [٥] ، وهو سهولة الأخلاق [٦] ، وحسنها [٧] .

قال شيخنا الدكتور فضل إلهي : " اللين " يتضمن لين الجانب وحسن الخلق ، وكثرة الاحتمال ، وعدم الإسراع بالغضب والتعنيف إذا بدر من المسلمين خطأ " [٨] .

وقد كان رسول الله ﷺ رفيقا رحيما بأمته وبذلك وصفه الله إذ يقول : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ [٩] ، وإذ يقول سبحانه ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [١٠] .

ومن الأمثلة الدالة على رفقه واستعماله أسلوب اللين في خطبه قوله : منكرا على أبي بردة بن نيار ذبحه أضحيته قبل الصلاة : " شاتك شاة لحم " [١١] .

ومن أمثلة رفقه أيضا قوله : " أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلأهله ، ومن ترك دينا أو ضياعا فإليّ وعليّ " [١٢] .

---

(١) القاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ .
ولسان العرب ، جـ ١٠ ، ص ١١٨ .
(٢) انظر : لسان العرب ، المرجع نفسه .
(٣) لسان العرب ، المرجع نفسه .
والمصباح المنير ، ص ١٢٢ ، والنهاية ، جـ ٢ ، ص ٢٤٦ .
(٤) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ، جـ ١ ، ص ٣٧١ .
(٥) انظر : المفردات في غريب القرآن ، ص ٤٥٧ ، ومختار الصحاح ص ٦١١ ، ولسان العرب ، جـ١٣ ، ص٣٩٤ .
(٦) انظر : زاد المسير في علم التفسير ، جـ ١ ، ص ٤٨٦ .
(٧) انظر : التفسير الكبير ، جـ ٩ ، ص ٦١ .
(٨) اللين والرفق ، ص ٧ – ٨ .
(٩) سورة آل عمران ، جزء من الآية (١٥٩) .
(١٠) سورة التوبة ، الآية (١٢٨) .
(١١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨١ .

وبين ﷺ أن الرفق زين للأمور فقال : " إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ، ولا ينزع من شيء إلا شانه " (١) .

وأخبر عن محبة الله الرفق ، واتصافه سبحانه به فقال " يا عائشة ، إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطي على الرفق ، مالا يعطي على العنف ومالا يعطي على ما سواه " (٢) .

ودعا ﷺ لمن ولي شيئا من أمر أمته فرفق بهم حيث قال : " اللهم من ولي شيئا من أمر أمتي فرفق بهم فارفق به .. " (٣) .

وبين ﷺ أن الحرمان من الرفق حرمان من الخير حيث قال : " من يحرم الرفق يحرم الخير " (٤) .

قال القاضي عياض – رحمه الله – قوله : " من يحرم الرفق يحرم الخير " دل أن الرفق خير كله ، ودليل على فضله ، لأنه سبب كل خير ، وجالب كل نفع ، بضد الخرق والعنف ، قال الله تعالى : ﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ (٥) ، وقد ذكر في الحديث الآخر أن الله يعطي على الرفق مالا يعطي على العنف ، أي يتأتى به من الأغراض ، ويسهل من المطالب به مالا يتأتى بغيره " (٦) .

وقال الإمام القرطبي – رحمه الله – في قوله ﷺ : " إن الله رفيق يحب الرفق أي يأمر به ، ويحض عليه ...

وقوله : " ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف " ....

معناه : إن الله تعالى يعطي عليه في الدنيا من الثناء الجميل ، وفي الآخرة من الثواب الجزيل مالا يعطي على العنف الجائز ، وبيان هذا بأن يكون أمرًا من الأمور سوّغ الشرع أن يتوصل إليه بالرفق وبالعنف ، فسلوك طريق الرفق أولى لما يحصل عليه من الثناء على فاعله بحسن الخلق ، ولما

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠٤ ، حـ ٢٥٩٤ .
(٢) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ ، حـ ٢٥٩٣ .
(٣) سبق تخريجه ص ٣٢٥ .
(٤) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الرفق ، جـ ٤ ، ص ٢٠٠٣، حـ ٢٥٩٢
(٥) سورة آل عمران ، جزء من الآية (١٥٩) .
(٦) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٨ ، ص ٦٤ .

يترتب عليه من حسن الأعمال ، وكمال منفعتها ، ولهذا أشار بقوله " ما كان الرفق في شيء إلا زانه " وضده الخرق والاستعجال ، وهو مفسد للأعمال ، وموجب لسوء الأحدوثة ، وهو المعبر عنه بقوله : " ولا نُزع من شيء إلا شانه " أي عابه وكان له شينا ، وأما الخرق والعنف : فمفوّتان مصالح الدنيا وقد يفضيان إلى تفويت ثواب الآخرة ولذلك قال ﷺ " من يحرم الرفق يحرم الخير " أي : يفضي ذلك به إلى أن يحرم خير الدنيا والآخرة " (١) .

وبهذه الأدلة تتبيّن أهمية أسلوب الرفق ، واستخدام الرسول ﷺ له وحثّه عليه .

يقول شيخنا الدكتور فضل إلهي : " فحريّ بالداعية أن يكون رفيقا في دعوته كي يحظى بإرادة الله الخير له ، ويجد عونه سبحانه وتعالى وعطاءه ، وتحقق دعوته – بفضل الله – بالرفق ثمرات لا تحقق بغيره " (٢) .

وإذا كنت أيها الداعية ترغب في كثرة الثواب فالزم الرفق في أمرك كله لكي يألفك الناس ، ويستفيدوا من دعوتك وتوجيهك ، ولاتخرج عن الرفق واللين إلا في الحالات التي تقتضي ذلك ؛ مثل التمادي على الباطل ، والتعرض لأموال الناس وأعراضهم ، وإظهار الجراءة على الله بفعل ما نهى عنه مع العلم بحرمته . والله أعلم .

ب – الشدة :

وهي نقيض اللين والرفق قال في القاموس : " الشدة بالكسر اسم من الاشتداد " (٣) .

وقال في اللسان : " الشدة : الصلابة ، وهي نقيض اللين " " والتشديد خلاف التخفيف " (٤) .

وقد استخدم رسول الله ﷺ الشدة أحيانا ، وقد تعرضت لأمثلة من ذلك في مراعاة أحوال المدعوين وبينت أن الأصل في دعوته ﷺ اللين والرفق

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٦ ، ص ٥٧٧ – ٥٧٨ .
(٢) اللين والرفق ، ص ١٦ .
(٣) القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص ٣٠٥ .
(٤) لسان العرب ، جـ ٣ ، ص ٢٣٢ .

وقد يخرج عنه إذا اقتضت الحال ذلك [١] .

ومن أمثلة ذلك اشتداده في جواب من سأل عن أمر لا ينبغي السؤال عنه ، وألح في طلب الجواب ففي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال خطبنا رسول ﷺ فقال : " إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا " فقال رجل أكلَّ عام يارسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال رسول الله ﷺ " لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم " ثم قال " ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ... " [٢] .

والأمثلة التي استخدم رسول الله ﷺ فيها الشدة مثل الشفاعة في الحد التي قال فيها لأسامة - رضي الله عنه - " أتشفع في حد من حدود الله ؟ " [٣] .

ومثل اشتداده على الذين يتركون الجمعة بتهديدهم " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " [٤] .

وهذه الأمثلة تؤكد أن الحكمة في الدعوة قد تقتضي - أحيانا - استخدام الشدة . قال الشيخ الدكتور فضل إلهي : " إذا ظهر عناد أو استخفاف أو استهزاء بالدعوة فعلى الداعية أن يختار الأسلوب المناسب لمعالجته ، ولايقتصر على الدعوة بالرفق واللين " [٥] .

ويقول الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد " .. إن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تعني اللين واللطف والسماحة والتنازل ، حتى تتحول هذه الألفاظ إلى معاني الذل والهوان ، والضعف والجبن ، الحكمة لين في وقت اللين فحسب ، وشدة في وقت الشدة فحسب ، أما أن تكون لينا في موضع الشدة ، فهذا ليس بحكمة ، وإنما هو ضعف وذل وهوان ، أو أن تكون الحكمة الشدة في موضع اللين ، فهذا صلف وحماقة واعتداء وتجاوز " [٦] .

---

(١) انظر ص ٣٦٣ - ٣٦٧ من هذا البحث .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ص ٨٠ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٣ .
(٥) اللين والرفق ، ص ٣٩ .
(٦) الحكمة في الدعوة إلى الله ، ص ٣٤ .

جـ - التلميح :

وهو خلاف التصريح ولعل اشتقاقه من لمح النظر وهو اختلاسه ، أو من لمعان البرق [١] ؛ لأن المتكلم حين يجانب التصريح بالأمر يلمح إليه بقدر مَا يَفهمه ذوو الفطنة أو من لهم علاقة بمضمون الخطاب ، وقد كان رسول الله ﷺ لحكمته وحسن خلقه يتجنّب في خطابه العام مايؤدي إلى صَدم النفوس وإحراجها فيستعمل التعريض ، وينص على الأمور التي لا يرتضيها من غير ذكر لأسماء من صدرت منهم " فليست العبرة بمعرفة الأشخاص ، إنما بمعرفة الحادثة ، والتنبه لها ، والحذر من الوقوع فيها " [٢] .

يقول الدكتور أبوالمجد : " وأسلوب الدعوة كذلك لا يصدم نفسا ، ولا يمس إحساسا إذا ماأراد إصلاح أمر أخطأ فيه البعض مثلا ، وكثيرا ما استعمل الرسول ﷺ هذا الأسلوب كقوله عليه السلام منكرا على معاذ بن جبل عندما أطال الصلاة بالمسلمين ولكن دون أن يذكر اسمه : " أيها الناس إنكم منفرون فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة [٣] " [٤] .

وفي خطبه ﷺ استعمل هذا الأسلوب بكثرة ومن أمثلته الخطبة التي كان سببها قول ابن اللتبيه " هذا لكم وهذا أهدي لي " فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم ، وهذا أهدي لي ، افلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه حتى يَنظُر أيهدى إليه أم لا ؟! " [٥] .

وقد تضمن هذا الخطاب توبيخا لهذا العامل على فعله ، ولكنه ﷺ لم يذكر اسمه ، بل اكتفى بالنص على فعله ليحذره السامعون . يقول فؤاد الشلهوب في هذا المعنى : " غالبا مّا يكون التوبيخ له أثر في نفس الموبّخ ، ويعظم هذا الأثر إن كان التوبيخ بحضور جماعة من الناس ، فإنه حينئذ يتضاعف والنبي ﷺ كان له طريقة فريدة من نوعها في معالجة الأخطاء

---

(١) انظر : القاموس المحيط ، مادة لمح ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ ، ولسان العرب ، جـ ٢ ، ص ٥٨٤ .
(٢) التربية النبوية ، ص ١٢٨ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٣ .
(٤) الدعوة إلى الله ، خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها ، ص ١٩٦ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩١ .

الظاهرة التي تحدث من صحابته ، إذ كان يشهر بالخطأ ويذمه ، ولايشهر بصاحب الخطأ ، إذ أن الغاية من تشهيره ﷺ بالخطأ ليس التشفي من المخطئ بل هو تحذير من الوقوع في الخطأ ، وذم للخطأ نفسه " [١] .

ومن أمثلته أيضا قوله مشيرا إلى عبدالله بن أبي ابن سلول " من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهل بيتي " [٢] .

وقوله منكرا اشتراط الولاء مع أخذ الثمن " فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله ، ما كان من شرط ليس في كتاب الله عز وجل فهو باطل " [٣] .

د – التصريح :

وهو خلاف التعريض والكناية [٤] ، وتبيين الأمر [٥] ، فيقال : صرح بما في نفسه إذا أبانه [٦] ، وأذهب عنه احتمالات التأويل والمجاز .

والقول الصريح هو الذي لا يفتقر إلى إظهار أو تأويل [٧] .

وقد كان الرسول ﷺ يكني عن بعض الأمور ويصرح أحيانا إذا اقتضت الحكمة التصريح ، ولم يكن فيه ما يؤذي السامعين ، أو يخدش كرامتهم ، ودعت إليه الحاجة لتوضيح مضمون الخطاب .

١ = من أمثلة ذلك قوله ﷺ في الخطبة التي أعلن فيها عدم رضاه بزواج علي – رضي الله عنه – من ابنت أبي جهل على فاطمة – رضي الله عنها – حيث قال " إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب فلا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ... " [٨] .

---

(١) المعلم الأول ﷺ قدوة لكل معلم ومعلمة ، ص ٥٧ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٨ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٥ .
(٤) انظر القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص ٢٣٤ .
ولسان العرب ، جـ ٢ ، ص٥٠٩ .
(٥) القاموس المحيط ، المرجع نفسه .
(٦) أساس البلاغة ، ص ٢٥٢ .
والمصباح المنير ١٧٦ .
(٧) انظر : المرجع السابق .
(٨) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٦ .

ولعل هذه الواقعة العينية كانت السبب في تصريحه ﷺ بأن بني هشام ابن المغيرة هم الذين استأذنوه ولا شك أن هذا التصريح الذي جاء على خلاف الغالب [١] في خطاباته ﷺ كان لحكم اقتضته .

ومن أهمها من وجهة نظري ما يلي :

١ - أن الواقعة مسألة عينية ؛ لأن الرسول ﷺ بين خصوصية هذا الحكم بفاطمة - رضي الله عنها - حيث قال : " وإني لست أحرم حلالا ، ولا أحل حراما ولكن والله لا تجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبدا " [٢] .

وقد سبق أن ذكرت أن إنكار الأفعال دون ذكر أصحابها من فوائده التعميم ، وتحذير جميع الأمة من ذلك الفعل .

٢ - ليكون التعليل الذي من أجله لم يقبل الرسول ﷺ هذا الأمر واضحا للمخاطبين ؛ إذ لو قال لهم " والله لاتجتمع بنت رسول الله ﷺ وبنت عدو الله أبدا " قبل أن يذكر المستأذِنين لوقع الناس في حيرة وتساؤل من عدوّ الله ؟ .

٣ - أن الرسول ﷺ ذكرهم بخير حيث بين أنهم استأذنوه ، والاستئذان في هذه الأمور من علامة إيمان فاعله وقد سبق بيان إسلام هؤلاء المستأذنين -رضي الله عنهم- [٣] .

٤ - قطع الاحتمال في هذه المسألة ، فلا اجتماع لبنت رسول ﷺ وبنت أبي جهل أبدا في عصمة رجل واحد .

ب - من أمثلة هذا النوع أيضا الخطبة التي اختص بها الأنصار -رضي الله عنهم- حيث قال : " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي " [٤] ، وهذا التخصيص لا شك أنه من مقتضيات الحكمة ، التي أمره الله تعالى أن يدعو إلى سبيله بها [٥] ،

---

(١) الغالب أن يقول ﷺ في مثل هذا النوع " إن قوما استأذنوني " أو إن ناسا " .
(٢) من نص الخطبة التي سبقت الإشارة إليها ، ص ٩٦ .
(٣) انظر : ص ٩٦ من هذا البحث .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .
(٥) في قوله عز وجل ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .

ومن أهم حكم هذا التنصيص ما يلي :

١ - كان الخطاب بسبب موجدة الأنصار - ﷺ - حيث لم يعطهم من غنائم حنين ، ولذلك ثبت أنه استفسرهم هل فيهم أحد من غيرهم ؟ (١) .

٢ - كان النداء متضمنا لتشريفهم حيث ناداهم باسمهم الذي عرفوا به في الإسلام لأنهم نصروا رسول الله ﷺ .

جـ - من الأمثلة التي صرّح رسول الله ﷺ فيها بالاسم قوله : " وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغنى والخير فيهم عمرو بن تغلب " وقد نَصّ عليه هنا لأنّه ذكره بخير يفرح بسماعه كما يدل عليه قوله - ﷺ - " فوالله ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ﷺ حمر النعم " (٢) .

هـ - التكرار :

وهو الإعادة مرة بعد أخرى (٣) ، وقد سبق في سمات الخطب الإشارة إليه (٤) ، وذكرت الحديث الذي بين فيه الراوي أن الرسول ﷺ كان إذا أتىعلى قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثا ، إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا حتى تفهم عنه (٥) .

قال الشيخ عبدالفتاح أبو غدّه " وكان يكرّر حديثه تأكيدا لمضمونه وتنبيها للمخاطب على أهميته ، وليفهمه السامع ويتقنه " (٦) .

وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب التكرار في خطبه لترسيخ بعض المعاني في نفوس المدعوّين ، وإثارة انتباههم .

أ - من أمثلة ذلك قوله في آخر الخطبة التي حدثهم فيها عن الجسّاسة والدجال ، وأن الدجال أخبر عن نفسه أن مكة وطيبة محرّمتان عليه " .. وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها " .

---

(١) جاء في صحيح البخاري أنه دعاهم فقال : " هل فيكم أحد من غيركم " قالوا : لا إلا ابن أخت لنا فقال رسول الله " ابن أخت القوم منهم " ، صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب ابن أخت القوم منهم ، جـ ٤ ، ص ٥٢٠ ، حـ ٣٥٢٨ .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ١٠٠ .

(٣) انظر القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ١٢٥ .

(٤) انظر ص ١٠٥ .

(٥) سبق تخريجه في ص ١٠٤ .

(٦) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، ص ١٦٨ .

قالت فاطمة بنت قيس . قال رسول الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر " هذه طيبة ، هذه طيبة ، هذه طيبة " ثم قال : " ألا إنه في بحر الشام ، أو بحر اليمن ، لا بل من قبل المشرق ، ما هو من قبل المشرق ، ما هو من قبل المشرق ما هو " (١) .

وهذا التكرير لتأكيد مضمون الجملة ، ولإثارة الانتباه لاستيعاب القصة والاهتمام بها وقوله ﷺ " ما هو من قبل المشرق " قال القاضي عياض : " ليست " ما " هنا للنفي إنما يريد إثبات كونه من جهة المشرق و " ما " هنا زائدة لصلة الكلام " (٢) .

وأشار الأبي إلى انتقاله ﷺ عن مضمون الخبر الأول بأنه في بحر الشام أو بحر اليمن حيث قال " .. ثم إنه نفى ذلك وأضرب عنه بالتحقيق فقال : لا بل من قبل المشرق ثم أكَّدَ ذلك بما الزائدة وبتكرار اللفظ .. " (٣) .

والتكرار الذي كان من عادته ﷺ أسلوب من أساليب الحكمة لأنه يرسخ المعاني ، ويبعد عن النفوس النفرة من الوعظ .

قال الزمخشري في هذا المعنى : " فإن قلت ما فائدة التثنية والتكرير ؟ قلت : النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة ، فمالم يكرر عليها عودا من بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ، ومن ثم كانت عادة الرسول ﷺ أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه في قلوبهم ، ويغرسه في صدورهم " (٤) .

ب – من أمثلة هذا النوع أيضا قوله : في الخطبة التي حذر فيها من الغلول " لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء .. " (٥) .

ففي هذه الخطبة كرّرَ رسولُ الله ﷺ جملة " لا ألفين أحدكم يجيء يوم على رقبته .. " ست مرات بعدد الأصناف التي يمكن أن تغل ، في إشعار بهول الأمر وخطورته ، وتحذير منه .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٢) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٨ ، ص ٥٠٢ .
(٣) إكمال إكمال المعلم ، جـ ٤٠٦/٩ .
(٤) الكشاف عن حقائق التنزيل ، جـ ٣ ، ص ٣٩٥ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٢ .

جـ - الخطبة التي بين فيها الرسول ﷺ حرمة الدماء والأموال حيث كرر منها ما يدل على تحريم الدماء والأموال فخطب بها في عرفة ، ويوم النحر قال في الأولى : " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا " .

وقال في الثانية : " فإن دماءكم وأموالكم . قال محمد وأحسبه قال - وأعراضكم عليكم حرام .. " (١) .

واستخدامه ﷺ لأسلوب التكرار في الأحاديث كثير منه قوله وهو يدعو على الذين تستعبدهم الدنيا وينشغلون بها عن الآخرة " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم ، وعبد الخميصة : إن أعطي رضي ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش " (٢) .

يقول الشيخ عثمان قدري معلقا على هذا الحديث : " إنها جمل فعلية ذات أسلوب خبري ، لكن الغرض البلاغي منها الدعاء بالتعاسة والخسران على هؤلاء الذين اتبعوا شهواتهم ، ويذيّلها رسول الله ﷺ بالتعليق العميق الأثر في نفوس المسلمين ، فهو يدعو عليهم بالتعاسة والانتكاس في كل ما يفعلون ، حتى إذا أصابت أحدهم شوكة صغيرة فلا خرجت من جسده ، فكأنه يدعو عليهم بالألم الدائم والإرهاق ؛ لرضاهم بالحياة الدنيا دون الآخرة " (٣) .

و - الاستفهام :

وهو لغة طلب الإفهام - من الفهم وهو العلم (٤) .

والاستفهام أسلوب إنشائي مرن ، يتصرف به البلغاء في فنون التعبير ، تعجبا ، أو استحسانا ، أو تشويقا وإثارة ، وقد يخرج البليغ بالاستفهام عن مدلوله الأصلي إلى التقرير أو التوبيخ ، ونحو ذلك " والرسول الكريم ﷺ يتخذ من الاستفهام بابا واسعا لتقرير المعاني ، ولزيادة الإيضاح ، فكم جاء

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٢) صحيح البخاري ، كتاب الجهاد والسير ، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ ، حـ ٢٨٨٧ .
(٣) التربية النبوية ، ص ١٣٥ .
(٤) انظر القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ١٦١ .

استفهامه تشويقا للسامع ، وقسرا لانتباهه ، أو استدراجا وتقريرا ليصل عن طريق الاقتناع بخطأ أو صواب ، أو غيرها من الجوانب ... " (١) .

وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الاستفهام في خطبه وأحاديثه لأغراض كثيرة ستتضح عندما أتعرض لنماذج من الخطب المشتملة عليه :

أ – في خطبته ﷺ على الصفا حيث قال " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بهذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي " (٢) .

ويتضح من هذا الاستفهام أن الرسول ﷺ كان يريد أن يأخذ إقرارهم بصدقه ، ويستدرجهم ؛ ليقيسوا ويفكروا بعقولهم ؛ لأن من عادته الصدق ، ولم يجرب عليه أيُّ كذب ، يجب أن يصدق في كل ما يخبر به .

ب – ومن الأمثلة التي استخدم فيها رسول الله ﷺ الاستفهام للتشويق وإثارة الانتباه قوله في خطبة الوداع : " أي شهر هذا ؟ فقال الصحابة –رضي الله عنهم– " قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه – قال " أليس ذو الحجة ؟ " قلنا بلى . قال : " فأي بلد هذا ؟ " قلنا الله ورسوله أعلم . فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه قال " أليس البلدة ؟ "قلنا بلى . قال " فأي يوم هذا ؟ " قلنا الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : " أليس يوم النحر ؟ " قلنا بلى " (٣) .

قال القاضي عياض " وقوله عليه السلام لهم " أي شهر هذا " وسكوته " مشعر " بأنه كان سؤال على طريق التقرير والاستنصات ، وقولهم " الله ورسوله أعلم " صرف للجواب إليه ؛ لعلمهم أنه لم يجهل ما سأل عنه ، ولا طلب منهم جوابه بالحقيقة بل تقريرهم كما يورده عليهم " (٤) .

وقال الأبي – رحمه الله – " هو منه ﷺ استحضارا لفهمهم وتنبيها لغفلتهم ، حتى يقبلوا بكليتهم إليه ، ويستشعروا عظم مايلقيه بعد " (٥) .

---

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص ٣٦١ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٤ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٥ .
(٤) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٥ ، ص ٤٨٣ .
(٥) " إكمال إكمال المعلم " جـ ٦ ، ص ١٢٠ .

ويقول الدكتور عز الدين السيد معلقا على هذا الحديث " أما هذا الحديث فنراه أعظم تصعيداً للشعور ، وإحضارا للرهبة بالمقدّمة المصوّرة لما لا يدرك الصحابة من استدارة الزمان كهيئته في تاريخ ما قبل التاريخ ، وذكر أمور بالتحديد كان العرب يخالفونها بالأهواء من تحريم الشهور وتحليلها ، حتى لم يستطع الصحابة أن يردُّوا على السؤال بما يعلمون ؛ لما دخل في نفوسهم من الشكّ في معلوماتهم في مقام بلغت فيه انفعالات الرسول ﷺ مسارب عاقت لسانه الكريم عن ملاحقة القول ، ففصل بسكتات طوال بين أجزائه ، ودار تأمله فيما يشاهد دوْرات يبدو في وجهه ونبْر صوته وقعُها ، والمخاطب في مثل هذه التجربة يصل إلى أعلى ما لديه من الإشفاق والانتظار والتوجس بحيث يرتبط بكل قواه بالمتكلم المسيطر على حسه " (١) .

جـ – وقد استخدم الرسول ﷺ الاستفهام لغرض التوبيخ والإنكار مثل قوله محذرا من أخذ العامل هدية " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم ؟ وهذا أهدي لي ، أفلا قعد في بيت أبيه ، أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟! " (٢) .

ففي هذا الحديث بين الرسول ﷺ خطر أخذ العامل هدية ، مبينا على طريق الاستفهام التوبيخي أن العامل الذي ادعى أن الهدايا التي نالها لا علاقة لها بالمال العام ينبغي له أن يقارن بين حالتين يكون في إحداهما جالسا في بيت أبيه ، أو بيت أمه ، والحالة الثانية حيث يكون عاملا على جباية الصدقة والرسول ﷺ لا ينتظر الجواب من هذا العامل الذي وقع في الخطأ ، وإنما يريد إنكار الأمر الذي وقع فيه ليتجنبه كل عامل في أمر عام من أمور المسلمين ، واشتد في هذا الإنكار " لأن ما يتعلق به الإنكار ليس حادثا يرتبط بفرد ، وإنما يتعلق بأمر عام يحفظ سلوك ولاة الأمور في الرعية ، ويحفظ مال المسلمين من غلول الخَائنين ، ولهذا جمع الصحابة وخطبهم ، فلم يحدث فردا معينا ، بل تحدث عن فرد شائع ، ليعم الحكم كل من ولي عملا للأمة " (٣) .

---

(١) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص ٣٦٤ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩١ .
(٣) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص ٣٧٤ .

د – وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب الاستفهام استعطافا واسترضاء للأنصار – ﷺ – حيث قال في خطبة وجّهها إليهم خاصة " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي " كلما قال شيئا قالوا الله ورسوله أمن " .... إلى أن قال : " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار .. " [١] .

ففي قوله ﷺ : " ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير " إثارة لعواطف الأنصار – ﷺ – وقد روى أنهم قالوا في جوابه ﷺ " رضينا عن الله ورسوله " [٢] .

قال ابن حجر – رحمه الله – مبينا فوائد هذا الحديث . " فيه المعاتبة واستعطاف المعاتب ، وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه ، والاعتذار والاعتراف " [٣] .

ز – القِدْوَة :

– بتثليث القاف [٤] ، أو بالضم والكسر [٥] ، والضم أكثر– ما يتسنّ ويقتدى به ، واقتدى بفلان فعل مثل فعله [٦] ، وبمعناها الأسوة والقدة كعدة [٧] .

" والقدوة الحسنة : هي المثال الواقعي للسلوك الخلقي الأمثل " [٨] ، وهي من أهم أساليب الدعوة إلى الله ، وأعمقها أثرا في النفوس ، وهي عامل أساسي في إصلاح الموجَّهين وإقناعهم بالأفكار التي يوجّهون إليها [٩] .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .
(٢) نقله ابن حجر عن سليمان التيمي في مغازيه ، فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٦٤٨ .
(٣) فتح الباري ، جـ ٧ ، ص ٦٤٩ ، حـ ٤٣٣٠ .
(٤) انظر : القاموس المحيط ، جـ ٤ ، ص ٣٧٦ . وأساس البلاغة ص ٣٥٨ .
(٥) انظر : لسان العرب ، جـ ١٥ ، ص ١٧١ . والمصباح المنير ، ص ٢٥٥ .
(٦) المصباح المنير المرجع أعلاه .
(٧) انظر لسان العرب ، جـ ١٥ ، ص ١٧١
(٨) الإقناع في التربية الإسلامية ، ص ٧٧ .
(٩) انظر الإقناع ، المرجع السابق ، ص ٧٦ ، وانظر القدوة على طريق الدعوة ، ص ٢٧ .

يقول الشيخ عبدالفتاح أبوغدة : " وكان من أهم وأعظم وأبرز أساليبه ﷺ في التعليم العمل والتخلق بالسيرة الحسنة والخلق العظيم ، فكان ﷺ إذا أمر بشئ عمل به أولا ثم تأسى به الناس وعملوا كما رأوه ... " (١) .

وقال الدكتور علي جريشه : " ولقد كانت حياة رسول الله ﷺ مجموعة من المثل والقيم والمبادئ في كل اتجاه ، في حياته العامة إماما وقائدا ، وفي حياته الخاصة زوجا وأبا وعائلا ... " (٢) .

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاقتداء بالمهتدين من رسله حيث قال سبحانه – بعد ذكر جمع من الرسل – ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٣) .

وأمره وأمته أمرا ضمنيا بالاقتداء بإبراهيم عليه السلام والذين معه ، في البراءة من أهل الشرك فقال سبحانه ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾ (٤) .

ووجه الله المؤمنين باتخاذ محمد ﷺ قدوة وأسوة قال عز وجل : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (٥) .

وفي خطبه ﷺ وأحاديثه أدلة كثيرة على اهتمامه بتوجيه أمته بالقدوة وإقناعهم بها ومن الشواهد الدالة على ذلك .

أ – قوله : ﷺ في خطبة " وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " (٦) .

قال القرطبي : " وقوله : " لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها " إخبار عن مقدر يفيد القطع بأمر محقق ، وهو وجوب إقامة الحد على

---

(١) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، ص ٦٤ .
(٢) مناهج الدعوة وأساليبها ، ص ١٦٨ .
(٣) سورة الأنعام ، جزء من الآية (٩٠) .
(٤) سورة الممتحنة ، جزء من الآية (٤١) .
(٥) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٠ .

البعيد والقريب ، والبغيض والحبيب لا تنفع في ذرية شفاعة ، ولا تحول دونه قرابة ولاجماعة " (١) .

ويقول الدكتور عز الدين علي السيد : معلقا على هذا الحديث " ومن المعلوم في الحديث بناء الأمر على أداة الشرط الدالة على الافتراض ، وقد يلمس القارئ أن الانفعال قد بلغ ذروته حين نطقه الكريم بهذه العبارة ، وأنها بلغت حدّا جازما فاصلا ، يخرس كل شفيع أحمق إلى يوم القيامة " (٢) .

وإذا كان الرسول الله ﷺ يقسم بالله مؤكدا أنه لن يحابي أحدا في إقامة حد أوجبه الله حتى ولو كانت فاطمة – رضي الله عنها – التي قال عنها رسول الله ﷺ في خطبة أخرى " فإنما ابنتي بضعة مني ، يريبني مارابها ، ويؤذيني ما آذاها " وفي رواية " إن فاطمة مني " (٣) . فإن جميع أهل الإسلام يجب أن يقتنعوا بأن إقامة الحدود ليست فيها محاباة ، والناس أمام شرع الله سواء وخلاف هذا الأمر يؤدي إلى الهلاك لا محالة ' إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " (٤) .

ب – قوله ﷺ في خطبة حجة الوداع " ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أضعه من دمائنا دم ابن ربيعة ابن الحارث ، وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب ، فإنّه موضوع كله " (٥) .

فقوله ﷺ : " وإن أول دم أضعه من دمائنا دم بن ربيعة " وربيعة هو ابن الحارث بن عبدالمطلب فهو ابن عم رسول الله ﷺ وقد قتل ابنه قبل الإسلام فبدأ رسول الله ﷺ بوضعه ليكون قدوة لغيره من أهل الإسلام قال الأبي : " وإنما بدأ في الوضع بأهل بيته لأنه أمكن في قلوب الناس " (٦) .

وقوله ﷺ : " وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا أضعه ربانا ربا عباس بن عبدالمطلب فإنه موضوع كله " .

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٥ ، ص ٧٩ .
(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص ١٠٧ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٦ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٠ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٧٨ .
(٦) إكمال إكمال المعلم ، جـ ٤ ، ص ٢٥٦ .

وهذا أصرح في طلب الاقتداء قال القرطبي : " بدأ ﷺ بربا العباس لخصوصيته بالنبي ليقتدي الناس به قولا وفعلا ، فيضعون عن غرمائهم ما كان من ذلك . " (١) .

وقال النووي في شرحه لهذا الحديث فيه " أن الإمام وغيره ممن يأمر بمعروف أو ينهي عن منكر ينبغي أن يبدأ بنفسه وأهله فهو أقرب إلى قبول قوله وإلى طيب نفس من قرب عهده بالإسلام " (٢) .

جـ - قوله ﷺ في خطبة : " بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبرو أتقى لله منهم ، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ، ولولا أن معي الهدي لأحللت " (٣) .

وفي رواية : " أهللنا مع رسول الله ﷺ بالحج فلما قدمنا مكة أمرنا أن نحل ونجعلها عمرة فكبر ذلك علينا ، وضاقت به صدورنا فبلغ ذلك النبي ﷺ " (٤) .

قال الأبيّ - رحمه الله - قوله " فكبر ذلك علينا " قلت إنه شق عليهم أن يّحلوا ويبقى هو محرما ، وما كانوا ليرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، مع ماكانوا عليه من كمال التأسي ... " (٥) .

وقال النووي - رحمه الله - " ومعناه ما يمنعني من موافقتكم فيما أمرتكم به إلا سوقي الهدي ولولاه لوافقتكم .. " (٦) .

د - قوله ﷺ في خطبة : " من سن في الإسلام سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء " (٧) .

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٣ ، ص ٣٣٣ .
(٢) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٨ ، ص ١٨٢ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .
(٤) صحيح مسلم كتاب الحج ، باب بيان وجوه الإحرام ، جـ ٢ ، ص ٨٨٤ ، حـ ١٢١٦/١٤٢ .
(٥) إكمال إكمال المعلم ، جـ ٤ ، ص ٢٣٩ - ٢٤٠ .
(٦) شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ، جـ ٨ ، ص ١٤٤ .
(٧) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٩ .

قال القرطبي " أي من فعل فعلا جميلا فاقتدي به فيه ، وكذلك إذا فعل قبيحا فاقتدي به فيه .

ويفيد الترغيب في الخير المتكرر أجره سبب الاقتداء والتحزير من الشر المتكرر إثمه بسبب الاقتداء " (١) .

وقال عبدالرحمن الميداني : " وإنما كان لصاحب السنة الحسنة أجرها وأجر من عمل بها بعده – مع أنه ليس للإنسان إلا ما سعى – لأن لسبقه إلى فعل الخير تأثيرا في اقتداء الآخرين به ، ويتحقق له مثل أجرهم إذا قصد أن يكون لهم قدوة ، وعند ذلك يكون اقتداؤهم به من آثار كسبه ، أو أن كسبه قد ساهم فيه ، وبذلك يكون للعاملين أجورهم الخاصة ، ويكون لمن سن السنة أجر السبق إلى فعل الخير ، الذي جعل منه قدوة حسنه لهم (٢) .

ووجه رسول الله ﷺ أمته إلى الإقتداء به وأخذ الأحكام العملية فقال " وصلوا كما رأيتموني أصلي " (٣) .

وقال ﷺ : " لتأخذوا عني مناسككم " (٤) .

وإذا صاحب العمل القولَ كان التأثر به أسرع ، والاستجابة له أقوى ، ولذلك كانت أم سلمة – رضي الله عنها – مصيبة حين أشارت إلى النبي ﷺ عام الحديبية أن ينحر بدنه ويدعو حَالقه – لمَا تباطأ المسلمون في الاستجابة لأمره إياهم بالحلق والتحلل ونحر ما لديهم من هدي ، ولما عمل رسول الله ﷺ برأيها سارع الناس إلى فعل ما أمرهم به (٥) .

وقد شنع الله ورسوله على من يقول مالا يفعل ، قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ (٦) .

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، جـ ٣ ، ص ٦٣ .
(٢) روائع من أقوال الرسول ﷺ ، ص ٢٧ – ٢٨ .
(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأذان ، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة والإقامة وكذلك بعرفة وجمع ، جـ ١ ، ص ١٩٤ ، حـ ٦٣١ .
(٤) سبق تخريجه في ص ٢٠٥ .
(٥) سبق تخريجه في ص ٤٢ .
(٦) سورة الصف ، الأيتان (٢ – ٣) .

وقال تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ﴾ (١) .

وبين رسول الله سوء عاقبة من يأمر الناس بالمعروف ولايأتيه ، وينهاهم عن المنكر ويأتيه فعن أسامة بن زيد – ﷺ – قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق (٢) أقتاب (٣) بطنه فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ؟ فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه " (٤) .

وقد جعل عبدالرحمن الميداني التحلي بالفضائل والقيام بتطبيق ما يعظ الناس به شرطا في القيام بواجب الأمر والنهي حيث قال معدّدا الشروط الأساسية للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر : " ثالثا أن يتحلى بالفضائل الخلقية ، ويقوم في نفسه بتطبيق ما يعظ الناس به ، ويجعل من نفسه قدوة حسنة بالتزامه شريعة الله ، وبعده عما حرم وسبقه إلى كل فضيلة وتنافسه في كل عمل مبرور " (٥) .

ولعله يقصد أنه شرط كمال ، لا شرط وجوب ، لأن العلماء بينوا أن وجوب الأمر بالمعروف لا يسقطه عدم القيام به كما لايسقط وجوب النهي عن المنكر عدم الانتهاء عنه .

قال الأبي – رحمه الله – معلقا على قوله : " كنت آمر بالمعروف ولا آتيه وأنهى عن المنكر وآتيه " " قلت قد علمت أنه ليس من شرط الأمر بالمعروف أن يعمل الآمر بذلك المعروف ، ولا من شرط النهي عن المنكر

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٤٤) .

(٢) فتندلق " الاندلاق خروج الشيء من مكانه ، وكل شيء ندر خارجا فقد اندلق " . إكمال إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٨ ، ص ٥٣٩ .

(٣) الأقتاب : الأمعاء واحدها قتب بالكسر ، انظر : النهاية ، جـ ٤ ، ص ١١ .

(٤) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب بدء الخلق ، باب صفة النار وأنها مخلوقة ، جـ ٤ ، ص ٤٣٠ ، حـ ٣٢٦٧ .
وصحيح مسلم ، كتاب الزهد والرقائق ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله ، وينهي عن المنكر ويفعله ، جـ ٤ ، ص ٢٢٩١ ، حـ ١٩٨٩ ، واللفظ لمسلم .

(٥) روائع من أقوال الرسول ﷺ ، ص ١٦٤ .

أن يكف الناهي عن ذلك المنكر بل يأمر وإن لم يمتثل ، وينهى وإن لم ينته " [١] .

وقال السنوسي [٢] : " إنما عذب على كونه لم يعمل بما علمه من الأمر والنهي ، وأما أمره بالمعروف ، ونهيه عن المنكر وإن لم يمتثل هو فذلك واجب أداء وطاعة يستحق الثواب عليها ؛ إذ لا يشترط عند أهل السنة في الأمر بالمعروف أن يعمل بذلك المعروف ، ولامن من شرط النهي عن المنكر عندهم أن ينكف الناهي عن ذلك المنكر ، بل يجب عليه أن يأمر إن لم يمتثل وينهى وإن لم ينته " [٣] .

(١) إكمال إكمال المعلم ، جـ ٩ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .
(٢) هو : أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي ، التلمساني ، أحد أعيان علماء المالكية في عصره ، له مؤلفات منها شرح مختصرات عرفه وله شرح على صحيح مسلم : مكمل إكمال الإكمال ، توفي سنة ٨٩٥ ، انظر : ترجمته في شجرة النور الزكية ، حـ ٢٦٦ .
(٣) مكمل إكمال الإكمال ، جـ ٩ ، ص ٤٥٦ - ٤٥٧ .

المطلب الثاني

الموعظة الحسنة

١ – الموعظة لغة :

اسم مصدر من وعظ ، والوعظ ذكر ما يلين القلوب من الثواب والعقاب [١] .

وهو أيضا النصح والتذكير بالعواقب [٢] ، والزجر المقترن بالتخويف ، والتّذكير بالخير فيما يرق له القلب [٣] ، والأمر بالطاعة والوصية بها [٤] .

وأما الحسنة فهي صفة للموعظة ، وهي مؤنث الحسن .

٢ – الموعظة الحسنة اصطلاحا :

قال السعدي – رحمه الله – هي : " الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب ، إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها ، والنواهي من المضارّ وتعْدادها ، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله ، وإهانة من لم يقم به ، وإما بذكر ما أعد الله للطائعين ، من الثواب العاجل والآجل ، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل " [٥] .

وقال سيد قطب – رحمه الله – هي " التي تدخل إلى القلوب برفق ، وتتعمق المشاعر بلطف ، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب ، ولا بفضح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نية " [٦] .

وقال عبدالرحمن الميداني : " هي النصح بالفعل أو بالترك المقرون بما

---

(١) انظر : القاموس المحيط ، جـ ٢ ، ص ٤٠٠ .
وانظر : لسان العرب ، جـ ٧ ، ص ٤٦٦ .
(٢) انظر : المرجع السابق .
(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن ، ص ٥٢٧ .
(٤) انظر : المصباح المنير ، ص ٣٤٣ .
(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٤٠٤ .
(٦) في ظلال القرآن ، جـ ٤ ، ص ٢٢٠٢ .

يثير الرغبة أو الرهبة في النفس ، للانتفاع بالنصح ، واتباع ما هدى إليه فعلا أو تركا " [١] .

وأوضح هذه التعريفات تعريف الشيخ السعدي لها بأنها الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب " ويؤكده قول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي – رحمه الله – " فإن قيل يكثر في القرآن إطلاق الوعظ على الأوامر والنواهي كقوله : – في سورة النحل – ﴿ يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ مع أنه ما ذكر إلا الأمر والنهي في قوله : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءى ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ [٢] .

فالجواب – أن ضابط الوعظ : هو الكلام الذي تلين له القلوب ، وأعظم ما تلين له قلوب العقلاء أوامر ربهم ونَواهيه ؛ فإنهم إذا سمعوا الأمر خافوا من سخط الله في عدم امتثاله ، وطمعوا فيما عند الله من الثواب في امتثاله . وإذا سمعوا النهي خافوا من سخط الله في عدم اجتنابه ، وطمعوا فيما عنده من الثواب في اجتنابه ، فحداهم حادي الخوف والطمع إلى الإمتثال ، فلانت قلوبهم للطاعة خوفا وطمعا " [٣] .

وفي ضوء هذه التعريفات يتضح لك أن الموعظة الحسنة تشمل الترغيب والترهيب وهما الركنان الأساسيان فيها [٤] ، كما تشمل القصة لأنها في الغالب بيانٌ وذكرٌ لإكرام من قام بدين الله ، أو إهانة لمن خالفه وأعرض عنه [٥] .

وفيما يلي سأعرض لبيان هذه الأساليب باعتبارها ركائز الموعظة الحسنة :

أ – الترغيب :

١ – الترغيب لغة : مصدر رغّبه في الشيء إذا جعله مريدا له [٦] ،

---

(١) فقه الدعوة إلى الله ، جـ ١ ، ص ٦٠٨ ، عبدالرحمن حسن الميداني .
(٢) سورة النحل ، الآية (٩٠) .
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، جـ ٣ ، ص ٣٤٩ – ٣٥٠ باختصار .
(٤) انظر : فقه الدعوة إلى الله ، جـ ١ ، ص ٦٣١ – ٦٣٢ .
(٥) وقد قال الشيخ السعدي – رحمه الله – في توضيحه لمعنى الموعظة " .. وإما بذكر إكرام من قام بدين الله ، وإهانة من لم يقم به " .
(٦) انظر القاموس المحيط ، جـ ١ ، مرجع سابق ، ص ، والمصباح المنير ، ص ١٢١ .

حريصا عليه طامعا فيه [١] .

٢ – الترغيب في اصطلاح علماء الدعوة :

يقول الدكتور عبدالكريم زيدان .. " كل ما يشوق المدعوّ إلى الاستجابة وقبول الحق ، والثبات عليه " [٢] .

وقال عبدالرحمن الميداني : الترغيب " يكون ببيان العاقبة الحميدة التي ترغب فيها النفوس ، لمن استجاب لما دعت إليه الموعظة الحسنة " [٣] .

وفي ضوء هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية يتبين لنا أن الترغيب يكون بإثارة أسباب الإرادة والحرص والشوق إلى ما تحمد عقباه في الدنيا والآخرة في نفوس المدعوّين . والله أعلم .

٣ – أمثلة من الخطب تشتمل على الترغيب :

وقد اشتملت خطبه ﷺ على أسلوب الترغيب ، وفيما يلي شواهد على ذلك :

أ – قوله ﷺ في خطبةٍ مرغبا في العمل بكتاب الله ، واتّباع هدي محمد ﷺ " أما بعد فإنَّ خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ " [٤] .

قال القاضي : " .. أي إن أحسن الطريق ، طريق محمد ﷺ يقال فلان حسن الهدي ، أي المذهب في الأمور كلها والسيرة " [٥] . ولا يخفى أن وصف الشيء بكونه أحسن الأشياء يتضمن الترغيب فيه ، وقد قال ﷺ في خطبة أخرى " عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ " [٦] .

ب – قوله ﷺ في خطبة أيضا مرغبا في التقوى والصدقة ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما

---

(١) انظر لسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٢٢ .
(٢) أصول الدعوة ، ص ٤٣٧ .
(٣) فقه الدعوة، جـ ١ ، ص ٦٣١ .
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٨ .
(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٣ ، ص ٢٦٩ .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ٩٠ .

رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ [١] . والآية التي في الحشر ﴿ اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدّمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ﴾ [٢] . تصدق رجل من دينارِه ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع برّه ، من صاع تمره – حتى قال " ولو بشق تمرة " ثم قال في آخرها " من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء " [٣] .

وفي هذه الخطبة ترغيب في الصدقة وحض عليها ففي قوله ﷺ " تصدق رجل من دينارِه " خبر بمعنى الأمر أي ليتصدق [٤] .

وفي قوله " ولو بشق تمرة " تحريض على الصدقة ، وأنه لا يستحقر منها شيئاً [٥] .

وفي قوله : " من سن في الإسلام سنة " الحض على البداءة بالخير [٦] .

قال الميداني معلقا على قوله ﷺ في هذه الخطبة : " تصدق رجل من دينارِه ، من درهمه ، من ثوبه ، من صاع بره ... " " إنه لإيجاز رائع ، أرشد وحث وبلغ الغاية ، فتسابق المسلمون إلى تلبية دعوة الرسول هذه ، فكان أسبقهم رجل من الأنصار جاء بصُرَّةٍ كبيرة عجزت كفه عن متابعة حملها " [٧] .

جـ – وقال أيضا في خطبة مرغبا في العدل ، والعفة والرحمة بعباد الله " وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق ، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم ، وعفيف متعفف ذو عيال " [٨] .

تضمنت هذه الكلمات على وجازتها الترغيب في العدل لأن صاحبه من

---

(١) سورة النساء – الآية (١) .
(٢) سورة الحشر ، جزء من الآية (١٨) .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٩ .
(٤) انظر : إكمال إكمال المعلم ، جـ ٣ ، ص ٤٨٢ ، ومكمل إكمال الإكمال ، جـ ٣ ، ص ٤٨٢ .
(٥) انظر : إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٣ ، ص ٥٣٩ .
(٦) انظر : إكمال إكمال المعلم ، جـ ٣ ، ص ٤٨٣ ، ومكمل الإكمال بهامشه نفس المرجع .
(٧) روائع من أقوال الرسول ﷺ ، ص ٢٧ .
(٨) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٢ .

أهل الجنة ، ويكفي ذلك مرغبا وحافزا لمن وفقه الله للإيمان قال الله تعالى : ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ (١) .

ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله " إمام عادل " (٢) .

والترغيب في الصدقة وقد سبق بيان ذلك في التمهيد (٣) ، وفيه أيضا ترغيب في العفة ، والرحمة بعباد الله وقد تحدثت عنهما أيضا في موضوعات الخطب (٤) .

٤ – أهمية أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله :

من الغرائز الفطرية في جميع بني آدم حبهم لذواتهم ورغبتهم فيما ينفعهم في العاجل والآجل (٥) ، ولكنهم يختلفون ويتفاوتون في التصديق بحصول المنافع ، فالمؤمنون بالله ورسله يصدقون بوعد الله ويوقنون بالجزاء الذي يُعدّه لمن أطاعه ، وإن تفاوتوا في قوة اليقين ، وأما الكفار الذين غلبت عليهم الشقاوةُ ، ولم يوفقهم الله للإيمان فإنهم يغلبون المنافع الحاضرة ؛ ولذا يُعرضون على النار يوم القيامة ويقال لهم ﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ (٦) .

وتظهر أهمية الترغيب في الدعوة إلى الله في النقاط التالية :

١– عهد الله إلى آدم وذريته باعتبارهم خلفاءه في أرضه بما يتضمن الترغيب قال تعالى ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ (٧) .

يقول ابن كثير – رحمه الله – في تفسير هذه الآية " يقول تعالى مخبرا عما أنذر به آدم وزوجته ، وإبليس حين أهبطهم من الجنة ، والمراد الذرية ،

---

(١) سورة آل عمران ، جزء من الآية (١٨٥) .
(٢) سبق تخريجه ، ص ٥٦ .
(٣) انظر : ص ٥٩ – ٦٠ من هذا البحث .
(٤) انظر : ص ٢٣٦ – ٢٤٢ من هذا البحث .
(٥) انظر : الدعوة إلى الله تعالى – خصائصها ، مقوماتها ، ص ١٩٢ .
(٦) سورة الأحقاف ، جزء من الآية (٢٠) .
(٧) سورة البقرة ، الآية (٣٨) .

أنه سينزل الكتب ويبعث الأنبياء والرسل كما قال أبو العالية [١] : ﴿ فمن تبع هداي ﴾ أي من أقبل على ما أنزلت به الكتب وأرسلت به الرسل ﴿ فلا خوف عليهم ﴾ أي فما يستقبلونه من أمر الآخرة ﴿ ولاهم يحزنوون ﴾ على ما فاتهم من أمور الدنيا .. " [٢] .

٢ – الترغيب من أهم ما بعث الله الرسل من أجله ، قال تعالى ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ [٣] .

يقول سيد قطب – رحمه الله – : " فالرسول بشر يرسله الله ليبشر وينذر ، وهنا تنتهي وظيفته ، وتبدأ استجابة البشر ، ويمضي قدر الله ومشيئته من خلال هذه الاستجابة ، وينتهي الأمر بالجزاء الإلهي وفق هذه الاستجابة . فمن آمن وعمل صالحا يتمثل فيه الإيمان ، فلا خوف عليه مما سيأتي ولا هو يحزن على ما أسلف . فهناك المغفرة على ما أسلف ، والثواب على ما أصلح . " [٤] .

وقال تعالى بعد ذكر جمع من الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ [٥] .

٣ – الترغيب من أساليب دعوة الرسل جميعا ، قال تعالى في بيان حوار الرسل مع أقوامهم ﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ [٦] .

قال السعدي – رحمه الله – ﴿ يدعوكم ﴾ إلى منافعكم ومصالحكم ﴿ ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ﴾ أي ليثيبكم على

---

(١) هو : رفيع بن مهران الإمام المقرئ ، الحافظ المفسر ، أبو العالية الرياحي البصري أدرك زمان النبي ﷺ وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر – ﷺ – ودخل عليه ، وسمع من عمر ، وعلي ، وأبي بن كعب ، وأبي ذر وابن مسعود ، وعائشة كان من حفظة القرآن ، أخذه عن أبي ، وزيد وابن عباس وكان ابن عباس يرفعه لعلمه ، قيل كان من أعلم الناس بالقرآن بعد الصحابة ، توفي سنة ٩٣هـ على الصحيح انظر : ترجمته في الطبقات الكبرى ، جـ ٧ ، ص ١١٢ – ١١٧ ، والتاريخ الكبير جـ ٣ ، ص ٣٢٦ ، والسير ، جـ ٤ ، ص ٢٠٧ – ٢٠٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ١ ، ص١٢، باختصار بسيط .

(٣) سورة الأنعام ، جزء من الآية (٤٨) .

(٤) في ظلال القرآن ، جـ ٢ ، ص ١٠٩٣ .

(٥) سورة النساء ، الآية (١٦٥) .

(٦) سورة إبراهيم ، جزء من الآية (١٠) .

الاستجابة لدعوته ، بالثواب العاجل والآجل ، فلم يدْعُكم لينتفع بعبادتكم ، بل النفع عائد إليكم " [١] .

وبين لنا القرآن الكريم تفاصيل دعوتهم أقوامهم بأسلوب الترغيب فنوح عليه السلام يقول الله عنه في دعوته قومه ﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ﴾ [٢] .

وفي هود عليه السلام يقول الله تعالى ﴿ وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ﴾ [٣] .

وعن صالح عليه السلام يقول الله تعالى ﴿ يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب ﴾ [٤] .

وقال ﴿ ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ﴾ [٥] .

وعن لوط عليه السلام ﴿ إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين ﴾ [٦] .

وعن شعيب عليه السلام ﴿ بقيّت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ [٧] .

وعن موسى عليه السلام ﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ﴾ [٨] .

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص ٣٧٦ .
(٢) سورة نوح ، من الآية (١٠ - ١٢) .
(٣) سورة هود ، الآية (٥٢) .
(٤) سورة هود ، الآية (٦١) .
(٥) سورة النمل ، الآية (٤٦) .
(٦) سورة الشعراء ، من الآية (١٦١ - ١٦٢) .
(٧) سورة هود ، الآية (٨٦) .
(٨) سورة الأعراف ، الآية (١٢٨) .

﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴾ (١) .

وفي هذه النصوص ما يؤكد استخدام أسلوب الترغيب في الدعوة إلى الله لأن الله تعالى خاطب نبينا محمداً ﷺ بقوله جل وعلا ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ (٢) .

وخاطب امة محمد ﷺ بقوله : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ (٣) .

٤ – الترغيب من مهام رسولنا محمد ﷺ :

قال الله تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾ (٤) .

يقول السعدي – رحمه الله – " يخبر تعالى ، أنه ما أرسل رسوله ﷺ ، إلا ليبشر جميع الناس بثواب الله ، ويخبرهم بالأعمال الموجبة لذلك ، وينذرهم عقاب الله ، ويخبرهم بالأعمال الموجبة له " (٥) .

وهذه الآية واضحة في الدلالة في أن التبشير والإنذار وظيفتان من وظائفه ﷺ ، وحمل جمع من المفسرين التبشير هنا على أنه بالجنة لمن آمن ، والإنذار على أنه التخويف من النار لمن كفر (٦) ، ومعلوم أن ثمرات الإيمان التي يبشر الله بها عباده المؤمنين كثيرة وغير محصورة منها الجنة ومنها رضوانه سبحانه ، والنظر إلى وجهه الكريم .

٥ – كثرة وروده في كلام الله سبحانه ، وكلام رسوله ﷺ وأمثلة الترغيب في كتاب الله ، وسنة رسوله كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ (٧) .

وقوله تعالى ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ (٨) .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٢٩) .
(٢) سورة الأنعام ، جزء من الآية (٩٠) .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية (٢١) .
(٤) سورة سبأ ، جزء من الآية (٢٨) .
(٥) تيسير الكريم الرحمن ، ص ٦٢٦ .
(٦) انظر : تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٧٠٥ ، وفتح القدير ، جـ ٤ ، ص ٣٢٨ .
(٧) سورة الزلزلة ، الآية (٧) .
(٨) سورة الأنعام ، جزء من الآية (١٦٠) .

وقوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ... ﴾ (١) .

وقوله تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ﴾ (٢) .

وقد تقدمت نماذج من الآيات الدالة على استخدام الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لأسلوب الترغيب في دعوة أقوامهم .

وأما السنة فمن أجلى أساليبه ﷺ في التعليم الترغيب في الخير الذي يدعو إليه ، والترهيب عن الشر الذي يحذر منه ، فكان ﷺ يرغب في الخير بذكر ثوابه والتنبيه على منافعه ، ويرهب عن الشر بذكر عقابه والتنبيه على مساويه " (٣) .

وقد تقدمت نماذج من خطبه ﷺ مشتملة على الترغيب .

وأحاديث الترغيب والترهيب كثيرة أفردها بعض العلماء بالتأليف من أشهرهم الحافظ عبدالعظيم (٤) المنذري – رحمه الله – .

٦ – في الترغيب إثارة لغريزة حب الذات الكامنة في نفس كل إنسان ومما يؤكد أهميته أنه يثير ويوجه الشعور الداخلي الفطري ، الكامن في النفس المقتضي حب الخير والنفع ، ومن ثم تتوجه إرادة المدعو إلى ما يقتضيه هذا من سلوك مناسب ، يحقق تلك الرغبات النفسية (٥) .

وفي هذا المعنى يقول الدكتور أبو المجد : " وهو أسلوب يراعى حال النفس البشرية القائمة على غريزة حب الذات ، وقد عرف الإنسان بأنه محب لما ينفعه ، مبغض لما يضره ، لأنه يحب ذاته .. فلو أنه المربي ركز على أن

---

(١) سورة فصلت ، الآية (٣٠) .
(٢) سورة الأحقاف ، الآية (١٣) .
(٣) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ، ص ١٩٣ .
(٤) هو : عبدالعظيم بن عبدالقوي الإمام العلامة الحافظ المحقق ، شيخ الإسلام زكي الدين أبو محمد المنذري ، ولد سنة (٥٨١) وسمع من يونس بن يحيى الهاشمي ، وعلي بن المفضل والإمام موفق الدين بن قدامة . وعنه أبو الحسين اليونيني ، وابن دقيق العيد والحسين بن أسد بن الأثير وغيرهم ، توفي سنة ٦٥٦ ، انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٣ ، ص ٣١٩ – ٣٢٤ ، وشذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ٢٧٥ – ٢٧٦ .
(٥) انظر : فقه الدعوة إلى الله – عبدالرحمن حسن حبنكة ، الميداني ، جـ ١ ، ص ٦٣٣ ، والإقناع في التربية الإسلامية – سالم سعيد مسفر بن حيار ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

هذه الغريزة ، وساق للإنسان الأدلة على نجاته في الدنيا والآخرة وعلى شقائه في الأولى والآخرة لو فعل الشر لأصاب المحز وسار على الطريقة التربوية الصحيحة .. " (١) .

ب – أسلوب الترهيب :

١ – الترهيب لغة :

الرهبة في اللغة الخوف (٢) أوْ مع تَحرُّز واضطراب (٣) .

ويقال : " أرهبته ، ورهبته ، واسترهبته أزعجت نفسه بالإخافة " (٤) .

والرتهيب مصدر من الفعل " رهّب " لأن التفعيل قياسي في فعَّلَ (٥) .

٢ – الترهيب : اصطلاحا :

قال الدكتور عبدالكريم زيدان " ونقصد بالترهيب كل ما يخيف ويحذر المدْعوَّ من عدم الاستجابة أو رفض الحق ، أو عدم الثبات عليه بعد قبوله " (٦) .

وقيل هو " وعيد وتهديد بعقوبة تترتَّبُ على اقتراف إثم ، أو ذنب مما نهى الله عنه ، أو على التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به ، أو هو تهديد من الله يقصد به تخويف عباده ، وإظهار صفة من صفات الجبروت ، والعظمة الإلهية ، ليكون دائما على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي " (٧) .

وفي ضوء هذه التعريفات يتضح لك أن الترهيب هو " التخويف بسوء العاقبة في الدنيا والآخرة " .

٣ – نماذج من الخطب استخدم فيها الرسول ﷺ الترهيب :

أ – قوله ﷺ في خطبة محذرا من أخذ العمال هدية أو رشوة . " والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئا إلا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه بعير له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر " (٨) .

---

(١) الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها ، ص١٩٢ .
(٢) انظر : القاموس المحيط ، جـ ١ ، ص٧٦ ، ولسان العرب ، جـ ١ ، ص ٤٣٦ ، والمصباح المنير ص ١٢٦ .
(٣) انظر المفردات في غريب القرآن ، ص ٢٠٤ .
(٤) أساس البلاغة للإمام الزمخشري ، ص ١٨١ .
(٥) انظر : شرح بن عقيل ، جـ ٢ ، ص ١٢٨ .
(٦) أصول الدعوة ، ص ٤٣٧ .
(٧) الاقناع في التربية الإسلامية ، ص ١٢٥ .
(٨) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩١ .

ولا يخفى ما تشتمل عليه هذه الخطبة من ترهيب حيث بين فيها الرسول ﷺ سوء عاقبة من يأخذ الهدية ، وفضيحته في الآخرة ، وأقسم بالله مؤكدا هذه الحقيقة المزعجة المرعبة لذوي القلوب الحية ﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ (١) .

ب – قوله ﷺ في الترهيب من الغلول " لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك " (٢) .

قال القاضي عياض – رحمه الله – " وفي الحديث تعظيم أمر الغلول والعقوبة عليه ، ولاخلاف أنه من الكبائر " (٣) .

وقال الأبي " وفيه شهرة المستترين بالمعاصي في الآخرة وكشفهم على رؤوس الناس بحملهم على رؤوسهم ما اختانوا به وتستروا به في الدنيا " (٤) .

جـ قوله في الترهيب من ترك الجمعة : " لينتهين أقوام عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين " (٥) .

وقد تعرضت في سمات الخطب لخطورة هذا الوعيد (٦) ، وكذلك في الموضوعات (٧) .

٤ – أهمية الترهيب في الدعوة إلى الله وعلاقته بالترغيب :

الترهيب والترغيب يشتركان في إثارة الغرائز الكامنة في النفس البشرية فالترهيب يُثير غريزة الخوف من المكاره ، والترغيب يثير غريزة حب الخير والذات – كما سبقت الإشارة إلى ذلك (٨) .

---

(١) سورة الكهف ، جزء من الآية (١٧) .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٢ .
(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم ، جـ ٦ ، ص ٢٣٣ .
(٤) إكمال إكمال المعلم ، جـ ٦ ، ص ٥١٨ .
(٥) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٣ .
(٦) ص ١١٠ – ١١١ .
(٧) ص ٢٠٤ .
(٨) انظر الدعوة إلى الله خصائصها ١٩٢ ، وفقه الدعوة إلى الله ، ص ٦٣٣ . والإقناع في التربية الإسلامية ، ص ١٢٤ – ١٢٥ .

والاتزان في الرغبة والرهبة محمود بدليل قوله تعالى في الثناء على بعض أنبيائه ﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين ﴾ (١) .

والداعية الحكيم ينبغي أن لا يجعل كلامه كله ترهيبا وإنذارا وتخويفا لأن ذلك قد يؤدي إلى تقنيط المدعوين ، ويأسهم ، وكذلك يجب أن لا تكون موعظته كلها تبشيرا وترغيبا لأن ذلك قد يؤدي إلى الجراءة وضعف الخوف في النفوس .

وإذا تأملنا النصوص القرآنية ، والنبوية اتضح لنا أن البشارة والنذارة قل أن يفترقا ، كما أنه يندر أن يأتي ذكر العقاب ، إلا وجاء بعده ذكر الثواب ولأجل هذا الترابط جعلهما بعض علماء الدعوة أسلوبا واحدا (٢) ، ونص البعض على أنهما لا يفترقان .

قال الشيخ عبدالفتاح أبو غدة – رحمه الله – " وكان يجمع في أحاديثه بين الترغيب حينا ، والترهيب حينا آخر ، وما كان يقتصر على الترهيب فيؤدي إلى التنفير ، ولا على الترغيب فيؤدي إلى الكسل وترك العمل " (٣) .

وعلى هذا فإن النقاط التي ذكرتها في أهمية الترغيب في الدعوة إلى الله تدل على أهمية الترهيب ، لأنهما متلازمان في جميع تلك النقاط التي ذكرتها :

١ – فهو في العهد الذي أخذه الله على آدم وذريته حيث أخبرهم سبحانه أن من كفر منهم فهو خالد في النار قال تعالى ﴿ والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ (٤) .

٢ – وهو أيضا إحدى المهمات التي بعث بها الرسل قال تعالى ﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ (٥) .

---

(١) سورة الأنبياء ، جزء من الآية (٩٠) .
(٢) انظر الدعوة إلى الله خصائصها ، مقوماتها ، مناهجها ، ص ١٩٢ .
(٣) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ، ص ١٩٣ .
(٤) سورة البقرة ، الآية (٣٩) .
(٥) سورة الأنعام ، جزء من الآية (٤٨) .

٣ – الترهيب والتخويف من أساليب جميع رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال تعالى ﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إني لكم نذير مبين ﴾ (١) .

٤ – الترهيب أيضا من مهام رسولنا محمد ﷺ ، قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ﴾ (٢) .

٥ – كثرة وروده في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ (٣) .

وقال تعالى ﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ﴾ (٤) .

وقال تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾ (٥) .

ومن السنة قوله ﷺ " والله لو تعلمون ما أعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا " (٦) .

٦ – في الترهيب إثارة لغريزة كامنة في نفس كل إنسان وهي كراهة الضرر .

يقول عبدالرحمن حسن الميداني في هذا المعنى : " وسياسة الترهيب الذي هو أحد ركني الموعظة الحسنة ، تدور في محور حول هذا الموجه الداخلي الذاتي ، وهو (الخوف) وهي المسؤولة عن اختيار الوسيلة التي تؤثر فيه تأثيرا إيجابيا نافعا ، لإثارته وتهييجه حتى يقوم بتوجيه الإرادة لاختيار السلوك الذى يضبط النفس ، ويكفها ويبعدها عن التوجه أو الاقتراب من الموقع الذي يخشى أن يكون فيه تحقيق ما نفرت منه " (٧) .

---

(١) سورة نوح ، الآيتان (١ – ٢) .
(٢) سورة سبأ ، جزء من الآية (٢٨) .
(٣) سورة الأنعام ، جزء من الآية (١٩) .
(٤) سورة الأنعام ، الآية (٥١) .
(٥) سورة طه ، الآية (١٢٤) .
(٦) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٦٧ .
(٧) فقه الدعوة إلى الله ، جـ ١ ، ص ٦٣٣ .

وغريزة كراهة الوقوع في المكاره قد تعارضها غريزة أخرى فتتغلب عليها كغريزة حب النفع العاجل ، أو الغضب ، وهذه الدوافع الفطرية لا تكون متزنة إلا بالترهيب والترغيب فالناس دائما في حاجة إلى التعاهد بالموعظة الحسنة .

جـ – القصة :

١ – معنى القصة في اللغة : الخبر وقص الخبر الإعلام به [١] ، وتطلق على الأمر والحديث [٢] ، ومايكتب [٣] ، والجملة من الكلام [٤] ، واقتصّ الحديث رواه على وجهه [٥] .

معنى القصة اصطلاحا :

تعدّدت تعريفات القصة بتعدّد اختصاص المعرفين لها من أدباء وعلماء ومربين أعرض فيما يلي لبعض تلك التعريفات :

أ – القصة الأدبية وعرفت بأنها " حكاية نثرية طويلة ، تستمد من الخيال أو الواقع أو منهما معا ، وتبنى على قواعد معيّنةٍ من الفن الكتابي " [٦] .

ب – القصة الإسلامية قيل هي " القصة التي يعبر بها القاصّ عن واقع الكون والحياة والإنسان – في ماضيه وحاضره – .. تعبيرا ينطلق من التصوّر الإسلامي " [٧] .

---

(١) انظر : " القاموس المحيط " ، جـ ٢ ، ص ٣١٣ .
و " لسان العرب " ، جـ ٧ ، ص ٧٤ .
(٢) انظر : " لسان العرب " جـ ٧ ، ص ٧٤ .
و " مختار الصحاح " ، ص ٥٣٨ ، والمصباح المنير ، ص ٢١٦ ، والمعجم الوسيط ، ص ٧٤٠ .
(٣) انظر : " لسان العرب " ، جـ ٧ ، ص ٧٤ ، ومختار الصحاح ، ص٥٣٨ والمعجم الوسيط ، المرجع نفسه ، ص ٧٤٠ .
(٤) المعجم الوسيط ، ص ٧٤٠ .
(٥) انظر : مختار الصحاح ، ص ٥٣٨ ، والمصباح المنير ، ص ٢٦١ .
(٦) المعجم الوسيط ، ص ٧٤٠ .
(٧) خصائص القصة الإسلامية ، ص ١٧٣ .

جـ – القصة القرآنية : و " قصص القرآن إخباره عن أحوال الأمم الماضية ، والنبوات السابقة والحوادث الواقعة " (١) .

د – القصة النبوية لا تختلف كثيرا عن القصة القرآنية لأن الكل وحي من الله ولم أجد من أفردها بالتعريف ، والذي أعنيه في هذا البحث بالقصة ، " الخبر المشتمل على إخبار بوقائع جرت لمن سبق من الأنبياء أو أممهم ، أو ستحدث في المستقبل تساق للعبرة والموعظة " .

وفي ضوء ما تقدّم من تعريفات يتضح أن القصة الإسلامية تختلف عن القصة الأدبية ، اختلافا جذريا لأن القصة الأدبية قد تكون مستمدّة من الخيال ، بخلاف القصة الإسلامية ، فإنها تستَمدُّ من الواقع ، وتمتاز القصة القرآنية بكونها يقينية قطعية فيما تدل عليه ، وكذلك المتواتر من القصص النبوي ، بل والصحيح الثابت يجب على كل مسلم أن يصدق بمدلوله لأنه وحي من الله على لسان رسوله ﷺ ، قال تعالى ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ (٢) .

٣ – أمثلة من القصص في الخطب والأحاديث النبوية : –

إن رسول الله ﷺ كان يذكر أصحابه – ﷺ – بأخبار الماضين وقد أمره الله سبحانه بذلك فقال ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ (٣) .

ومما يدل على اهتمامه بإيراد القصص للاعتبار وللتدليل على صدق ما يخبر به عليه الصلاة والسلام :

أ – ما ثبت في صحيح مسلم من حديث فاطمة بنت قيس – رضي الله عنها – قالت سمعت منادي رسول الله ﷺ ينادي الصلاةَ جامعةً فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت في صف النساء التي تلي ظهور القوم فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال " ليلزم كل إنسان مصلاه " ثم قال " أتدرون لم جمعتكم ؟ " قالوا الله ورسوله أعلم ، قال " إنى والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة ، ولكن جمعتكم لأن تميما

(١) مباحث في علوم القرآن ، الشيخ مناع القطان ، ص ٣٠٦ .
(٢) سورة النجم ، الآيتان (٣ – ٤) .
(٣) سورة الأعراف ، جزء من الآية (١٧٦) .

الداري كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال ، حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام ، فلعب بهم الموج شهرا في البحر ، ثم أرفؤا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ... " وذكر الجساسة والدجال – وفي آخرها قال ﷺ " ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟ " فقال الناس نعم – فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه – يعني الدجال – وعن المدينة ومكة " (١) .

وثبت في الصحيحين من حديث عبدالله بن زمعة – رضي الله عنه – أنه سمع رسول الله ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر فقال رسول الله ﷺ " إذ انبعث أشقاها " انبعث له رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة " (٢) .

جـ – من ذلك أيضا قوله ﷺ في خطبة " أما بعد فإنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد " (٣) .

د – وأحاديث القصص كثيرة منها ما ثبت في الصحيح عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ أن رجلا زار أخا له في قرية أخرى ، فأرصد الله له على مدرجته (٤) ملكا فلما أتى عليه قال أين تريد ؟ قال أريد أخا لي في هذه القرية . قال هل لك من نعمة تربُّها ؟ (٥) . قال لا ، غير أني أحببته في الله عز وجل قال فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه " (٦) .

٤ – أهمية أسلوب القصة في الدعوة إلى الله تعتبر القصة ذات أهمية بالغة لما تشتمل عليه من عبر وعظات تساق إلى أسماع المدعوين بصفة غير مباشرة ، تزيد القلوب نشاطا وأريحية إلى الاقتداء بمن أنعم الله عليهم من أهل الايمان والطاعة ، وإحجاما وتقاصرا عن اتباع سبل الضالين المنحرفين ، ومن هذا الوجه تتبين علاقة القصة بأسلوب الموعظة قال الله تعالى ﴿ لقد كان

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٢ .
(٣) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٨٠ .
(٤) المدرجة : الطريق يدرج فيها أي يمشى ، انظر النهاية ، جـ ٢ ، ص ١١١ .
(٥) تربّها : أي تحفظها وتراعيها مثل تربية الابن ، انظر النهاية ، جـ ٢ ، ص ١٨٠ .
(٦) صحيح مسلم ، كتاب البر والصلة ، باب فضل الحب في الله ، جـ ٤ ، ص١٩٨٨ ، حـ ٢٥٦٧ .

في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ [١] ، وقال تعالى ﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ [٢] .

وتبرز أهمية استخدام أسلوب القصة في النقاط التالية :

١ - إشباعها لغريزة حب التطلع لدى المدعوّين .

قال الأستاذ البهي الخولي : " فغريزة حب الاستطلاع تعلق عين السامع وأذنه .. وانتباهه بشفتي القصصي البارع استشرافا لمعرفة ما خفي من بقية الأنباء " [٣] .

وبهذا الاستعداد الفطري الكامن في نفس كل إنسان يجد الداعية فرصته لعرض القيم والمبادئ التي يريد إثباتها وترسيخها في نفوس المدعوين عن طريق الإخبار بما جرَى لمن أحسنوا العمل وساروا على الطريق المستقيم .

يقول الدكتور : طلعت محمد " وما من شك في أن إقبال الناس على القصص وتعلقهم بأحداثها يعمق مضامينها في نفوسهم ، ويمكنهم من الاستيعاب الجيد والتأثر بالأحداث " [٤] .

٢ - تصويرها للأمور النظرية حتى تتحوّل إلى مشاهد حسية :

يقول الشيخ مناع القطان " والموعظة الخطابية تسرد سردا لا يجمع العقل أطرافها ، ولا يعي جميع ما يلقى فيها ، ولكنها حين تأخذ صورة من واقع الحياة في أحداثها تتضح أهدافها ، ويرتاح المرء لسماعها ، ويصغي إليها بشوق ولهفة ، ويتأثر بما فيها من عبر وعظات " [٥] .

والتصوير بالقصة ذو أثر فعّال في النفس البشرية فهو " من أجمل أساليب التصوير وأعمقها أثرا في النفس ، ذلك أن النفس البشرية ميالة لسماع

---

(١) سورة يوسف ، الآية (١١١) .
(٢) سورة الأعراف ، جزء من الآية (١٧٦) .
(٣) تذكرة الدعاة ، ص ٤٥ .
(٤) مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية ، ص ٢١ .
(٥) مباحث في علوم القرآن ، الشيخ مناع القطان ، ص ٣٠٥ .

القصة ، تجد الأنس والمتعة في متابعة أحداثها وقد تجد فيها ما تريده أو ما تحياه فيترك ذلك فيها من التأثير والاستمتاع ما لا تبلغه وسيلة أخرى " (١) .

" وتتبع فكرتها من أجناس النفوس الكائنة الحية ، فلا تعالج أنماطا في عالم مجهول ، فإن جنحت إلى عالم غير منظور بنته على تباشير الحاضر الشاهد به ، فربطت بينهما بسببية تمنع الطفرة ، وبألفة تؤنس بالرحلة ، وهي في ذلك كله وفي غيره الوسيلة المشتهاة للنفس الطلقة ، والأسلوب الرائع المخدّر للوجدان " (٢) .

تمنع نفوس المدعوّين من الاضطراب ، وتشد انتباههم ؛لأنها " تصدر مقترنة بالزمان والمكان اللذين يغلفان الأحداث بإطار يمنع الذهن من التشتت وراء الأحداث " (٣) .

٣ - قوة تأثيرها في المدعوين :

يقول الشيخ عبدالفتاح أبو غدة - رحمه الله - " وكثيرا ما كان ﷺ يعلم أصحابه بطريق القصص والوقائع التي يحدثهم بها عن الأقوام الماضين ، فيكون لها في نفوس سامعيها أطيب الأثر ، وأفضل التوجيه ، وتحظى منهم بأوفى النشاط والانتباه ، وتقع على القلب والسمع أطيب ما تكون " (٤) .

وجزالة الألفاظ ، وجمال التنسيق في القصة النبوية يزيدان أثرها في النفوس (٥) .

والرسول ﷺ لم يكن إتيانه بقصص الماضين تسلية للسامعين ، بل للتفكر والاعتبار بأحوالهم وما جرى لهم ، وهكذا يجب على الدعاة أن ينهجوا هذا النهج عند استخدامهم هذا الأسلوب ؛ إذ " ليس الغرض أن ينظر الداعية إلى التاريخ نظرة المدرس الذي يجمع المعلومات جمعا علميا مرتبا ثم يقدمها لطلابه . وليس الغرض أن يتظرّف الداعية فيقص القصص للتسلية ولقطع الوقت في غير عناء ، - ودون غاية مقصودة - وإنما ينظر الداعية إلى

---

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص ٤٩٨ .
(٢) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية ، ص ٤٥٩ - ٤٦٠ .
(٣) " التربية النبوية " ، ص ١٤ .
(٤) الرسول المعلم وأساليبه في التعليم ، ص ١٩٤ .
(٥) انظر : من الخصائص البلاغية في السنة النبوية ، ص ٢٥٨ .

التاريخ على أنه مستودع لأخطاء الانسانية وصوابها وضلالها وهداها ، وما جنت في عواقبها من خير وشر ، ويأخذ من ذلك لموضوعه بمقدار " (١) .

٤ – ترسيخ العقائد وتقوية العزائم :

بين الرسول ﷺ في آخر قصة الجساسة الهدف الذي من أجله خطبهم بها فقال " الا هل كنت حدثتكم ذلك " فقال الناس نعم " فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت حدثتكم عنه –يعني الدجال– وعن المدينة ومكة " (٢).

قال الأبّيّ – رحمه الله – " قوله : " ألا هل كنت حدثتكم ذلك " قلت : انظر كيف هذا مع أن خبره ﷺ معلوم الصدق ، فكيف يؤكده بمحتمل ؟ والجواب أنهم ذكروا في أقسام القياس الخطاب والبرهان والجدل ، وغير ذلك من أقسامه وأشرفها البرهان ، ومع شرفه فإن الخطابة أنفع منه بالنسبة إلى بعض الناس كالأغبياء وهذا من ذلك الباب ، فإن ما استشهد به ﷺ بالنسبة إلى بعض الناس كحديث الإسلام ومن لم يعرف قواعد العلم فهذا أنفع فيه ، وأما بالنسبة إلى أبي بكر وعمر وأضرابهما فلا يفيد شيئا " (٣) .

ولما شكا الصحابة – ﷺ – إلى رسول الله ﷺ ما يلاقونه من أذى المشركين ، قص عليهم بعض ما كان يصيب أهل الإيمان من أذى ليقوّي عزائمهم ففي الصحيح أن خبابا – ﷺ – قال : " أتيت النبي ﷺ وهو متوسّد بردة وهو في ظل الكعبة – وقد لقينا من المشركين شدة – فقلت : ألا تدعو الله ؟ . فقعد وهو محمرٌّ وجهُه فقال : " لقد كان من قبلكم ليُمشط بمِشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، ويوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ، ما يصرفه ذلك عن دينه ، وليتمَّنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله " (٤) .

---

(١) تذكرة الدعاة ، ص ٣٦٣ ، باختصار بسيط .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٧٦ .

(٣) إكمال إكمال المعلم ، جـ ٩ ، ص ٤١٧ .

(٤) صحيح البخاري ، كتاب مناقب الأنصار ، باب مالقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ، جـ ٤ ، ص ٦١٦ ، حـ ٣٨٥٢ .

يقول الدكتور : طلعت عفيفي معلقا على هذا الحديث " .. كان النبي ﷺ يوجه أصحابه إلى استقراء التاريخ ، تاريخ الثابتين على الحق ، إذا أراد أن يقوي عزائمهم ، ويشد من أزرهم في مواجهة الصعاب " (١) .

٥ - سهولة الاستيعاب ، وعدم المواجهة بالنقد :

تمتاز القصة بموافقة الميل الفطري لدى الانسان في اكتشاف المجهول ، والبحث عن الوقائع ؛ ومن ثم كانت القصص سهلة الاستيعاب ، تعلق بأذهان السامعين ، ومما يؤكد ذلك أن الصحابية فاطمة بنت قيس - رضي الله عنها - سمعت قصة الجساسة من رسول الله ﷺ مرة واحدة فحفظتها مع طولها ، وما تشتمل عليه من مواقف متعدّدة ، وأشخاص لكل واحد منهم دوره في هذه القصة العظيمة (٢) التي صاغها رسول الله ﷺ بأسلوب رائع يشد الأسماع ويَأسر القلوب " .

ومما يزيد أسلوب القصة أهمية وتأثيرا على المخاطبين أنهم يستمعون إليه ، وهم بمعزل عن نفس الأخبار التي وقع فيها غيرهم ، فلم يشاركوا صاحب القصة في الآلام التي وقع فيها ، وهم في نفس الوقت مدعوون إلى الاعتبار بما جرى لغيرهم كما قال تعالى في بيان هلاك قوم لوط ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود مسوّمة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد ﴾ (٣) .

يقول الشيخ عبدالفتاح أبوغدة - رحمه الله - مبينا أثر القصة في نفوس المتعلمين " ... وتقع على القلب والسمع أطيب ما تكون ؛ إذ لا يواجه فيها المخاطب بأمر أو نهي ، وإنما هو الحديث عن غيره ، فتكون له منه العبرة والموعظة والقدوة والانتساء " (٤) .

٦ - مما يؤكد أهمية أسلوب القصة في الدعوة إلى الله أن القرآن الكريم جاءنا بالكثير من أخبار الأمم السابقة ، وكذلك الرسول ﷺ استخدم أسلوب القصة في الوعظ والتوجيه كثيرا وقد ذكرت أمثلة على ذلك من قبل .

---

(١) مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية ، ص ٢١ .
(٢) سبق تخريجها في نصوص الخطب ، ص ٧٦ .
(٣) سورة هود ، الآيتان (٨٢ - ٨٣) .
(٤) الرسول المعلم ﷺ وأساليبه في التعليم ، ص ١٩٤ .

٧ – سعة مجال القصة ؛ لأن الداعية قد يعظ بقصة شاهدها بنفسه أو وقعت له ، أو أخبر عنها من طرف الثقات ، أو استفادها من القراءة والمطالعة في أخبار السابقين ، ومما يجب التنبّه له في هذا المجال أن القصة التي تصاغ للعبرة ينبغي أن تكون واقعية لا خيالية ؛ لأن بعض الدعاة أحيانا يصوغون القصص للاعتبار دون تمحيص ، أو تأمل في مضمونها ومدلولها ، فيأتون بغرائب لايصدقها العقل ، فالتسديد والمقاربة في هذا الباب أمر يجب الالتزام به . والله أعلم .

المطلب الثالث

المجادلة بالحسنى

١ – معنى كلمة المجادلة لغة :

" الجيم والدال واللام أصل واحد ، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال يكون فيه ، وامتداد الخصومة ومراجعة الكلام " (١) .

وجَدله وجدَّله فانجدل وتجدّل صرعه على الجدالة وهي الأرض (٢) .

" والجدل محركة اللدَدُ في الخصومة ، والقدرة عليها ، جادله فهو جدلٌ ومِجْدَلٌ ومِجْدَالٌ " (٣) .

" والجدَل مقابلة الحجة بالحجة ، والمجادلة المناظرة والمخاصمة " (٤) .

" وجادله مجادلة وجدِالا ناقشه وخاصمه " (٥) .

٢ – معنى كلمة المجادلة اصطلاحا :

١ – عرف الجرجاني الجدال بأنه : " مراء يتعلق بإظهار المذاهب وتقريرها " (٦) .

وعرفه الفيومي بأنه " مقابلة الأدلة لظهور أرْجَحها " (٧) .

وعرفه الدكتور الحوشاني . بأنه " كلام أو ما يقوم مقامه – بين طرفين بحجج محكمة صائبة ، حسنة النظم والأداء ، يتفهم فيه كل طرف رأي صاحبه ، لإظهار الحق أو إلزام الخصم بتصويب رأي وإبطال مخالفه " (٨) .

---

(١) معجم مقاييس اللغة ، جـ ١ ، ص ٤٣٣ .
(٢) انظر : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٣٤ ، والقاموس المحيط جـ ٣ ، ص ٣٤٦ ، ولسان العرب ، جـ ١١ ، ص ١٠٤ .
(٣) القاموس المحيط ، جـ ٣ ، ص ٣٤٦ – ٣٤٧ ، وانظر لسان العرب ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .
(٤) لسان العرب لابن منظور ، جـ ١١ ، ص ١٠٥ .
(٥) المعجم الوسيط ، ص ١١١ .
(٦) التعريفات للجرجاني ، ص ٦٦ .
(٧) المصباح المنير ، ص ١٢٨ .
(٨) منهج ابن تيمية في الدعوة إلى الله ، جـ ٢ ، ص ٦٠٧ .

٣ – المجادلة أسلوب دعوي لا يختص بأصحاب العناد والصحيح أنها ليست منسوخة :

يرى بعض العلماء أن الدعوة إنما تكون بالحكمة ، أو بالموعظة الحسنة وليست المجادلة أسلوبا دعويا ؛ لأن اللجوء إليها يختصّ بحالة الدفاع . ورد الصائل وإبطال الشبه [١] .

والصحيح أن المجادلة بالتي هي أحسن أسلوب دعوي لا يتنافى مع القتال المأمور به ، ومن ثم فلا نسخ لإمكان الجمع [٢] .

" ومعلوم أن كلا منهما ينفع حيث لا ينفع الآخر وأن استعمالهما جميعا أبلغ (في) إظهار الهدى ودين الحق [٣] .

قال الدكتور البيانوني : " المجادلة بالحسنى أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله ، نص عليه القرآن الكريم وأمر به ، ويعدّ من أبرز أساليب المنهج العقلي ، ويمكن أن يعبر عنه (بالمناقشة ، والمناظرة ، والمحاورة) [٤] .

ومما يدل على أن المجادلة ليست خاصّة بالمعاندين الرافضين للحق قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ [٥] .

وثبت في الصحيح من حديث علي – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة بنت النبي عليها السلام ليلة ، فقال : " ألا تصليان " فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله ، فإذا شاء أن يبعثنا ، فانصرف حين قلنا ذلك ولم يرجع إلى شيئا ، ثم سمعته وهو مُوَلّ ، يضرب فخذه ، وهو يقول : ﴿ وكان الإنسان أكثر شيء جدلا [٦] ﴾ [٧] .

---

(١) انظر : فتح القدير ، جـ ٣ ، ص ٢٠٣ ، والمدخل إلى علم الدعوة ، ص ٢٦٤ ، ومنهج شيخ الإسلام بن تيمية في الدعوة إلى الله ، جـ ٢ ، ص ٥٦١ .
(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، جـ ١ ، ص ٦٧ .
(٣) المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٦٧ .
(٤) " المدخل إلى علم الدعوة " ، ص ٢٦٤ .
(٥) سورة المجادلة ، الآية (١) .
(٦) سورة الكهف ، الآية (٥٤) .
(٧) سبق تخريجه ، ص ٣٦٩ .

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – أصناف المحاوَرين المخاطبين بالمناظرة فقال : " .. المخاطب بالمناظرة إذا ناظره العالم المبين للحجة : إما أن يكون ممن يفهم الحق ويقبله ، فهذا إذا بيّن له الحق فهمه وقبله ، وإما أن يكون ممن لا يقبله إذا فهمه ، أو ليس له غرض في فهمه ، بل قصده مجرّدُ الردّ له ، فهذا إذا نوظر بالحجة انقطع وانكف شره عن الناس وعداوته ... وإما أن يكون الحق قد التبس عليه ، وأصل قصده الحق ، لكن يصعب عليه معرفته لضعف علمه بأدلة الحق ، مثل من يكون قليل العلم بالآثار النبوية الدالة على ما أخبر به من الحق ، أو لضعف عقله لكونه لا يمكن أن يفهم دقيق العلم ، أو لايفهمه إلا بعد عسر ، أو قد سمع من حجج الباطل ما اعتقد موجبَه وظن أنه لا جواب عنه ، فهذا إذا نوظر بالحجة أفاده ذلك إما معرفة بالحق ، وإما شكا وتوقفا في اعتقاده الباطل ، أو في اعتقاده صحة الدليل الذي استدل به عليه ، وبعث همته على النظر في الحق وطلبه ، إن كان له رغبة في ذلك " [1] .

والرسول ﷺ كانت رسالته عامة للناس فكان يخاطب أهل الكفر المعاندين من أميين ، وأهل كتاب ومنافقين ، وقد تعرضت لشواهد دعوة هؤلاء بتفصيل وبيّنت مراعاتَه ﷺ لأحوالهم ، وكان يخاطب أهل الإسلام وفيهم أبوبكر وعمر ، وعمرو بن تغلب ، وفيهم ابن اللتبية ، وأمثاله ممن قد يقع منهم ما يقتضي الانكار عليهم وتأنيبهم أحيانا ، وجميع أهل الإسلام يوقنون أن كلام الله ورسوله ﷺ صدق لا جدال فيه ولا مراء ، ولكنهم أحيانا يتأثرون ببعض الأمور التي اعتادوها وورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، فيحَاورون رسول الله ﷺ ، فيبين لهم الحقيقة ويبعد عنهم ما علق بنفوسهم من الشبه التي قد تكون بسبب العادة ، أو الرغبة في الأمر الذي يكون سببا للحوار وقد استخدم الرسول ﷺ أسلوب المقارنة لإقناع المدعوين أيضا حيث قال

(١) درء تعارض العقل والنقل ، جـ٧ ، ص ١٦٧ – ١٦٨ .

للعامل الذي أخذ الهدايا " هلاّ جلس في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا " (١) .

ولا يخفى أن أسلوبي الحوار والمقارنة يعودان إلى أسلوب المجادلة ، ومجادلة الرسول ﷺ لا تكون إلا بالحسنى ؛ لأن الله أمره بذلك في قوله ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ (٢) .

وفيما يلي : أعرض لهذين الأسلوبين لاشتمال خطبه ﷺ عليهما ، وباعتبارهما داخلين في أسلوب المجادلة بالحسنى .

أ – الحوار :

١ – معنى كلمة الحوار لغة :

الحَوار بفتح الحاء وكسرها ، والمحاورة ، والمَحْوَرَة بحاء ساكنة مع فتح الواو ، ومضمومة مع سكون الواو والحَويرُ الجواب ، ومراجعة المنطق والكلام (٣) .

٢ – معنى الحوار اصطلاحا :

عرّفه بعض الباحثين فقال : " الحوار : هو نوع من الحديث يتم بين شخصين – على الأقل – يتبادلان وجهات النظر لكل منهما فرص متكافئة في طرح الآراء والرد عليها " (٤) .

وقيل فيه أيضا : هو " مراجعة الكلام والحديث بين طرفين ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا ، دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجوب الخصومة " (٥) .

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩١ .
(٢) سورة النحل ، جزء من الآية (١٢٥) .
(٣) انظر : معجم مقاييس اللغة ، جـ ٢ ، ص ١١٧ ، ولسان العرب ، جـ ٤ ، ص ٢١٨ ، ومختار الصحاح ، ص ١٦١ ، والمصباح المنير ، ص ٨٣ ، والمعجم الوسيط ، ص ٢٠٥ .
(٤) " التربية الذاتية من الكتاب والسنة "، ص ١١٨ .
(٥) في أصول الحوار ، إعداد الندوة العالمية للشباب ، ص ١٤ .

وفي ضوء المعنى اللغوي والاصطلاحي يمكن أن أقول " الحوار مراجعة في قول بين طرفين لإزالة شبهة أو إقامة حجة ، وإظهار حقيقة " [١] . والله أعلم .

٣ - نماذج من خطب النبي ﷺ مشتملة على حوار .

أ - قوله ﷺ مخاطبا قريشا في خطبة الصفا " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بهذا الوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد " [٢] .

وفي هذه الخطبة العظيمة خاطب الرسول ﷺ أهل مكة ، وسألهم سؤالا يفرض الإجابة ؛ لأنه سؤال عن أمر جلي لا يخفى عليهم ، والسؤال بصيغته يحدّد الإجابة ، ويسوق المخاطب إليها ولو كان أكبر المعاندين فماذا يقولون عنه وهو الصادق الأمين فقد اضطروا إلى أن يقولوا " ماجربنا عليك كذبا " كما اضطر أبو سفيان لما قال له هرقل : " هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال " إلى أن يقول " لا " [٣] .

ب - قوله ﷺ في الخطبة التي استرضى بها الأنصار - ﷺ - بعد موجدتهم إثر تقسيمه ﷺ غنائم حنين في المؤلفة قلوبهم من قريش وطلقاء مكة ولم يعط الأنصار منها شيئا فخطبهم فقال : " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ، وعالة فأغناكم الله بي " قال : " كلما قال شيئا قالوا : الله ورسوله أمنُّ " قال : " لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا " [٤] .

والأنصار - ﷺ - ليسوا أهل إنكار ، ولكنهم خفي عليهم المقصد الذي من أجله قام رسول الله ﷺ بتوزيع هذه الأموال الكثيرة فيمن كانوا حربا عليه قبل فترة وجيزة " وسيوفنا تقطر من دمائهم " [٥] . فلما أبان لهم رسول الله ﷺ حقيقة الأمر بقوله " فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أفلا

---

(١) وهذا التعريف قريب من تعريف الشيخ صالح ابن حميد له ، انظر أصول الحوار في الإسلام ، ص ٦ .

(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٤ .

(٣) سبق تخريجه في التمهيد ص ٢٦ .

(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .

(٥) من حديث متفق عليه ، وسبق تخريجه في نصوص الخطب ص ٩٩ .

ترضون أن يذهب الناس بالأموال ، وترجعون إلى رحالكم برسول الله ؟ فو الله لما تنقلبون خير مما ينقلبون به " فقالوا : بلى يارسول الله قد رضينا " [١] . اطمأنت قلوبهم وأيقنوا أنهم نالوا من الخير مالم ينله غيرهم حيث انقلبوا إلى رحالهم بمرضاة الله ، ومرضاة رسوله ﷺ ، وفازوا بالإيمان ، وصحبة النبي ﷺ ، وأما غيرهم فقد رجعوا بما هو فانٍ لايبقى الأموال " .

فعرفوا أنهم لم يغبنوا ؛ إذ رجعوا برسول الله ﷺ إلى رحالهم ، ورجع غيرهم بالشاة والبعير ، فقالوا " بلى يا رسول الله قد رضينا " .

ففي هذا الحوار " بدأ رسول الله ﷺ بسؤاله العاتب عليهم وثنى على ذلك بذكر الفضل الكبير الذي فاز به الأنصار إذ أسلموا فانتقلوا من الضلال إلى الهدى ، ومن الفقر إلى الغنى ، ومن العداوة إلى التآلف ، ولماكان من الطبيعي أن يجول في قلوب الأنصار أنهم أيضا أعطوا الرسول ﷺ ونصروه وصدقوه ، وهذه كلها مزايا ، وهي حق ، قالها المصطفى عليه الصلاة والسلام نيابة عنهم ليَقرّ لهم بالجميل " [٢] .

٤ – أهمية الحوار في الدعوة إلى الله في ضوء الأمثلة المذكورة وسيرة السلف .

لا يخفى ما للحوار من أهمية ؛ حيث تقام به الحجة على أهل العناد فينقطعون وتنكفّ شرورهم عن الإسلام وأهله كما سبق بيان ذلك من كلام شيخ الإسلام – رحمه الله – قريبا [٣] ، ومن أمثلة هذا النوع حواره ﷺ لقريش حيث أقام عليهم الحجة واعترفوا بصدقه وأمانته ولكنهم عاندوا خوفا على المناصب والزعامات الزائفة ، وقد يكون المحاوَر سليم القصد يقبل الحق إذا اتضح له ، ولا يتعصّب للشبه والأباطيل ولا يستمر في متابعة هواه بل يرجع إلى الحق فور سماعه له ويسلك المحجّة عندما يتضح منارها ، فيطمئن

---

(١) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٩٩ .
(٢) في أصول الحوار ، (ص ٢٢) .
(٣) انظر : كلام شيخ الإسلام في هذا المعنى ، ص ٤٥١ .

قلبه وترتاح نفسه بزوال الشبهات والشكوك ويكون من أهل المناصرة للحق والدفاع عنه بعد زوال الحجب المؤدية إلى الشك فيه أو على الأقل إن لم يقتنع بحوارك إياه توقف وبحث عن الصواب ، وفي هذا من الفائدة ما لا يخفى [١] .

ومن أمثلة هذا النوع الأخير حواره ﷺ مع الأنصار - ﷺ - حيث اقتنعوا بأن الرسول ﷺ لم يخص غيرهم بالعطاء دونهم إلا لما يعلمه من إيمانهم وعقّتهم ، فاختار لهم ما هو أفضل من المال فرضوا بذلك وفرحوا به " رضينا برسول الله ﷺ قسما " ومنه كذلك حواره ﷺ مع الصحابي الذي استنكر سواد ابنه - كما يدل عليه ظاهر الحديث - [٢] .

وفي ضوء ما تقدم يتضح لك أن " المحاورة والمجادلة بالتي هي أحسن وسيلة مهمة من وسائل تبليغ الحق ونصرته ودفع الباطل - إذا كان - الهدف منها الوصول إلى الحقيقة وهي في إطار الحركة الإسلامية أداة التصحيح والبناء والتقويم الذاتي ، فالحوار أداة وعي مشتركة - تتجمع - فيها الآراء ، وتستعرض فيها المسائل ، ويستخلص منها ما دلّ عليه الدليل الشرعي أو النظريّ ، وهو وسيلة من وسائل الشورى والتناصح والتعاون ، وهذا هو طريق النضج وسبيل الكمال .. " [٣] .

ولا يخفى أن الحوار المفيد في مجال الدعوة إلى الله ، وتجلية حقائق الدين ، هو الذي يكون الهدف منه أن يظهر الحق ، وتزول الشبهات ، من غير تعصب أو عناد ، أو إظهار فصاحة ، أو قوة احتجاج [٤] ، وعلامة ذلك أن يرجع إلى الحق فور اتضاحه ، وهذا النوع من الحوار هو الذي جرى عليه أهل السنة في مختلف العصور وأمثلته كثيرة منها حوار المهاجرين

---

(١) انظر : كلام شيخ الإسلام في هذا المعنى ، ص ٤٥١ .
(٢) سبق ذكره في وسائل الإقناع ، ص ٣٩٧ .
(٣) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية ، ص ٢٨ .
(٤) انظر : أصول الحوار وآدابه في الإسلام ، ص ١٨ - ١٩ ، ص٣٦ - ٣٧ .

والأنصار - ﷺ - في شأن الخلافة واستقرّ رأيهم على اختيار أبي بكر ؛ لأن الرسول ﷺ رضيه للدين وأمره أن يصلي بهم - (١) .

ومنها حوار أبي بكر وعمر - ﷺ - في قتال مانعي الزكاة - حيث قال عمر - ﷺ - " كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قالها فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله " فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها " قال عمر - ﷺ - : " فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر فعرفت أنه الحق (٢) .

وحوار عمر وأبي عبيدة - ﷺ - في دخول أرض الطاعون ، ففي الصحيحين من حديث عبدالله بن عباس - ﷺ -أن عمر - ﷺ - خرج إلى الشام حتى إذا كان بسَرْغ (٣) لقيه أمراء الأجناد ، أبوعبيدة وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام . قال ابن عباس : فقال عمر : ادع لي المهاجرين الأولين فدعاهم فاستشارهم فاختلفوا - ثم دعا الأنصار فاختلفوا - كاختلاف المهاجرين . ثم قال : ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء ، فنادى عمر في الناس : إني مصبّح على ظهر فأصبحوا عليه . قال أبو عبيدة بن الجراح : أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ؟! نعم نفرّ من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان ، إحداهما خصيبة ، والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصيبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة

---

(١) سبق الحديث عنه في أصناف المدعوين ، ص ٣٢٧ .

(٢) تقدم تخريجه في ص ١٨ .

(٣) سَرْغ بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم غين معجمة بلدة بين الحجاز والشام بنواحي تبوك ، بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة ، انظر معجم البلدان ، جـ ٥ ، ص ٣٩ .

رعيتها بقدر الله ؟ قال فجاء عبدالرحمن بن عوف ، وكان متغيباً في بعض حاجته ، فقال : إن عندى في هذا علما سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه " (١) .

ب – المقارنة والموازنة :

١ – **المقارنة في اللغة جمع شيء إلى شيء تقول** : " قارنت بين الشيئين والقران الحبل يُقرن به شيئان " (٢) .

و " قارن الشيء بالشيء وازنه به " (٣) .

٢ – **المقارنة اصطلاحا :**

لم أجد من عرفها تعريفا اصطلاحيا مع البحث والتنقيب ولكن يمكن أن تعرّف في ضوء المعنى اللغوي مع الأمثلة التي استخدمها رسولنا ﷺ فيها للإقناع بأنها " جمع بين أمرين يتضح باجتماعهما وتقابلهما أمر " لو لم يذكرا لأمكن خفاؤه وغموضه " . والله أعلم بالصواب .

٣ – **أمثلة من الخطب تشتمل على مقارنة :**

قد اشتملت خطب الرسول ﷺ وأحاديثه على مقارنات وموازنات من أجل تصوير المعاني وإيضاحها ، بأمثلة محسوسة ، توضّح التفاوت بين المتقابلات " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه هذه وأشار يحي بالسبابه في اليم فلينظر بم يرجع " (٤) .

والمقارنة الايضاحية كثيرة في الخطب والأحاديث وقد تكون المحاورة إيضاحية يقصد بها الإقناع ، وهذا النوع من المقارنة هو الذي أقصده بالحديث

---

(١) متفق عليه ، صحيح البخاري ، كتاب الطب ، باب ما يذكر في الطاعون ، جـ٧ ، ص ٢٧ – ٢٨ حـ ٥٧٢٩ . وصحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها ، جـ ٤ ، ص ١٧٤٠ ، حـ ٢٢١٩ ، واللفظ للبخاري .

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .

(٣) المعجم الوسيط ، ص ٧٣٠ .

(٤) صحيح مسلم ، كتاب الجنة ونعيمها ، باب فناء الدنيا ، وبيان الحشر يوم القيامة ، جـ ٤ ، ص ٢١٩٣ ، حـ ٢٨٥٨ .

وضابطه أن يدل حال المحاوَر أو مقالُه على اعتماد على شبهة ، أو فكرة لا يقرُّها الشرع ، فيبين له الرسول ﷺ بطلان ما اعتمد عليه بصورة تزيل الشك وتزيح الشبهة ، فالموازنة تجمع " بين الإمتاع والإقناع ، أما الإمتاع فلأن السامع والقارئ يكونان بين صورة تربط بين شيء معروف ، وأمر جديد يتعرفانه ، وأما الإقناع فلأن الموازنة تجعل الإنسان يأخذ بالرأي يدل عليه الدليل " [١] .

أ – من أمثلة المقارنة الإقناعية :

قوله ﷺ لما أمر أصحابه بالتحلل من إحرامهم بعمرة وقد أهلوا بالحج وقال بعضهم " فيروح أحدنا إلى مِنَى وذكرُه يقطر منيّاً " .. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقام خطيباً فقال : " بلغني أن أقواما يقولون كذا وكذا ، والله لأنا أبرُّ وأتقى لله منهم ، ولو أني استقبلت من أمري ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معى الهدي لأحللت " [٢] .

والصحابة – ﷺ – لم يستغربوا هذا الأمر إنكاراً لأمر رسول الله ﷺ ولكن بسبب ما استقر في نفوسهم من حرمة العمرة في أشهر الحج ، وكأنهم تحرجوا من الوقوع في المخالفة ، فبين لهم الرسول ﷺ أنهم لو تأملوا لعلموا أنه لا مجال لهذا الاستغراب ، والتحرج من القيام بأمر صدر ممن هو أبرّ وأتقى لله منهم ، وبين أن المانع له من القيام بما أمرهم به إنما هو سوق الهدي ، وفي هذه المقارنة من الإقناع ما لا يخفى وقد تعرضت لها في سمات الخطب [٣] .

ب – من أمثلة المقارنة أيضا قوله ﷺ معرّضا بابن اللتبية حين قال " هذا لكم وهذا أهدي لي " فقام رسول الله ﷺ على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال : " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي لي أفلا قعد في بيت أبيه أو في بيت أمه حتى ينظر أيهدى إليه أم لا ؟ " [٤] .

---

(١) التصوير الفني في الحديث النبوي ، ص ٥١٤ .
(٢) سبق تخريجه في نصوص الخطب ، ص ٨٢ .
(٣) ص ١٣١
(٤) سبق تخريجه في نصوص الخطب ٩١ .

وفي هذا المثال أمر الرسول ﷺ هذا العاملَ أن يقارن بين حالتين يكون في إحداهما جالسا في بيت أبيه ، أو في بيت أمه ، والحالة الثانية وهي الواقعة فعلا ولا يخفى أنه إنما نال الهدية بسببها وهي كونه مكلفا بمهمة جباية مال الصدقة فيكون أخذه للهدية موجبا للتغاضى عن المُهدي ولهذا صارت هدية العامل بمثابة الغلول من الغنيمة ، والرشوة في الحكم وقد سبق إيضاح ذلك في مواضع [١] فلا أطيل به هنا . والله أعلم .

جـ – من أمثلة المقارنة الإقناعية قوله ﷺ للرجل الذي أتاه . فقال يارسول الله ولد لي غلام أسود " هل لك من إبل ؟ " قال نعم قال " ما ألوانها " قال حمر قال : " هل فيها من أورق ؟ " . قال نعم قال فأنى ذلك ؟ " قال نزعه عرق قال " فلعل ابنك هذا نزعه " [٢] .

وقد ذكرت هذا الحديث في وسائل الإقناع وهو مشتمل على حوار ومقارنة ، وقياس عقلي – كما هو واضح .

٤ – أهمية المقارنة في الدعوة إلى الله :

لا يخفى أن البيان والإيضاح لأمور الدين من مهام رسولنا ﷺ ، قال الله تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [٣] .

والدعاة أيضا مطالبون بالاقتداء به ﷺ في السعي لإيضاح حقائق الدين ، وإبعاد الشبهات عن المتحيّرين ، وكبح جماح المعاندين ، وإيضاح الطرق السليمة لذوي التردد من المسلمين .

ولا يخفى ما للمقارنة من دور في تحقيق هذه الأهداف السامية فهي :

١ – ذات أثر فعال في البيان والإيضاح لما تشتمل عليه في الغالب من التوضيح بأمر محسوس للمخاطب ، أو معلوم لديه بجلاء ، وتكون المقارنة بينه وبين الأمر الذي هو محل الإشكال والغموض ، فيزول ذلك الإشكال ، ويتضح الغامض ، وتطمئن النفوس بمعرفة الحقيقة .

---

(١) ص ١١٧ ، ٢٢١ – ٢٢٣ .
(٢) سبق تخريجه ٣٩٧ .
(٣) سورة النحل من آية (٤٤) .

٢ – يستفاد من المقارنة في إقناع المعاندين ، ورد شبه الملحدين ؛ ولذلك لما اشتبه أمر عيسى عليه السلام على النصارى وادعوا فيه ما ادعوا لكونه خلق من غير أب ردّ الله سبحانه عليهم بقوله ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين ﴾ (١) .

ورد الله أيضا على المنكرين للبعث والإحياء بعد أن تصير العظام رميما . فقال تعالى مبينا شبهتهم والردَّ عليها ﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل شيء عليم ﴾ (٢) .

قال الإمام عبدالرحمن ابن نجم الحنبلي (٣) – معلقا على هذه الآية " فجاء الجواب من وجهين :

أحدهما : جدل يتضمن فساد شبهته من جهة أنه استبعد الإعادة والحياة في عظام وحش ، وترك نفسه وذلك أهم من إحياء الحيوان البهيم ؛ لأن إيجاد الحيوان البهيم كان لأجل الإنسان .

الوجه الثاني : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة ﴾ (٤) . إلى آخر السورة فإن إيجاد المبادئ أصعب في مطرد العرف وحكم العقل من رد شيء كان إلى ما كان ، على ما لا يخفى " (٥) .

وأمثلة هذا النوع كثيرة في كتاب الله عز وجل .

٣ – يستفاد من المقارنة في إزالة الشبه عن قلوب ذوي النوايا الحسنة والنفوس البرينة ، فيطمئنون إلى الحقائق ، وتزول من نفوسهم الهواجس وفي الأمثلة التي ذكرتها ما يشهد لذلك ويؤكده فقد زال الإشكال عن الصحابة

---

(١) سورة آل عمران ، الآيتان (٥٩ – ٦٠) .
(٢) سورة يس ، الآية (٧٨) .
(٣) هو عبد الرحمن بن نجم بن عبدالوهاب ، الواعظ ، أبو الفرج ، عرف بابن الحنبلي ، ولد بدمشق ٥٥٤ – حضر فتح القدس مع صلاح الدين ، سمع من علماء كثيرين ، انتهت إليه رئاسة مذهبه بعد الشيخ موفق الدين . له رأي في إباحة السماع ، له مؤلفات منها كتاب " أسباب الحديث " " وتاريخ الوعاظ " و " استخراج الجدل في القرآن الكريم " توفي ٦٣٤ بدمشق – انظر : ترجمته في شذرات الذهب ، جـ ٥ ، ص ١٦٦ ، وذيل طبقات الحنابلة ، جـ ٢ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ .
(٤) سورة يس ، الآية (٨١) .
(٥) كتاب استخراج الجدال من القرآن الكريم ، ص ٩١ – ٩٢ .

- ﷺ - لما أيقنوا أنه لا محظور في تحللهم من إحرامهم إذ أمرهم من هو أبرّ وأتقى لله منهم رسول الله ﷺ .

وكذلك اتضح لابن اللتبية ولكل من يحاول الاستفادة الخاصة به ، من مسؤولية عامة فيأخذ هدية أو رشوة بسبب تلك المسؤولية ، أنه لا حق له فيها ؛ إذ لو بقي جالسا في بيته ، لم يأته الناس بهداياهم وكذلك أيضا أزالت مقارنته ﷺ بين المولود ذي السواد من أبوين ليسا كذلك ، والمولود الأورق في الإبل ذات الألوان الحمر - همَّ ذلك الرجل الذي شككه سواد ابنه في عرض أهله ، ونسبة ابنه إليه ، فاطمأن واستراح ؛ لأن الأمر الذي لفت الرسول ﷺ انتباهه إليه واضح جلي ، فالناس والدواب مخلوقات لله سبحانه ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ [١] .

﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون ﴾ [٢] .

والأمثلة كثيرة أكتفي بما ذكر خشية الإطالة .

والخلاصة أن المجادلة بالحسنى أحد الأساليب الدعوية الرئيسة ، والدعاة إلى الله محتاجون إلى القيام بها في تبليغ دين الله ، والذب عن حرماته ، وإزالة الشبهات ، ورد الأباطيل ، وكيد الأعداء ، وتكون المجادلة بالحوار ، والمقارنة ، والمناظرة مع التزام الآداب ، وإخلاص النية ، والتخلي عن جميع الأغراض الشخصية حتى يمتثلوا أمر الله لرسوله ﷺ ﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ [٣] .

ويكونوا ممن شملهم قوله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين ﴾ [٤] .

---

(١) سورة القصص ، جزء من الآية (٦٨) .
(٢) سورة الرعد ، الآية (٤) .
(٣) سورة النحل ، جزء من الآية (١٢٥) .
(٤) سورة يوسف ، الآية (١٠٨) .

والله نسأل أن يجعلنا ممن وفى بالميثاق ، ولبى النداء طاعة لله واستقام وأقام ، وفاز في الامتحان الأكبر يوم العرض على الله عز وجل ﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ [1] .

ولله الحمد أولاً وآخرا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١)سورة الحاقة ، الآية (١٨) .

الخاتمة

حمدا لله على ما وفق وأعان ، له الحمد في الأولى والآخرة ، لا أحصي ثناء عليه ، هو كما أثنى على نفسه ، أسأله أن يتقبل هذا الجهد المتواضع بقبول حسن ، وأن يتجاوز عما فيه من خطأ وتقصير ، وأن يجعله ضمن الحسنات المقبولة ، وأن ينفع به كاتبه وكل من اطلع عليه من إخواني وأحبتي .

وفي الختام أود أن أشير إلى أهم النتائج التي توصلت إليها خلال معايشتي لهذا الموضوع .

١ - أن تغيير حال الناس من الأسوء إلى الأحسن أمر ممكن - يستفاد من حال العرب قبل الاسلام وحالهم بعده .

٢ - أن الإسلام لا يرفض معايشة المسالمين ولو كانوا غير مسلمين ؛ لأن الرسول ﷺ عقد معاهدة مع يهود المدينة ، والتزم بمضمونها حتى كان النقض من قبلهم وهذا في غير جزيرة العرب .

٣ - سعة مجال خطب الرسول ﷺ وشمولها لموضوعات كثيرة في العقائد ، والأحكام والأخلاق فهي بحق " جوامع الكلم " .

٤ - جمال القول وبلاغته سبب أساسي في استجابة المدعوين - بعد توفيق الله سبحانه .

٥ - اغتنام الفرص والمناسبات المختلفة لتوجيه الناس وإرشادهم إلى الخير ، وتعليمهم أحكام عباداتهم ومعاملاتهم من مسؤولية الدعاة إلى الله ورثة الأنبياء .

٦ - الداعية إلى الله يجب أن يكون أول العاملين بما يدعو إليه .

٧ - التوصل بمسؤولية عامة أو وظيفة إلى منفعة خاصة مادية أو معنوية - حرام - وأخذ العامل هدية غلول .

٨ – عموم الدعوة ووجوب تبليغها لكافة الناس لا ينافي التركيز على ذوي المكانة ، والسلطة ليكونوا سببا في هدَاية غيرهم ؛ لأن الرسول ﷺ كاتب الملوك وحملهم مسؤولية أتباعهم .

٩ – الحكمة في الدعوة إلى الله هي استخدام ما يناسب المدعوين من وسيلة وأسلوب .

١٠– الحوار والمجادلة بالحسنى من أساليب الدعوة ، وليست المجادلة قاصرة على أهل الانكار والكفر .

١١– صدق الداعية واتصافه بمكارم الأخلاق من أسباب نجاحه في دعوته .

١٢– الكمال والعصمة ليس شرطا في القيام بمسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أما التوصيات والمقترحات فهي كالتالي :

١ – أوصي الدعاة إلى الله بتوسيع ثقافتهم ، وألا يكون اهتمامهم قاصرا على مواد التخصص .

٢ – أوصي القائمين على المجالس العلمية بالاهتمام بتأصيل مناهج الدعوة ووسائلها وأساليبها من خلال الدراسة الدعوية للأصول الشرعية – الكتاب – والسنة – وسير السلف الصالح .

٣ – أوصي القائمين على شؤون الدعاة بمراعاة أحوال الدعاة عند اختيارهم ، وبعث كل شخص إلى المكان المناسب .

٤ – ينبغي للدعاة إلى الله أن يهتموا بمعرفة أحوال المجتمعات ولغاتهم ، وعاداتهم ليستفيدوا من ذلك في مجال دعوتهم .

٥ – أوصي الدعاة إلى الله بسلوك الوسطية في مجال استخدام الوسائل – مع أن الوسيلة لا يشترط في استخدامها أن يثبت نص في استخدامها – والغاية لا تبرّرُ الوسيلة .

٦ – ينبغي للدعاة إلى الله أن يستفيدوا من وسائل التقنية الحديثة في مجال التبليغ .

٧ – أوصي الدعاة إلى الله بتنويع أساليب دعوتهم حسب حاجة المدعوين وظروفهم .

٨ – على الدعاة إلى الله أن يلزموا أنفسهم وذويهم بأحسن ما يوجهون الناس إليه ليكونوا قدوة لغيرهم " وأول ربا أضعه ربانا رب عباس بن عبدالمطلب " .

٩ – ينبغي للباحثين والدعاة أن يهتموا في بحوثهم بالتأصيل ، والاستفادة من الوحي السماوي الكتاب والسنة ففيهما إرواء الصادي ورد كيد العادي .

الفهـــــارس

فهرس الآيات القرآنية .

فهرس الأحاديث والآثار .

فهرس الغريب .

فهرس الأعلام المترجم لهم .

فهرس المصادر والمراجع .

فهرس الموضوعات .

فهرس الآيات

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
{ إياك نعبد }	٥	٢٦
{ غير المغضوب عليهم }	٧	٨٣
سورة البقرة		
{إن الذين كفروا سواء عليهم ءأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون}	٧	١١٠
{وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم}	١٣	٥٣
{وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين }	٢٣	١٦١
{ هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات وهو بكل شيء عليم }	٢٩	١٤٢
{ قلنا اهبطوا منها جميعا فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون}.	٣٨	٤٣٢
{ والذين كفروا وكذبوا ..... }	٣٩	٤٣٩
{ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون }	٤٤	٤٢٦

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ يـا بنـي إسـرائيل اذكـروا نعمتـي التـي أنعمـت عليكم ..... ﴾	٤٧	٣١٠
﴿ الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى ﴾ .	٧٨	٥٤
﴿ وقولوا للناس حسنا ﴾	٨٣	٢٣٦
﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون ﴾	٨٩	٣٠٤
﴿ أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم ﴾ .	١٠٠	٣١٠
﴿ فأينما تولوا فثَمّ وجه الله إن الله واسع عليم ﴾ .	١١٥	١٥٢
﴿ ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾	١٢٩	٢٥
﴿ ءأنتم أعلم أم الله ﴾	١٤٠	١٤٥
﴿ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ..... ﴾	١٤٦	٣١٠
﴿ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ﴾	١٧٠	٨
﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾	١٧٧	٥٩
﴿ والموفون بعهدهم إذا عاهدوا ﴾	١٧٧	٢٥٢
﴿ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم ﴾	١٨٧	٥٢
﴿ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ﴾ .	١٨٩	١٩
﴿ ثم أفيضو من حيث أفاض الناس ﴾	١٩٩	١٩
﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم ﴾	٢٠٠	٢٨٧

الآيـــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
{ للذين يؤلون من نســـائهم تربـــص أربعـــة أشهر }.	٢٢٥	٦٣
{ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقـــي من الربا }	٢٧٨	٢٢٤
{ ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا }.	٢٢٩	٤٦
{ وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكـم به }.	٢٣١	٤٠٥
{من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفـه له أضعافا كثيرة }	٢٤٥	٣٤٢
{ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه ســـنة ولا نوم }	٢٥٥	١٣٩
{ لا تأخذه سنة ولا نوم }	٢٥٥	١٠٨
{ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء }.	٢٥٥	١٦٥
{ مثل الذين ينفقون أموالهم}.....	٢٦١	٢٦٢
{ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مـــن طيبـــات مـــا كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض}.....	٢٦٧	٥٩
{ للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله ..... }	٢٧٣	٢٤٠
{ الذين ينفقون أموالهم }.....	٢٧٤	٢٦٢
{ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها }.....	٢٨٦	٢١٧
سورة آل عمران		
{ قل إن كنتم تحبون الله فـــاتبعوني يحببكـــم الله}.	٣١	٥١
{ ويعلمه الكتاب والحكمة}	٤٨	٤٠٥
{ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب}	٥٩	٣١٤

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قل يـا أهـل الكتـاب تعـالوا إلـى كلمـة سـواء بيننـا وبينكم .... ﴾	٦٤	٣٠٤
﴿ يـا أهـل الكتـاب لـم تكفـرون بآيـات اللـه وأنتـم تشهدون ﴾	٧٠	٣٠٤
﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ﴾ .	٦٤	٣١٣
﴿ وقالت طائفة من أهـل الكتـاب آمنـوا بـالذي أنـزل على الذين آمنوا ... ﴾	٧٢	٤٠٥
﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فـي الآخرة من الخاسرين ﴾	٨٥	٢٩
﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا ﴾ .	٩٥	٢٥٠
﴿ يا أيها الذين آمنو اتقوا الله حق تقاته ... ﴾ .	١٠٢	٨٦
﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾ .	١٠٣	٥٥
﴿ واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألفا بيـن قلوبكم ﴾	١٠٣	٣
﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾	١١٠	٣١
﴿ يـا أيهـا الذيـن آمنـوا لا تـأكلوا الربـا أضعافـا مضاعفة ﴾	١٣٠	٢٤١
﴿ ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾ .	١٥٩	٤١٠
﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ﴾ .	١٥٩	٣٦٥
﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليه آياته ويزكيهم ﴾ .	١٦٤	١٧٠
﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم ﴾ .	١٧٣	٢٦٨
﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ .	١٨٥	٤٣٢

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ﴾	١٩٠	٢٦٧
سورة النساء		
﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾	١	٨٦
﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء ﴾	٣	٢٤٧
﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا ... ﴾	١٠	٢٤١
﴿ ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون ﴾.	٣٣	٥٦
﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾	٣٦	٢٣٨
﴿ .... وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾	٣٦	٢٤٨
﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾	٤١	١٧١
﴿ يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم ... ﴾	٤٧	٣٠٩
﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ... ﴾.	٥٨	٢٤٦
﴿ إن الله كان سميعا بصيرا ﴾	٥٨	١٥٣
﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾	٥٩	٥٠
﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ﴾	٩٥	٥١

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾	٨٠	٥٠
﴿ أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾	٨٢	٢٨١
﴿ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا ﴾	٨٥	٢١٨
﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾	٨٧	٢٥٠
﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتاً ﴾.	١٠٣	٣٢٨
﴿ ولا تكن للخائنين خصيما ﴾	١٠٥	٢٥٨
﴿ ومن أصدق من الله قيلا ﴾	١٢٢	٨
﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلا ﴾	١٢٥	١٧٤
﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾.	١٢٩	٢٤٧
﴿ وكان الله سميعا بصيرا ﴾	١٣٤	١٥٢
﴿ إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم ﴾ .	١٤٢	٢٩٩
﴿ وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا ﴾	١٥٥	١١٠
﴿ وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ﴾ .	١٥٦	٣١٦
﴿ وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ﴾ .	١٥٧	٣١٧
﴿ إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده ﴾	١٦٣	١٧٤
﴿ رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما ﴾ .	١٦٥	٤٣٣
سورة المائدة		
﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ﴾ .	٣	٣

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل ... ﴾	٢٠	٣١١
﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ﴾	٣٥	٣٨٠
﴿ وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل فيه ﴾	٤٧	٣١٢
﴿ يا أيها اللذين أمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾	٥٤	٢٣٦
﴿ فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ .	٥٤	٣٢
﴿ أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ﴾ .	٥٤	٢٣٧
﴿ ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سناتهم ﴾	٦٥	٣٠٨
﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾	٦٧	١٦١
﴿ ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلا من الطعام ﴾ .	٧٥	١٧١
﴿ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ﴾ .	٨٢	٣٠٥
﴿ ولتجدن أقربهم مودة الذين قالوا إنا نصارى ﴾	٨٢	٣١١
﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم ﴾	١٠١	١٠١
﴿ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ﴾ .	١٠٣	٧
﴿ وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد ﴾	١١٧	١٧٢

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنعام		
﴿ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ﴾	٩	١٦٩
﴿ وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به من بلغ ﴾ .	١٩	٤٤٠
﴿ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين ﴾ .	٤٨	٤٣٣
﴿ وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ﴾ .	٥١	٤٤٠
﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ .	٥٩	١٦٦
﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾	٦١	١٤٢
﴿ ولو أشركوا لحبط عنه ما كانوا يعملون ﴾ .	٨٨	٢٠
﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ .	٩٠	٤٢٢
﴿ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله ﴾	١٢٤	١٠٩
﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾	١٢٤	١٠٩
﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا ﴾.	١٣٦	٦
﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رقهم الله ﴾	١٤٠	٦
﴿ يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ﴾ .	١٥٨	١٨٦
﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ .	١٦٠	٤٣٥
سورة الأعراف		
﴿ قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها ﴾ .	١٣	٢٧١

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ أنا خير منه خلقتني من نار .. ﴾ .	١٢	٢٧١
﴿ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ... ﴾ .	١٢٨	٤٣٤
﴿ قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم .... ﴾ .	١٢٩	٤٣٥
﴿ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون .... ﴾ .	١٤٦	٢٤٤
﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ﴾.	١٧٢	١٠
﴿ فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾	١٧٦	٤٤٢
﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾	١٧٩	١١١
﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد أقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون ﴾	١٨٥	١٣٨
﴿ قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما سيء السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يومنون ﴾ .	١٨٨	١٦٦
سورة الأنفال		
﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ﴾ .	٣٥	١٧
﴿ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم عل سواء ﴾.	٥٨	٢٥٨
سورة التوبة		
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ﴾.	١٩	٢٥٠
﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم ﴾	٢٤	٥١-٥٢
﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ﴾	٣١	٢
﴿ إنما النسيء زيادة في الكفر ﴾	٣٧	٣٦

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ﴾	٧٥	١٨
﴿ الذين يلمزون المطّوعين من المؤمنين في الصدقات .... ﴾	٧٩	٣٠٠
﴿ ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره ﴾	٨٤	٣٠١
﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ﴾ .	١٠٠	٣٠
﴿ خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴾ .	١٠٢	٥٩
﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ﴾	١٢٣	٢٦٦
﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾	١٢٨	١
سورة يونس		
﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ﴾	٧	١١١
سورة هود		
﴿ أم يقولون افتراه كل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾	١٣	١٦١
﴿ ويا قوم استغفروا ربكم ..... ﴾	٥٢	٤٣٤
﴿ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ﴾ .	٦١	٤٣٤
﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها ..... ﴾ .	٨٢	٤٤٧
﴿ بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ .	٨٦	٤٣٤

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد ﴾	١٠٦	١٧٨
سورة يوسف		
﴿ يا صاحبي السجن ءأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾	٣٩	١٠
﴿ قل هذه سبيلي ادعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ﴾	١٠٨	٤٠٨
﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ...﴾ .	١١١	٤٤٤
﴿ إن النفس لأمارة بالسوء ﴾	٥٣	٢٦٦
سورة الرعد		
﴿ وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ﴾ .	٤	٤٦١
﴿ إنما يتذكر أولوا الألباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقصون الميثاق ... ﴾	١٩	٢٥٢
﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا ﴾ .	٣٥	١٧٧
﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾	٣٨	١٦٩
سورة إبراهيم		
﴿ الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴾	١	١

الآيـــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض ﴾	١٠	١٠٨
﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ﴾	٢٧	١٨٠
﴿ وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم ﴾	٤٠	١٧٠
﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ... ﴾	٤٤	٢٧٩
سورة الحجر		
﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾	٩	١٥٧
﴿ قال فاخرج منها فإنك رجيم ﴾	٣٤	٢٧١
﴿ إن المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين ﴾	٤٥	١٧٦
﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ .	٩٤	٢
سورة النحل		
﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن أعبدوا الله ﴾ .	٣٦	٢٧
﴿ وأنزلنا إليك الذكر ليتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾	٤٤	١٧٠
﴿ يخافون ربهم من قولهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .	٥٠	١٤١
﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾	٥٣	٢٤٤

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ﴾	٥٨	٤٣
﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاءى ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون ﴾	٩٠	٤٢٩
﴿ وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم .... ﴾	٩١	٢٥٢
﴿ ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء ولتسألن عما كنتم تعملون ﴾.	٩٣	٣٦٢
﴿ إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله .... ﴾	١٠٥	٢٥٥
﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ﴾	١٢٠	١٧٤
﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾	١٢٣	١٧٥
﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾.	١٢٥	٣٦٥
﴿ وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾	١٢٥	٤٥٢
سورة الإسراء		
﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾	١٥	٢٧٣
﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾	٢١	١٤١
﴿ وقضى ربك ألا تعبد إلا إياه .... ﴾	٢٣	٢٣٨
﴿ وآت ذا القربى حقه ﴾	٢٦	٢٦٣
﴿ ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ﴾	٣٧	٢٤٢

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ جاء الحق وزهق الباطل ﴾	٨١	١٢
﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن ... ﴾	٨٨	٢٨١
﴿ سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾ .	٩٣	١٦٨
﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا ﴾	٩٤	١٦٧
﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾	٨٨	١٦١
﴿ قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ﴾ .	٩٥	١٦٩
﴿ قل لو أنتم تملكون خزائن رحة ربي إذا لأمسكتم خشية الانفاق ... ﴾	١٠٠	٢٦١
سورة الكهف		
﴿ ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ﴾ .	١٧	٤٣٨
﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً ﴾	٤٧	١٨٢
﴿ وكان الإنسان أكثرشيء جدلا ﴾	٥٤	٤٥٠
سورة مريم		
﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ .	١٨	٣١٦
﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾	١٢	٤٠٦
﴿ إني عبد الله آتاني الكتاب ﴾	٣٠	٣١٥

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾ .	٤١	١٧٤
﴿ واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد ﴾	٥٤	٢٥١
﴿ واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا ﴾ .	٥٦	٢٥١
﴿ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً ﴾ .	٨٥	١٨٢
﴿ فإنما يسرناه بلسانك لتبشر المتقين وتنذر به قوما لدّا ﴾	٩٧	١٥٩
سورة طه		
﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾	٥	١٤٢
﴿ يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا ﴾ .	١٠٢	١٨٢
﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ... ﴾	١٢٤	٢٧٩
سورة الأنبياء		
﴿ اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون﴾ .	١	١٠٥
﴿ وله من في السماوات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون ﴾	٢٠	١٥٦
﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا ﴾	٢٢	١٠
﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا ..... ﴾	٢٥	٣٠٦

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
{ وقالوا اتخذ الرحمن ولـــدا ســبحانه بــل عبــاد مكرمون }	٢٦	١٣
{ ونبلوكم بالشر والخير فتنة }	٣٥	٢٧٠
{ افتعبدون من دون الله مـــا لا ينفعكـــم شـــيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبـــدون مـــن دون الله أفـــلا تعقلون قالوا حرقوه .... }	٦٦	٣٩٦
{ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ..... } .	٩٠	٤٣٩
سورة الحج		
{ إن الله لا يحب كل خوان كفور } .	٣٨	٢٥٨
{ وما جعل عليكم في الدين من حرج } .	٧٨	١٧٠
سورة المؤمنون		
{ والذين هم لفروجهم حافظون }	٥	٢٤٠
{ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون } .	٨	٢٥٩
{ فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهم لنا عابدون } .	٤٧	١٦٨
{ ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنـــا وســـلطان مبين }	٤٥	١٠٩
سورة النور		
{ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم } .	١١	٣٠٠
{ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ... } .	٣٠	٢٤٠
{ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كـــانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه } .	٦٢	٥١
{ فليحذر الذين يخالفون عن أمره } .	٦٣	٢٠٢

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفرقان		
﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ﴾	٢٠	١٦٩
﴿ وكان الشيطان للانسان خذولا ﴾	٢٩	٢٦٦
﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ﴾	٦٣	٢٤٢
سورة الشعراء		
﴿ لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾ .	٣	٢٧٦
﴿ إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴾ .	٢٧	٣٩٦
﴿ إني لكم رسول أمين ﴾	١٠٧	٢٥٩
﴿ إذ قال لهم أخوهم لوط ... ﴾ .	١٦١	٤٣٤
﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ﴾	١٩٢	١٥٧
﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾	٢١٤	١
﴿ واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ﴾	٢١٥	٢٣٧
سورة النمل		
﴿ يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة .... ﴾ .	٤٦	٤٣٤
﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾	٧٦	٣١٠

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة القصص		
﴿ ولما بلغ أشده ﴾	١٤	١٤٢
﴿ إنك لا تهدي من أحببت ... ﴾ .	٥٦	٢٧٧
﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ .	٦٨	٤٦١
﴿ إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ﴾ .	٧٦	٢٧٠
﴿ قال إنما أوتيته على علم عندي ﴾ .	٧٨	٢٧١
﴿ فخسفنا به وبداره الأرض ﴾ .	٨١	٢٧٢
سورة العنكبوت		
﴿ بل أكثرهم لا يعقلون ﴾	٦٣	٢٨٥
سورة الروم		
﴿ فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾	٣٠	٩
سورة لقمان		
﴿ ولا تصعر خدك للناس ﴾	١٨	٢٤٢
﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .	١٨	٢٦٩
سورة السجدة		
﴿ ألم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولوا افتراه .... ﴾	١	٢٨٩
﴿ يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ﴾ .	٥	١٠٨

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان مـن طين ﴾	٧	٩
﴿ ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ﴾ .	١٣	٢٧٣
سورة الأحزاب		
﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ .	٢١	٢٠٨
﴿ ولما رأى المؤمنون الأحزاب ﴾ .	٢٢	٢٦٨
﴿ قـالوا هـذا مـا وعدنـا اللـه ورسـوله وصـدق اللـه ورسوله ﴾	٢٢	٢٥٠
﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسـوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ .	٣٦	٥٠
﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسـك عليك زوجك وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق من تخشاه ﴾	٣٧	١٦٣
﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشـونه ولا يخشـون أحداً إلا الله ﴾	٣٩	١٦٤
﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ... ﴾ .	٤٠	٢٧٣
﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ﴾ .	٤٥	١٦١
﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات ﴾ .	٥٨	٢٢٣
﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا ﴾ .	٧٠	٨٦
﴿ إنا عرضنا الأمانة على السماوات ﴾ .	٧٢	٢٦٦
سورة سبأ		
﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذير ا ﴾ .	٢٨	٢٧٣

الآيـــــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قل إن ربـي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفع وهو خير الرازقين ﴾	٣٩	١٤١
﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم ... ﴾	٤٣	١٠٩
سورة فاطر		
﴿ فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ﴾ .	٨	٢٧٦
﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ .	١٠	١٤٧
﴿ جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ﴾ .	٤٩	١٢
سورة يس		
﴿ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾ .	٥٢	٢٥٠
﴿ وضرب لنا مثلا ونسي خلقه ..... ﴾ .	٧٨	٤٦٠
﴿ قل يحيها الذي أنشأها أول مرة ﴾ .	٨١	٤٦٠
﴿ إنما أمره إذا أراد شنا أن يقول له كن فيكون ﴾ .	٨٢	٣١٦
سورة الصافات		
﴿ يابنيَّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ما ذا ترى ﴾	١٠٢	١٠٢
سورة ص		
﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب ﴾	٤	١١

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ .	٢٠	٤٠٥
﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ﴾	٢٩	١٥٩
سورة الزمر		
﴿ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ﴾	٣	١٣
﴿ إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار ﴾	٣	٢٥٥
﴿ قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾ .	١١	٢٩
﴿ ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشكسون ﴾ .	٢٩	١٠
﴿ ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ .	٦٥	٢٠
﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة ... ﴾	٦٧	٢٩٣
﴿ وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾	٦٩	١٧١
سورة غافر		
﴿ وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر .. ﴾ .	١٨	٢٧٨
سورة فصلت		
﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه ﴾ .	٥	١١١
﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد ... ﴾	٦	٢٧٨

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فإن أعرضو فقل أنذرتكم صاعقة .... ﴾ .	١٣	٢٧٨
﴿ وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن ... ﴾ .	٢٦	٢٧٩
﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل ... ﴾ .	٣٠	٤٣٦
سورة الشورى		
﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .	١١	١٠٨
﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾ .	٢٣	١٣٣
﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ﴾ .	٢٧	٣٤٥
﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء ﴾ .	٥١	١٧٤
سورة الزخرف		
﴿ ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم ﴾	٩	١٦
﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا ﴾ .	١٩	١٣
﴿ أم اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ﴾ .	٢١	٢٧
﴿ لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾	٣١	١٠٩
﴿ أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ﴾	٣٢	١٠٩
﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴾.	٨٧	١٦
سورة الدخان		
﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين ﴾ . ﴾	٣٢	٣١١

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأحقاف		
﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف ﴾ .	١٣	٤٣٦
﴿ أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون ﴾ .	٢٠	٤٣٢
سورة محمد		
﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن ﴾ .	١٥	١٧٧
سورة الفتح		
﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾	٢٩	٣١
سورة الحجرات		
﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ .	٩	٢٤٥
﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ... ﴾ .	١٢	٣٠٠
﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾	١٣	٢٥
سورة ق		
﴿ بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجيب ﴾	٢	١٦٩

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع ﴾	٣٧	٢٦٧
سورة الذاريات		
﴿ والذاريات ذروا ﴾	١	١٠٦
﴿ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴾ .	٤١	٢٧١
﴿ إن الله هو الرزاق ذو القوة المبين ﴾ .	٥٨	١٤١
سورة الطور		
﴿ والطور وكتاب مسطور في رق منشور ﴾ .	١-١٥	١٠٦
سورة النجم		
﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾.	٣	١٢٥
﴿ أفرأيتم اللت والعزى ﴾	١٩	١١
سورة القمر		
﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ .	١	٢٨٥
﴿ ولقد يسرنا القرآن للذكر ﴾ . ﴾	١٨	١٥٩
﴿ إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً ﴾ .	١٩	٢٧١
سورة الرحمن		
﴿ كل من عليها فان ﴾	٢٦	١٥١
﴿ يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن ﴾	٢٩	١٥١

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحديد		
﴿ ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض ﴾.	٤	١٤٨
﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم كبير ﴾	٧	٣٤٢
﴿ وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا ... ﴾.	٩	٣٤٢
﴿ والله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .	٢٣	٢٦٩
﴿ ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم ﴾	٢٧	٣٠٨
سورة المجادلة		
﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك .... ﴾ .	١	٤٥٠
﴿ والذين يظاهرون منكم من نسائهم ﴾ .	٣	٦٤
﴿ يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ... ﴾	١٨	٢٥٨
﴿ لا تجد قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون ... ﴾	٢٢	٢٩٧
سورة الحشر		
﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾	٧	١٣١
﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .	٩	٣٤٢
﴿ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾ .	١٨	٣٤١
﴿ اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ﴾ .	١٨	٨٩

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الممتحنة		
﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآوا منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾	٤	١٧٥
﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالو لقومهم إنا برءأوا منكم ﴾	٤١	٤٢٢
سورة الصف		
﴿ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ﴾ .	٢	٤٢٥
﴿ وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ﴾ .	٦	٣١٢
﴿ قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله ﴾	١٤	٣١٢
سورة الجمعة		
﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم ﴾ .	٢	١
﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة ﴾ .	٩	٢٠٤
﴿ فإذا قضيت الصلاة ﴾ .	١٠	٢٦٢
سورة المنافقون		
﴿ إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله .. ﴾	١	٢٩٩

الآيـــــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ﴾	٨	٢٩٨
﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت ﴾	١٠	٣٤١
سورة التغابن		
﴿ ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا ﴾	٦	١٦٨
﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾	١٦	٢١٧
﴿ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ .	١٦	٢٦١
سورة الطلاق		
﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ .	٣	٢٦٦
﴿ لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ﴾	٧	٣٤١
﴿ لا يكلف الله نفسا إلا ما آتاها ﴾ .	٧	٢١٧
سورة الملك		
﴿ ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض ﴾ .	١٦	١٤٧
سورة القلم		
﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ .	٤	٢٣٣
سورة الحاقة		
﴿ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية ﴾ .	١٨	٤٦٢

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة نوح		
﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ... ﴾ .	١	٤٤٠
﴿ فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا .... ﴾ .	١٠	٤٣٤
سورة الجن		
﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ﴾	٦	١٣
﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً عالم الغيب فلا يظهر على غيبه ﴾ .	٢٥	١٦٦
﴿ ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً ﴾	٢٨	١٦٢
سورة المزمل		
﴿ وأقرضوا الله قرضاً حسناً ﴾	٢٠	٢٦٢
سورة المدثر		
﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾	١	١٦١
سورة القيامة		
﴿ لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه ﴾	١٦	١٥٨
﴿ كلا بل تحبون العاجلة ﴾	٢٠	١٠٥

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التكوير		
﴿ إنه لقول رسول كريم ..... ﴾ .	١٩	٢٥٨
﴿ وما هو على الغيب بضنين ﴾ .	٢٤	١٢١
سورة الأعلى		
﴿ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله ﴾ .	٦	١٥٨
سورة الغاشية		
﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ... ﴾ .	١٧	٢٨٤
سورة الفجر		
﴿ وتحبون المال حبا جماً ﴾	٢٠	٣٤٢
﴿ كلا إذا دكت الأرض دكا دكا ﴾ .	٢١	٣٤٢
﴿ وجيئ يومئذ بجهنم ﴾ .	٢٣	١٧٨
سورة الليل		
﴿ وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسرهُ للعسرى ﴾ .	٨-١١	٢٦٠
سورة الزلزلة		
﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ .	٧	٤٣٥
سورة العاديات		
﴿ إن الإنسان لربه لكنود .... ﴾ .	٦	٢٦١

الآيـــــــــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾	٨	٣٤٢
سورة الكافرون		
﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ﴾ .	١-٣	٢٩
سورة النصر		
﴿ إذا جاء نصر الله ﴾	١	٣

فهرس الأحاديث والآثار

(أ)

١) " آية الإيمان حب الأنصار" ٣٧٥
٢) " آية المنافق ثلاث..... " ٢٥٢
٣) " إئذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه " ١٨٩
٤) " ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين " ١٨٩
٥) " أتدرون أي يوم هذا ..... " ٣٨٧
٦) " أتدرون ما المفلس ، قالوا : المفلس فينا من لا درهم " ٢٢٠
٧) " أتشفع في حد من حدود الله " ٧٩-٨٠
٨) " اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة " ٢٦٠
٩) " اتقوا الله واعدلو بين أولادكم " ٦٢-٦٣
١٠) " احفظوه وأخبروه من وراءكم " ٢١٤
١١) " أحلوا من إحرامكم بطواف البيت وبين الصفا والمروة" ٢٠٥
١٢) " أخذ الحسن بن علي تمرة من تمر الصدقة فقال له " ٣٦٩
١٣) " أخرجه من قبره فوضعه على ركبتيه ... " ٣٠١
١٤) " إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم .. " ١٣٢
١٥) " ادعها " أعتقها فإنها مؤمنة " ١٤٦
١٦) " ادنه " " أتحبه لأمك " ٣٤٠
١٧) " إذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين ..." ٥-٦
١٨) " إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه " ٤٥٧
١٩) " إذا صلى أحدكم للناس فليخفف فإن منهم الضعيف " ٢٠٢-٢٠٣
٢٠) " إذا صليتم فأقيموا صفوفكم " ٨٢-٨٣
٢١) " إذ انبعث أشقاها " ٨٢
٢٢) " إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه " ٣٤٤

٢٣) " أراني في المنام أتسوك بسواك فجاءني رجلان " ٣٣٦
٢٤) " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج بسفح هذا الجبل " ٩٤
٢٥) " أرأيتم لو أن رجلا له خيل غر محجلة " ١٧٣
٢٦) " أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم " ١٩٨
٢٧) " أربع من كن فيه كان منافقا خالصا " ٢٥٦
٢٨) " اربعوا على أنفسكم " ١٥٢
٢٩) " ارجعوا إلى أهليكم " ٣٣٩
٣٠) " أرحم أمتي بأمتي أبوبكر ، وأشدهم في أمر الله عمر " ٣٢٥-٣٢٦
٣١) " ارقبوا محمداً ﷺ في أهل بيته " ٢١٦
٣٢) " ازهد في الدنيا يحبك الله " ٢٤٠
٣٣) " استوصوا بالنساء خيراً " ٦٢
٣٤) " استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم " ١٩٨
٣٥) " اشفعوا فلتؤجروا وليقضى الله " ٢١٨
٣٦) " اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، واطلعت ... " ٣٣٢
٣٧) " أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء " ١٩٤
٣٨) " أعطيت خمسا " ٢٧٣
٣٩) " أعطيت سائر ولدك مثل هذا ؟ ... " ٢٤٧-٢٤٨
٤٠) " الأعمال بالخواتيم " ٢٤٥
٤١) " أفلا أعلمكم شيئا تدركون به " ٣٤٦
٤٢) " أقال لا إله إلا الله وقتلته ... أفلا شققت عن قلبه " ٢٩٨
٤٣) " اقبل الحديقة وطلقها تطليقة " ٤٦
٤٤) " أكرم الناس أتقاهم لله " ٥٤
٤٥) " أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا " ٦٢
٤٦) " ألا أخبرك بملاك ذلك كله ؟ .... " ٢٤١
٤٧) " ألا أعلمكما خيراً مما سألتماني " ٣٦٩

٤٨) " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر .... " ٣٩٢
٤٩) " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم " ٧٢
٥٠) " ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية من دم أو مال " ٢٢
٥١) " ألا إن الناس قد صلوا ثم رقدوا " ٩٠
٥٢) " ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب " ٩٥
٥٣) " ألا تبايعون رسول الله ﷺ " ٣٤٧
٥٤) " ألا تصليان " ٣٦٩
٥٥) " ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع " ٢٢٥
٥٦) " ألا لا يدخل الجنة الا نفس مسلمة " ٧٧
٥٧) " ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فقد مات " ٢٦٩
٥٨) " ألا وإن في الجسد مضغة ... " ٢٣٣
٥٩) " ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قد أمر أبا بكر يصلي بالناس..... ٣٢٧
٦٠) " أما بعد أيها الناس ، فإن الناس يكثرون " ٣٧٥
٦١) " أما بعد فإن أهل الشرك والأوثان كانوا يدفعون من هاهنا " ٨٥
٦٢) " أما بعد فإني لأعطي رجالا " ٩٩-١٠٠
٦٣) " أما بعد فما بال أقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله "..... ٨٣-٨٤
٦٤) " أما علمت أن الاسلام يهدم ما كان قبله " ٣٣
٦٥) " أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح " ١٨٢
٦٦) " أما يخشي الذي يرفع قبل الإمام " ٢٠١
٦٧) " الأمر أشد من أن يهمهم ذاك " ١٨٢
٦٨) " أمّر ﷺ زيد بن حارثة على جيش مؤتة " ٣٢٥
٦٩) " أمرنا رسول الله ﷺ يوما أن نتصدق " ٣٥٤
٧٠) " أمسك عليك بعض مالك " ٣٥٤
٧١) " إن الأكثرين هم الأقلون يوم القيامة " ٣٤٥
٧٢) " أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال " ٢٥٩

٧٣) " أنا وكافل اليتيم في الجنة " ٦٣
٧٤) " إنا والله لا نولي على هذا العمل أحدا سأله .... " ٣٢٤
٧٥) " إن البحيرة التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس " ٧
٧٦) " إن بني هشام بن المغيرة استأذنوني أن ينكحوا ابنتهم علي بن أبي..... ٩٦
٧٧) " أن تطعمها إذا طعمت وتكسوها إذا اكتسيت " ٢١٧
٧٨) " إن تطعنوا في إمارته – فقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله " ١٠١
٧٩) " أنتم الذين قلتم كذا وكذا ... " ١٧٠
٨٠) " إن الحمد لله نحمده ونستعينه .... " ١٠٣-١٠٤
٨١) " إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع " ٢١١
٨٢) " إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا " ٧٨
٨٣) " أن رجلا زار أخاله ... " ٤٤٣
٨٤) " إن رسول الله ﷺ مكث تسع سنين .... " ٣٨٧
٨٥) " إن الرفق لا يكون في شيء .... " ٤١٠
٨٦) " انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ " ٢٨٥
٨٧) " إن الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب " ٣
٨٨) " إن الصدق يهدي إلى البر ... " ٢٥١
٨٩) " انطلق نبي الله ﷺ إلى رضمة من جبل الصفا " ٩٥
٩٠) " انطلقوا إلى يهود ... يا معشر يهود أسلموا ... " ٣٠٣
٩١) " انظروا إلى من أسفل منكم " ٣٤٤
٩٢) " إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه " ١٨٠
٩٣) " إن العين نائمة والقلب يقظان فقالوا فالدار الجنة " ٢٠٨
٩٤) " أن قريشا أرسلوا إليه ﷺ عتبة " ٢٧٩
٩٥) " إنك تقدم على قوم أهل كتاب " ٢٨
٩٦) " انكسفت الشمس في عهد رسول الله ﷺ ..... " ١٠٥
٩٧) " إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني .... " ٣٢٨

٩٨) " إن لكل أمة فتنة " ٣٤٥
٩٩) " إن الله جميل يحب الجمال " ٢٤٤
١٠٠) " إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين " ٧٩
١٠١) " ان الله خيّر عبدا بين الدنيا وبين ما عنده " ٧٦
١٠٢) " إن الله زوى لي الأرض " ١٩١
١٠٣) " أن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام " ٧٢
١٠٤) " إن الله قد أذهب عنكم عـُبـّية الجاهلية " ٢٥
١٠٥) " إن الله قد فرض عليكم الحج فحجوا " ٨٠
١٠٦) " إن الله لا ينظر إلى أجسادكم " ٢٦٦
١٠٧) " إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي " ١٤٦
١٠٨) " إن الله يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا " ..... ٥٥ - ٥٦
١٠٩) " إنما خيرني الله فقال استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ... " ٣٠١
١١٠) " إن المقسطين عند الله على منابر من نور .... " ٢٤٥
١١١) " إن مما أخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم " ٩٢
١١٢) " إن من إجلال الله " ٣٣٧
١١٣) " إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة " ١١٣
١١٤) " إن من خياركم أحسنكم أخلاقا " ٢٣٤
١١٥) " إن من الشجر شجرة " ٣٥٠
١١٦) " إن من الشعر حكمة " ٤٠٧
١١٧) " أن النبي ﷺ جلس على صخرة من بني ظفر " ١٧١-١٧٢
١١٨) " أن النبي ﷺ كانت تذهب به الأمة حيث شاءت " ٢٤٣
١١٩) " أن النبي ﷺ يخدم أهله في بيته " ٢٤٣
١٢٠) " أن النبي ﷺ كان يوجز في الصلاة " ٢٠٣
١٢١) " أن النبي ﷺ لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح " ١٥
١٢٢) " أن النبي ﷺ لم يزل واقفا بعرفة حتى غربت الشمس " ٢٠٦

١٢٣) " أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى ... " ٣١٣
١٢٤) " أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء " ٢١-٢٢
١٢٥) " أنه تداوله بضعة عشر من رب إلى رب (سلمان) " ٣٠٨
١٢٦) " ان هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس " ٣٦٠
١٢٧) " إنه قد وجهت لي أرض ذات نخل ... " ٢٩٢
١٢٨) " إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير " ١٨١
١٢٩) " إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودا " ٦٧-٦٨
١٣٠) " إني لأدخل في الصلاة أريد إطالتها " ٢٠٣
١٣١) " أهللنا مع رسول الله ﷺ " ٤٢٤
١٣٢) " أوصيكم بالأنصار فإنهم كرشي " ٣٧٥
١٣٣) " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة " ٩٠
١٣٤) " أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون ؟ " ٣٤٥
١٣٥) " أو مسلما " ..... ٣٥٢ - ٣٥٣
١٣٦) " أي الاسلام خير قال تطعم الطعام ؟ " ٥٨
١٣٧) " إياكم و الدخول على النساء " ٢٢٦
١٣٨) " أي رجل عبدالله بن سلام فيكم ؟ " ٣٠٤
١٣٩) " أيسرك أن يكونوا إليك في البر سواء ؟ قال بلى " ٣٣٥
١٤٠) " أي قوم والله لقد وفدت على الملوك " ٣١
١٤١) " أيكم يحفظ حديث رسول الله ﷺ في الفتنة " ..... ١٨٨ - ١٨٩
١٤٢) " أيكون المؤمن جبانا ؟ قال نعم " ٢٥٦
١٤٣) " أيها الناس إني أمامكم فلا تسبقوني " ٢٠١

(ب)

١٤٤) " بادرو بالأعمال ستا " ..... ١٨٦ - ١٨٧
١٤٥) " بادروا بالأعمال فتنا كقع الليل " ١٩٠
١٤٦) " بايعت رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في العسر واليسر " ٢١١

١٤٧) " بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا " ٣٤
١٤٨) " بعثت بجوامع الكلم " ١٠٣
١٤٩) " بلغوا عني ولو آية " ٢١٤
١٥٠) " بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه ... إن خسف الله به .. "..... ٢٤٣
١٥١) " بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ " .... ٣٦١ – ٣٦٢

(ت)

١٥٢) " تجدون الناس معادن خيارهم في الجاهلية " ٥٤
١٥٣) " تدني الشمس يوم القيامة " ٣٩٢
١٥٤) " تركتكم على المحجة البيضاء " ٣
١٥٥) " تزوجوا الودود الولود " ٦٢
١٥٦) " تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله " ٣٥٥
١٥٧) " تعجبون من غيرة سعد .... " ١٥٤
١٥٨) " تعس عبد الدينار وعبد الدرهم .... " ٤١٨
١٥٩) " تقئ الأرض أفلاذ كبدها " ١٩٢
١٦٠) " تقوى الله وحسن الخلق "..... ٢٣٤
١٦١) " تهادوا فإن الهدية تذهب وحر الصدر " ٦٠

(ث)

١٦٢) " ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم ٢٤١
١٦٣) " ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل " ١٨٦
١٦٤) " ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب ..... " ٣٠٧
١٦٥) " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان " ٥٢
١٦٦) " ثم سلوا الله لي الوسيلة ... " ٣٨٠

(ج)

١٦٧) " جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ..... ٣١٤

١٦٨) " جاءت ملائكة إلى النبي ﷺ وهو نائم ... " ٢٠٨
١٦٩) " جاءت هند بنت عتبة فقالت يارسول الله ما كان"..... ٣٤

(ح)

١٧٠) " الحمد لله نحمده ونستعينه " ٨٦
١٧١) " حوضي مسيرة شهر " ١٨٢

(خ)

١٧٢) " خرج رسول الله ﷺ يوم الحديبية فلم يكلم أحدا حتى نحر" ٤٢
١٧٣) " خرج زيد بن عمرو إلى الشام يسأل عن الدين " ١٤
١٧٤) " خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت " ٧٣
١٧٥) " خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ " ٦٧
١٧٦) " خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ويصلون عليكم .. " ٣٢٨

(د)

١٧٧) " دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح " ١٢
١٧٨) " دعانا رسول الله ﷺ فبايعناه فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا..... ٣٢٩
١٧٩) " دعه لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه " ٢٩٨
١٨٠) " دنت مني الجنة حتى لو اجترأت " ١٧٧

(ر)

١٨١) " رأس الكفر نحو المشرق " ٢٦٩
١٨٢) " رؤيا الأنبياء وحي " ١٧٣
١٨٣) " رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها وضع أصبعيه " ١٥٣
١٨٤) " رأيت عمرو بن عامر يجر قصبه في الثار " ٥
١٨٥) " رفع القلم عن ثلاث " ٩

(ز)

١٨٦) "الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض "..... ٨٤ – ٨٥
١٨٧) " زوجكن أهاليكن وزوجني الله تعالى " ١٤٦

(س)

١٨٨) " سأل أهل مكة أن يريهم آية " ٢٨٥
١٨٩) " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله " ٥٦
١٩٠) " ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم " ١٨٨
١٩١) " سجد النبي ﷺ بالنجم " ٢٧٩
١٩٢) " سمعت سعيد بن زيد يقول للقوم لو رأيتني موثقي عمر" ٣٢ – ٣٣
١٩٣) " سمعت منادي رسول الله ﷺ " ..... ٧٣ – ٧٤ – ٧٥ – ٧٦
١٩٤) " سووا صفوفكم فإن تسوية الصفوف من تمام الصلاة " ١٩٩

(ص)

١٩٥) " صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة " ٢٠٠
١٩٦) " صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة " ٢٠٠
١٩٧) " الصلاة على وقتها " جوابا لمن سأل عن أحب الأعمال إلى الله " ٢٣٨

(ع)

١٩٨) " عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط " ١٨٥
١٩٩) " عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر " ٨٦–٨٧
٢٠٠) " عرضت على الجنة والنار آنفاً " ١٧٧
٢٠١) " العقل وفكاك الأسير " ٢٢٨
٢٠٢) " على أنقاب المدينة ملائكة " ١٥٦
٢٠٣) "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب " ٢١١
٢٠٤) " عليك السمع والطاعة في عسرك ويسرك " ..... ٢١٠ – ٢١١

(ع)

٢٠٥) " غفار غفر الله لها وأسلم سالمها " ٥٤

(ف)

٢٠٦) " فإن خلق نبي الله ﷺ كان القرآن " ٢٣٣
٢٠٧) " فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم " ٢١٩
٢٠٨) " فو الله ما الفقر أخشى عليكم .. " ١٢٨
٢٠٩) " فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة " ١٩٤

(ق)

٢١٠) " قدم النبي ﷺ وأصحابه صبح رابعة من ذي الحجة " ..... ٨١ – ٨٢
٢١١) " قريش والأنصار وجهينة ومزينه وأسلم وغفار وأشجع موالي..... ٥٤
٢١٢) " قل لا إله إلا الله أشهد لك بها " ٢٧٧

(ك)

٢١٣) " كافل اليتيم له أو لغيره أنا " ٦٣
٢١٤) " كان أحسن الناس خلقا .... " ٣٩٢
٢١٥) " كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثا ... " ١٠٤
٢١٦) " كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ... " ٣٢٩
٢١٧) " كان جذع لم يقوم إليه النبي ﷺ ..... " ٣٨٦
٢١٨) " كان رسول الله إذا خطب احمرت عيناه " ٨٨
٢١٩) " كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة ... " ١٥٨
٢٢٠) " كان غلام يهودي يخدم النبي ﷺ فمرض ... " ٣٠٣
٢٢١) " كان كلام رسول الله ﷺ كلاما فصلا ... " ١٠٤
٢٢٢) " كان المهاجرون حين قدموا المدينة يرث الأنصاري " ٥٦
٢٢٣) " كان الناس يطوفون في الجاهلية عراة إلا الحمس " ١٩
٢٢٤) " كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتو البيت من ظهره " ١٩
٢٢٥) " كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله " ٣٧

٢٢٦) " كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية " ٢٠
٢٢٧) " كبر ، كبر ..... " ٣٣٦
٢٢٨) " كتاب الله هو حبل الله الممدود ... " ١٦٠
٢٢٩) " كتابه ﷺ إلى النجاشي ... " ٣١٣
٢٣٠) " كف عليك هذا " في بيان أركان الإسلام وأبواب الخير " ٢٤٠
٢٣١) " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى " ..... ٢٠٧ - ٢٠٨
٢٣٢) " كلا والذي نفس محمد بيده إن الشملة لتلتهب..... ٢٢٢
٢٣٣) " كل خطبة ليس فيها تشهد " ٢٢٧
٢٣٤) " كل سلامي من الناس عليه صدقة " ٦١
٢٣٥) " كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل " ٢٢٥
٢٣٦) " كل كلام لا يبدأ فيه بالحمد لله " ٢٢٧
٢٣٧) " كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته " ٦٢
٢٣٨) " كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلا " ٧٩
٢٣٩) " كنـّا معشر قريش قوما نغلب النساء " ٤٩
٢٤٠) " كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم حفاة عراة "..... ٨٨-٨٩
٢٤١) " كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها ... " ٣٢٨
٢٤٢) " كيف نسبه فيكم ؟ " ٢٦

(ل)

٢٤٣) " لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء "..... ٩١-٩٢
٢٤٤) " لا تحاسدوا ولا تناجشوا " ..... ٦٠ - ٦١
٢٤٥) " لا تحسسوا ولا تجسسوا " ٣٠٠
٢٤٦) " لا تحقرن من المعروف شيئا " ٥٩
٢٤٧) " لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ... " ٥٨
٢٤٨) " لا تزال المسألة بأحدكم " ٣٤٧
٢٤٩) " لا تزرموه ، دعوه " ٣٥٩

٢٥٠) " لاتشفع في حد " ٣٦٧
٢٥١) " لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال " ..... ١٩١ - ١٩٢
٢٥٢) " لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل..... ١٨٨
٢٥٣) " لا تكتبوا عنى ، ومن كتب عنى " ٢٢٩
٢٥٤) " لا تلجوا على المغيبات فإن الشيطان " ٢٢٦
٢٥٥) " لا حسد إلا في اثنين " ٦٠
٢٥٦) " لا طاعة في معصية الله " ٢٢
٢٥٧) " لا " ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم " ٥٧
٢٥٨) " لا " مرتين جوابا لمن قالت أفنكحلها " ٤٧
٢٥٩) " لأنه حديث عهد بربه " ١٤٦
٢٦٠) " لأن يأخذ أحدكم حبله " ٣٤٧
٢٦١) " اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر " ١٨١
٢٦٢) " اللهم رب هذه الدعوة " ٣٨٠
٢٦٣) " اللهم علمه الحكمة " ٤٠٦
٢٦٤) " اللهم من ولي من أمر أمتي شيئا فرفق بهم " ٣٢٥
٢٦٥) " اللهم هؤلاء أهلي " ٣١٨
٢٦٦) " لا يجزي ولد والدا إلا أن يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه " ٢٣٨
٢٦٧) " لا يحل لمسلم ان يهجر أخاه فوق ثلاث ليال " ٦١
٢٦٨) " لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم " ٢٢٦
٢٦٩) " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " ٢٤٣
٢٧٠) " لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال ... " ١٥٦
٢٧١) " لا يدخلن رجل بعد يومي هذا على مغيبة " ..... ٨٠ - ٨١
٢٧٢) " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " ٢٤٩
٢٧٣) " لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبه " ٢٠٣
٢٧٤) " لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه " ٢٠٣

٢٧٥) " لا يزال العبد يكذب وتنكت في قلبه ... " ٢٥٦
٢٧٦) " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده " ٥١
٢٧٧) " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه " ٢٥
٢٧٨) " لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري " ٢٠٥
٢٧٩) " لتسون صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم " ١٩٩
٢٨٠) " لتقيمن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم " ١٩٩
٢٨١) " لتؤدن الحقوق إلى أهلها " ١٧٩
٢٨٢) " لقد خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين " ١١٨
٢٨٣) " لقد خشيت على نفسي فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا " ٥
٢٨٤) " لقد كان من قبلكم ليمشط بمشاط الحديد " ٤٤٦
٢٨٥) " لكنَّ أحسن الجهاد وأجمله الحج " ٣٣٣
٢٨٦) " لما آخى رسول الله ﷺ بين سعد بن الربيع وعبدالرحمن بن عوف "... ٥٦
٢٨٧) " لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم ... " ٣١٣
٢٨٨) " لما توفى رسول الله ﷺ وكان أبو بكر " ١٨
٢٨٩) " لما كذبتني قريش قمت في الحجر " ١٧٩
٢٩٠) " لو آمن بي عشرة من اليهود ... " ٣٠٣
٢٩١) " لو أن لابن آدم واديا من ذهب أحب أن يكون له واديان .. " ٢٦١
٢٩٢) " لو دخلوها ما خرجوا منها " ٢١٢
٢٩٣) " ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل بالصدقة..... ١٩٢
٢٩٤) " ليردن علي ناس من اصحابي " ..... ١٨٢ - ١٨٣
٢٩٥) " ليس لابن آدم حق في سوى هذه الخصال " ٣٤٥
٢٩٦) " ليس منا من ضرب الخدود وشق " ٥٥
٢٩٧) " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف ... " ٣٣٤
٢٩٨) " ليس من بلد الا سيطؤه الدجال " ١٥٦
٢٩٩) " ليس من يوم إلا تعرض على النبي ﷺ أمته " ١٧٢

٣٠٠) " ليس المؤمن بالطعان " ٢٦٥
٣٠١) " ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ... " ٣٣٦
٣٠٢) " لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم " ٩٣

(م)

٣٠٣) " ما أكرم شاب شيخا لسنه إلا " ٣٣٧
٣٠٤) " ما أكل أحد طعام قط " ..... ٣٤٧ - ٣٤٨
٣٠٥) " ما أنكرت شيئا إلا أنكم لا تقيمون الصفوف " ١٩٩
٣٠٦) " ما بال أقوام قالوا كذا وكذا " ٦٢
٣٠٧) " ما بال دعوى الجاهلية " ٥٥
٣٠٨) " ما بال عامل أبعثه فيقول هذا لكم ، وهذا أهدي لي " ٩١
٣٠٩) " ما بقي في الناس أعلم مني ، هو من أثل الغابة " ٣٨٥
٣١٠) " ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال " ١٨٦
٣١١) " ما بين نا جبني حوضي كما بين صنعاء وأيلة " ١٨٤
٣١٢) " ما حديث بلغني عنكم " ٩٩
٣١٣) " ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر " ٣٣
٣١٤) " ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده ولا امرأة ولا خادما .. " ١١٦
٣١٥) " ما من أحد أغير من الله .... " ١٥٤
٣١٦) " ما من أصحاب النبي ﷺ أحد أكثر حديثا عنه مني " ٢٢٨
٣١٧) " ما من أمير يلي أمر المسلمين ثم لم يجهد لهم وينصح لهم..... ٢٤٦
٣١٨) " ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ... " ..... ٢٨١ - ٢٨٢
٣١٩) " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق " ٢٣٤
٣٢٠) " ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه " ٦٨
٣٢١) " ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت" ٢٤٦
٣٢٢) " ما من مولود إلا يولد على الفطرة " ٩
٣٢٣) " ما من نبي إلا قد انذر أمته الأعور الكذاب " ..... ١٨٧ - ١٨٨

٣٢٤) " ما نقصت صدقة من مال " ٢٤٣
٣٢٥) " ما هذه النمرقة " ٢١٤
٣٢٦) " ما يأمن الذي يرفع رأسه في صلاته قبل الإمام .... " ٢٠١
٣٢٧) " مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد ... " ٢٦١
٣٢٨) " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد .. "٢٣٨-٢٣٩
٣٢٩) " مروا أبا بكر فليصل بالناس " ٤٢
٣٣٠) " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم ... " ٣٣٤
٣٣١) " المسلم أخو المسلم لا يخونه " ٦٠
٣٣٢) " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " ٢٤١
٣٣٣) " المسلمون تتكافأ دماؤهم " ٥٤
٣٣٤) " معي من ترون وأحب الحديث إلى أصدقه " ١٠٠-١٠١
٣٣٥) " من ابتلي من البنات بشيء ... " ٦٣
٣٣٦) " من أحدث في أمرنا هذا " ٢٠٩
٣٣٧) " من استعملناه منكم على عمل " ٢٢٢
٣٣٨) " من أطاعني فقد أطاع الله " ٢١٠
٣٣٩) " من ترك ثلاث جمع تهاونا طبع الله على قلبه " ٢٠٤
٣٤٠) " من تصدق بعدل تمرة من كسب " ٦٠
٣٤١) " من حالت شفاعته دون حد من حدود الله " ٢١٨
٣٤٢) " من حدثك أن النبي ﷺ كتم شيئا ... " ١٦٢
٣٤٣) " من رأى من أمير شيئا يكرهه فليصبر " ٢١١-٢١٢
٣٤٤) " من سره أن يلقى الله تعالى غرا مسلما " ٢٠٠-٢٠١
٣٤٥) " من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك " ٨١
٣٤٦) " من عال جاريتين حتى تبلغا " ٦٣
٣٤٧) " من قال أشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له ١٧٦
٣٤٨) " من القوم أو من الوفد " ٣٦٣

٣٤٩) " من كان له امرأتان يميل لاحداهما " ٦٣
٣٥٠) " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " ٢٤٩
٣٥١) " من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب ٢٤٦
٣٥٢) " من يحرم الرفق يحرم الخير " ٤١٠
٣٥٣) " من يضيف هذا الليلة ؟ ... " ٥٣
٣٥٤) " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله " ٢٣٩
٣٥٥) " المؤمنون تتكافأ دماؤهم " ٥٤
٣٥٦) " ما يكن عندي من خير فله ادخره " ٣٤٦

(ن)

٣٥٧) " نعَم ، عذاب القبر " ١٨٠
٣٥٨) " نعم المرضعة وبئست الفاطمة " ٣٢٦

(هـ)

٣٥٩) " هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قالته عائشة للنبي ﷺ " ٢
٣٦٠) " هل أنت مريحي من ذي الخلصة " ١٢
٣٦١) " هل ترون ما أرى إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم"..... ١٨٩
٣٦٢) " هل تسمع النداء ؟ ..... " ٢٠٠
٣٦٣) " هل رأى أحد منكم رؤيا " ٢٥٧
٣٦٤) " هل عندكم شئ من الوحي إلا ما في كتاب الله ... " ١٦٣
٣٦٥) " هل فيكم أحد من غيركم " قاله للأنصار - رضي الله عنهم - " ٤١٦
٣٦٦) " هل من رجل يحملني إلى قومه ..... " ٢٩٠
٣٦٧) " هل لك من إبل ؟ ..... " ٣٩٧

(و)

٣٦٨) " واجعلوا التي قدمتم بها متعة " ٢٠٦
٣٦٩) " وأرسلت إلى الخلق كافة " ٢٧٣

٣٧٠) " وإن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة " ١٨٤
٣٧١) " وأنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها " ٣١١
٣٧٢) " وإنه قد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور " ٦٨-٦٩
٣٧٣) " وأول من يكسى من الجنة يوم القيامة إبراهيم " ١٧٥
٣٧٤) " وتبسمك في وجه أخيك صدقه " ٥٩
٣٧٥) " والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار " ٣٣٣
٣٧٦) " وصلُّوا كما رأيتموني أصلي " ٤٢٥
٣٧٧) " والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي رجل ..... " ٣٠٢
٣٧٨) " والذي نفسي بيده إنكم لأحب " ٣٧٥
٣٧٩) " والذي نفسي بيده لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم"..... ٢١٥
٣٨٠) " والذي نفسي بيده لقد هممت أن أمر بحطب " ٢٠٠
٣٨١) " والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة " ١٩٠
٣٨٢) " والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي " ٢١٦
٣٨٣) " والله لقرابة رسول الله ﷺ أحب إلي أن أصل " ٢١٦
٣٨٤) " والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل .... " ٤٥٧
٣٨٥) " ولو استعمل عليكم عبد حبشي يقودكم " ٢١١
٣٨٦) " ولوأني استقبلت من أمري ما استدبرت " ٢٠٥
٣٨٧) " ولو كان محمد ﷺ قائما شيئا مما أنزل عليه ... " ١٦٣
٣٨٨) " ويحك ياثعلبة قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه " ١٨

(ي)

٣٨٩) " يا أباذر اكتم هذا وارجع إلى بلدك ... " ٢٩١
٣٩٠) " يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة ... " ٣٢٤
٣٩١) " يا ابا عمير ما فعل النغير " ٢٤٣
٣٩٢) " يا أيها الناس أفشوا السلام واطعموا الطعام " ٥٨
٣٩٣) " يا أيها الناس انكم تحشرون إلى الله حفاة " ٧٠

٣٩٤) " يا أيها الناس إنكم منفرون " ٩٣
٣٩٥) " يا أيها الناس إن الله يأمركم أن تعبدوه " ٢٩٠
٣٩٦) " يا أيها الناس إني صنعت هذا ..... " ٣٨٦
٣٩٧) " يا أيها الناس أي يوم هذا ؟ قالوا يوم حرام ، قال : فأي بلد"..... ٢١٩
٣٩٨) " يا بني فهر يا بني عدي ..... " ٣٨٥
٣٩٩) " يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار " ٩٤
٤٠٠) " يا حكيم إن هذا المال خضر حلو " ٣٤٧
٤٠١) " يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه " ٣٦١
٤٠٢) " يا صباحاه ... " ٣٨٨
٤٠٣) " يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق ... " ٤١٠
٤٠٤) " يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم " ٣٦٢
٤٠٥) " يا عباس يا عم رسول الله ﷺ " ٣٧٠
٤٠٦) " يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها" ٣٢٤
٤٠٧) " يا عدي هل رأيت الحيرة ؟ .... " ١٩٢-١٩٣
٤٠٨) " يا عم قل لا إله إلا الله " ٢٧٧
٤٠٩) " يا غلام إني أعلمك كلمات " ٣٣٨
٤١٠) " يا غلام سم الله وكل بيمينك " ٢١٤
٤١١) " يا معاذ أفتان أنت " ٣٦٦
٤١٢) " يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا " ٩٩
٤١٣) " يا معشر الأنصار .. ، قلتم أما الرجل " ٣٧٤
٤١٤) " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ... " ٦١
٤١٥) " يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله " ٩٤-٩٥
٤١٦) " يا معشر المسلمون من يعذرني من رجل بلغ أذاه في أهل بيتي " ٩٧-٩٨
٤١٧) " يا معشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه " ٩٣
٤١٨) " يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار ..... " ٨٧

٤١٩) " يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ..... " ٣٣٢
٤٢٠) " يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل .... " ١٤٦
٤٢١) " يتقارب الزمان وينقص العمل .... " ١٨٨
٤٢٢) " يجزئ عنك الثلث " ٣٥٤
٤٢٣) " يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون " ١٧٨
٤٢٤) " يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار ..... " ٤٢٦
٤٢٥) " يوشك أن تداعى عليكم الأمم ... " ١٠٧
٤٢٦) " يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب " ١٩٣
٤٢٧) " يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله ، فإن كانوا ..... " ٣٢٧

فهرس الغريب

(أ)

" آمين " ٨٣
" لأبتليك " ٧١
"اجْتَالَتْهُ " ٧١
" اجتهلته الحمية " ٩٧
" أرفؤوا " ٧٤
" أزرمه " ٣٥٩
" استأنيت " ١٠٠
" استدار " ٨٤
" الأسوة " ٥٧
" أعذرك " ٩٧
" اغتلم " ٧٤
" الأقتاب " ٤٢٦
" أقْرُب السفينة " ٧٤
" أنظرهم " ١٠٠
" أهلب " ٧٤
" أهمهم " ٧٩
" أوثق " ٨٣
" أوعى " ٨٥
" أيمَّا " ١٨٨

(ب)

" بحيرة الطبرية " ٧٥
" بضع " ١٠٠
" بضعَه " ٩٦
" بلالها " ٩٤
" بيسان " ٧٤

(ت)

" التحيات " ٨٣
" تخفق " ٩٢
" تربها " ٤٤٣
" ترقق " ٦٩
" تفتن " ٩٦
" تفتنون " ٦٨
" تعيروهم " ٩٣
" تلك بتلك " ٨٣
تمعّروجهه " ٨٨
" التنافس " ٧٣
" فتندلق " ٤٢٦
" تنكشف " ٦٩
" تيْعَر " ٩١

(ث)

" ثقلين " ٩٥
" ثلطت " ٩٢
" الثمر " ٦٨
ثمرة قلبه " ٦٩

(ج)

" الجزع " ١٠٠
" الجساسة " ٧٤
" جشره " ٦٩

(ح)

" حب " ٧٩
" الحَبَط " ٩٢
" الحجّ " ٨٠
" حجابه النور " ٧٢

" ذو الحجة " ٨٤
" حفاة " ٧٠
" الحفش " ٤٧
" حنفاء " ٧٠

(خ)

" خسفت الشمس " ٦٧
" الخضرة " ٩٢
" خشاش الأرض " ٦٨
" الخليل " ٧٦
" خُمّا " ٩٥
" الخَنين " ٨٧
" خوار " ٩١

(د)

" دعّار " ١٩٢
" الدَّيْرُ " ٧٤

(ذ)

" ذرقت " ٩٠

(ر)

" رجب مضر " ٨٥
" الرحضاء " ٩٢
رَحْله " ٩٣
" رضمة " ٩٥
" رقدوا " ٩٠
" رَقِيق القَلب " ٧١

(ز)

" زبْر " ٧١
" زحزحه " ٦٩

" عين زغَر " ٧٥

(س)

" ساقتطها " ٧٩
" السبابة " ٨٨
" سبحات وجهه " ٧٢
" سدينا " ١٠٠
" السروات " ٣٧
" سفح الجبل " ٩٤

(ش)

" الشاهد " ٨٥
" شرط الله " ٨٣
" شروطا " ٨٣
" الشطر " ٧٧
" الشّنيظير " ٧٢

(ص)

" صامت " ٩٢
" صلتا " ٧٤

(ض)

" ضلالا " ٩٨
" ضلال " ٨٤
" ضياعا " ٨٨

(ظ)

" ظهر عليهم " ٧٥

(ع)

" العارم " ٨٢
" العافية " ٦٩

" عالة " ٩٨
" العُبّية " ٢٥
" العرفاء " ٣٢٣
" العَرْق " ٢٠٠
" العفيف " ٧١
" العناق " ٨١

(غ)

" الغذاء " ٨١
" غرلا " ٧٠

(ف)

" الفاطمة " ٣٢٦
" الفاقة " ٨٨
الفرسن " ٣٣٢
" فرطكم " ٧٣
" فرَّق بين الحق والباطل " ٢٠٨
" الفَرَق " ٧٤
" فشت " ٨١

(ق)

" القروم " ٢٨٢
" القصب " ٥
" قفل " ١٠٠
" القناة " ٣٩

(ك)

" كذا وكذا " ٩٨
" كلمة الله " ٧٨
" كومين " ٨٩

(ل)

" لا ألفين " ٩١
" لعب بهم الموج " ٧٤
" لفح النار " ٦٨

(م)

" مبرح " ٧٨
" متعفف " ٧١
" محتابى النمار " ٨٨
" المحجن " ٦٨
" المخضرمة " ٣٨٧
" المخصرة " ٧٥
" المدرجة " ٤٤٣
" مذهبة " ٨٩
" المرضعة " ٣٢٦
" المرماة " ٢٠٠
" مُصفح " ١٥٤
" المغيبة " ٨١
" المقت " ٧١
" مقتوينا " ٣٩
" المقسط " ٧١
" منيع " ٨٢
" مهلين " ٨١

(ن)

" ناعوس " ١٠٤
" النحل " ٧٠
" النسك " ٨١
" نغزك " ٧١
" نفر الصيد " ٧٩

" النقب " ٧٥
" النواجذ " ٩٠

(ه)

" الهدي " ٨٢
" الهدي هدى محمد " ٨٨
" هدينا " ٨٥
" الهلع " ١٠٠

(و)

" وجَدُوا " ٩٨
" وجلت " ٩٠
" وَدْعهم " ٩٣
" وزرها " ٨٩
" الوضع " ٧٨

(ي)

" اليافوخ " ٢٨٢
" يتهلل " ٨٩
" يَثْلغُوا " ٧١
" يختلى " ٧٩
" يختمن " ٩٣
" يَخْفى " ٧١
" يدفعون " ٨٥
" يربأ أهله " ٩٥
" يريبني ما رابها " ٩٦
" يعذرني " ٩٧
" يُلم " ٩٢
" ينتضل " ٦٩
" يُهمهم " ١٨٢

فهرس الأعلام

(أ)

إبراهيم بن خالد الكلبي ١٤٤
أبو أمامة الباهلي = صدي بن عجلان .....
أبوبردة بن نيار = هانئ بن نيار .....
أبو حميد عبدالرحمن بن عمرو ٩١
أبو زمعة = الأسود بن المطلب .....
أبي بن كعب الأنصاري ١٩٣
الأبيّ = محمد بن خلف .....
أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ١٥٠
أحمد بن عمر بن إبراهيم ١٧٧
الأخطل " غياث بن غوث .....
الأدرع بن جنادة = أبو الجعد الضمري ٢٠٤
إسحاق بن راهويه ١٤٣
إسماعيل بن عبدالرحمن بن كريمة السدي ١٥٩
أسامة بن زيد ٧٩
الأسود بن المطلب ٨٢
أسيد بن حضير بن محمد بن الفضل ٩٨
الأصفهاني = الحسين بن محمد بن الفضل .....
أنس بن زياد وبن سفيان العبسي ٤٣
الألوسي = محمود شاكر .....
الأوزاعي = عبدالرحمن بن عمرو .....
أوس بن الصامت الأنصار ٤٦

(ب)

البراء ابن عازب بن حارث الأنصاري ١٩
بريرة مولاة عائشة _ رضي الله عنهما – ١٢٢
البسوس بنت منقد التميمية ٣٧
ابن بطال = علي بن خلف بن بطال البكري أبو الحسن .....
البغوي = الحسين بن مسعود .....
البهيقي = أحمد بن الحسين بن علي .....

(ت)

تماضر بنت عمرو بن الشريد ٢٣

(ث)

ثابت بن قيس بن شماس بن أبي زهير ٤٦
ثعلبة بن حاطب الأنصاري الأوسي ١٨
ثوبان بن بجرو أو جحدور ١٩١
الثوري = سفيان بن سعيد .....

(ج)

أبي جحيفة = وهب بن عبدالله السوائي .....
الجرجاني = عبدالقاهر .....
الجرجاني = علي بن محمد بن محمد بن علي .....
جرير بن عبدالله اليحي ١٢
جرير بن عطية الخطفي ٢٤
جساس بن مرة ذهل الشيباني ٣٨
جعفر بن أبي طالب ٢٩٤

(ح)

حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي القحطاني ٢٤
الحارث بن عوف المري ٤١
أبو حازم = سلمة بن دينار .....
ابن حبان ٢٠٢
حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - ١٢٩
حسان بن الغدير ٤٤
الحسن بن أبي الحسن ٩١
الحسين بن عبدالباقي بن نافع بن مرزوق الأموي البغدادي ١٥
الحسين بن محمد بن المفضل ، الأصفهاني ٢٣٩
الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ١٥
أم الحصبن ٢١١
حكيم بن حزام ٣٤٦
أم حكيم بنت الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم ٤٤
حكيم بن معاوية القشيري ٢١٦
حميد بن نافع الأنصاري ٤٧
حميد بن هلال بن سويد ٣٦١
حويصة بن مسعود ٣٣٦

(خ)

خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله المخزومي القرشي ١١
الخنساء = تماضر بنت عمرو بن السريد .....
خولة بنت مالك بن ثعلبة ٤٦

(د)

ابن دقيق العيد = محمد بن علي بن وهب القشيري .....

(ذ)

أبوذر ٢١١
الذهبي = محمد بن أحمد .....

(ر)

الربيع بن زياد بن عبدالله بن سفيان ٤٣٠
ربيعة بن عباد الدؤلي ٢٩٠
ابن رجب ٢٠٩
أبو رفاعة العدوي = عبدالله بن الحارث بن أسد .....
رفيع بن مهران الإمام المقرئ = أبو العالية ٤٣٣

(ز)

الزرقاني = محمد عبدالباقي .....
الزمخشري = محمود بن عمر الخورزمي .....
الزهري = محمد بن مسلم بن عبدالله .....
زياد بن سفيان بن عبدالله بن ثابت العيسى ٤٢
زيد بن حارثة ١
ابن أبي زيد القيرواني = عبدالله بن أبي زيد ١٤٩
زينب بنت أبي سلمة ٤٧

(س)

سالم بن عبدالله بن عمر القرشي العدوي ١٤
السدي = إسماعيل بن عبدالرحمن بن كريمة .....
سعد بن الربيع بن عمرو الأنصاري ٤٩
سعد بن مالك بن سنان أبو سعيد الخدري ٧٦

سعيد بن جبير بن هشام ٥٤
سعيد بن المسيب ٧
سفيان بن سعيد بن مسروق ١٤٣
سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد ٤٥
سلمان الفارسي ٣٠٨
سلمة بن دينار أبو حازم ٣٨٥
سليم بن جبير ويقال : ابن جبيرة ١٥٣
سمرة بن جندب - ﷺ - ٢٥٧
سهل بن أبي حثمة الأنصاري ٣٣٦
سهل بن سعد بن مالك الأنصاري الساعدي ٣٨٥
سيوطي عبدالرحمن بن علي .....

(ش)

الشنفري = عمرو بن مالك الأزدي .....

(ص)

صخر بن حرب بن أمية ١٢
صخر بن عمرو بن الشريد ٢٣
صدي بن عجلان أبو أمامه الباهلي ١٨
صفوان بن سليم ٢٥٦
صفوان بن المعطل ٩٧

(ض)

الضحاك بن مراهم الهلالي ١٥٩
ضماد بن ثعلبة ١٠٣
الضمّري = الأدرع بن جنادة .....

(ط)

الطفيل بن عمرو الدوسي ٢٩٢

(ع)

عاتكه بنت مرة بن هلال بن فالج ٤٥
أبو العالية = رفيع بن مهران .....
عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ٣٤
ابن عبدالبر = يوسف ابن عبدالله .....
عبدالباقي بن فانع ١٥

عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن المحاربي أبو محمد الأندلسي الغرناطي ١٦
عبدالرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق السيوطي ٧
عبدالرحمن بن عمرو أبو حميد ٩١
عبدالرحمن بن نجم الحنبلي ٤٦٠
عبدالرحمن بن سمرة ٣٢٤
عبدالرحمن بن سهل ٣٣٦
عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبدالله الجوزي ٧
عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الأوزاعي ١٤٣
عبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي الجزائري ١٧
عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري الحافظ ٤٣٦
عبدالقاهر الجرجاني ٢٨٢
عبدالله بن الحارث بن نوفل ١٩٣
عبدالله بن سلام ٣٠٤
عبدالله بن سهل ٣٣٦

عبدالله بن زيد بن عاصم ٩٨
عبدالله بن المبارك ٢٣٦
عبدالملك بن هشام بن أيوب الذهلي السدوسي ١٢
عبيد الله بن زياد بن عبيد المعروف بابن زياد أبي سفيان ١٨٣
عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ٣٤
عدي بن حاتم بن عبدالبر بن سعد القحطاني ١٩٢
عدي بن عميرة ٢٢٢
العرباض بن سارية ٩٠
عروة بن الزبير بن العوام ١٩
عروة بن مسعود بن متعب ٣٠
ابن عطية = عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن المحاربي أبو محمد الأندلسي . .....
عقبة بن عامر بن عبس ٧٢
عقبة بن عمرو أبو مسعود الأنصاري ٩٣
علي بن إسماعيل بن إسحاق أبو الحسن الأشعري ١٤٧
علي بن خلف بن بطال البكري أبو الحسن المعروف بابن بطال .....
علي بن محمد بن محمد بن علي الجرجاني ٤٠٨
علي بن المديني ٣٣٥
عمارة بن زياد بن سفيان العبسي ٤٣
عمر بن أبي سلمة ٣٣٧
عمران بن حصين أبو نجيد ١٨٦
عمرة بنت رواحة ٦٢
عمرو بن تغلب ٩٩
عمرو بن شعيب ٣٣٤
عمرو بن عوف الأنصاري ١٩٤

عمرو بن لحي بن حارثة ٥
عمرو بن مالك الأزدي ٤١
عمرو بن المنذر اللخمي ٣٨
عوف بن مالك ٣٤٧
عياض بن حمار ٧٠
عياض بن موسى بن عياض ١٤٠
العيني = محمود بن أحمد .....

(غ)

غياث بن غوث بن الصلت الأخطل ٢٤

(ف)

فاطمة بنت الخرشبي الانمارية ٤٢
فاطمة بنت قيس ٧٣

(ق)

أبو القاسم بن عبدالرحمن بن أحمد الواحدي ١٦٧
القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر .....
قيس بن أبي حازم البجلي الكوفي ٣٢
قيس بن مخرمة ٨٥

(ك)

كعب الاحبار = كعب بن ماتع الحميري المعروف بكعب الأحبار .....
كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري ٥٢
كعب بن ماتع الحميري ١٥٠
الكلبي = إبراهيم بن خالد .....
كليب بن ربيعة اللتغلبي الوائلي ٣٨

(ل)

الليث ابن سعد بن عبدالرحمن ١٤٣

(م)

مالك بن الحويرث ٣٣٩
مجاهد بن جبر ١١٠
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ١٤٤
محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٤٥
محمد بن اسحاق بن يسار القرشي المدني ١٢
محمد بن خلف الوشتاني الأبى ١٥٧
محمد بن زياد ٢٠٢
محمد بن سيرين ٨٥
محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزرقاني ٢٥٤
محمد بن علي بن وهب القشيري المعروف بابن دقيق العيد ١٨١
محمد بن مسلم بن عبدالله الزهري ١٦٤
محمود بن أحمد بن القاضي شرف الدين ، العيني ٢٣٠
محمود بن عبدالله الحسيني شهاب الدين الآلوسى ٣٨
محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ١٦٧
محيصة بن مسعود ٣٣٦
مروان بن الحكم بن أبي العاص ٣٠
مسروق بن الأجدع بن مالك ١٥٠
المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن كلاب ٣٠
المسيب بن حزن ٢٧٧
مضرس بن ربعي ٢٣
معاوية بن الحكم السلمي ١٤٥

معاوية بن حيدة القشيري ٢١٦
معن بن أوس بن زياد ٤٣
المغيرة ابن شعبة ١٥٤
مقاتل بن حيان النبطي ١٤٤
المقدام بن معد يكرب ٣٤٧
ابن أم مكتوم ٢٠٠
المنذري = عبدالعظيم بن عبدالقوي .....

(ن)

النعمان بن بشير - رضي الله عنه - ٦٢
نعيم بن حماد بن معاوية ١٤٤
النواس بن سمعان ١٨٧

(هـ)

هانئ بن نيار أبو بردة ٨١
هرم بن سنان بن أبي حارثة ٤١
هند بنت عتبة بن ربيعة ٣٤

(و)

الواحدي = الشيخ أبو القاسم بن عبدالرحمن .....
وهب بن عبدالله السوائي أبي جحيفة ١٦٣

(ي)

يحيى بن سعيد ٣٣٥
يحيى بن يحيى الليثي ٢٥٤
يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ١٤٧

فهرس المراجع

(أ)

١ - الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ، تحقيق فوقية حسين محمد محمود ، دار الأنصار - القاهرة .

٢ - الاتقان في علوم القرآن ، تأليف الإمام عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، عالم الكتب ، بيروت .

٣ - أثر التشبيه في تصوير المعنى ، قراءة في صحيح مسلم ، تأليف د - عبدالباري طه ، ط - ١ - ١٤١٢هـ .

٤ - إجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة للإمام ابن القيم ، المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبدالمحسن الكتبي ، المدينة المنورة .

٥ - إحكام الاحكام شرح عمدة الأحكام لتقي الدين بن دقيق العيد ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعراج الدولية ، الرياض .

٦ - " إحياء علوم الدين " لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق أبي حفص سيد إبراهيم صادق عمران ، دار الحديث ، القاهرة ، ط - ١ - ١٤١٢هـ .

٧ - " الأخلاق الإسلامية وأسسها " عبدالرحمن بن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم - دمشق ، ط - ٣ - ١٤١٣هـ .

٨ – أخلاق القرآن ، د . أحمد الشرباصي ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان ط – ١ – ١٤٠١هـ .

٩ – أساس البلاغة لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق الأستاذ عبدالرحيم محمود ، دار المعرفة ، بيروت – لبنان .

١٠– " أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة " الدكتور/ حمد بن ناصر العمّار، دار اشبيليا الرياض ، ط– ١ ، ١٤١٦هـ .

١١– الاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، تأليف الشيخ موفق الدين عبد الله بن قدامة المقدسي ، تحقيق الأستاذ علي نويهض ، دار الفكر .

١٢– " استخراج الجدل من القرآن الكريم " للإمام ناصح الدين عبدالرحمن بن نجم المعروف بابن الحنبلي ، تحقيق : الدكتور / زاهر بن عواض الألمعي ، ط : ٢ ، ١٤٠١هـ .

١٣– الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تأليف الحافظ أبي عمر يوسف ابن عبدالبر النمري القرطبي (مع الاصابة) – ط١ – ١٣٢٨هـ دار إحياء االتراث العربي ، توزيع مكتبة دارالباز عباس أحمد الباز بمكة المكرمة . ودار الكتاب العربي – بيروت ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

١٤– " أسد الغابة في معرفة الصحابة " لأبي الحسن علي بن أبي الكرم ، المعروف بابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

١٥- الأسلوب : دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب البلاغية ، أحمد الشايب ، مطبعة السعادة - القاهرة ١٣٩٦هـ .

١٦- الأسماء والصفات للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق وتعليق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر ، مركز الخدمات الثقافية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط -١ - ١٤٠٥هـ .

١٧- الإصابة في تمييز الصحابة ، تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي بن حجر العسقلاني (بهامشه الاستيعاب) ، ط - ١ - ١٣٢٨هـ دار إحياء التراث العربي ، توزيع مكتبة دار الباز عباس أحمد الباز بمكة المكرمة . ودار الكتاب العربي ، بيروت .

١٨- إصلاح المجتمع ، شرح مائة حديث مختارة مما اتفق عليه البخاري ومسلم تأليف محمد بن سالم الكدادي البيحاني ، مكتبة الرياض الحديثة ، ط - ٢- ١٣٩٢هـ .

١٩- أصناف المدعوّين وكيفية دعوتهم ، د . حمود بن أحمد الرحيلي ، دار العاصمة - الرياض ، ط ١ _ ١٤١٤هـ .

٢٠- أصول الحوار وآدابه في الإسلام للشيخ صالح بن عبدالله بن حميد ، دار المنارة ، جدة ، ط- ١ - ١٤١٥هـ .

٢١- أصول الدعوة ، د . عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤هـ .

٢٢- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، لمحمد الأمين محمد المختار الشنقيطي ، طبع الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية بتاريخ ١٤٠٣هـ .

٢٣- الإعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للإمام أبي بكر بن أحمد بن حسين البيهقي ، تقديم وتعليق : أحمد عصام الكاتب ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت - لبنان ، ط - ١ - ١٤٠١هـ .

٢٤- " الأعلام " لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت - لبنان ط - ٥ - ١٩٨٠م .

٢٥- الاقناع في التربية الاسلامية ، إعداد . سالم بن سعيد بن جبار ، دار الأندلس الخضراء ، بدون تحديد الطبعة ولا تاريخها .

٢٦- " إكمال إكمال المعلم " للإمام محمد بن خليفة الوشتاني الأبي ، ضبط وتصحيح / محمد سالم هاشم ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط - ١ - ١٤١٥هـ .

٢٧- " إكمال المُعلِم بفوائد مسلم " لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي تحقيق د . يحيى إسماعيل ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط- ١ - ١٤١٩هـ .

٢٨- أيام العرب في الجاهلية ، محمد جاد المولى وعلي البجاوي ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء العربية ، ومطبعة عيسى البابي الحلبي – مصر ، بدون تحديد الطبعة والتاريخ .

(ب)

٢٩- البداية والنهاية لإسماعيل بن كثير ، تحقيق أحمد عبدالوهاب ، ط – ١ – ١٤١٣هـ ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة . ومكتبة المعارف ، بيروت – لبنان ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

٣٠- البرهان في أصول الفقه لأبي المعالي عبدالملك بن عبدالله الجويني ، تحقيق د . عبدالعظيم محمود ، دار الوفاء ، المنصورة ، الطبعة الولى ١٤١٢هـ .

٣١- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، المكتبة العلمية – بيروت .

٣٢- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة " للإمام عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، لبنان ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

٣٣- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ، تأليف السيد محمود شكري الألوسي تصحيح وضبط محمد بهجة الأثري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية .

٣٤- بهجة النفوس وتحليتها بمعرفة ما لها وما عليها ، شرح مختصر صحيح البخاري لأبي محمد عبدالله بن أبي جمرة الأندلسي دار الجيل - بيروت - لبنان ، ط - ٣ .

(ت)

(*) - تاج العروس شرح القاموس الزبيدي

٣٥- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للحافظ المؤرخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق د . عمر عبدالسلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط - ١ - ١٤٠٧ هـ .

٣٦- تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط - ١ - ١٣٥٣هـ .

٣٧- التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، د . أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ - ١٩٨٦م .

٣٨- " تاريخ الأمم والملوك " لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار سويدان ، بيروت - لبنان ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

٣٩- تاريخ خليفة بن خياط تحقيق د . أكرم ضياء العمري ، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض ، ط - ٢ - ١٤٠٥هـ .

٤٠- تاريخ الصحابة الذين روي عنهم الأخبار لمحمد بن حبان البستي ، تحقيق بوران الضناوي ط - ١ - ١٤٠٨هـ دار الكتب العلمية - بيروت .

٤١- تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور أحمد عبدالحميد الشامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط - ٢ - ١٩٨٥م .

٤٢- التاريخ الكبير ، تأليف الإمام عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

٤٣- " التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة " لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، تحقيق الكتور / أحمد حجازي السَّقا ، مكتبة الباز ، المكتبة العلمية ، بتاريخ ١٤٠٢هـ .

٤٤- " تذكرة الحفاظ " للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، بدون تحديد ، الطبعة ، ولا التاريخ .

٤٥- تذكرة الدعاة للبهي الخولي ، مكتبة الفلاح ، ط ٦ - ١٣٩٩ .

٤٦- التربية الذاتية من الكتاب والسنة ، هاشم على الأهدل ، دار الأهدل - مكة - ١٤١٣هـ .

٤٧- " التربية النبوية " لعثمان بن قدري مكانسي ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ط - ١ - ١٤١٧هـ .

٤٨- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للقاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، وزارة الأوقاف بالمغرب ، الرباط .

٤٩- التصوير الفني في الحديث النبوي ، محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط - ١ - ١٤٠٩ هـ .

٥٠- " التعريفات " لعلي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقيق وتقديم : إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت - لبنان - ط ٣ ، ١٤١٧هـ .

٥١- تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير القرشي ، ط - ١ - ١٤١٧هـ مؤسسة الريان ، ودار اليقين .

٥٢- التفسير القيم للإمام ابن القيم ، جمع محمد أويس الندوي ، تحقيق محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٣- التفسير الكبير " مفاتيح الغيب " لفخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٤- " تقريب التهذيب " لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : محمد عوّامة ، دار الرشيد ، سوريا ، حلب ، ط- ٤ - ١٤١٨هـ .

٥٥- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبدالبر ، تحقيق سعيد أحمد أعراب ، مطبعة فضالة ٠ المغرب ، ١٣٨٧هـ .

٥٦- التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية ، عبدالعزيز بن ناصر الرشيد ، مكتبة الرياض الحديثة ، ط- ٢ - ١٤٠٢هـ .

٥٧- " تهذيب التهذيب " لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ، بدون تحديد طبعة ولا التاريخ .

٥٨- تهذيب مدارج السالكين لعبدالمنعم صالح العلي العزي ، وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة ، ١٤٠٢هـ .

٥٩- توشيح الديباج وحلية الابتهاج ، لبدر الدين القرافي ، تحقيق أحمد الشتيوي ، دار الغرب الاسلامي ، ط - ١ - ١٤٠٣ هـ ، بيروت ، لبنان .

٦٠- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان " تأليف الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي ، تقديم فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل ، وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين مؤسسة الرسالة ط - ٢ - ١٤١٧هـ .

(ث)

٦١- الثقات للإمام الحافظ ابي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي ، طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر أباد ، الدكن ، الهند ١٣٩٣هـ ، تصوير دار الفكر .

(ج)

٦٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ١٤٠٨هـ .

٦٣- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم للشيخ / شهاب الدين البغدادي الشهير بابن ساحي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط وغيره ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ - ١٤١٢هـ .

٦٤- " الجامع لأحكام القرآن " لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ .

٦٥- الجانب الإعلامي في خطب الرسول ﷺ ، تأليف محمد إبراهيم محمد إبراهيم ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ومكتبة فرقد الخاني الرياض ، ط - ١ - ١٤٠٦هـ .

٦٦- الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي ، زهدي صبري الخواجا ، دار الناصر للنشر والتوزيع ، الرياض ، ط - ١ - ١٤٠٤هـ .

٦٧- " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، إشراف / علي السيد صبح المدني ، مطبعة المدني ، القاهرة ، بدون تحديد الطبعة ، ولا التاريخ .

٦٨- " الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ " للدكتور / سعيد بن علي ثابت ، طبع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ، ط - ١ - ١٤١٧هـ .

٦٩- الجواهر الحسان لعبدالرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي ، تحقيق محمد الفاضل ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط-١ - ١٤١٧هـ .

(ح)

٧٠- " الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية " تأليف الدكتور عز الدين علي السيد ، دار اقرأ - بيروت ، ط - ٢ - ١٤٠٦هـ.

٧١- الحسبة في العصر النبوي وعصر الخلفاء الراشدين - ﷺ - تأليف د . فضل إلهي ، نشرة إدارة ترجمان الإسلام ، ط - ١ - ١٤١٠ هـ .

٧٢- الحكمة في الدعوة إلى الله تعريف وتطبيق ، تأليف د . زيد بن عبدالكريم الزيد ، دار العاصمة ، الرياض ، ط - ١ - ١٤١٢هـ .

٧٣- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم ، أحمد بن عبدالله الأصبهاني ، دار الكتاب العربي ، ط - ٥ - ١٤٠٧هـ .
٧٤- " الحوار - أصوله المنهجية وآدابه السلوكية " ، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، دار الوطن للنشر ، ط - ١ - ١٤١٣هـ .

(خ)

٧٥- الخرشي على مختصر خليل " في الفقه المالكي " تأليف محمد الخرشي المالكي. دار الفكر.

٧٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ط - ٢ - ١٤٠٢هـ ، مكتبة الخانجي بمصر .

٧٧- " خصائص القصة النبوية " تأليف الدكتور / مأمون فريز جرّار ، دار المنار جدة ، ط - ١ - ١٤٠٨هـ .

٧٨- " خطبة الحاجة لمحمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي - " دمشق ، ط - ٤ - ١٤٠٠هـ .

(د)

٧٩- " درء تعارض العقل والنقل " لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم بن تيمية ، تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، ط - ١ - ١٤٠١هـ .

٨٠- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لعبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي ، دار الفكر ، ط١ - ١٤١٤هـ .

٨١- الدعوة إلى الله تعالى خصائصها ، منهاجها ، دراسة مقارنة ، د . أبوالمجد السيد نوفل ، مكطبعة الحضارة العربية ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٧هـ .

٨٢- دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تأليف الإمام عبدالقاهر الجرجاني ، تصحيح محمد رشيد رضا ، دار المعرفة لبنان .

٨٣- الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ، تأليف القاضي إبراهيم بن نور الدين المعروف بابن فرحون المالكي ، دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان ، ط - ١ - ١٤١٧هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، توزيع مكتبة عباس أحمد الباز بمكة المكرمة .

٨٤- ديوان الحماسة ، اختيار أبي تمام ، شرح العلامة التبريزي ، دار العلم بيروت - لبنان .

٨٥- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، تحقيق وتقديم إحسان عباس ، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، ط - ٢ - ١٩٨٤م .

(ذ)

٨٦- " ذيل طبقات الحنابلة " للإمام عبدالرحمن بن شهاب الدين بن رجب ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون تحديد الطبعة ، ولا التاريخ .

(ر)

٨٧- الرحيق المختوم ، لصفي الرحمن المباركفوري ، دار الحديث ، مصر ، القاهرة .

٨٨- رسالة إلى أهل الثغر ، أبو الحسن الأشعري ، تحقيق عبدالله شاكر محمد الجندي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة .

٨٩- الرسول المعلم ، وأساليبه في التعليم ، تأليف عبدالفتاح أبو غده ، مكتب المطبوعات الاسلامية بحلب ، ودار البشائر الاسلامية ، بيروت ، ط - ٢ - ١٤١٧هـ .

٩٠- " ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم - عليه السلام - " للدكتور سيد محمد ساداتي الشنقيطي ، دا عالم الكتب ، الرياض ، ط- ١ - ١٤١٥هـ .

٩١- " روائع من أقوال الرسول ﷺ " لعبدالرحمن بن حسن بن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط - ٥ - ١٤١٢هـ .

٩٢- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام للإمام عبدالرحمن السيهلي ومعه السيرة النبوية لابن هشام ، تحقيق وتعليق عبدالرحمن الوكيل ، دار الكتب العلمية الحديثة ، مصر ، ودار النصر .

٩٣- رياض الصالحين ليحيى بن شرف النووي ، تحقيق عبدالعزيز رباح وأحمد بن يوسف الدقاق ومراجعة شعيب الأرنؤوط - ١٢ - ١٤١١هـ ، دار المأمون للتراث ، والمكتبة الامدادية - مكة المكرمة .

(ز)

٩٤- زاد المسير في علوم التفسير لعبدالرحمن بن علي بن الجوزي ، تحقيق محمد بن عبدالرحمن بن عبدالله ، ط - ١ - ١٤٠٧هـ ، دار الفكر .

(س)

٩٥- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي للوزير أبي بكر الأونبي البكري خدمة عبدالعزيز الميمني ، ط - ١ - ١٣٥٤هـ ، لجنة التأليف والترجمة بالقاهرة .

٩٦- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى بن سورة الترمذي ، تحقيق أحمد شاكر وإبراهيم عطوه ومحمد فؤاد عبدالباقي ، ط دارالحديث ، القاهرة .

٩٧- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني ، ط - ١ - ١٣٨٨هـ ، دار الحديث ، سوريا .

٩٨- سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد القزويني ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي دار إحياء الكتب العربية ، فيصل الحلبي .

٩٩- سنن النسائي ، شرح جلال الدين السيوطي ، تحقيق مكتب التراث ، طبعة دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط - ٣ _ ١٤١٤هـ .

١٠٠- " سير أعلام النبلاء " للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة - ١١ - ١٤١٧هـ ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، وآخرون .

١٠١- السيرة النبوية لعبدالملك ابن هشام الذهلي ، تحقيق : مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبياري ، وعبدالحفيظ شلبي ، ط - مؤسسة علوم القرآن . وطبعة دار المنار ، القاهرة ١٤٥هـ .

(ش)

١٠٢- شاعرات العرب ، جمع وتحقيق عبدالبديع صقر ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط - ١ - ١٣٨٧هـ .

١٠٣- " شبهات " حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، د . فضل إلهي ، إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، ط - ٥ - ١٤١٧هـ .

١٠٤- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن محمد مخلوف ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

١٠٥- " شذرات الذهب في أخبار من ذهب " لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ، بدون تحديد الطبعة ، ولا التاريخ .

١٠٦- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك للإمام محمد بن عبدالباقي الزرقاني ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

١٠٧- " شرح السُّنة " لأبي محمد الحسين بن مسعود الفرّاء البغوي ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، محمد زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، بيروت - لبنان ، ط - ١ - ١٤٠٣هـ .

١٠٨- شرح شعر زهير صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى المعروف : بثعلب ، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة - بيروت ، ط - ١ - ١٤٠٢هـ .

١٠٩- شرح النووي لصحيح مسلم ليحيى بن شرف النووي ، ط - مكتبة الرياض الحديثة .

١١٠- شعراء النصرانية قبل الإسلام ، جمع وتنسيق لويس شيخو ، دار المشرق ، بيروت ، ط - ٣ - ١٩٦٧م .

١١١- الشعر والشعراء لعبدالله بن مسلم ابن قتيبة الدينوري ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، ط ١٩٦٦م ، دار المعارف .

(ص)

١١٢- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ط - ١ - ١٤١٢هـ دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان .

١١٣- صحيح ابن حبان (بترتيب ابن بلبان) ، تأليف الإمام محمد بن حبان التميمي البستي السجستاني ، وترتيب الأمير علاء الدين علي ابن بلبان الفارسي ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، طبع مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٤هـ و - ٣ - ١٤١٨هـ .

١١٤- صحيح سنن الترمذي لمحمد ناصر الدين الألباني ، أشرف على طبعه زهير الشاويش ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ط - ١ - ١٤٠٨هـ .

١١٥- صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان .

١١٦- " صفة الصفوة " لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي تحقيق : محمود فاخوري ، ومحمد روّاس قلعه جي ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، ط - ١ - ١٤٠٦هـ .

١١٧- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة للإمام محمد بن قيم الجوزية ، تحقيق د . علي بن محمد الدخيل الله ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى ١٤٠٨هـ .

(ط)

١١٨- " طبقات الحنابلة " لأبي الحسين محمد بن أبي يعلى ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، بدون تحديد الطبعة ، ولا التاريخ .

١١٩- طبقات الشافعية لأبي بكر أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين بن قاضي شهبه ، تصحيح وتعليق د . الحافظ عبدالعليم خان ، مؤسسة دار الندوة الجديدة للطباعة والنشر - بيروت ١٤٠٧هـ .

١٢٠- " الطبقات الكبرى " لابن سعد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

(ع)

١٢١- العبر في خبر من غبر ، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق أبو هاجر محمد السعير بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط - ١ - ١٤٠٥هـ .

١٢٢- عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري لأبي محمد محمود بن أحمد العيني ، دار الفكر للطباعة والنشر .

١٢٣- " عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير " لأبي الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس ، تحقيق : د . محمد العيد الخطراوي ، محيي الدين مستو ، مكتبة دار التراث بالمدينة المنورة ودار ابن كثير - دمشق ، ط - ١ - ١٤١٣هـ .

(ف)

١٢٤- الفائق في غريب الحديث لمحمود بن عمر الزمخشري ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة - بيروت ، ط - ٢ .

١٢٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني ، ط - ٢ - ١٤٠٩هـ ، دار الريان للتراث .

١٢٦- فتح القدير لمحمد بن علي الشوكاني ، ط دار الفكر .

١٢٧- الفقه الإسلامي وأدلته ، د . وهبه الزحيلي .

١٢٨- " فقه الدعوة إلى الله " الدكتور / علي عبدالحليم محمود ، دار الوفاء المنصورة ، ط - ٣ - ١٤١٢هـ .

١٢٩- فقه الدعوة إلى الله وفقه النصح والإرشاد ، عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم ، دمشق ، ط - ١ - ١٤١٧هـ .

١٣٠- الفقه على المذاهب الأربعة للجريري .

١٣١- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، لمحمد بن الحسن الحجري الثعالبي الفاسي ، ط - ١ - ١٣٩٦ ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

١٣٢- في ظلال القرآن لسيد قطب ، الطبعة الشرعية الثامنة ، ١٣٩٩هـ .

١٣٣- فن الهجاء وتطوره عند العرب ، إيليا حاوي ، بيروت ، دار الثقافة بدون تاريخ .

١٣٤- في أصول الحوار ، إعداد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ط - ٤ - ١٤١٦هـ .

١٣٥- في العبور الحضاري للامية العرب ، لمحمد علي أبي حمدة ، دار عمار للنشر والتوزيع - عمّان ، ط - ١ - ١٤١٤هـ .

(ق)

١٣٦- القاموس المحيط ، لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، ط دار عالم الكتب - بيروت .

١٣٧- القدوة على طريق الدعوة ، تأليف مصطفى مشهور ، دار البيان - الكويت ، ط - ١ - ١٤١٠هـ .

١٣٨- " القصة القرآنية هداية ربانية ، تاليف الدكتور : وهبة الزحيلي ، دار الخير ، دمشق ، بيروت ، ط - ٢ - ١٤١٨هـ .

(ك)

١٣٩- الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الأثير ، دار الفكر ، بيروت ، بتاريخ ١٣٩٨هـ .

١٤٠- " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل " لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، بدون تحديد الطبعة ، ولا التاريخ .

١٤١- كفاية الطالب الرباني لرسالة ابن أبي زيد القيرواني في مذهب الإمام مالك للشيخ أبي الحسن ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

١٤٢- " الكواكب الدَّراري في شرح صحيح البخاري " لشمس الدين محمد بن يوسف بن علي الكرماني ، دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان ، ط - ٢ - ١٤٠١هـ .

(ل)

١٤٣- " لسان العرب " لمحمد بن مُكرَّم بن منظور ، دار صادر = بيروت بدون تحديد طبعة ولا تاريخ .

١٤٤- لسان الميزان ، للإمام الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ط - ١ ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

١٤٥- " اللين والرفق " للدكتور / فضل إلهي ، مكتبة المعارف - الرياض ط - ٦ ، ١٤١٧هـ .

(م)

١٤٦- مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، ط -١٧ - ١٤١١هـ .

١٤٧- مجمع الأمثال لأبي الفضل أحمد بن محمد الميداني ، تقديم وتعليق نعيم حسين زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط - ١ - ١٤٠٨هـ .

١٤٨- " مجموع فتاوى " شيخ الإسلام أحمد بن تيمية " جمع وترتيب / عبدالرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي ، طبعة : خادم الحرمين الشريفين ، توزيع الرئاسة العامة لشؤون الحرمين ، بدون تحديد الطبعة ، ولا التاريخ .

١٤٩- محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د . صالح أحمد العلي ، مطبعة المعارف - بغداد ، ط - ٢ - ١٩٥٩م .

١٥٠- المحبر لمحمد بن حبيب الهاشمي ، ط وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية ، المكتبات المدرسية .

١٥١- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزلعبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد ، ط - ١ - محققة على نسخة اياصوفيا ، استانبول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٤١٣هـ .

١٥٢- المحصول في علم أصول الفقه لمحمد بن عمر الرازي ، دار الكتب - بيروت ، ١٤٠٨هـ .

١٥٣- محمد رسول الله ، منهج ورسالة محمد إبراهيم عرجون ، تحقيق محمد الصادق إبراهيم ، دمشق ، دار القلم ١٤٠٥هـ .

١٥٤- مختارات من القصص الصحيح في السنة النبوية ، د . طلعت عفيفي سالم ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، ط - ١ - ١٤٠٨هـ .

١٥٥- " مختار الصحاح " تأليف زين الدين محمد بن أبي بكر الرازي ، ترتيب / محمود خاطر ، تحقيق وضبط / حمزة فتح الله ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ١٤١٣هـ .

١٥٦- مختصر سيرة الرسول ﷺ ، تأليف الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب ، تصنيف وإعداد / عبدالعزيز الرومي ومحمد بلتاجي ، وسيد حجاب ، طبع ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

١٥٧- المدخل إلى علم الدعوة / محمد أبو الفتح البيانوني ، ط _ مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة / ١٤١٥هـ .

١٥٨- " المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها " تأليف / عبدالله عفيفي ، دار الرائد العربي ، بيروت - لبنان ، ط - ٢ ، ١٤٠٢هـ .

١٥٩- المرأة في الشعر الجاهلي ، د . أحمد محمد الحوفي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

١٦٠- " المرأة المسلمة المعاصرة " للدكتور / أحمد بن محمد أبابطين ، دار عالم الكتب - الرياض ، ط - ٣ - ١٤١٣هـ .

١٦١- " مراعاة أحوال المخاطبين " في ضوء الكتاب والسنة وسير الصالحين ، د . فضل إلهي ، نشر إدارة ترجمان الإسلام ، باكستان ، تصوير وإخراج الفرقان ، المملكة العربية السعودية ، ط-١ - ١٤١٧هـ .

١٦٢- المرشد في كتابة البحوث ، تأليف الدكتورين / عبدالرحمن صالح عبدالله وحلمي محمد فودة ، مكتبة المنارة - مكة المكرمة ، ط - ٥ - ١٤٠٨هـ .

١٦٣- " المستدرك على الصحيحين " لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري ، دراسة وتحقيق ، مصطفى عبدالقادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط - ١ ، ١٤١١هـ .

١٦٤- المستصفى في علم الأصول لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي ، ترتيب محمد عبدالسلام عبدالشافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت / لبنان ، ط - ١ - ١٤١٣هـ .

١٦٥- المستقصي في أمثال العرب لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط - ٢ - ١٣٩٧هـ .

١٦٦- " مسند الإمام أحمد بن حنبل " إعداد : محمد سليم إبراهيم سمارة ، وآخرون ، بإشراف : د . سمير طه المجذوب ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : ١ ، ١٤١٣ هـ .

١٦٧- مسند الإمام أبو يعلى ، تحقيق حسين سليم أسد - دار الثقافة العربية ، دمشق ، ط - ٢ - ١٤١٢هـ .

١٦٨- مشارق الأنوار على صحاح الآثار لأبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي ، إشراف مكتب البحوث والدراسات ، دار الفكر للطباعة والنشر والمكتبة التجارية مصطفى أحمد الباز ، الطبعة الأولى - ١٤١٨هـ .

١٦٩- " المصباح المنير " لأحمد بن محمد بن علي الفيومي ، المكتبة العصرية ، بيروت - لبنان ، ط - ١ - ١٤١٧هـ .

١٧٠- معالم التنزيل (تفسير البغوي) لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق محمد عبدالله النمر وعثمان جمعة ضميرة ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض ١٤٠٩هـ .

١٧١- " معالم السنن - شرح سنن أبـي داود لأبـي سليمان حمد بـن محمد الخطابي ، تحقيق / الاستاذ / عبدالسلام عبدالشافي محمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ط - ١ - ١٤١١هـ .

١٧٢- " معجم البلدان " لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت - لبنان ، ط -١ - ١٤١٧هـ . ودار صادر - بيروت

١٧٣- معجم الشعراء لأبي عبدالله محمد بن عمران المرزباني ومعه المؤتلف والمختلف في أسماء القراء للآمدي ، تصحيح وتعليق / أ . د . ف كرنكو ، مكتبة القدسي - القاهرة ١٣٥٤هـ .

١٧٤- المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، ط - ٢ - ١٤٠٤هـ .

١٧٥- " معجم المؤلفين " تراجم مصنفي الكتب العربية ، عمر رضا كحالة مؤسسة الرسالة ، بيروت - لبنان ، ط - ١ - ، ١٤١٤هـ .

١٧٦- " معجم مقاييس اللغة " لأبـي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، دار الكتب العلمية ، إيران .

١٧٧- المعجم الوسيط " إخراج إبراهيم مصطفى أحمد الزيات وآخرون ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، استنبول - تركيا ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

١٧٨- " معرفة الصحابة " لأحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني ، تحقيق الدكتور / محمد بن راضي بن حاج عثمان ، مكتبة التراث - المدينة المنورة ، مكتبة الحرمين - الرياض ، ط - ١ - ١٤٠٨هـ.

١٧٩- المعلقات العشر شرح ودراسة مفيد قميحة .

١٨٠- " المعلم الأول قدوة لكل معلم ومعلمة ، فؤاد الشلهوب ، دار القاسم ، الرياض ، ط : ١ ، ١٤١٧هـ .

١٨١- المغني لموفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور/ عبد الفتاح محمد الحلو. دار هجر القاهرة ط -٢- /١٤١٢هـ

١٨٢- " مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم " لأحمد بن مصطفى طاش كبري زاده ، دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، ودار الكتب العلمية ، بيروت =- لبنان ، ط - ١ - ١٤٠٥ .

١٨٣- " المفردات في غريب القرآن " لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق / محمد السيد كيلاني دار المعرفة ، بيروت - لبنان ، بدون تحديد الطبعة ، ولا التاريخ .

١٨٤- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د . جواد علي ، دار العلم للملايين - بيروت ، ط - ٢ - ١٩٧٦م .

١٨٥- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، تأليف الإمام أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي ، تحقيق محيى الدين ديب مستو وأحمد محمد السيد ويوسف علي بديوي ومحمود إبراهيم بزال ، دار بن كثير ، دمشق - بيروت ، دار القلم الطيب ، ط - ١ - ١٤١٧هـ .

١٨٦- مكمل إكمال الإكمال " بهامش الأبي - لمام محمد بن محمد بن يوسف السنوسي ، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ، ط ١ - ١٤١٥هـ .

١٨٧- من الخصائص البلاغية في السنة النبوية للدكتورة / فتحية محمود .

١٨٨- مناهج الدعوة وأساليبها للدكتور / علي جريشة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط - ١ - ١٤٠٧ هـ .

١٨٩- " مناهل العرفان في علوم القرآن " بقلم الشيخ / محمد عبدالعظيم الزرقاني ، مراجعة وضبط ، محمد علي قطن ، يوسف الشيخ محمد ، طبعة المكتبة العصرية ، بيروت ، ط -١ - ١٤١٧هـ .

١٩٠- " من الخصائص البلاغية واللغوية في أسلوب الحديث النبوي الشريف " للدكتورة / فتحية محمود فرج العقدة ، مطبعة الأمانة ، مصر ، ط - ١ - ١٤١٤هـ .

١٩١- منهج ابن تيمية في الدعوة ، د . عبدالله بن رشيد الحوشاني ، ط : مركز الدراسات والاعلام ، دار إشبيليا ، الرياض ، الطبعة الأولى / ١٤١٧هـ .

١٩٢- منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب ، د . محمد الحبيب الشنقيطي ، مكتبة محمد أمين أحمد سالم .

١٩٣- الموطأ للإمام مالك بن أنس ، الأصبحي مع شرح الإمام محمد الزرقاني ، دار الفكر العربي للطباعة والنشر بدون تاريخ .

١٩٤- ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، تأليف أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الفكر .

١٩٥- نسب قريش للمصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري ، ط - ٣ / دار المعارف ، القاهرة .

١٩٦- " النهاية في غريب الحديث والأثر " للإمام أبي السَّعادات المبارك بن محمد الجزري - المعروف بابن الأثير ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، طاهر أحمد الزاوي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تحديد الطبعة ولا التاريخ .

١٩٧- نور الأقاح في علوم البلاغة لسيدي عبدالله الشنقيطي مخطوط .

١٩٨- نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، سيد أحمد بن أحمد بن حمد بن عمر بن محمد أقيت المعروف بـ " بابا " التنبكتي ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (مطبوع بهامش الديباج) .

١٩٩- وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ، دار الفكر - ودار صادر - بيروت - ١٩٧٢م .

فهرس الموضوعات

المقدمة . الحمد والثناء على الله ..... أ
التعريف بمفردات البحث ..... ب
أهمية الموضوع ..... ب
أسباب اختيار الموضوع ..... جـ
الدراسات العلمية السابقة ..... د
المشكلة البحثية ..... هـ
تساؤلات البحث ..... و
منهج الدراسة ..... و
كلمة شكر وتقدير ..... ط

التمهيد : البيئة الفكرية والاجتماعية

لخطب الرسول ﷺ وفيه مبحثان :

توطئة بالإشارة إلى حالة العرب عند البعثة وحرصه ﷺ على هدايتهم ١

المبحث الأول : البيئة الفكرية لخطب الرسول ﷺ .

المطلب الأول : البينة الفكرية في المرحلة المكية ٥
أولا : المجال الديني ٩
ثانيا : المجال الأخلاقي ٢١

المبحث الثاني : البيئة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ ٣٦

المطلب الأول : البينة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ في المرحلة المكية ٣٦

المطلب الثاني : البينة الاجتماعية لخطب النبي ﷺ في المرحلة المدنية ٥٠

الفصل الأول

نصوص الخطب وسماتها

وفيه مبحثان

المبحث الأول : نصوص الخطب

أولا : الخطب المشتملة على إخبار بغيب .

١ - الخطبة الأولى : في بيان أن الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته ٦٧
٢ - الخطبة الثانية : في بيان فتن آخر الزمان ٦٩
٣ - الخطبة الثالثة : في بيان أهل المحشر ٧٠
٤ - الخطبة الرابعة : في بيان بعض أوصاف أهل الجنة ، وأهل النار ٧٠
٥ - الخطبة الخامسة : في بيان بعض صفات الله عز وجل ٧٢
٦ - الخطبة السادسة : بيانه ﷺ أن الله أعطاه خزائن الأرض ٧٣
٧ - الخطبة السابعة : قصة الجساسة ٧٣
٨ - الخطبة الثامنة : إخباره ﷺ بقرب أجله ٧٣
٩ - الخطبة التاسعة : إخباره ﷺ أنه يرجو أن تكون أمته شطر أهل الجنة ٧٧

ثانيا : الخطب المشتملة على أحكام ومبادئ عامة ٧٨

١٠ - الخطبة الأولى : حرمة دماء المسلمين وأموالهم ٧٨
١١ - الخطبة الثانية : حرمة مكة على الدوام ٧٩
١٢ - الخطبة الثالثة : حرمة الشفاعة في الحدود ٧٩
١٣ - الخطبة الرابعة : بيان وجوب الحج مرة واحدة ٨٠
١٤ - الخطبة الخامسة : حرمة دخول الرجل الواحد على من غاب زوجها ٨٠
١٥ - الخطبة السادسة : السنة في الأضحية أن تذبح بعد الصلاة ... ٨١

١٦ - الخطبة السابعة : فسخ الاحرام بالحج ، والتحلل بعمرة ٨١
١٧ - الخطبة الثامنة : إنكاره ﷺ ضرب النساء والضحك من الضرطة ٨٢
١٨ - الخطبة التاسعة : تعليم كيفية الصلاة ٨٢
١٩ - الخطبة العاشرة : إبطال كل شرط ليس في كتاب الله ٨٣
٢٠ - الخطبة الحادية عشرة : إبطال النسيء وبيان حرمة دماء أهل الاسلام وأموالهم ٨٤
٢١ - الخطبة الثانية عشرة : إبطال بعض أمور الجاهلية ٨٥
ثالثاً : الخطب المشتملة على ترغيب أو ترهيب .
أ - الخطب المشتملة على ترغيب وترهيب ٨٦
٢٢ - الخطبة الأولى : خطبة الحاجة ٨٦
٢٣ - الخطبة الثانية : بيان الرسول ﷺ عرض الجنة والنار عليه ٨٦
ب - الخطب المشتملة على ترغيب ٨٨
٢٤ - الخطبة الثالثة : إخباره ﷺ أنه رأى النساء أكثر أهل النار ... ٨٧
٢٥ - الخطبة الرابعة : الحث على العمل بكتاب الله ٨٨
٢٦ - الخطبة الخامسة : الحث على التقوى والصدقة ٨٨
٢٧ - الخطبة السادسة : الترغيب في انتظار الصلاة ٩٠
٢٨ - الخطبة السابعة : الحث على التمسك بالسنة ٩٠
٢٩ - الخطبة الثامنة : التحذير من هدايا العمال ٩١
٣٠ - الخطبة التاسعة : الترهيب من الغلول ٩١
٣١ - الخطبة العاشرة : التحذير من فتنة الدنيا ٩٢
٣٢ - الخطبة الحادية عشرة : التحذير من ترك الجمعة ٩٢
٣٣ - الخطبة الثانية عشرة : التحذير من إيذاء المسلمين ٩٢
٣٤ - الخطبة الثالثة عشرة : التحذير من التطويل في القراءة ٩٣

رابعاً : الخطب المو جهة لمخصوص ٩٤
٣٥ - الخطبة الأولى : إنذار قريش وقرابة رسول الله ﷺ ٩٤
٣٦ - الخطبة الثانية : الوصية بكتاب الله وأهل بيت رسول الله ﷺ ٩٥
٣٧ - الخطبة الثالثة : فضل فاطمة - رضي الله عنها - ٩٥
٣٨ - الخطبة الرابعة : فضل عائشة - رضي الله عنها - ٩٧
٣٩ - الخطبة الخامسة : استرضاؤه ﷺ للانصار ٩٨
٤٠ - الخطبة السادسة : العطاء ليس معيار المحبة ٩٩
٤١ - الخطبة السابعة : طلبه ﷺ من المسلمين أن يردوا إلى وفد هوزان سبيهم ١٠٠
٤٢ - الخطبة الثامنة : بيانه ﷺ فضل زيد بن حارثة وابنه أسامة - رضي الله عنهما - ١٠١
المبحث الثاني : السمات العامة لخطب النبي ﷺ وفيه ثلاثة مطالب : ١٠٣
المطلب الأول : السمات المتعلقة بابلاغة والأسلوب ١٠٤
أ - كثرة استعمال المؤكدات في الأمور الغيبية ١٠٤
ب - الاختصار مع الوفاء بالمقصود ١٠٩
جـ - وضوح الألفاظ وقلة الغريب فيها ١١٢
المطلب الثاني : السمات المتعقلة بكيفية الالقاء وأسبابه ١١٦
أولاً : ظهور أمارات الغضب عند إرادة تغيير منكر أو الحديث عن الساعة ١١٦
ثانياً : استغلال المناسبات الدينية والكونية والمخالفات الشخصية لبيان ما تعلق بها من أحكام ١١٩
المطلب الثاني : السمات العامة التي ترجع إلى المعاني ١٢٤
أولاً : البدء بالحمد والثناء على الله بما هو أهله ١٢٤
ثانياً : محاربة العادات الجاهلية ١٢٥

ثالثاً : الواقعية والصدق في الأخبار ١٢٥
رابعاً : الإخبار عن الأمور الغيبية ١٢٧
خامساً : ضرب الأمثلة بالمحسوسات للايضاح ١٣٠
سادساً : استثارة العقول والعواطف لتقرير المعاني المهمة.... ١٣١

الفصل الثاني

موضوعات الخطب

وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : العقائد والغيبيات ١٣٨
المطلب الأول : القضايا المتعلقة بالله ورسله وكتبه ١٣٩
أولاً : ما يتعلق بالله عز وجل مما ورد في خطب الدراسة ١٣٩
ثانياً : المسائل المتعلقة بالملائكة والكتب والرسل ١٥٦
المطلب الثاني : القضايا الغيبية التي أخبر رسول الله ﷺ ١٧٦
أولاً : القضايا الغيبية المتعلقة بالجنة والنار ، وعذاب القبر ونعيمه ، وكل ما لا يشاهده الناس في حياتهم ١٧٦
ثانياً : المسائل الغيبية التي يدركها الناس في حياتهم إذا وقعت ١٨٦
المبحث الثاني : العبادات والأحكام ١٩٧
المطلب الأول : المسائل المتعلقة بالعبادات ١٩٨
أولاً : المسائل المتعلقة بالصلاة ١٩٨
ثانياً : المسائل المتعلقة بالحج ٢٠٥
المطلب الثاني : المسائل المتعلقة بأحكام في غير العبادات ٢٠٧

المبحث الثالث : الأخلاق ، وفيه تمهيد ومطلبان ٢٣٢
تمهيد بتعريف الأخلاق وبيان مكانتها في الإسلام ٢٣٢
أ - تعريف الخلق لغة واصطلاحا ٢٣٢
ب - مكانة الخلق في الإسلام ٢٣٣
المطلب الأول : الأخلاق الحسنة ٢٣٥
المطلب الثاني : الأخلاق السيئة ٢٥٤

الفصل الثالث

أصناف المدعوين في خطب النبي ﷺ ومراعاة أحوالهم

وفيه توطئة ومبحثان

توطئة تتعلق بشمول رسالته ﷺ لجميع الناس ٢٧٣
المبحث الأول : الخارجون عن الإسلام ومراعاة أحوالهم ٢٧٥
تمهيد : حالة الناس عند بعثته ﷺ ٢٧٥
المطلب الأول : المدعوون من أهل الشرك ومراعاة أحوالهم ٢٧٦
أولاً : قرابته ﷺ الخاصة ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٢٧٦
ثانياً : جميع العرب الأميين ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٢٨٩
المطلب الثاني : المدعوون من أهل النفاق ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٢٩٧
المطلب الثالث : المدعوون من أهل الكتاب ومراعاة أحوالهم ٣٠٢
أولاً : اليهود ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٠٢
ثانياً : النصارى ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣١١

المبحث الثاني : المدعوون من أهل الإسلام ومراعاة أحوالهم :

وفيه ثلاثة مطالب ٣٢١

المطلب الأول : المدعوون من أهل الإسلام على سبيل العموم ومراعاة أحوالهم ٣٢٢

أولاً : انقسامهم باعتبار السلطة ٣٢٣

أ - القادة ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٢٣

ب - المقودون ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٢٧

ثانياً : انقسامهم باعتبار الجنس ٣٣٠

أ - الرجال ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٣٠

ب - النساء ، شواهد دعوتهن ومراعاة أحوالهن ٣٣١

ثالثاً : انقسامهم باعتبار السن ٣٣٤

أ - كبار السن ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٣٤

ب - الصغار ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٣٧

رابعاً : انقسامهم باعتبار الحال ٣٤٠

أ - الأغنياء شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٤٠

ب - الفقراء ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٤٤

المطلب الثاني : المدعوون على سبيل الخصوص بصفاتهم ٣٤٩

أ - أهل الزكاء والفطنة ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٤٩

ب - أصحاب العفة ، وأصحاب الحرص والصلح ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٥٢

جـ - المسلمون الجدد ، وأصحاب العادات والشبه ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٥٧

د - المقصرون في حق الله تعالى ، أو في حقوق العباد ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٦٢

المطلب الثالث : المدعوون على سبيل الخصوص بأسمائهم ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٦٨
أ - قرابة رسول الله ﷺ ، شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٦٨
ب - خاصة أصحابه ﷺ مثل أبي بكر وأسامة - رضي الله عنهما - شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٧٢
جـ - الأنصار - رضي الله عنهم - شواهد دعوتهم ومراعاة أحوالهم ٣٧٣

الفصل الرابع

الوسائل والأساليب في خطب النبي ﷺ

وفيه مبحثان

المبحث الأول : الوسائل الدعوية في خطب النبي ﷺ : وفيه تمهيد وثلاثة مطالب ٣٨٠
تمهيد : معنى كلمة وسيلة في اللغة ، والاصطلاح ، وعلاقتها بالأسلوب ٣٨٠
المطلب الأول : وسائل الإعلام من خطب النبي ﷺ ٣٨٤
أ - المكان المتميز ٣٨٤
ب - الصوت المتميز ٣٨٨
المطلب الثاني : وسائل الإيضاح في خطب النبي ﷺ ٣٩١
أ - الإشارة والحركة ٣٩١
ب - تلون الوجه وإظهار االغضب ٣٩٢
المطلب الثالث : وسائل الإقناع ٣٩٥
أ - استعمال القياس ٣٩٥

ب – القسم وأدوات التأكيد ٣٩٧

المبحث الثاني : الأساليب الدعوية في خطب النبي ﷺ : وفيه تمهيد وثلاثة مطالب ٤٠٠

تمهيد : في معنى الأسلوب لغة واصطلاحا ٤٠١

المطلب الأول : أسلوب الحكمة وما يناسبه في أساليب فرعية ٤٠٥

الحكمة لغة واصطلاحا – الحكمة في القرآن والحديث ٤٠٥

أ – الرفق واللين من أساليب الحكمة ٤٠٩

ب – الشدة من أساليب الحكمة ٤١١

جـ – التلميح أسلوب من أساليب الحكمة ٤١٣

د – التصريح أسلوب من أساليب الحكمة ٤١٤

هـ – التكرار أسلوب من أساليب الحكمة ٤١٦

و – الاستفهام أسلوب من أساليب الحكمة ٤١٨

ز – القدوة – أسلوب من أساليب الحكمة ٤٢١

المطلب الثاني : الموعظة الحسنة .

وفيه : الموعظة لغة واصطلاحا ٤٢٨

أ – الترغيب – الترغيب لغة – اصطلاحا _ مكانته ٤٢٩

ب – الترهيب – لغة – اصطلاحا – مكانته في الدعوة إلى الله ٤٣٧

جـ – القصة – معنى القصة لغة – اصطلاحا – مكانتها في الدعوة إلى الله ٤٤١

المطلب الثالث : المجادلة بالحسنى ٤٤٩

معنى المجادلة لغة – اصطلاحا – المجادلة أسلوب دعوي غير منسوخ بالجهاد ٤٤٩

أ – الحوار – ممعنى الحوار لغة – الحوار اصطلاحا ، شواهده ٤٥٢

ب - المقارنة والموازنة - المقارنة لغة - اصطلاحا ، شواهد المقارنة - مكانتها في الدعوة إلى الله ٤٥٧

الخاتمة ٤٦٣

الفهارس

فهرس الآيات ٤٦٦

فهرس الأحاديث والآثار ٤٩٦

فهرس الغريب ٥١٥

فهرس الأعلام ٥٢٢

فهرس الراجع ٥٣٢

فهرس الموضوعات ٥٦٣